رجال ونساء حول الرسول ﷺ

صلاح الدين محمود السعيد

مكتبـة الإيمـان - المنصــورة

ت: ٢٢٥٧٨٨٢

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل لـه، ومن يضلل فلا هادي لـه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فـإن الأمـة الإسـلامية تعـيش صـحوة مباركـة أسـأل الله سـبحانه أن يجعـل ثمارهـا يانعـة، ولا يمكـن أن يـدع الكفـار الأمـة تصـحو، وإن صـحت فسـوف يمنعونهـا مـن النهـوض. ولـن تـنهض إلا بعـد أن تصـابر الأعـداء، وتصـبر الصـبر كلـه بأنواعـه، وتتقـي الله ربهـا، حينئـذ تنـال الأمـة الإمامـة والقيـادة وتكـون نهضـتها مباركـة بـإذن الله تعـالى. وكـى تنجـو مـن كيـد الأعـداء الـذين دأبـوا علـى اسـتغلال افتراق الأمة وشتاتها، واختلاف شعوبها وقيادتها.

ومن أهم أسباب الاختلاف وهو وقوده ومادة اشتعاله: ذلك الركـام التـاريخي الهائل، وقـد أجـاد القصـاص فن سبكه وحبكـه، وأتقن أصـحاب المصـالح استغلاله فـي تحريـك العواطف وكسب التأييد، وتحريك الجماهير، وكسب الأموال، وأصبح الرصيد التـاريخي السلّم الذي يرتقونه ليصلوا إلى أهدافهم.

وينبغـي علـى المسـلمين لا سـيما طلبـة العلـم بيـان الحـق والـذب عنـه ودعـوة أهـل الإيمـان إلـى الاعتصـام بالكتـاب والسـنة ونبـذ الفرقـة، وإفشـال خطـط الأعـداء فـي تمزيـق الأمـة، وجعـل بأسـها بينهـا، ولا يخفـى علـى القـارئ الكـريم بـأن الشـرارة التـي جعـل منهـا القصاصـون نـاراً مـا حصـل بـين الصـحابة - رضـي الله عـنهم - بعـد وفاة رسول الله ﷺ.

إسهاماً في تجلية الحقيقة والدعوة إلى الله تعالى، كتبت هذا الكتاب للمسلمين عامة رجالاً ونساءً صغاراً وكباراً. على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم، مع الحرص على الأدلة العقلية والنقلية لاسيما من القرآن الكريم مع إثارة العواطف والإقناع العقلي لعل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بذلك. والصواب من توفيق الله وأستغفر الله من تقصيري وكل ذنب وخطيئة. وأملي في القارئ ألاَّ ينسانا من الاقتراحات المفيدة، والتوجيهات السديدة.

كتبها

صلاح الدين محمود السعيد

* * * * *

الفصل الأول: الثناء في القرآن والسنة على الصحابة

المبحث الأول: الثناء عليهم في القرآن

المبحث الثاني: الثناء عليهم في السنة

المبحث الثالث: الثناء عليهم في أقوال السلف

الفصل الثاني: وجوب محبتهم والدعاء والاستغفار لهم بالشهادة عن رسول الله ﷺ الجنة منهم

المبحث الأول: وجوب محبة أصحاب رسول الله ﷺ

المبحث الثانى: الدعاء والاستغفار لهم

المبحث الثالث: الشهادة لمن شهد رسول الله ﷺ بالجنة منهم

الفصل الثالث: إثبات عدالتهم رضى الله عنهم

المبحث الأول: العدالة في اللغة والاصطلاح

المبحث الثانى: تعديل الله ورسوله للصحابة

المبحث: الثالث: الإجماع على عدالتهم رضى الله عنهم

الفصل الرابع: تحريم سبهم بنص الكتاب العزيز والسنة وأقوال السلف وحكم من يسبهم

المبحث الأول: دلالة السنة مع تحريم سب الصحابة

المبحث الثالث: من كلام السلف في تحريم سب الصحابة

المبحث الرابع: حكم ساب الصحابة وعقوبته

الفصل الخامس: فضل العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم رضوان الله عليهم

الفصل السادس: فضل الصاحبيات رضوان الله عليهن

* * * * *

الفصل الأول

الثناء في القرآن والسنة على الصحابة

وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: الثناء عليهم في القرآن

المبحث الثاني: الثناء عليهم في السنة

المبحث الثالث: الثناء عليهم في أقوال السلف

المبحث الأول
الثناء عليهم في القرآن

إن أهل السنة والجماعة يثبتون فضل الصحابة رضي الله عنهم الذي نطق به القرآن الكريم المنزل من لدن حكيم حميد على نبيه محمد ﷺ، كما يثبتون جميع ما صح في فضلهم عن رسول الله ﷺ سواء كان هذا الفضل على وجه العموم، أو على وجه الخصوص الكل يثبتونه ويعتقدونه اعتقاداً جازماً، ويسلمون به لأولئك الأطهار الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وصاغهم أعظم صياغة، ليكونوا وزراء لنبيه عليه الصلاة والسلام، وليحملوا رسالته من بعده، ويبلغوها إلى جميع الناس في هذه المعمورة ولقد أثنى الله عليهم في كتابه الكريم على سبيل الجملة في آيات كثيرة ومواضع شتى منها:

١ - قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]. هذه الآية الكريمة وجه الله تعالى فيها الخطاب إلى جميع الأمة المحمدية من أولها إلى أن تقوم الساعة وهذا الخطاب يتضمن أنه سبحانه جعلهم خيار الأمم ليكونوا يوم القيامة شهداء على الناس، والوسط في الآية بمعنى الخيار والأجود ولكن أولوية الدخول في هذا الخطاب إنما هو لأصحاب رسول الله ﷺ قبل بقية الأمة الإسلامية إذ هم أول من وجه إليهم هذا الخطاب في هذه الآية وهم الموجودون حين نزوله.

قال العلامة ابن جرير الطبري مبيناً معنى هذه الآية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾: كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد عليه الصلاة والسلام وبما جاءكم به من عند الله فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل كذلك خصصناكم ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان بأن جعلناكم أمة وسطاً...

والوسط في كلام العرب الخيار يقال: فلان وسط الحسب في قومه أي: متوسط الحسب إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه وهو وسط في قومه وواسط، وأرى أن الله تعالى ذكره، إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهبن وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها، إلى أن قال:

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ والشهداء جمع شهيد: فمعنى ذلك: وكذلك جعلناكم أمة وسطاً عدولاً شهداء لأنبيائي ورسلي على أممها بالبلاغ أنها قد بلغت ما أمرت ببلاغه من رسالاتي إلى أممها ويكون رسولي محمد ﷺ شهيداً عليكم بإيمانكم به وبما جاءكم به من عندي" ا. هـ[١].

وقال أبو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ : المعنى: وكما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطاً أي: جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم والوسط العدل، وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها.

وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال: عدلاً قال: هذا حديث حسن صحيح[٢] وفي التنزيل: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾
[القلم: ٢٨] [٣] أي: أعدلهم وخيرهم، ولما كان الوسط مجانباً للغلو والتقصير كان محموداً أي: هذه الأمة لم تغل غلو النصارى في أنبيائهم ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم وقوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ أي: في المحشر للأنبياء على أممهم[٤].

وقد روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ : «**يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت فيقول: نعم يا رب، فتسئل أمته هل بلغكم فيقولون: ما جاءنا من نذير فيقول: من شهودك ؟ فيقول: محمد وأمته فيجاء بكم فتشهدون**». ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال: عدلاً ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [٥].

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .
يقول تعالى: إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام، واخترناها لكم لنجعلكم خيار

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦٠٨/٢.
(٢) سنن الترمذي ٢٧٥/٤.
(٣) سورة القلم آية / ٢٨.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٥٣/٢، ١٥٤.
(٥) صحيح البخاري ٢٦٨/٤.

الأمم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم، لأن الجميع معترفون لكم بالفضل، والوسط هاهنا الخيار والأجود كما يقال: قريش أوسط العرب نسباً وداراً أي أخيرها وكان رسول الله ﷺ وسطاً في قومه أي: أشرفهم نسباً، ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٨] (١).

وقال السفاريني رحمه الله تعالى مبيناً معنى الآية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ ﴾ ولد سنة أربع عشرة ومائة وألف، وتوفي سنة ثمان وثمانين مائة وألف هجرية (٢).

﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ الآية أي: أمة خياراً عدولاً، فإن هذا حقيقة الوسط، فهم خير الأمم وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم وإراداتهم ونياتهم، وبهذا استحقوا أن يكونوا شهداء للرسل على أممهم يوم القيامة والله تعالى يقبل شهادتهم عليهم فهم شهداؤه ولهذا نوه بهم ورفع ذكرهم وأثنى عليهم ا. هـ(٣).

فإذن معنى الآية الكريمة: أن الله تعالى كما جعل قبلة أمة محمد ﷺ خير القبل وجعلها متوسطة بين المشرق والمغرب كذلك جعلهم خير الأمم وسطاً بين الغلو والتقصير، فلم يغلوا غلو النصارى حيث وصفوا عيسى عليه الصلاة والسلام بالألوهية، ولم يقصروا تقصير اليهود حيث وصفوه بأنه ولد زنى فأخبر - سبحانه - بما أنعم به على أمة محمد ﷺ من تفضيله لها بالعدالة والشهادة على سائر الأمم يوم القيامة، وعلى هذا فلا ريب، ولا شك في أن أصحاب رسول الله ﷺ هم أحق من كل أحد من أمته عليه الصلاة والسلام بهاتين الصفتين ألا وهما: العدالة والشهادة على سائر الأمم يوم القيامة بأن الرسل قد بلغوا أممهم ما أنزل الله إليهم من الرسالات السماوية.

قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] وفي هذه الآية الكريمة بين الله تعالى أنه

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٣٥/١، والآية رقم ٧٨ من سورة الحج.

(٢) انظر: ترجمته في الأعلام للزركلي ٢٤٠/٦

(٣) لوامع الأنوار البهية ٣٨٤/٢.

جعل أمة محمد خير أمة أخرجت للناس، وذلك بسبب ما اتصفت به من القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولما استقر في قلوبهم من الإيمان بالله والصحابة رضي الله عنهم هم أول وأفضل من دخل في هذا الخطاب وحاز قصب السبق في هذه الخيرية بلا نزاع لأنهم أول من خوطب بهذه الآية الكريمة، قال الزجاج(١): وأصل الخطاب لأصحاب النبي ﷺ وهو يعم سائر أمته (٢).

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى بعد ذكره لهذه الآية: "وهذا اللفظ وإن كان عاماً فالمراد به الخاص وقيل: هو وارد في الصحابة" ا. هـ(٣).

وقال السفاريني رحمه الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قيل: اتفق المفسرون أن ذلك في الصحابة لكن الخلاف في التفاسير مشهور ورجح كثير عمومها في أمة محمد ﷺ وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣] وهذا خطاب للموجودين حينئذ" ا. هـ(٤).

وأخرج الإمام البخاري بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] قال: **«خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام»** (٥).

وقال العلامة ابن جرير الطبري: "اختلف أهل التأويل في قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ فقال بعضهم: هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وخاصة من أصحاب رسول الله ﷺ.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قال: هم الذين هاجروا مع النبي ﷺ إلى المدينة.

---

(١) هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج عالم بالنحو واللغة ولد ببغداد سنة إحدى وأربعين ومائتين وتوفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، انظر: ترجمته في وفيات الأعيان ٤٩/١ - ٥٠، تاريخ بغداد ٨٩/٦.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤٦٧/١، زاد المسير ٤٣٨/١ - ٤٣٩.

(٣) الكفاية ص/ ٩٤.

(٤) لوامع الأنوار البهية ٣٧٧/٢.

(٥) صحيح البخاري ١١٣/٣.

وعن السدي: أنه قال: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ قال عمر بن الخطاب: لو شاء الله لقال: أنتم فكنا كلنا، ولكن قال: "كنتم" في خاصية من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن صنع مثل صنيعهم كانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

وعنه رضي الله عنه أنه قال: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قال: تكون لأولنا ولا تكون لآخرنا.

وعن قتادة قال: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قال في حجة حجها ورأى من الناس رعة [١] سيئة فقرأ هذه ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ ثم قال: يا أيها الناس من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله منها.

وقال الضحاك في قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قال: هم أصحاب رسول الله ﷺ خاصة يعني وكانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم.

وقال آخرون: معنى ذلك كنتم خير أمة أخرجت للناس إذ كنتم بهذه الشروط التي وصفهم - جل ثناؤه - بها فكان تأويل ذلك عندهم كنتم خير أمة تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله، وعن قتادة قال: كان الحسن يقول: نحن آخرها وأكرمها على الله.

وبعد ذكره لأقوال المفسرين في هذه الآية قال: "وأولى الأقوال بتأويل الآية ما قال الحسن ثم ساق بإسناده إلى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ألا إنكم وفيتم سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله»** [٢].

فابن جرير رحمه الله تعالى رجح حمل الآية على عموم الأمة وأيد العموم بحديث

---

(١) قال الأصمعي: الرعة الهدي وحسن الهيئة، أو سوء الهيئة يقال: قوم حسنة رعتهم أي: شأنهم وأمرهم وأدبهم وأصله من الورع وهو الكف عن القبيح. ا. هـ لسان العرب ٣٨٨/٨، وانظر: النهاية في غريب الحديث ١٧٥/٥.

(٢) جامع البيان ٤٣/٤ - ٤٥.

بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وهذا الحديث عند الترمذي[١] وابن ماجه[٢] والحاكم[٣] بلفظ: **«أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله»**.

قال الحافظ في الفتح: وله شاهد مرسل عن قتادة عن الطبري[٤]، رجاله ثقات، وفي حديث علي عند أحمد[٥] بإسناد حسن: أن النبي ﷺ قال: **«... وجعلت أمتي خير الأمم»**[٦].

وممن حمل الآية على العموم في جميع الأمة الحافظ ابن كثير، فإنه قال بعد ذكره لأقوال المفسرين: "والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة كل قرن بحسبه وخير قرونهم الذي بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: أخياراً ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣] ا. هـ[٧].

وعلى هذا فمن أراد أن يوسم بسمة الخيرية التي وسم بها صحابة رسول الله ﷺ كما شهد لهم رب العالمين بها في الآية السابقة التي نحن بصدد الحديث عنها فليتحل بصفاتهم وأخلاقهم ويتبع المنهج الذي التزموه وساروا عليه.

قال الحافظ ابن كثير بعد أن ساق الأحاديث الثابتة في فضل أمة محمد ﷺ : "فهذه الأحاديث في معنى قوله تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في المدح، ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله: ﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ ﴾ [المائدة: ٧٩] [٨].

---

(١) سنن الترمذي ٢٩٤/٤.
(٢) سنن ابن ماجه ١٤٣٣/٢.
(٣) المستدرك ٨٤/٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي.
(٤) جامع البيان ٤٥/٤.
(٥) المسند ٩٨/١.
(٦) الفتح ٢٢٥/٨.
(٧) تفسير القرآن العظيم ٨٩/٢.
(٨) المصدر السابق ٩٨/٢.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة: ٥٤].

هذه الآية الكريمة، الخطاب فيها موجه لعباده المؤمنين إلى أن تقوم الساعة وهي تتضمن وعداً من الله - عز وجل - لهذه الأمة وهذا الوعد هو أن من ارتد عن دين الإسلام فإنه يأتي - سبحانه - بقوم ينصرون هذا الدين وبين - سبحانه - أنه يحبهم ويحبونه وأن فيهم رقة وليناً لإخوانهم المؤمنين، كما أنهم متصفون بالغلظة والشدة على الكافرين، وأنهم يجاهدون في سبيل الله من كفر بهذا الدين ولا يخافون في الحق من لوم لائم، وهذه الصفات الطيبة، وإن كانت عامة في جميع المؤمنين إلا أن أصحاب رسول الله ﷺ وفي مقدمتهم - الصديق أبو بكر - هم أقعد وأحق وأولى بهذه الصفات من كل مؤمن يأتي بعدهم فهم أول من يتناوله الخطاب ويدخل فيه دخولاً أولياً.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله وبرسوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي: صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم محمد ﷺ ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾ يقول: من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه اليوم فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر؛ إما في اليهودية أو النصرانية، أو غير ذلك من صنوف الكفر فلن يضر الله شيئاً وسيأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه يقول: فسوف يجيء الله بدلاً منهم بالمؤمنين الذين لم يبدلوا ولم يغيروا ولم يرتدوا بقوم خير من الذين ارتدوا وبدلوا دينهم، يحبهم الله ويحبون الله وكان هذا الوعيد من الله لمن سبق في علمه أنه سيرتد بعد وفاة نبيه محمد ﷺ، وكذلك وعده من وعد من المؤمنين ما وعده في هذه الآية لمن سبق له في علمه أنه لا يبدل ولا يغير دينه، ولا يرتد، فلما قبض الله نبيه ﷺ ارتد أقوام من أهل الوبر وبعض أهل المدر، فأبدل الله المؤمنين بخير منهم، كما قال تعالى ذكره، ووفى للمؤمنين بوعده وأنفذ فيمن ارتد منهم وعيده، إلى أن قال: ثم اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين أتى الله بهم المؤمنين وأبدل المؤمنين مكان من ارتد منهم، فقال بعضهم: هو أبو بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة حتى أدخلوهم من الباب الذي خرجوا منه، وروى بإسناده إلى الحسن البصري في قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ قال: هذا والله أبو بكر وأصحابه.

وقال آخرون: يعني بذلك قوماً من أهل اليمن، وقال بعض من قال ذلك منهم: هم رهط أبي موسى الأشعري: عبد الله بن قيس، ثم روى بإسناده إلى عياض بن غنم الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ قال: أومأ رسول الله ﷺ إلى أبي موسى بشيء كان معه فقال: هم قوم هذا.

وقال آخرون: بل هم أهل اليمن جميعاً.

وذكر بإسناده إلى مجاهد في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ قال: أناس من أهل اليمن وقال آخرون: هم الأنصار.

وروى بإسناده إلى السدي في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ قال: إنهم الأنصار (١).

وقال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى عند قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ ﴾ الآية. قال: "يقول تعالى مخبراً عن قدرته العظيمة أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته، فإن الله سيستبدل به من هو خير لها وأشد منعة وأقوم سبيلاً كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨]، وذكر عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: إنها نزلت في الولاة من قريش.

وعن الحسن البصري: أنها نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر.

وعن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ قال: هؤلاء قوم من أهل اليمن، ثم من كندة ثم من السكون، إلى أن قال: وقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليه متعززاً على خصمه وعدوه وفي صفة رسول الله ﷺ أنه الضحوك القتال فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه (٢).

وكل ما تقدم من تنوع سبب نزول الآية في أنها نزلت في الأشعريين، أو في أحياء من أهل اليمن، أو في الولاة من قريش، أو في الأنصار فإن ذلك لا ينافي عموم الآية

---

(١) جامع البيان ٢٨٢/٦ - ٢٨٥، زاد المسير ٣٨١/٢ - ٣٨٢، تفسير البغوي على حاشية الخازن ٥٤/٢.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٥٩٥/٢

فالآية عامة في كل مؤمن يحب الله ويحبه، ويوالي فيه، ويعادي فيه ولا يخاف في الله لومة لائم، وكان أبو بكر وأصحابه أسعد الناس بذلك وأقدمهم وأسبقهم إليه وهو أول من تناولته الآية رضي الله عنه وأرضاه وعن أنصار الإسلام وحزبه أجمعين، ومما يؤيد هذا ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لأبي بكر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله – عز وجل»** ؟ فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله - عز وجل - قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق [(١)].

هذا وفي الآية السابقة دلالة واضحة على صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - إذ أنهم جاهدوا في الله - عز وجل - في حياة رسول الله ﷺ وجاهدوا المرتدين وسائر الكفرة بعد وفاته ﷺ، ومن المقطوع به أن الصفات المذكورة في الآية المتقدمة متوفرة فيهم ومنطبقة عليهم رضي الله عنهم أجمعين.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٢ - ٧٤].

الموصوفون في الآية الأولى من هذه الآيات للصفات الثلاث التي هي الإيمان والهجرة والجهاد هم المهاجرون الأولون الذين تركوا ديارهم وأموالهم وأولادهم إيثاراً لله ولرسوله من أجل إعلاء كلمة الله، وإظهار

---

(١) صحيح البخاري ٣٤٣/١، صحيح مسلم ٥١/١ - ٥٢.

الدين الإسلامي الحنيف على سائر الأديان سواء لأنه الدين الحق الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه، والموصوفون في الآية نفسها بالإيواء والنصرة هم الأنصار الذين هم الأوس والخزرج، فإنهم آووا الرسول وأصحابه المهاجرين في منازلهم ونصروا نبي الله عليه الصلاة والسلام لمقاتلة أعداء الدين، ثم بين - سبحانه - الولاء والتلاحم الثابت بين المهاجرين والأنصار بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [الأنفال: ٧٢] أي: في النصرة والمساعدة. وهذا مما يؤكد قطع المولاة بينه وبين الكفار والآية الأخيرة من الآيات السابقة أخبر تعالى عنهم بحقيقة الإيمان وأنه - سبحانه - سيجازيهم بالمغفرة والصفح عن ذنوبهم إن وجدت وبالرزق الكريم وهو الحسن الكثير الطيب الشريف الدائم الأبدي المستمر الذي لا ينقطع ولا ينقص، ولا يسأم ولا يمل لتنوعه وحسنه.

قال العلامة ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ﴾ [الأنفال: ٧٢] الآية: ذكر تعالى أصناف المؤمنين وقسمهم إلى مهاجرين خرجوا من ديارهم وأموالهم وجاؤوا لنصرة الله ورسوله وإقامة دينه، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك، وإلى أنصار وهم المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم وواسوهم في أموالهم ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم فهؤلاء بعضهم أولياء بعض، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ [الأنفال: ٧٢]، بل أقاموا في بواديهم فهؤلاء ليس لهم في المغانم نصيب ولا في قسمها إلا ما حضروا فيه القتال ا. هـ[١].

قال أبو عبد الله القرطبي عند قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾ [الأنفال: ٧٤] الآية: "حقاً" مصدر أي: حققوا إيمانهم بالهجرة والنصرة وحقق الله إيمانهم بالبشارة في قوله: ﴿لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [الأنفال: ٧٤] أي: ثواب عظيم ا. هـ[٢].

والمقصود أن الآيات المتقدمة اشتملت على الثناء الحسن على عموم الصحابة من مهاجرين وأنصار رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٥١/٣ - ٣٥٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥٨/٨

وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

هذه الآية الكريمة اشتملت على أبلغ الثناء من الله رب العالمين على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان حيث أخبر تعالى أنه رضي عنهم ورضوا عنه بما أكرمهم الله به من جنات النعيم والنعيم المقيم فيها الذي لا يفنى ولا يبيد، فقد خسر نفسه بعد هذا من ملأ قلبه ببغضهم، واستعمل لسانه في سبهم، والوقيعة فيهم كالطائفة المخذولة من الرافضة التي عميت عن ثناء الله عليهم في كتابه العزيز، بمثل هذا الثناء وغيره فأخذوا يعادونهم ويبغضونهم ويسبونهم عياذاً بالله، وهذا يدل على أن قلوبهم انتكست وعقولهم فسدت، وإلا فأين هم من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضي الله عنهم ورضوا عنه؟. وقد عصم الله أهل السنة والجماعة مما وقع فيه الرافضة فلم يقولوا في أسلاف هذه الأمة منكراً، أو يطعنوا فيهم طعناً، فلم يقولوا في المهاجرين والأنصار وأعلام الدين ولا في أهل بدر وأحد وأهل بيعة الرضوان إلا أحسن المقال.

قال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [التوبة: ١١٧].

وفي هذه الآية المباركة ثناء آخر من الله تعالى على النبي الكريم وصحبه الأكرمين من المهاجرين والأنصار ألا وهو إخباره تعالى أنه من لطفه وإحسانه أن تاب عليهم فغفر لهم الزلات ووفر لهم الحسنات، ورقاهم إلى أعلى الدرجات، وذلك بسبب قيامهم بالأعمال الصعبة الشاقة ولهذا قال: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ أي: خرجوا معه لقتال الأعداء في غزوة تبوك، وكانت في حر شديد وضيق من الزاد والركوب، وكثرة عدد مما يدعو إلى التخلف، فاستعانوا الله تعالى وقاموا بذلك ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ أي: تنقلب قلوبهم يميلون إلى الدعة والسكون، ولكن الله ثبتهم

وقواهم[١] رضوان الله عليهم أجمعين وأعظم بها من منقبة لأولئك الصفوة حيث شملهم الله تعالى بالتوبة عليهم ومن تاب الله عليه تحققت سعادته في الدار الآخرة.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: من تاب الله عليه لم يعذبه أبداً [٢].

قال أبو بكر أحمد بن علي الجصاص: "وقوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ فيه مدح لأصحاب النبي ﷺ الذين غزوا معه من المهاجرين والأنصار وإخبار بصحة بواطن ضمائرهم وطهارتهم؛ لأن الله تعالى لا يخبر بأنه قد تاب عليهم، إلا وقد رضي عنهم ورضي أفعالهم، وهذا نص في رد قول الطاعنين عليهم والناسبين لهم إلى غير ما نسبهم الله إليه من الطهارة، ووصفهم به من صحة الضمائر وصلاح السرائر رضي الله عنهم" [٣].

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٥٥].

الوعد بالاستخلاف في هذه الآية عام يدخل تحته كل من تولى وظيفة من وظائف المسلمين من أمة محمد ﷺ ولكن بشرط أن تتوفر الصفتان المذكورتان في الآية وهما: الإيمان والعمل الصالح، فتشمل الخلافة وإقامة الدعوة وعموم الشريعة بنفاذ الوعد في كل أحد بقدره وعلى حاله، والخطاب في الآية موجه للنبي ﷺ ولمن معه فيندرج تحت هذا العموم جميع الصحابة والخلفاء الأربعة رضي الله عنهم يدخلون فيه قبل كل من اتصف بالصفتين ممن جاء بعدهم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: موضّحاً لمعنى آية النور هذه والآية التي ختمت بها سورة الفتح: "فقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف كما وعدهم في تلك الآية مغفرة وأجراً عظيماً، والله لا يخلف الميعاد، فدل ذلك على أن الذين استخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم، ومكن لهم دين الإسلام، وهو الدين الذي ارتضاه لهم كما

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ١٤٥/٣.

(٢) ذكره البغوي في تفسيره المسمى معالم التنزيل ١٢٩/٣، على حاشية الخازن.

(٣) أحكام القرآن للجصاص ١٦٠/٣.

قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وبدلهم بعد خوفهم أمناً لهم منه المغفرة والأجر العظيم، وهذا يستدل به من وجهين يستدل به على أن المستخلفين مؤمنون عملوا الصالحات؛ لأن الوعد لهم لا لغيرهم، ويستدل به على أن هؤلاء مغفور لهم ولهم أجر عظيم؛ لأنهم آمنوا وعملوا الصالحات فتناولتهم الآيتان آية النور وآية الفتح، ومن المعلوم أن هذه النعوت منطبقة على الصحابة على زمن أبي بكر وعمر وعثمان فإنه إذ ذاك حصل الاستخلاف وتمكن الدين بعد الخوف لما قهروا فارس والروم وفتحوا الشام والعراق ومصر وخراسان وإفريقية.

وحينئذ فقد دل القرآن على إيمان أبي بكر وعمر وعثمان، ومن كان معهم في زمن الاستخلاف والتمكين والأمن وأدركوا زمن الفتنة كعلي وطلحة والزبير وأبي موسى الأشعري ومعاوية وعمرو بن العاص دخلوا في الآية لأنهم استخلفوا ومكنوا وأمنوا، وأما من حدث في زمن الفتنة كالرافضة الذين حدثوا في الإسلام في زمن الفتنة والافتراق وكالخوارج المارقين، فهؤلاء لم يتناولهم النص، فلم يدخلوا فيمن وصف بالإيمان والعمل الصالح المذكورين في هذه الآية؛ لأنهم أولاً ليسوا من الصحابة المخاطبين بهذا ولم يحصل لهم من الاستخلاف والتمكين والأمن بعد الخوف ما حصل للصحابة بل لا يزالون خائفين مقلقلين غير ممكنين، فإن قيل: لم قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [المائدة: ٩] ولم يقل وعدهم كلهم قيل: كما قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النور: ٥٥]، ولم يقل وعدكم: و"من" تكون لبيان الجنس فلا يقتضي أن يكون قد بقى من المجرور بها شيء خارج عن ذلك الجنس" (١).

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى عند هذه الآية: "هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أي: أئمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد، وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمنا وحكماً فيهم، وقد فعله - تبارك وتعالى - وله الحمد والمنة؛ فإنه ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها وأخذ الجزية من مجوس هجر، ومن بعض أطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر

(١) منهاج السنة ١/١٥٧.

وإسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد أصحمة رحمه الله وأكرمه، ثم لما مات رسول الله ﷺ واختار الله لـه ما عنده من الكرامة قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق فلمَّ شعث الأمة وأخذ جزيرة العرب، ومهدها وبعث جيوش الإسلام إلى بلاد فارس صحبه خالد بن الوليد رضي الله عنه ففتحوا طرفاً منها، وقتلوا خلقاً من أهلها وجيشاً آخر صحبة أبي عبيدة رضي الله عنه، ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام، وثالثاً صحبة عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بلاد مصر، ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها، وتوفاه الله - عز وجل - واختار لـه ما عنده من الكرامة ومنَّ على أهل الإسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق فقام بالأمر بعده قياماً تاماً لم يدر الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدلـه وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار مصر إلى آخرها، وأكثر إقليم فارس وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان، وتقهقر إلى أقصى مملكته وقصر قيصر، وانتزع يده عن بلاد الشام، وانحدر إلى القسطنطينية، وأنفق أموالهما في سبيل الله، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة.

ثم لما كانت الدولة العثمانية(١) امتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك الأندلس وقبرص، وبلاد القيروان وبلاد سبتة مما يلي البحر والمحيط، ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين، وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية، وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز، وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جداً.

وخذل الله ملكهم الأعظم خاقان، وجبي الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها»**(٢).

(١) نسبة إلى عثمان بن عفان.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١١٩/٥، ١٢٠، والحديث رواه مسلم في صحيحه ٢٢١٥/٤، من حديث ثوبان رضي الله عنه.

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النمل: ٥٩].

قال العلامة ابن جرير الطبري: "الذين اصطفاهم يقول: الذين اجتباهم لنبيه محمد ﷺ فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدين الذي بعثه بالدعاء إليه دون المشركون به الجاحدين نبوة نبيه". ثم ذكر بإسناده إلى ابن عباس في قوله: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ قال: أصحاب محمد اصطفاهم الله لنبيه.

ثم قال: حدثنا علي بن سهل قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: قلت لعبد الله بن المبارك: أرأيت قول الله: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ من هؤلاء فحدثني عن سفيان الثوري، قال: هم أصحاب رسول الله ﷺ [(١)].

وأما العلامة ابن كثير فقد ذكر في قوله تعالى: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ قولين:

أحدهما: أن المراد بعباده الذين اصطفى هم أنبياؤه ورسله الكرام.

الثاني: أن المراد بعباده الذين اصطفى هم: أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم.

ثم قال جامعاً بين القولين: ولا منافاة، فإنهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى فالأنبياء بطريق الأولى والأحرى ا. هـ[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ قال طائفة من السلف: هم أصحاب محمد ﷺ، ولا ريب أنهم أفضل المصطفين من هذه الأمة التي قال الله فيها: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فاطر: ٣٢ - ٣٥].

فأمة محمد ﷺ الذين أورثوا الكتاب بعد الأمتين قبلهم اليهود والنصارى، وقد أخبر

---

(١) جامع البيان ٢/٢٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٤٥/٥.

الله تعالى أنهم الذين اصطفى، وتواتر عن النبي ﷺ أنه قال: **«خير القرون القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»** [(١)]، ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه هم المصطفون من المصطفين من عباد الله ا. هـ[(٢)].

وقال السفاريني رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النمل: ٥٩] وهم أصحاب محمد ﷺ ا. هـ[(٣)].

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الزمر: ٣٣ - ٣٥].

فالصحابة رضي الله عنهم داخلون في هذا الثناء على هذا الصنف الذي يجيء بالصدق ويصدق به فهم الأئمة الصادقون في أقوالهم المصدقون بالحق إذا جاءهم وكل صادق بعدهم فهو إنما يأتم بهم في صدقه وتصديقه ابتاعاً لهم واقتداء بهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣٣] فيها ثناء على الصحابة رضي الله عنهم حيث قال: "وهذا الصنف الذي يقول الصدق ويصدق به خلاف الصنف الذي يفتري الكذب أو الكذب به والصحابة، هم أفضل من جاء بالصدق وصدق به بعد الأنبياء، وليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أعظم افتراء للكذب على الله وتكذيباً بالحق من المنتسبين إلى التشيع ا. هـ[(٤)].

والحال كما قال رحمه الله تعالى فإن الصحابة الكرام رضي الله عنهم هم أزكى الأمة وأطهرها فهم الصادقون فيما يقولون وهم في أولية الأمة تصديقاً للحق لما جاءهم فرضي الله عنهم أجمعين، وعلى من يبغضهم ويعاديهم اللعنة إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ

---

(١) صحيح البخاري ٢٨٧/٣ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) منهاج السنة ١٥٦/١.

(٣) لوامع الأنوار البهية ٣٨٤/٢.

(٤) منهاج السنة ١٥٦/١.

فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح: ٢٩].

هذه الآية تضمنت ذكر منزلة الرسول ﷺ بالثناء عليه ثم ثنى الله تعالى فيها بالثناء على سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. فذكر تعالى أن من صفاتهم الشدة والغلظة على أهل الكفر، كما وصفهم بالتراحم والتعاطف فيما بينهم، ووصفهم بأنهم يكثرون من الأعمال الصالحة المقرونة بالإخلاص وسعة الرجاء، وفي مقدمة تلك الأعمال الصالحة إكثارهم من الصلاة ابتغاء الحصول على فضل من الله ورضوان، كما بين - سبحانه - أن آثار ذلك يظهر على وجوههم ﴿ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح: ٢٩] والسيماء اللعلامة، وقد قيل المراد بها بياض يكون في الوجوه يوم القيامة، قاله الحسن وسعيد بن جبير وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواية أخرى عنه وعن مجاهد: السيماء في الدنيا هو السمت الحسن "وعن مجاهد أيضاً: هو الخشوع والتواضع" (١).

وهذه الأقوال لا منافاة بينها إذ يمكن أن يكون في الدنيا هو السمت الحسن الذي ينشأ عن التواضع والخشوع، وفي الآخرة يكون في جباههم نور (٢).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "فالصحابة رضي الله عنهم خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم، وقال مالك رضي الله عنه: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام، يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا، وصدقوا في ذلك فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ، وقد نوه الله - تبارك وتعالى - بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة، ولهذا قال - سبحانه - ههنا ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ ﴾ [الفتح: ٢٩] ثم قال: ﴿ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ ﴾ [الفتح: ٢٩]، أي: فراخه ﴿ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾ [الفتح: ٢٩] أي: شدَّه وقواه ﴿ فَٱسۡتَغۡلَظَ ﴾ [الفتح: ٢٩]، أي: شبَّ وطال ﴿ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ

(١) جامع البيان ١١٠/٢٦ - ١١١، تفسير ابن كثير ٣٦٤/٦، الجامع لأحكام القرآن ٢٩٣/١٦ - ٢٩٤.
(٢) انظر: جامع البيان للطبري ١١٢/٢٦.

﴿سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ [الفتح: ٢٩] أي: فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]، ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم، قال: "لأنهم يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك، ثم قال تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم﴾ [الفتح: ٢٩] من هذه لبيان الجنس ﴿مَّغۡفِرَةً﴾ [الفتح: ٢٩]، أي: لذنوبهم ﴿وَأَجۡرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩] أي: ثواباً جزيلاً ورزقاً كريماً ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل، وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل الفردوس مأواهم وقد فعل[(١)].

"وفي قوله - سبحانه - في حق الصحابة الكرام رضي الله عنهم ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩] أخطر حكم وأغلظ تهديد وأشد وعيد في حق من غيظ بأصحاب رسول الله ﷺ أو كان في قلبه غل لهم" [(٢)].

وأما قوله تعالى في ختام الآية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩]، فهذا وعد من الله لجميع الصحابة بالجنة، وكذلك كل من آمن وعمل الصالحات من أمة الإجابة، إذ هذا الوعد عام لجميع المؤمنين إلى يوم القيامة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى مبيناً معنى الآية: "ولا ريب أن هذا مدح لهم بما ذكر من الصفات وهو الشدة على الكفار والرحمة بينهم والركوع والسجود يبتغون فضلا من الله ورضواناً، والسيماء في وجوههم من أثر السجود، وأنهم يبتدئون من ضعف إلى كمال القوة والاعتدال كالزرع والوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم ليس على مجرد هذه الصفات، بل على الإيمان والعمل الصالح، فذكر ما به يستحقون الوعد، وإن كانوا كلهم بهذه الصفة، ولولا ذكر ذلك لكان يظن أنهم بمجرد ما ذكر يستحقون المغفرة والأجر العظيم، ولم يكن فيه بيان سبب الجزاء بخلاف ما إذا ذكر الإيمان والعمل الصالح، فإن

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٦٥/٦.

(٢)" قبس من هدى الإسلام" لشيخنا عبد المحسن العباد ص/ ٨٦.

الحكم إذا علق باسم مشتق مناسب كان ما منه الاشتقاق سبب الحكم"ا. هـ[١].

١١ - قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾ [الحجرات: ٧].

وفي هذه الآية الكريمة بين - تعالى - أنه حبب إلى أصحاب رسول الله ﷺ الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وجعلهم راشدين، وذلك؛ لكي يكونوا أهلاً لشرف الصحبة، فأعدهم الله ذلك الإعداد الرفيع، فاستحقوا بذلك أن يكونوا هم الراشدين كما نطقت به هذه الآية.

قال العلامة ابن جرير الطبري: "يقول تعالى ذكره لأصحاب نبي الله ﷺ : واعلموا أيها المؤمنون بالله ورسوله ﴿أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٧]، فاتقوا الله أن تقولوا الباطل، وتفتروا الكذب، فإن الله يخبره أخباركم، ويعرفه أنباءكم، ويقومه على الصواب في أموره، وقوله: ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ [الحجرات: ٧]، يقول تعالى ذكره: لو كان رسول الله ﷺ يعمل في الأمور بآرائكم، ويقبل منكم ما تقولون له فيطيعكم ﴿لَعَنِتُّمۡ﴾ يقول: لنالكم عنت يعني الشدة والمشقة في كثير من الأمور بطاعته إياكم لو أطاعكم، لأنه كان يخطئ في أفعاله كما لو قبل من الوليد بن عقبة قوله في بني المصطلق: إنهم قد ارتدوا، ومنعوا الصدقة وجمعوا الجموع لغزو المسلمين فغزاهم فقتل منهم، وأصاب من دمائهم وأموالهم كان قد قتل، وقتلتم من لا يحل له، ولا لكم قتله وأخذ، وأخذتم من المال ما لا يحل له، ولكم أخذه من أموال قوم مسلمين، فنالكم من الله بذلك عنت ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ بالله ورسوله فأنتم تطيعون رسول الله، وتأتمون به، فيقيكم الله بذلك من العنت ما لو لم تطيعوه وتتبعوه، وكان يطيعكم لنالكم وأصابكم، وقوله: ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾، يقول: وحسن الإيمان في قلوبكم فآمنتم ﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ بالله ﴿وَٱلۡفُسُوقَ﴾ يعني الكذب ﴿وَٱلۡعِصۡيَانَ﴾ يعني ركوب ما نهى الله عنه في خلاف أمر رسول الله ﷺ وتضييع ما أمر الله به ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ يقول: هؤلاء الذين حبب الله إليهم الإيمان، وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم

---

(١) منهاج السنة ١٥٨/١.

الراشدون السالكون طريق الحق"ا. هـ[١].

وقال الحافظ ابن كثير: "وقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ أي: اعلموا أن بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه وتأدبوا معه وانقادوا لأمره، فإنه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم، ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم، كما قال - تبارك وتعالى - ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الأحزاب: ٦].

ثم بين أن رأيهم سخيف بالنسبة إلى مراعاة مصالحهم، فقال: ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ أي: لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لأدى ذلك إلى عنتكم وحرجكم، وقوله عز وجل: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ أي: حببه إلى نفوسكم وحسنه في قلوبكم، ﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ أي: وبغض إليكم الكفر والفسوق وهي الذنوب الكبار والعصيان، وهي جميع المعاصي وهذا تدرج لكمال، النعمة وقوله تعالى: ﴿أَنفُسِهِمۡ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ أي: المتصفون بهذه الصفة هم الراشدون الذين قد آتاهم الله رشدهم ا. هـ[٢].

قال الشوكاني رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ أي: جعله أحب الأشياء إليكم، أو محبوباً لديكم فلا يقع منكم إلا ما يوافقه، ويقتضيه من الأمور الصالحة"[٣].

١٢ - قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [التحريم: ٨]، فالذين آمنوا في هذه الآية لفظ عام يطلق على كل مؤمن آمن بالله بقلبه ولسانه وجوارحه، وأصحاب رسول الله ﷺ يدخلون في هذا اللفظ العام دخولا أولياً قبل كل أحد آمن بعدهم، والآية فيها تعريض بمن حل به الخزي من أهل الكفر، كما تضمنت التنويه بشأن المؤمنين الذين حفظهم الله بتوفيقه من مثل حال الكافرين، فكانت عاقبتهم أن أمّنهم الله من خزيه،

---

(١) جامع البيان ١٢٥/٢٦ - ١٢٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٣٧٤/٦.

(٣) فتح القدير ٦٠/٥.

ولا يأمن من خزيه في يوم القيامة إلا من مات على كمال الإيمان وحقائق الإحسان وأصحاب رسول الله ﷺ في مقدمة من مات على ذلك، فلقد ماتوا رضي الله عنهم وهم على خير حال، وسيكونون يوم القيامة في مقدمة المؤمنين الذين يتم الله لهم نورهم.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: ليس أحد إلا يعطى نوراً يوم القيامة، يعطى المؤمن والمنافق، فيطفأ نور المنافق فيخشى المؤمن أن يطفأ نوره فذلك قوله - تعالى -: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨] (١).

وقال أبو الفرج بن الجوزي: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨]، وذلك إذا رأى المؤمنون نور المنافقين يطفأ، سألوا الله تعالى أن يتمم لهم نورهم ويبلغهم به الجنة، وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ليس أحد من المسلمين إلا يعطى نوراً يوم القيامة، فأما المنافق، فيطفأ نوره، والمؤمن مشفق مما رأى من إطفاء نور المنافق فهم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾ (٢).

فالآيات التي قدمنا ذكرها كلها نصوص واضحة الدلالة، وصريحة في مناقب الصحابة رضي الله عنهم على وجه الجملة، والآيات الواردة في هذا الصدد كثيرة جداً، ومجمل القول في هذا أن كل صيغة عموم فيها الثناء على عباد الله المؤمنين، أو فيها وعد لهم بدخول الجنة أو تبشير لهم بذلك من الله تعالى، فإنها تشملهم ويدخلون فيها فيها قبل كل أحد دخولا أولياً ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١ - ١١].

ومثل قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن

---

(١) جامع البيان ١٦٩/٢٨.
(٢) زاد المسير ٣٢٤/٨.

رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المطففين: ١٨ - ٢٨].

ومثل قولـه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [البينة: ٧ - ٨].

والآيات من هذا القبيل في القرآن كثيرة جداً، ومن الصعوبة استقصاؤها[١]، وكلها وردت بصيغة العموم، وأول من تتناول أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم خير الأمة المحمدية، ذلكم هو الثناء في الآيات القرآنية على أصحاب رسول الله ﷺ على وجه العموم ولنأت إلى ما جاء في بيان فضلهم من السنة على وجه عام.

* * * * *

(١) حتى أن بعضهم أفردها ببحوث ورسائل مستقلة مثل كتاب إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة - محمد العربي بن التباني، ومثل منزلة الصحابة في القرآن - محمد صلاح الصاوي، ومثل - صحابة رسول ﷺ في الكتاب والسنة تأليف - عبادة أيوب الكبيسي وغيرها من البحوث والرسائل في هذا الموضوع.

المبحث الثاني
الثناء عليهم في السنة

لقد ورد الثناء في السنة النبوية على الصحابة رضي الله عنهم على وبوجه عام في أحاديث كثيرة مستفيضة ومتواترة، منها الصحيح ومنها الحسن ومن ذلك ما يلي:

١ - روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي بردة عن أبيه رضي الله عنه قال: صلينا مع رسول الله ﷺ. ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي العشاء قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: **«ما زلتم هاهنا؟»** قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء قال: **«أحسنتم»** أو **«أصبتم»**، قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء فقال: **«النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم، أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»** [(١)].

قال أبو حاتم محمد بن حبان البستي مبيناً معنى هذا الحديث: "ويشبه أن يكون معنى هذا الخبر أن الله - جل وعلا - جعل النجوم علامة لبقاء السماء وأمنة لها عن الفناء، فإذا غارت واضمحلت أتى السماء الفناء الذي كتب عليها، وجعل الله - جل وعلا - المصطفى أمنة أصحابه من وقوع الفتن، فلما قبضه الله - جل وعلا - إلى جنته، أتى أصحابه الفتن التي أوعدوا، وجعل الله أصحابه أمنة أمته من ظهور الجور فيها، فإذا مضى أصحابه أتاهم ما يوعدون من ظهور غير الحق من الجور والأباطيل" ا. هـ[(٢)].

وقال النووي: "ومعنى الحديث أن النجوم ما دامت باقية، فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم، وتناثرت في القيامة، وهنت السماء، فانفطرت وانشقت وذهبت وقوله ﷺ : **«وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون»** أي: من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب، واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً، وقد وقع كل ذلك، قوله ﷺ : **«وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»** معناه: من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم، وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك وهذه كلها من معجزاته ﷺ

---

(١) صحيح مسلم ١٩٦/٤.

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان للأمير علاء الدين أبي الحسن علي بن بلبان بن عبد الله الفارسي ١٨٦/٩.

[١].

فهذا الحديث تضمن فضيلة الصحابة رضي الله عنهم على وجه عام، كما اشتمل على بيان منزلتهم ومكانتهم العالية في الأمة، وأنهم في الأمة بمنزلة النجوم من السماء.

٢ - روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«يأتي على الناس زمان يغزو فئام**[٢] **من الناس، فيقال لهم: فيكم من صحب رسول الله** ﷺ **؟ فيقولون نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب رسول الله** ﷺ **؟ فيقولون نعم: فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله** ﷺ **؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم»** [٣].

فلله ما أعظم هذا التكريم الذي حظي به أصحاب رسول الله ﷺ الذي ما كان ولم يكن لأحد سواهم بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالحديث تضمن فضيلة أصحاب رسول الله ﷺ وتابعيهم.

قال الإمام النووي: "وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ وفضل الصحابة والتابعين وتابعيهم"ا. هـ[٤].

٣ - وروى الشيخان من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "سئل رسول الله ﷺ : أي الناس خير؟ قال: **«قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه، وتبدر يمينه شهادته»** [٥].

٤ - روى الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم»** والله أعلم أذكر الثالث أم لا، قال: **«ثم يخلف قوم يحبون السمانة**[٦] **ويشهدون قبل أن يستشهدوا»** [١].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٨٣/١٦.

(٢) الفئام: الجماعة الكثيرة، النهاية في غريب الحديث ٤٠٦/٣.

(٣) صحيح البخاري ٢٨٧/٢، صحيح مسلم ١٩٦٢/٤، واللفظ لمسلم.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٨٣/١٦، وانظر: عمدة القارى للعيني ١٨٠/١٤.

(٥) صحيح البخاري ٢٨٨/٢، صحيح مسلم ١٩٦٣/٤ واللفظ لمسلم.

(٦) المراد بالسمن هنا كثرة اللحم، ومعناه أنه يكثر ذلك فيهم، وليس معناه أن يتمحضوا سماناً، والمذموم منه من يستكسبه بالمأكول والمشروب الزائد على المعتاد.

٥ - وروى الشيخان من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» قال عمران: فلا أدري قال رسول الله ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثة [٢].

٦ - روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها قالت: سأل رجل النبي ﷺ : أي الناس خير؟ قال: «**القرن الذي أنا فيه ثم الثاني، ثم الثالث**» [٣].

فهذه الأحاديث فيها دلالة واضحة وقاطعة على أن الصحابة رضي الله عنهم هم خير القرون المفضلة وأكرمها على الله - تعالى.

قال الإمام النووي: "اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ والمراد أصحابه"[٤].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله: «**خير أمتي قرني**» أي: أهل قرني، والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة، ويقال: إن ذلك مخصوص بما إذا اجتمعوا في زمن نبي أو رئيس يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل ويطلق القرن على مدة من الزمان، واختلفوا في تحديدها من عشرة أعوام، إلى مائة وعشرين، لكن لم أر من صرح بالسبعين، ولا بمائة وعشرة، وما عدا ذلك، فقد قال به قائل، وذكر الجوهري بين الثلاثين والثمانين، وقد وقع في حديث عبد الله بن بسر عند مسلم ما يدل على أن القرن مائة وهو المشهور، والمراد بقرن النبي ﷺ في هذا الحديث الصحابة، وقد سبق في صفة النبي ﷺ قوله: «**وبعثت من خير قرون بني آدم**» [٥] وفي رواية بريدة عند أحمد: «**خير هذه الأمة القرن الذي بعثت فيهم**» [٦].

وقد ظهر أن الذي بين البعثة، وآخر من مات من الصحابة مائة سنة وعشرون سنة، أو دونها أو فوقها بقليل على الاختلاف في وفاة أبي الطفيل، وإن اعتبر ذلك من بعد

---

(١) صحيح مسلم ١٩٦٣/٤ - ١٩٦٤.
(٢) صحيح البخاري ٢٨٧/٢، صحيح مسلم ١٩٦٤/٤.
(٣) صحيح مسلم ١٩٦٥/٤.
(٤) شرح النووي ٨٤/١٦.
(٥) صحيح البخاري ٢٧٢/٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٦) مسند أحمد ٣٥٧/٥.

وفاته ﷺ فيكون، مائة سنة أو تسعين أو سبعاً وتسعين، وأما قرن التابعين فإن اعتبر من سنة مائة كان نحو سبعين أو ثمانين، وأما الذين بعدهم، فإن اعتبر منها كان نحواً من خمسين، فظهر بذلك أن مدة القرن تختلف باختلاف أعمال أهل كل زمان، والله أعلم، واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قولـه من عاش إلى حدود العشرين ومائتين، وفي هذا الوقت ظهر البدع ظهوراً فاشياً، وأطلقت المعتزلة ألسنتها ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن، وظهر قولـه ﷺ : **«ثم يفشوا الكذب»** ظهوراً بيناً حتى يشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات والله المستعان، قولـه: **«ثم الذين يلونهم»** أي: القرن الذي بعدهم، وهم التابعون **«ثم الذين يلونهم»** وهم أتباع التابعين، واقتضى أن تكون الصحابة أفضل من التابعين، والتابعون أفضل من أتباع التابعين، لكن هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد؟ محل بحث، وإلى الثاني نحا الجمهور، والأول قول ابن عبد البر(١)، والذي يظهر أن من قاتل مع النبي ﷺ، أو في زمانه بأمره أو أنفق من ماله بسببه لا يعدله في الفضل أحد بعده كائناً من كان، وأما من لم يقع لـه ذلك، فهو محل البحث، والأصل في ذلك قولـه تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

ثم استرسل الحافظ في ذكر أدلة ابن عبد البر على أن الأفضلية بالنسبة إلى المجموع، لا إلى الأفراد مع ذكر ما يرد عليها من الاعتراضات، ومن الأدلة التي ذكرها ما يلي:

١) قولـه ﷺ : **«مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره»** وهو حديث حسن لـه طرق قد يرتقي بها إلى الصحة(٢)، وأجاب عنه النووي، بما حاصله: أن المراد من يشتبه عليه الحال في ذلك من أهل الزمان الذين يدركون عيسى ابن مريم عليه السلام، ويرون في زمانه من الخير والبركة، وانتظام كلمة الإسلام، ودحض كلمة الكفر، فيشتبه

---

(١) وقول ابن عبد البر ليس على إطلاقه في حق جميع الصحابة، فإنه استثنى أهل بدر، والحديبية انظر: فتح الباري ٧/٧.

(٢) سنن الترمذي ٢٢٩/٤، المسند ١٤٣/٣

الحال على من شاهد ذلك أي الزمانين خير، وهذا الاشتباه مندفع بصريح قوله ﷺ : **«خير القرون قرني»** والله أعلم.

٢) ما رواه ابن أبي شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير أحد التابعين بإسناد حسن قال: قال رسول الله ﷺ : **«ليدركن المسيح أقواماً إنهم لمثلكم أو خير – ثلاثاً – ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها».**

٣) روى أبو داود والترمذي من حديث أبي ثعلبة رفعه: **«تأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين»** قيل: منهم أو منا يا رسول الله؟ قال: **«بل منكم»** [(١)] وهو شاهد لحديث: **«مثل أمتي مثل المطر».**

٤) واحتج بحديث عمر رفعه: **«أفضل الخلق إيماناً قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني»**، الحديث أخرجه الطيالسي، وغيره، لكن إسناده ضعيف فلا حجة فيه.

٥) روى أحمد والدارمي والطبراني من حديث أبي جمعة، قال: قال أبو عبيدة: يا رسول الله، أحد خير منا؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك قال: **«قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني»** وإسناده حسن، وقد صححه الحاكم [(٢)].

٦) احتج بأن السبب في كون القرن الأول خير القرون، أنهم كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار حينئذ، وصبرهم على أذاهم وتمسكهم بدينهم، قال: فكذلك أواخرهم إذا أقاموا الدين وتمسكوا به وصبروا على الطاعة حين ظهور المعاصي والفتن، كانوا أيضاً عند ذلك غرباء، وزكت أعمالهم في ذلك الزمان، كما زكت أعمال أولئك، ويشهد له ما رواه مسلم عن أبي هريرة رفعه: **«بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء»** [(٣)]. وقد تعقب كلام ابن عبد البر، بأن مقتضى كلامه أن يكون فيمن يأتي بعد الصحابة من يكون أفضل من بعض الصحابة، وبذلك صرح القرطبي، لكن كلام ابن عبد البر ليس على الإطلاق في حق جميع الصحابة، فإنه صرح في كلامه باستثناء أهل بدر والحديبية، نعم والذي ذهب إليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة

---

(١) سنن أبي داود ٤٣٧/٢، سنن الترمذي ٣٢٣/٤.

(٢) المسند ١٠٦/٤، سنن الدارمي ٣٠٨/٢.

(٣) صحيح مسلم ١٣٠/١.

رسول الله ﷺ، وأما من اتفق لـه الذب عنه والسبق إليه بالهجرة أو النصرة، وضبط الشرع المتلقى عنه، وتبليغه لمن بعده، فإنه لا يعدله أحد ممن يأتي بعده، لأنه ما من خصلة من الخصال المذكورة إلا وللذي سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده، فظهر فضلهم، ومحصل النزاع يتمحض فيمن لم يحصل لـه إلا مجرد المشاهدة، فإن جمع بين مختلف الأحاديث المذكورة كان متجهاً على أن حديث: **«للعامل منهم أجر خمسين منكم»** لا يدل على أفضلية غير الصحابة على الصحابة؛ لأن مجرد زيادة الأجر لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة، وأيضاً: فالأجر إنما يقع تفاضله بالنسبة إلى ما يماثله في ذلك العمل، فأما ما فاز به من شاهد النبي ﷺ من زيادة فضيلة المشاهدة، فلا يعدله فيها أحد فبهذه الطريق يمكن تأويل الأحاديث.

وأما حديث أبي جمعة فلم تتفق الرواة على لفظه، فقد رواه بعضهم بلفظ الخيرية، كما تقدم ورواه بعضهم بلفظ قلنا يا رسول الله: هل من قوم أعظم منا أجراً؟، الحديث أخرجه الطبراني، وإسناد هذه الرواية أقوى من إسناد الرواية المتقدمة، وهي توافق حديث أبي ثعلبة، وقد تقدم الجواب عنه والله أعلم"[(١)].

والراجح من القولين ما ذهب إليه جمهور العلماء من أن أفضلية الصحابة إنما هو باعتبار الأفراد، وليس بالنسبة إلى المجموع، إذ الصحبة لا يعدلها شيء، ولمشاهدتهم النبي ﷺ وذبهم عنه، ونصرة دين الإسلام، وحرصهم على ضبط الوحي الذي تلقوه عن النبي ﷺ، وتبليغهم إياه إلى من بعدهم؛ ولأن ما هنا خصلة من أعمال الخير إلا سبقوا إليها، ويكون لهم أجرها وأجر من عمل بها بعدهم إلى يوم القيامة، وبهذا برز فضلهم على من بعدهم ومن قبلهم من الأمم سوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٧) ومما جاء في الثناء عليهم من السنة ما رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : **«لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»** [(٢)]، وعند الإمام مسلم بلفظ: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ : **«لا**

---

(١) فتح الباري ٦/٧ - ٧.

(٢) صحيح البخاري ٢٩٢/٢.

تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه» [(١)].

" فإذا كان سيف الله خالد بن الوليد وغيره ممن أسلم بعد الحديبية لا يساوي العمل الكثير منهم القليل من عبد الرحمن بن عوف، وغيره ممن تقدم إسلامه، مع أن الكل تشرف بصحبته ﷺ، فكيف بمن لم يحصل لـه شرف الصحبة، بالنسبة إلى أولئك الأخيار، إن البون لشاسع وإن، الشقة لبعيدة فما أبعد الثرى من الثريا بل، وما أبعد الأرض السابعة عن السماء السابعة، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم" [(٢)].

قال أبو محمد بن حزم في شرحه لهذا الحديث: "فكان نصف مد شعير أو تمر في ذلك الوقت أفضل من جبل أحد ذهباً ننفقه نحن في سبيل الله تعالى بعد ذلك قال الله - تعالى:
﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد: ١٠]، وهذا في الصحابة فيما بينهم، فكيف بمن بعدهم معهم رضي الله عنهم أجمعين"[(٣)].

وقال حمد بن محمد أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى: "والمعنى أن جهد المقل منهم واليسير من النفقة الذي أنفقوه في سبيل الله، مع شدة العيش والضيق الذي كانوا فيه أوفى عند الله وأزكى من الكثير الذي ينفقه من بعدهم" ا. هـ[(٤)].

وقال القاضي عياض: "... وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة وضيق الحال بخلاف غيرهم؛ ولأن إنفاقهم كان في نصرته ﷺ، وحمايته وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد: ١٠]، هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار والجهاد في

---

(١) صحيح مسلم ١٩٦٧/٤.
(٢) قبس من هدي الإسلام لشيخنا عبد المحسن العباد ص ٩٢.
(٣) ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة ص ١٧٧ لسعيد الأفغاني.
(٤) معالم السنن ٣٠٨/٤.

الله حق جهاده وفضيلة الصحبة، ولو لحظة لا يوازيها عمل ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"ا. هـ[١]

وقد نقل الحافظ ابن حجر عن البيضاوي في شرح الحديث المتقدم أنه قال: "معنى الحديث لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهباً من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصيفه، وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص وصدق النية"، قال الحافظ: "وأعظم من ذلك في سبب الأفضلية عظم موقع ذلك لشدة الاحتياج إليه، وأشار بالأفضلية بسبب الإنفاق إلى الأفضلية بسبب القتال كما وقع في الآية: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ [الحديد: ١٠]، فإن فيها إشارة إلى موقع السبب الذي ذكرته وذلك أن الإنفاق والقتال كان قبل فتح مكة عظيماً لشدة لشدة الحاجة إليه، وقلة المعتنى به بخلاف ما وقع بعد ذلك؛ لأن المسلمين كثروا بعد الفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً فإنه لا يقع ذلك الموقع المتقدم"ا. هـ[٢].

فالذي يستفاد من كلام هؤلاء الأئمة الذين قدمنا نقولهم أن الصحابة لا يدركهم أحد في فضلهم وعملهم ورضي الله عنهم أجمعين، بل إن القليل من عملهم لا يوازيه عمل غيرهم مهما بلغ من الكثرة، ومهما صاحبه من إخلاص وصدق ويقين وإيمان، وذلك فضله تعالى يؤتيه من يشاء، روى ابن بطة بالإسناد الصحيح، كما في منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة مع النبي ﷺ خير من عمل أحدكم أربعين سنة "، وفي رواية وكيع خير من عبادة أحدكم عمره" [٣].

وروى أبو داود بإسناده إلى سعيد بن زيد رضي الله عنه أنه قال بعد أن ذكر العشرة المبشرين بالجنة "لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يغبر فيه وجهه خير من عمل أحدكم عمره ولو عمر عمر نوح"[٤] فسعيد بن زيد رضي الله عنه يريد بهذا عموم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٩٣/١٦.
(٢) فتح الباري ٣٤/٧، وانظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود ٤١٣/١٢.
(٣) منهاج السنة ١٥٤/١.
(٤) سنن أبي داود ٥١٦/٢.

٨) ومن الأحاديث الدالة على فضلهم وعلو منزلتهم أن النبي ﷺ بشر من رآه وآمن به واتبعه وصدقه أن لـه طوبى والصحابة رضي الله عنهم حازوا قصب السبق في هذا على كل أحد أتى بعدهم، فقد روى البزار والطبراني من حديث أبي عبد الرحمن الجهني، قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ جلوس، إذ طلع راكبان، فقال رسول الله ﷺ : كنديان[١] مذحجيان[٢] حتى أتياه، فإذا رجلان من مذحج، قال: فدنا أحدهما ليبايعه، فلما أخذ بيده، قال: يا رسول الله، أرأيت من رآك وآمن بك واتبعك وصدقك، ماذا لـه قال: **«طوبى له»** قال فمسح على يده وانصرف، ثم أتاه الآخر؛ حتى أخذ بيده ليبايعه، فقال: يا رسول الله، أرأيت من آمن بك واتبعك وصدقك ماذا لـه، قال: **«طوبى له ثم طوبى له»** [٣].

وقد أخبر تعالى أن طوبى من نصيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٩] [٤]، وقد اختلف علماء السلف في المراد: **«بطوبى»** فقد أخرج ابن جرير الطبري بإسناده إلى ابن عباس أنها: شجرة في الجنة كل شجر الجنة منها، أغصانها من وراء سور الجنة" [٥].

قال ابن كثير: "وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عباس ومغيث ابن سمي وأبي إسحاق السبيعي وغير واحد من السلف أن طوبى شجرة في الجنة في كل دار غصن منها" [٦].

وقيل: إن **«طوبى»** اسم من أسماء الجنة: وعلى هذا يكون المعنى الجنة لهم [٧].

والمراد بها والله أعلم في هذا الحديث المتقدم أنها "الجنة".

٩) دعا عليه الصلاة والسلام لسامعي سنته، ومبلغيها بالنضرة والرحمة، والصحابة رضي الله عنهم يدخلون في هذه الدعوة المباركة الميمونة دخولاً أولياً لأنهم هم الذين

---

(١) كندة: بالكسر بخلاف كندة باليمن اسم لقبيلة. معجم البلدان ٤/٤٨٢.

(٢) مذحج: قبيلة من قبائل العرب وهم: ولد أدد بن زيد بن يشجب مرة أنظر: معجم البلدان ٥/٨٨.

(٣) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٨ وقال: إسناده حسن وذكره الحافظ في الإصابة ٤/١٢٧.

(٤) سورة الرعد آية/٢٩.

(٥) جامع البيان ١٣/١٤٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم ٤/٨٩.

(٧) انظر: جامع البيان ١٣/١٤٦، وتفسير ابن كثير ٤/٨٩.

سمعوا سنته مباشرة ودون واسطة، ووعوها، وأدوها إلى من بعدهم، وهذه خصيصة لهم؛ رضي الله عنهم تميزوا بها دون غيرهم، فرضوان الله عليهم أجمعين، وتلك الدعوة التي كان لهم فيها الحظ الأوفر والنصيب الأكبر هي قوله ﷺ : **«نضر الله امرأً سمع منا حديثاً، فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه»** [(١)] وفي لفظ آخر **«رحم الله من سمع مني حديثاً، فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من له من سامع»** [(٢)].

قال الخطابي رحمه الله تعالى: " معناه الدعاء له بالنضارة وهي النعمة والبهجة" ا. هـ[(٣)].

وقال ابن الأثير في كتابه "النهاية في غريب الحديث"، ويروى بالتخفيف والتشديد من النضارة وهي في الأصل حسن الوجه، والبريق وإنما أراد حسن خلقه وقدره" ا. هـ[(٤)].

وقال الحافظ المنذري في كتابه "الترغيب والترهيب ": ومعناه الدعاء له بالنضارة، وهي النعمة والبهجة والحسن، فيكون تقديره: جمله الله وزينه وقيل غير ذلك " [(٥)].

وقال أبو بكر بن العربي: "والنضرة هي النعمة والبهاء يكون على الوجه" ا. هـ[(٦)].

وقال الملا علي القاري في كتابه "المرقاة": " والمعنى خصه الله بالبهجة والسرور لما رزق بعلمه ومعرفته عن القدر، والمنزلة بين الناس في الدنيا، ونعمه في الآخرة

---

(١) سنن أبي داود ٢٨٩/٢ من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه كما في "الإحسان بترتيب ابن حبان" ٢٢٦/١ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وانظر: سنن ابن ماجه ١٣١٦/٢، والمسند ٤٣٧/١، سنن الدارمي ٧٥/١ وهذا الحديث قد أفرده شيخنا عبد المحسن بن حمد العباد بدراسة مستقلة اشتملت على بيان طرقه، وألفاظه ودراسة الحديث من حيث الدراية وبين أن هذا الحديث متواتر عن النبي ﷺ، رواه أربعة وعشرون صحابياً، خرجه سبعة وثلاثون إماماً خرج في أكثر من خمسة وأربعين كتاباً، وبلغت طرقه سبعة وخمسين طريقاً، ومائة طريق. انظر: كتاب دراسة حديث: **«نضر الله امرأ سمع مقالتي»** رواية ودراية للشيخ عبد المحسن العباد ص/٢٢٧.

(٣) معالم السنن ١٨٧/٤، وانظر: جامع الأصول لابن الأثير ١١٨/٩.

(٤) النهاية ٧١/٥.

(٥) الترغيب والترهيب ١٠٨/١.

(٦) عارضة الأحوذي بشرح الترمذي ١٢٤/١٠.

حتى يرى عليه رونق الرخاء والنعمة، ثم قيل: إنه إخبار يعني جعله ذا نضرة، وقيل: دعاء له بالنضرة، وهي البهجة والبهاء في الوجه من أثر النعمة، وقيل: المراد ههنا النضرة من حيث الجاه والقدر، كما جاء: «**اطلبوا الحوائج من حسان الوجوه**» أي: ذوي الأقدار من الناس، ثم قال القاري: لا مانع من الجميع، والإخبار أولى من الدعاء.. "ا. هـ[١].

" وما ذكره القاري من اعتبار سائر المعاني التي فسر بها لفظ النضارة وعدم تخصيصه بواحد منها حسن وجيه، ويكون المراد بالنضارة بالحديث، جمله الله وزينه، بما يظهر على وجهه من البهاء والحسن، وأوصله الله إلى نضرة الجنة ونعيمها، وكذا النضرة من حيث الجاه والقدر ويكون اختلاف الأقوال في ذلك، وتفسير الحديث ببعض هذه المعاني من قبيل اختلاف التضاد، فإن من فسره بواحد منها لا ينفي كون غيره مراداً، وإنما هو من قبيل تفسير الشيء بما يوضحه كالتفسير بالمثال"ا. هـ[٢].

وتلك الدعوة التي قدمنا شرحها بما يوضح المراد منها بأقوال أهل العلم، كان لأصحاب رسول الله ﷺ منها القسط الأكبر والحظ الأوفر؛ لأنهم هم الذين تلقوا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وهما المصدران اللذان اشتملا على الهدى والنور، والصحابة رضي الله عنهم هم الذين تلقوا هذا الخير وهذا النور، وهذا الهدى وأدوه إلى من بعدهم، فكل إنسان يأتي بعدهم فلهم عليه منة، ولهم عليه فضل؛ لأن هذا الهدى وهذا الخير الذي حصل لم يحصل إلا بواسطتهم رضي الله عنهم، فكل من استفاد منه فلهم مثل أجره إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، إذ أنه قد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً**» [٣] وقبلهم رضي الله عنهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه الذي جاء بهذا الخير، وهذا الهدى، فكل من اهتدى، وكل من استفاد وكل من دخل في دين الله، وعمل صالحاً، فإن الله يثيب نبيه ﷺ بمثل ما يثيب به ذلك العامل من غير أن ينقص من أجر العامل شيء؛ لأنه عليه الصلاة والسلام هو الذي دعا الناس إلى هذا الهدى، فله مثل

---

(١) المرقاة شرح المشكاة ٢٣٦/١.

(٢) انظر: كتاب "دراسة حديث نضر الله امرأ سمع مقالتي رواية ودراية" ص/١٨٤ - ١٨٥.

(٣) رواه مسلم في صحيحه ٢٠٦٠/٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أجور كل من استفاد خيراً بسببه، والصحابة رضي الله عنهم هم الصلة الوثيقة التي تربط المسلمين بنبيهم ﷺ، فهم الذين جمعوا القرآن وهم الذين حفظوه، وهم الذين أوصلوه إلى من بعدهم، وهم الذين تلقوا السنة وأدوها إلى من بعدهم، فصار لهم الثواب الجزيل والأجر العظيم، ولقد شرفهم الله في الحياة الدنيا بالنظر إلى طلعة سيد الأولين والآخرين، كما شرفهم بسماعهم كلامه من فمه الشريف ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين، فالذي يطعن في أولئك الأخيار، وأولئك الأسلاف فقد عمد إلى قطع الصلة بينه وبين رسول الله ﷺ، وكفى بذلك ضلالاً وخذلاناً والعياذ بالله تعالى.

والحاصل أن الأحاديث الواردة في فضلهم كثيرة وشهيرة بل متواترة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد أن ذكر بعض الأحاديث المتقدم ذكرها: "وهذه الأحاديث مستفيضة، بل متواترة في فضائل الصحابة، والثناء عليهم، وتفضيل قرنهم على من بعدهم من القرون، والقدح فيهم قدح في القرآن والسنة"ا. هـ[(١)].

وهو كما قال رحمه الله تعالى، بل إن القادح في الكتاب والسنة لا حظ له في الإسلام، وهذا حال الرافضة، فإنهم طعنوا في الكتاب والسنة عن طريق القدح في الصحابة رضي الله عنهم إذ هم نقلة هذا الدين إلى من بعدهم، والطعن في الصحابة أيضاً: طعن في الرسول ﷺ، كما قال الإمام مالك وغيره من أئمة العلم: هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله ﷺ إنما طعنوا في أصحابه ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين[(٢)].

والذي يعتقد هذا هو من أبخس الناس حظاً في الدنيا والآخرة، وقد تبنى هذا المعتقد الفاسد الشيعة والخوارج، "فإن الشيعة يفضلون أنفسهم، وهم شر خلق الله تعالى على أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وجميع الصحابة رضي الله عنهم حاشا علياً والحسن والحسين وعمار بن ياسر، والخوارج يفضلون أنفسهم - وهم شر خلق الله وكلاب النار - على عثمان - وعلي وطلحة والزبير - ولقد خاب من خالف كلام الله تعالى وقضاء رسوله"[(٣)] عليه الصلاة والسلام في أن الصحابة رضي الله عنهم هم

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/٤٣٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/٤٢٩.

(٣) انظر: "ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة" ص/١٧٨.

صفوة الأمة المحمدية وسادتها على الإطلاق، ولنأت الآن ما جاء من ذكر بعض الثناء عليهم رضي الله عنهم في كلام السلف.

* * * * *

المبحث الثالث
الثناء عليهم في أقوال السلف

لقد كثر الثناء في كلام السلف على الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بما امتازوا به من الصفات الطيبة، والسيرة الحسنة، والأخلاق المشرقة، والأعمال الصالحة، التي جعلتهم أهلاً لأن يكونوا أصحاباً ووزراء لخير البرية محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، والثناء الوارد عن السلف منه ما يتعلق بهم على وجه العموم، ومنه ما يكون باعتبار الأفراد والذي نريد ذكره في هذا المبحث من هذا الثناء هو ما يتعلق بهم على وجه العموم، كما لا أقتصر هنا على الثناء الوارد على الصحابة، ممن جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم وغيرهم من أئمة الدين، بل أذكر حتى الثناء الوارد منهم بعضهم على بعض إن وجد وكان على سبيل العموم ومن ذلك ما يلي:

١ - قال حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "إن الله - جل ثناؤه وتقدست أسماؤه - خص نبيه محمداً ﷺ بصحابة آثروه على الأنفس والأموال، وبذلوا النفوس دونه في كل حال، ووصفهم الله في كتابه فقال: ﴿ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ [الفتح: ٢٩]، قاموا بمعالم الدين وناصحوا الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت أسبابه، وظهرت آلاء الله، واستقر دينه ووضحت أعلامه، وأذل بهم الشرك، وأزال رؤوسه ومحا دعائمه، وصارت كلمة الله العلياء، وكلمة الذين كفروا السفلى فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزكية، والأرواح الطاهرة العالية فقد كانوا في الحياة لله أولياء، وكانوا بعد الموت أحياء، وكانوا لعباد الله نصحاء، رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها"ا. هـ(١).

فهذه الصفات التي وصفهم بها عبد الله بن عباس كلها مناقب وثناء حسن يذكرون به في الآخرين، وقد كانوا رضي الله عنهم كما وصفهم، فقد خصهم الله وشرفهم بصحبة

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر ٧٥/٣.

نبيه عليه الصلاة والسلام، وآثروه بأموالهم وأنفسهم، وأقاموا معالم الدين الإسلامي الحنيف، ونصحوا للأمة واجتهدوا في نشر الإسلام وتثبيت دعائمه حتى استقر في الأرض وأذل الله بهم الشرك وأهله وأزيلت رؤوسه، ومحيت دعائمه وأعلى الله بهم كلمته، ودحر بهم كلمة الباطل، وبذلك كانت نفوسهم زكية وأرواحهم طاهرة فكانوا أولياء لله في هذه الحياة الدنيا فرضوان الله عليهم أجمعين.

٢ - روى أبو نعيم الأصبهاني: بإسناده إلى أبي أراكة قال: صلى عليّ الغداة، ثم لبث في مجلسه حتى ارتفعت الشمس قيد رمح كأن عليه كآبة، ثم قال: لقد رأيت أثراً من أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى أحداً يشبههم والله إن كانوا ليصبحون شعثاً غبراً صفراً بين أعينهم مثل ركب المعزي، قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم، وجباههم إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح، فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين.

وقال أيضاً رضي الله عنه: "أولئك مصابيح الهدى يكشف الله بهم كل فتنة مظلمة سيدخلهم الله في رحمة منه، ليس أولئك بالمذاييع[1] البذر ولا الجفاة المرائين"[2]. فأمير المؤمنين علي رضي الله عنه مدحهم بهذه الصفات الطيبة التي كانت شعارهم فقد بين أنهم كانوا مجتهدين في عبادة ربهم كانوا يكثرون من النوافل في جوف الليل، لأن اصفرار الوجوه وظهور السيماء فيها كان نتيجة إكثارهم من السهر والسجود لله - جل وعلا - ووصفهم بأنهم كانوا يبيتون تالين لكتاب الله، وكانوا إذا تليت عليهم آيات الله بكوا وكانوا أعلام هدى، ولقوة بصيرتهم ومعرفتهم أحكام الله، وما أوجب عليهم من العبادات والطاعات كشف الله عنهم الفتن المضلة، فكانوا من أهل رحمته التي لا يفوز بها إلا أهل الإخلاص، وقد كانوا رضي الله عنهم في مقدمة أولياء الله المؤمنين، وعباده المتقين فرضي الله عنهم أجمعين.

٣ - وروى أبو نعيم الأصبهاني: بإسناده إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: "من كان مستناً فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا خير هذه الأمة

---

(١) هو جمع مذياع من أذاع الشيء إذا أفشاه، وقيل: أراد الذين يشيعون الفواحش، النهاية ١٧٤/٢.

(٢) حلية الأولياء ٧٦/١ - ٧٧، وابن كثير في البداية والنهاية ٧/٨.

أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد ﷺ وكانوا على الهدي المستقيم" (١).

٤ - وروى الإمام أحمد في المسند بإسناده إلى عبد الله بن مسعود أنه قال: "إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيئ" (٢).

وروى ابن بطة - كما في منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية - بإسناده إلى عبد الله ابن مسعود أنه قال: "من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد كانوا والله أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم"(٣).

"فقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً كلام جامع بين فيه حسن قصدهم ونياتهم ببر القلوب، وبين فيه كمال المعرفة ودقتها بعمق العلم، وبين فيه تيسير ذلك عليهم، وامتناعهم من القول بلا علم بقلة التكلف"ا. هـ(٤).

"فأحق الأمة بإصابة الصواب أبرها قلوباً وأعمقها علوماً وأقومها هدياً وأحسنها حالاً، من غير شك ولا ارتياب، فكل خير وإصابة وحكمة، وعلم ومعارف ومكارم، إنما عرفت لدينا ووصلت إلينا من الرعيل الأول والسرب الذي عليه المعول، فهم الذين نقلوا العلوم والمعارف عن ينبوع الهدى ومنبع الاهتداء"(٥)، فرضي الله عنهم أجمعين.

٥ - روى الإمام مسلم بإسناده إلى الحسن أن عائذ بن عمرو، وكان من أصحاب

---

(١) حلية الأولياء ٣٠٥/١ - ٣٠٦، وذكره البغوي عن ابن مسعود ٢١٤/١.

(٢) المسند ٣٧٩/١، شرح السنة للبغوي ٢١٤/١، ٢١٥.

(٣) منهاج السنة ١٦٦/١.

(٤) منهاج السنة ١٦٦/١.

(٥) انظر: لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٣٨٠/٢.

رسول الله ﷺ دخل على عبيد الله بن زياد، فقال: أي بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن شرَّ الرعاء الحطمة**» فإياك أن تكون منهم فقال له: اجلس فإنما أنت من نخالة[١] أصحاب محمد ﷺ فقال: وهل كانت لهم نخالة إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم" [٢].

فقول عائذ بن عمرو رضي الله عنه: "وهل كانت لهم نخالة إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم" "هذا من جزل الكلام وفصيحه وصدقه الذي ينقاد له كل مسلم، فإن الصحابة رضي الله عنهم كلهم هم صفوة الناس وسادات الأمة وأفضل ممن بعدهم، وكلهم عدول قدوة لا نخالة فيهم، وإنما جاء التخليط ممن بعدهم وفيمن بعدهم كانت النخالة"[٣]. فالصحابة رضي الله عنهم كانوا في غاية التحلي بالصفات الطيبة التي زكت بها نفوسهم وطهرت بها قلوبهم، وعلت بها مكانتهم فكانوا صفوة الأمة وأعلاها وأكملها فطرة وأصفاها أذهاناً، وبذلك كان مجتمعهم مجتمع الطهر والنقاء والصفاء رضوان الله عليهم أجمعين.

وقد أثنى عليهم التابعون بذكر محاسنهم، وما قدموه من الأعمال الصالحة التي ينبغي لمن جاء بعدهم الاقتداء بهم فيها ومن ذلك ما يلي:

٦ - قال السيوطي: وأخرج أبو الشيخ وابن عساكر عن أبي صخر حميد بن زياد قال: قلت لمحمد بن كعب القرظي: أخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ وإنما أريد الفتن؟ فقال: إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي ﷺ وأوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم، قلت: له وفي أي موضع أوجب الله لهم الجنة في كتابه؟ قال ألا تقرأ ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠]، أوجب لجميع أصحاب النبي ﷺ الجنة والرضوان وشرط على التابعين شرطاً لم يشترطه فيهم، قلت: وما اشترط عليهم؟ قال: اشترط عليهم أن يتبعوهم بإحسان، يقول:

---

(١) النخالة: هي نخالة الدقيق، والمراد: قشوره، والنخالة، والحفالة والحثالة، بمعنى واحد، شرح النووي ٢١٦/١٢.

(٢) صحيح مسلم ١٤٦١/٣.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٢١٦/١٢.

يقتدون بهم في أعمالهم الحسنة، ولا يقتدون بهم في غير ذلك، قال أبو صخر: لكأني لم أقرأها قبل ذلك، وما عرفت تفسيرها حتى قرأها علي محمد بن كعب"[١].

٧ - ما رواه أبو نعيم بإسناده إلى الحسن البصري... أن بعض القوم قال له: أخبرنا صفة أصحاب رسول الله ﷺ قال: فبكى وقال: ظهرت منهم علامات الخير في السيماء والسمت والهدي والصدق وخشونة ملابسهم بالاقتصاد، وممشاهم بالتواضع، ومنطقهم بالعمل، ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق، وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى، واستفادتهم للحق، فيما أحبوا وكرهوا، وإعطاؤهم الحق من أنفسهم ظمئت هواجرهم ونحلت أجسامهم، واستخفوا بسخط المخلوقين في رضا الخالق، لم يفرطوا في غضب، ولم يحيفوا ولم يجاوزوا حكم الله - تعالى - في القرآن، شغلوا الألسن بالذكر، بذلوا دماءهم حين استنصرهم، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم، ولم يمنعهم خوفهم من المخلوقين، حسنت أخلاقهم، وهانت مؤنتهم، وكفاهم اليسير من دنياهم إلى آخرتهم" [٢].

٨ - روى الإمام أحمد بإسناده إلى قتادة بن دعامة السدوسي أنه قال: "أحق من صدقتم أصحاب رسول الله ﷺ الذين اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه" [٣].

٩ - وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: "قال حماد بن سلمة عن أيوب السختياني[٤]، أنه قال: من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برئ من النفاق"[٥].

١٠ - وروى أبو عمر بن عبد البر بإسناده: إلى بقية بن الوليد قال: قال لي الأوزاعي[٦] يا بقية: العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ وما لم يجئ عن أصحاب

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢٧٢/٤.

(٢) حلية الأولياء ١٥٠/٢.

(٣) المسند ١٣٤/٣.

(٤) هو أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري، أبو بكر سيد فقهاء عصره تابعي من حفاظ الحديث، كان ثبتاً ثقة ولد سنة ست وستين، وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائة هجرية، انظر: ترجمته في تهذيب التهذيب ٢٩٧/١، حلية الأليياء ٣/٣، اللباب ١٠٨/٢، الأعلام ٣٨٢/١.

(٥) البداية والنهاية ١٣/٨.

(٦) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي من قبيلة الأوزاع، كان إماماً في الفقه والزهد ثقة، جليل، ولد

محمد ﷺ، فليس بعلم، يا بقية لا تذكر أحداً من أصحاب محمد نبيك ﷺ إلا بخير ولا أحداً من أمتك، وإذا سمعت أحداً يقع في غيره فاعلم أنه إنما يقول أنا خير منه [(١)].

١١ - وروى بإسناده إلى قتادة رحمه الله تعالى أنه قال في قوله تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ [سبأ: ٦] قال: أصحاب محمد ﷺ [(٢)].

١٢ - وروى أيضاً: بإسناده إلى سعيد بن المسيب أنه سئل عن شيء فقال: "اختلف فيه أصحاب رسول الله ولا أرى لي معهم قولاً قال ابن وضاح[(٣)]: هذا هو الحق: قال أبو عمر: معناه ليس له أن يأتي بقول يخالفهم"[(٤)].

تلك هي أقوال بعض التابعين في الصحابة عموماً وكما هي واضحة فإنها تضمنت الثناء عليهم رضي الله عنهم بما قدموه من الأعمال الصالحة، وبما لهم من شرف الصحبة، وبما بذلوه للإسلام من النصرة والجهاد في سبيل الله من أجل إعلاء كلمة الله ونصرة دينه الحق؛ فقد بذلوا أنفسهم حين استنصرهم، وضحوا بأموالهم حين استقرضهم، ولم يخافوا في الله لومة لائم، وآثروا آخرتهم على دنياهم، فالتابعون رحمهم الله أثنوا على صحابة رسول الله ﷺ بما يستحقون، فلم يذكروهم إلا بخير، وشهدوا لهم بالعلم وبينوا أن ما لم يأت عن طريقهم فليس بعلم، ولم يعدلوا بهم أحداً، وآمنوا بما لهم من الفضائل وسلموا بها لهم واعتقدوا ذلك اعتقاداً جازماً فرحمة الله عليهم ورضي عن صحابة رسول الله أجمعين.

وكما جاء الثناء على الصحابة عموماً من التابعين كذلك أثنى عليهم غيرهم من أئمة المذاهب الأربعة وغيرهم ممن جاء بعدهم من أئمة العلم ومن ذلك ما يلي:

نقل الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي: مذهب الإمام أبي

سنة ثمان وثمانين وتوفي سنة سبع وخمسين ومائة هجرية، انظر: ترجمته في تهذيب التهذيب ٦٣٨/٦، وفيات الأعيان ١٢٧/٣ - ١٢٨، حلية الأولياء ١٣٥/٦، سير أعلام النبلاء ١٠٧/٧ - ١٣٤.

(١) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ٣٦/٢.

(٢) جامع بيان العلم ٣٦/٢.

(٣) هو: محمد بن وضاح بن يزيع، أبو عبد الله مولى عبد الرحمن بن معاوية بن هشام محدث من أهل قرطبة، ولد سنة تسع وتسعين ومائة وتوفي سنة ست وثمانين ومائتين هجرية، انظر ترجمته في بغية الملتمس ص ١٢٣، لسان الميزان ٤١٦/٥، والأعلام ٣٥٨/٧.

(٤) جامع بيان العلم وفضله ٣٦/٢.

حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وصاحبيه أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الحميري الأنصاري، ومحمد بن الحسن الشيباني ما كانوا يعتقدونه من أصول الدين، ويدينون به لرب العالمين ومن ضمن ذلك ما كانوا يعتقدونه في الصحابة عموماً فقال: في عقيدته المشهورة: "ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"(١).

قال شارح الطحاوية: "فمن أضل ممن يكون في قلبه غل على خيار المؤمنين وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين؟ بل قد فضلهم اليهود النصارى بخصلة، قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم ؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم ؟ قالوا: أصحاب محمد. لم يستثنوا إلا القليل، وفيمن سبوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة"(٢).

١٤ - وقال الإمام مالك بن أنس رحمة الله عليه: "من يبغض أحداً من أصحاب النبي ﷺ وكان في قلبه عليهم غل، فليس له حق في فيء المسلمين ثم قرأ قول الله - سبحانه وتعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر: ٧ - ١٠].

وذكر بين يديه رجل ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ هذه الآية: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى

---

(١) العقيدة الطحاوية مع شرحها ص/٥٢٨.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص/٥٣١ - ٥٣٢.

وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [الفتح: ٢٩]، ثم قال: من أصبح من الناس في قلبه غل على أحد من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام فقد أصابته الآية" ا. هـ[١].

١٥ - وقال الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمة الله عليه: "وقد أثنى الله - تبارك وتعالى - على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم فرحمهم الله وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين أدوا إلينا سنن رسول الله ﷺ عاماً وخاصاً وعزماً وإرشاداً، وعرفوا من سننه ما عرفنا وجهلنا وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل، وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا، ومن أدركنا ممن يرضى أو حكى لنا عنه ببلدنا صاروا فيما لم يعلموا لرسول الله ﷺ فيه سنة إلى قولهم إن اجتمعوا، أو قول بعضهم إن تفرقوا، وهكذا نقول ولم نخرج من أقاويلهم، وإن قال أحدهم ولم يخالفه غيره أخذنا بقوله"ا. هـ[٢].

١٦ - وقال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته: "ومن السنة الواضحة الثابتة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين والكف عن ذكر ما شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو أحداً منهم أو تنقصه أو طعن عليهم، أو عرّض بعيبهم أو عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة، وخير هذه الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان بعد عمر، وعلي بعد عثمان، ووقف قوم على عثمان وهم خلفاء راشدون مهديون، ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا ينقص، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفوا عنه، بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قبل منه، وإن ثبت أعاد عليه العقوبة، وخلده في الحبس حتى يموت

---

(١) شرح السنة للبغوي ٢٢٩/١.

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ٤٤٢/١ - ٤٤٣، إعلام الموقعين ٨٠/١.

أو يراجع"ا. هـ[(١)].

١٧ - وروى أبو عمر بن عبد البر بإسناده إلى إبراهيم بن سعيد الجوهري قال: سألت أبا أسامة[(٢)]، أيما كان أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لا نعدل بأصحاب محمد ﷺ أحداً"[(٣)].

وقال ابن أبي حاتم[(٤)] رحمه الله تعالى: "فأما أصحاب رسول الله ﷺ فهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل وعرفوا التفسير والتأويل، وهم الذين اختارهم الله - عز وجل - لصحبة نبيه ﷺ ونصرته وإقامة دينه وإظهار حقه، فرضيهم لـه صحابة، وجعلهم لنا أعلاماً وقدوة فحفظوا عنه ﷺ ما بلغهم عن الله - عز وجل - وما سن وشرع وحكم، وقضى وندب وأمر ونهى وحظر وأدب، ووعوه وأتقنوه، ففقهوا في الدين، وعلموا أمر الله ونهيه، ومراده بمعاينة رسول الله ﷺ ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله، وتلقفهم منه واستنباطهم عنه، فشرفهم الله - عز وجل - بما منّ عليهم وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع القدوة فنفى عنهم الشك والكذب، والغلط والريبة والغمز، وسماهم عدول الأمة، فقال - عز وجل - في محكم كتابه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣] ففسر النبي ﷺ عن الله - عز ذكره - قوله: ﴿وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] قال: "عدلاً"، فكانوا عدول الأمة وأئمة الهدى وحجج الدين ونقلة الكتاب والسنة، وندب الله - عز وجل - إلى التمسك بهديهم والجري على منهاجهم، والسلوك لسبيلهم والاقتداء بهم، فقال: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ [النساء: ١١٥]، ووجدنا النبي ﷺ قد حض على التبليغ في أخبار كثيرة، ووجدناه يخاطب أصحابه فيها، منها أن دعا لهم فقال: **«نضر الله امرأً سمع مقالتي فحفظها ووعاها حتى يبلغها غيره»** [(٥)] وقال ﷺ في خطبته:

---

(١) طبقات الحنابلة ٣٠/١، كتاب السنة للإمام أحمد ص/١٧.

(٢) هو أبو أسامة: حماد بن أسامة بن زيد القرشي، مولاهم أبو أسامة الكوفي، انظر: ترجمته في تهذيب التهذيب ٢/٣.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ٢٢٧/٢.

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازى أبو محمد، كان رحمه الله من أئمة التفسير والحديث، ولد سنة أربعين ومائتين، وتوفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، انظر: ترجمته في تذكرة الحفاظ ٨٢٩/٣، وطبقات الحنابلة ٥٥/٢، سير أعلام النبلاء ٢٦٣/١٣ - ٢٦٩.

(٥) سنن أبي داود ٢٨٩/٢، سنن ابن ماجه ١٣١٦/٢، سنن الدارمي ٧٤/١، مسند أحمد ٤٣٧/١.

«فليبلغ الشاهد منكم الغائب» [١]، وقال ﷺ : **«بلغوا عني ولو آية وحدثوا عني ولا حرج»** [٢].

ثم تفرقت الصحابة رضي الله عنهم في النواحي والأمصار والثغور وفي فتوح البلدان والمغازي والإمارة والقضاء والأحكام، فبث كل واحد منهم في ناحيته، وبالبلد الذي هو به ما وعاه وحفظه عن رسول الله ﷺ وحكموا بحكم الله - عز وجل - وأمضوا الأمور على ما سن رسول الله ﷺ، وأفتوا فيما سئلوا عنه مما حضرهم من جواب رسول الله ﷺ عن نظائرها من المسائل وجردوا أنفسهم مع تقدمة حسن النية، والقربة إلى الله تقدس اسمه لتعليم الناس الفرائض والأحكام والسنن والحلال والحرام حتى قبضهم الله - عز وجل - رضوان الله ومغفرته ورحمته عليهم أجمعين"ا. هـ[٣].

١٩ - وقال ابن أبي زيد[٤] القيرواني المالكي في مقدمة رسالته المشهورة: "وأن خير القرون الذين رأوا رسول الله ﷺ وآمنوا به ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ رضي الله عنهم أجمعين وأن لا يُذْكَر أحدٌ من صحابة رسول الله ﷺ إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم حسن المخارج، ويظن بهم أحسن المذاهب"ا. هـ[٥].

---

(١) عند البخاري بلفظ: **«ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب»** وعند مسلم بدون لفظة: **«منكم»** صحيح البخاري مع الفتح ١٩٩/١، صحيح مسلم ١٣٠٦/٣.

(٢) عند البخاري بلفظ: **«بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»** الحديث من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنه. صحيح البخاري مع الفتح ٤٩٦/٦.

(٣) - مقدمة الجرح والتعديل ٧/١ - ٨.

(٤) - هو عبد الله بن عبد الرحمن أبي زيد النفزي القيرواني أبو محمد فقيه من أعيان القيروان، كان إمام المالكية في عصره قال الذهبي: كان على أصول السلف في الأصول لا يدري الكلام ولا يتأول، ولد سنة عشر وثلاثمائة وتوفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة، انظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٠/١٧، الديباج المذهب ٤٢٧/١ - ٤٣٠، شجرة النور الزكية ٩٦/١.

(٥) - الرسالة مع شرحها الثمر الداني في تقريب المعاني ص/٢٢ - ٢٣.

٢٠ - وقال أبو عثمان[١] الصابوني: "ويرون - أي أهل السنة - الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ وتطهير الألسنة عن ذكر ما تضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم"[٢].

١ - ونقل الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: عن أبي المظفر[٣] السمعاني أنه قال في كتابه "الاصطلام": "التعرض إلى جانب الصحابة علامة على خذلان فاعله، بل هو بدعة وضلالة"ا. هـ[٤].

٢٢ - وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]، وطاعة للنبي ﷺ في قوله: **«لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**.

ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت، بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم، منها ما هو كاذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم

---

(١) - هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل، أبو عثمان الصابوني: مقدم أهل الحديث في بلاد خراسان، لقبه أهل السنة فيها "شيخ الإسلام" كان رحمه الله فصيح اللهجة، واسع العلم عارفاً بالحديث والتفسير، ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وتوفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة، انظر: ترجمته في الكامل لابن الأثير ٦٣٨/٩، تهذيب تاريخ دمشق ٢٧/٣ - ٣٣، البداية والنهاية ٨٣/١٢.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث. الرسالة السادسة، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٢٩/١.

(٣) اسمه منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي من علماء التفسير والحديث، ولد سنة ست وعشرين وأربعمائة وتوفي سنة تسع وثمانين وأربعمائة، ترجمته في سير أعلام النبلاء ١١٤/١٩، اللباب ١٣٨/٢ - ١٣٩، طبقات المفسرين للداودي ٣٣٩/٢.

(٤) فتح الباري ٣٦٥/٤.

الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما لا يكون لمن بعدهم. قد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون، وأن المدّ من أحدهم إذا تصدق به، كان مثل جبل أحد ذهباً ممن بعدهم، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة، فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين، إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطؤوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور، ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما منّ الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم آخر الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله"ا. هـ(١).

٢٣ - قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى مبيناً فضل الصحابة عموماً على غيرهم ممن جاء بعدهم وذاكراً الصفات التي أهلتهم لذلك عند كلامه على ذكر أنواع الرأي المحمود: "النوع الأول: رأى أفقه الأمة، وأبر الأمة قلوباً وأعمقهم وأقلهم تكلفاً وأصحهم قصوداً وأكملهم فطرة، وأتمهم إدراكاً، وأصفاهم أذهاناً الذين شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل، وفهموا مقاصد الرسول، فنسبة آرائهم وعلومهم وقصودهم إلى ما جاء به الرسول ﷺ كنسبتهم إلى صحبته، والفرق بينهم وبين من بعدهم في ذلك كالفرق بينهم وبينهم في الفضل فنسبة رأي من بعدهم إلى رأيهم كنسبة قدرهم إلى قدرهم. والمقصود أن أحداً ممن بعدهم لا يساويهم في رأيهم وكيف يساويهم؟ وقد كان أحدهم يرى الرأي فينزل القرآن بموافقته... وحقيق بمن كانت آراؤهم بهذه المنزلة أن يكون رأيهم لنا خيراً من رأينا لأنفسنا، وكيف لا وهو الرأي الصادر من قلوب ممتلئة نوراً

---

(١) العقيدة الواسطية مع شرحها لمحمد خليل هراس ص/١٤٢ - ١٥١.

وإيماناً وحكمة وعلماً ومعرفة وفهماً عن الله ورسوله ونصيحة للأمة وقلوبهم على قلب نبيهم، ولا وساطة بينهم وبينه، وهم ينقلون العلم والإيمان من مشكاة النبوة غضاً طرياً لم يشبه إشكال، ولم يشبه خلاف، ولم تدنسه معارضة، فقياس رأي غيرهم بآرائهم من أفسد القياس"[(١)].

٢٤ - قال يحيى بن أبي بكر العامري[(٢)] رحمه الله تعالى: "وينبغي لكل رصين متدين مسامحة الصحابة فيما صدر بينهم من التشاجر، والاعتذار عن مخطئهم وطلب المخارج الحسنة لهم، وتسليم صحة إجماع ما أجمعوا عليه على ما علموه فهم أعلم بالحال والحاضر يرى ما لا يرى الغائب، وطريقة العارفين الاعتذار عن المعائب وطريقة المنافقين تتبع المثالب، وإذا كان اللازم من طريقة الدين ستر عورات عامة المسلمين، فكيف الظن بصحابة خاتم النبيين! مع اعتبار قوله ﷺ : **«لا تسبوا أحداً من أصحابي»** [(٣)]. وقوله: **«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»** [(٤)]. هذه طريقة صلاحاء السلف وما سواها مهاوٍ وتلف"[(٥)].

٢٥ - وقال السفاريني رحمه الله تعالى: "ولا يرتاب أحد من ذوي الألباب أن الصحابة الكرام هم الذين حازوا قصبات السبق واستولوا على معالي الأمور من الفضل والمعروف والصدق، فالسعيد من اتبع صراطهم المستقيم واقتفى منهجهم القويم، والتعيس من عدل عن طريقهم، ولم يتحقق بتحقيقهم، فأي خطة رشد لم يستولوا عليها، وأي خطة خير لم يسبقوا إليها، تالله لقد وردوا ينبوع الحياة عذباً صافياً زلالاً ووطدوا قواعد الدين، والمعروف فلم يدعوا لأحد

---

(١) إعلام الموقعين ٧٩/١ - ٨٢.

(٢) هو يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي مؤرخ، وله علم بمفردات الطب، كان محدث اليمن وشيخها في عصره ولد سنة ستة عشر وثمانمائة وتوفي ثلاث وتسعين وثمانمائة هجرية. ترجمته في: الضوء اللامع للسخاوي ٣٢٤/١٠، البدر الطالع للشوكاني ٣٢٧/٢، كشف الظنون ٩٣٧/١، فهرست الفهارس للكتاني ٤٤٥/٢ - ٤٤٦، الأعلام ١٦٨/٩.

(٣) رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ١٩٦٧/٤ - ١٩٧٨.

(٤) رواه الترمذي في سننه ٣٨٢/٣، ورواه ابن ماجه أيضاً في سننه ١٣١٥/٢ - ١٣١٦، وكلاهما من حديث أبي هريرة.

(٥) الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة ص/٣٠٠ - ٣٠١.

بعدهم مقالاً، فتحوا القلوب بالقرآن والذكر والإيمان، والقرى بالسيف والسنان، وبذل النفوس النفيسة في مرضاة الرحيم الرحمن، فلا معروف إلا ما عنهم عرف، ولا برهان إلا ما بعلومهم كشف، ولا سبيل نجاة إلا ما سلكوا، ولا خير سعادة إلا ما حققوه وحكوه فرضوان الله تعالى عليهم أجمعين" ا. هـ[١].

فهذه خمسة وعشرون نقلاً عما قدمنا ذكرهم من أهل العلم بينوا فيها ما يجب لأصحاب رسول الله ﷺ، وكلامهم هذا الذي قدمنا ذكره هو محمدة لهم، ولمن تكلم به من بعدهم، فأولئك الأسلاف دائماً كلامهم يذكر ويثنى عليهم به ويترحم عليهم بسببه، لكونهم قاموا بما يجب لأصحاب رسول الله ﷺ، وكلامهم الذي تقدم ذكره هو اللائق بأصحاب رسول الله ﷺ، أما من تكلم فيهم بكلام لا ينبغي، فإن في الحقيقة لم يضرهم، وإنما يضر نفسه، وذلك بأنهم رضي الله عنهم وأرضاهم قدموا على ما قدموا وقد قدموا الخير الكثير من الأعمال الجليلة التي قاموا بها مع رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم، والكلام فيهم بما يليق بهم فإنه لا ينقصهم بل يزيدهم رفعة في درجاتهم، وزيادة في حسناتهم، فإن المتكلم فيهم يكون كلامه فيهم بغير حق، ومتكلم فيهم إذا كانت له حسنات، فإنهم يأخذون من حسناته، ويكون ذلك رفعة في درجاتهم وإن لم يكن له حسنات، فإنه كما قيل: لا يضر السحاب نبح الكلاب.

والذي أخلص إليه من تلكم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكلام السلف الذي تقدم في بيان فضل الصحابة على وجه العموم أنه يجب على كل مسلم أن ينقاد لما دل على إثبات فضلهم رضي الله عنهم ويسلم لهم بذلك ويعتقد اعتقاداً جازماً أنهم خير القرون، وأفضل الأمة بعد النبيين[٢] ومن يسلم لهم بذلك أو يشك فيه، فليتدارك نفسه، ويتوب إلى الله، لأن مقتضى ذلك تكذيب خبر الله وخبر رسول الله ﷺ، ومن كذب الله ورسوله لا حظ له في الإسلام.

* * * * *

---

(١) لوامع الأنوار البهية ٣٧٩/٢ - ٣٨٠.

(٢) انظر: كتاب ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة ص/١٧١، الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص/٦٤، وانظر: لوامع الأنوار البهية ٣٧٧/٢.

الفصل الثانى

وجوب محبتهم والدعاء والاستغفار لهم

بالشهادة عن رسول الله ﷺ بالجنة منهم

وفيه عدة مباحث

المبحث الأول : وجوب محبة أصحاب رسول الله ﷺ

المبحث الثانى : الدعاء والاستغفار لهم

المبحث الثالث : الشهادة لمن شهد رسول الله ﷺ بالجنة منهم

المبحث الأول
وجوب محبة أصحاب رسول الله ﷺ

من عقائد أهل السنة والجماعة وجوب محبة أصحاب رسول الله ﷺ وتعظيمهم وتوقيرهم وتكريمهم والاحتجاج بإجماعهم والاقتداء بهم، والأخذ بآثارهم، وحرمة بغض أحد منهم لما شرفهم الله به من صحبة رسول الله ﷺ والجهاد معه لنصرة دين الإسلام، وصبرهم على أذى المشركين والمنافقين، والهجرة عن أوطانهم وأموالهم وتقديم حب الله ورسوله ﷺ على ذلك كله، وقد دلت النصوص الكثيرة على وجوب حب الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، وقد فهم أهل السنة والجماعة ما دلت عليه النصوص في هذا واعتقدوا ما تضمنته مما يجب لهم من المحبة على وجه العموم رضي الله عنهم وأرضاهم، ومن تلك النصوص:

١ - قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

وهذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة؛ لأنه جعل لمن بعدهم حظاً في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو واحداً منهم أو اعتقد فيه شراً أنه لا حق له في الفيء، روى ذلك عن مالك وغيره، قال مالك: "من كان يبغض أحداً من أصحاب محمد ﷺ أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ [الحشر: ١٠] [(١)].

٢ - روى الترمذي بإسناده إلى عبد الله بن مغفل المزني قال: قال رسول الله ﷺ : **«الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه»** [(٢)].

هذا الحديث تضمن الحث لكل إنسان يأتي بعد الصحابة في أن يحفظ حقهم،

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٢/١٨.

(٢) سنن الترمذي ٣٥٨/٥، وقال عقبه: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ورواه الإمام أحمد في مسنده ٨٧/٤، والبيهقي في الاعتقاد ص/١٦١.

والمعنى: لا تنقصوا من حقهم ولا تسبوهم، بل عظموهم ووقروهم، ولا تتخذوهم هدفاً ترمونهم بقبيح الكلام، كما يرمى الهدف بالسهم، وبين عليه الصلاة والسلام أن حبهم ما استقر في قلب إنسان إلا بسبب حبه للنبي ﷺ، أو بسبب حب النبي ﷺ، إياهم وما وجد بغضهم في قلب إنسان إلا بسبب ما فيه من البغض للنبي ﷺ، ومعنى قوله ﷺ : «**يوشك أن يأخذه**» أي: يعاقبه في الدنيا أو في الآخرة[١]. فالحديث دل على وجوب حب الصحابة رضي الله عنهم وخطورة بغضهم.

قال المناوي في قوله ﷺ : «**الله الله في أصحابي**» أي: اتقوا الله فيهم، ولا تلمزوهم بسوء، أو اذكروا الله فيهم، وفي تعظيمهم وتوقيرهم، وكرره إيذاناً بمزيد الحث على الكف عن التعرض لهم بمنقص: «**فمن أحبهم فبحبي أحبهم**» أي: فبسبب حبهم إياي، أو حبي إياهم، أي: إنما أحبهم لحبهم إياي، أو لحبي إياهم. «**ومن أبغضهم فببغضي**» أي: فبسبب بغضه إياي، «**أبغضهم**» يعني إنما أبغضهم لبغضه إياي، وخص الوعيد بها، لما اطلع عليه مما سيكون بعده من ظهور البدع، وإيذاء بعضهم زعماً منهم الحب لبعض آخر، وهذا من باهر معجزاته، وقد كان في حياته حريصاً على حفظهم والشفقة عليهم.

أخرج البيهقي عن ابن مسعود: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: «**لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**»، وإن تعرض إليهم ملحد وكفر نعمة قد أنعم الله بها عليهم، فجهل منه وحرمان، وسوء فهم، وقلة إيمان، إذ لو لحقهم نقص لم يبق في الدين ساق قائمة لأنهم النقلة إلينا، فإذا جرح النقلة دخل من الآيات والأحاديث التي بها ذهاب الأنام، وخراب الإسلام إذ لا وحي بعد المصطفى ﷺ وعدالة المبلغ شرط لصحة التبليغ[٢].

٣ - وروى الإمام البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**» [٣].

ومعنى قوله ﷺ هذا: "أن علامات كمال إيمان الإنسان، أو نفس إيمانه حب مؤمني الأوس والخزرج لحسن وفائهم بما عاهدوا الله عليه من إيواء نبيه ﷺ، ونصره على

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي ٣٦٥/١٠، الفتح الرباني للساعاتي ١٦٩/٢٢.

(٢) فيض القدير للمناوي ٩٨/٢.

(٣) صحيح البخاري ١٢/١.

أعدائه زمن الضعف والعسرة وحسن جواره، ورسوخ صدقاتهم، وخلوص مودتهم، ولا يلزم منه ترجيحهم على المهاجرين، الذين فارقوا أوطانهم وأهليهم وحرموا أموالهم حباً لـه وروماً لرضاه.. "وآية النفاق" بالمعنى الخاص "بغض الأنصار"، صرح بـه مع فهمه مما قبله لاقتضاء المقام التأكيد، ولم يقابل الإيمان بالكفر الذي هو ضده، لأن الكلام فيمن ظاهره الإيمان، وباطنه الكفر فميزه عن ذوي الإيمان الحقيقي، فلم يقل آية الكفر لكونه غير كافر ظاهراً، وخص الأنصار بهذه المنقبة العظمى، لما امتازوا به من الفضائل، فكان اختصاصهم بها مظنة الحسد الموجب للبغض، فوجب التحذير من بغضهم والترغيب في حبهم، وأبرز ذلك في هذين التركيبين المفيدين للحصر؛ لأن المبتدأ والخبر فيهما معرفتان، فجعل ذلك آية الإيمان والنفاق على منهج القصر الادعائي، حتى كأنه: لا علامة للإيمان إلا حبهم، وليس حبهم إلا علامته، ولا علامة للنفاق إلا بغضهم، وليس بغضهم إلا علامته تنويهاً بعظيم فضلهم، وتنبيهاً على كريم فعلهم، وإن كان من شاركهم في المعنى مشاركاً لهم في الفضل كل بقسطه"[1].

٤ - وروى مسلم بإسناده إلى عدي بن ثابت، قال: سمعت البراء يحدث عن النبي ﷺ أنه قال في الأنصار: **«لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»**.

قال شعبة: قلت لعدي: سمعته من البراء؟ قال: إياي حدث[2].

٥ - وروى أيضاً: بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر»** [3].

٦ - وروى الإمام أحمد بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«من أحب الأنصار أحبه الله، ومن أبغض الأنصار أبغضه الله»** [4].

٧ - وروى الحافظ الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : **«من**

---

(١) فيض القدير للمناوي ٦٢/١.

(٢) صحيح مسلم ٨٥/١.

(٣) المصدر السابق ٨٦/١.

(٤) المسند ٥٠١/٢، ورواه ابن ماجه من حديث البراء بن عازب ٥٧/١، وأورده الشيخ الألباني في الصحيحة برقم "٩٩١".

أحب الأنصار فبحبي أحبهم، ومن أبغض الأنصار فببغضي أبغضهم» [(١)].

٨ - وروى الإمام أحمد بإسناده إلى البراء بن عازب، قال: قال رسول الله ﷺ : **«لا يحب الأنصار إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»** [(٢)].

٩ - وروى أيضاً: بإسناده إلى سعد بن عبادة، قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن هذا الحي من الأنصار محنة** [(٣)] **حبهم إيمان وبغضهم نفاق»** [(٤)].

١٠ - وروى أيضاً: بإسناده إلى الحارث بن زياد الساعدي أنه أتى رسول الله ﷺ يوم الخندق وهو يبايع الناس على الهجرة فقال: يا رسول الله، بايع هذا، قال: "ومن هذا" قال: ابن عمي حوط بن يزيد أو يزيد بن حوط، قال: فقال رسول الله ﷺ : **«لا أبايعك إن الناس يهاجرون إليكم ولا تهاجرون إليهم، والذي نفس محمد ﷺ بيده، لا يحب رجل الأنصار حتى يلقى الله تبارك وتعالى إلا لقي الله – تبارك وتعالى – وهو يحبه، ولا يبغض رجل الأنصار حتى يلقى الله – تبارك وتعالى – إلا لقي الله – تبارك وتعالى – وهو يبغضه»** [(٥)].

١١ - وروى الإمام مسلم بإسناده إلى علي رضي الله عنه أنه قال: "والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إلى ألا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق" [(٦)].

فهذه الأحاديث كلها دلت على وجوب حب أصحاب رسول الله ﷺ جميعاً مهاجرين

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٩/١٠، وقال عقبه: "ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن حاتم وهو ثقة"، وذكر أيضاً: أن الطبراني رواه بهذا اللفظ عن معاوية بن أبي سفيان ورجاله رجال الصحيح غير النعمان بن مرة وهو ثقة اهـ". وأورده أيضاً الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٧٢٤/٢.

(٢) المسند ٢٨٣/٤.

(٣) معناه: أن الله تعالى يمتحن الناس بحبهم وبغضهم، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله.

(٤) المسند ٢٨٥/٥، قال الساعاتي في كتابه "الفتح الرباني" ١٧٤/٢٢: "لم أقف عليه لغير الإمام أحمد عن سعد بن عبادة، وسنده جيد ورجاله ثقات". ورواه عبد الرزاق في المصنف ٥٩/١١.

(٥) المسند ٤٢٩/٣، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٣٥/٤، ورواه أيضاً عبد الرزاق في المصنف ٥٩/١١.

(٦) صحيح مسلم ١٨٦/١.

وأنصار، ولا يقال إن ظاهر لفظها في الأنصار، فلا يدخل فيها المهاجرون، بل الصحيح أنه يدخل فيها كل فرد من أفراد الصحابة لتحقق مشترك الإكرام لما لهم من حسن الغناء في الدين رضي الله عنهم أجمعين.

كما اشتملت على ذكر الجزاء الذي ينتظر من يكن لهم المحبة في قلبه، ومن يكن لهم البغض، فمن أحبهم فاز بحب الله له، ومن أبغضهم أبغضه الله، وشتان بين الجزائين، كما دلت على أن القلب الذي امتلأ ببغضهم إنما هو قلب ينضح بالنفاق، خذل صاحبه بعدم الإيمان والعياذ بالله.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى مبيناً المراد في قوله ﷺ : **«آية المنافق بغض الأنصار، وآية المؤمن حب الأنصار»**، وفي الرواية الأخرى: **«لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، ومن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»** وفي الأخرى: **«لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر»** وفي حديث علي رضي الله عنه: "والذي خلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي ﷺ إلى ألا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق".

الآية: هي العلامة، ومعنى هذه الأحاديث أن من عرف مرتبة الأنصار وما كان منهم في نصرة دين الإسلام والسعي في إظهاره وإيواء المسلمين وقيامهم في مهمات دين الإسلام حق القيام، وحبهم النبي ﷺ، وحبه إياهم، وبذلهم أموالهم وأنفسهم بين يديه، وقتالهم ومعاداتهم سائر الناس إيثاراً للإسلام، وعرف من علي بن أبي طالب رضي الله عنه قربه من رسول الله ﷺ وحب النبي ﷺ له، وما كان منه في نصرة الإسلام، وسوابقه فيه، ثم أحب الأنصار وعلياً لهذا كان ذلك من دلائل صحة إيمانه، وصدقه في إسلامه لسروره بظهور الإسلام والقيام بما يرضي الله - سبحانه وتعالى - ورسوله ﷺ، ومن أبغضهم كان بضد ذلك، واستدل به على نفاقه وفساد سريرته والله أعلم(١). وقال الذهبي رحمه الله تعالى مبيناً العلة من جعله ﷺ حب الأنصار علامة الإيمان، وبغضهم علامة النفاق، حيث قال: "وما ذاك إلا لسابقتهم ومجاهدتهم أعداء الله بين يدي رسول الله ﷺ، وكذلك حب علي رضي الله عنه من الإيمان وبغضه من النفاق، وإنما يعرف

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٦٣/٢ - ٦٤.

فضائل الصحابة رضي الله عنهم من تدبر أحوالهم وسيرتهم وآثارهم في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان، والمجاهدة للكفار ونشر الدين وإظهار شعائر الإسلام وإعلاء كلمة الله ورسوله وتعليم فرائضه وسننه ولولاهم ما وصل إلينا من الدين الدين أصل ولا فرع ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضاً، ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئاً[(١)].

وقال العيني رحمه الله تعالى شارحاً، لقوله ﷺ : «**آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار**» المقصود من الحديث الحث على حب الأنصار وبيان فضلهم، لما كان منهم من إعزاز الدين وبذل الأموال والأنفس والإيثار على أنفسهم والإيواء والنصر وغير ذلك، قالوا: وهذا جار في أعيان الصحابة كالخلفاء وبقية العشرة والمهاجرين، بل في كل الصحابة إذ كل واحد منهم له سابقة وسالفة وغناء في الدين وأثر حسن فيه، فحبهم لذلك المعنى محض الإيمان وبغضهم محض النفاق ويدل عليه ما روي مرفوعاً في فضل أصحابه كلهم: «**من أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم**».

وقال القرطبي: "وأما من أبغض والعياذ بالله أحداً منهم من غير تلك الجهة لأمر طارئ من حدث وقع لمخالفة غرض أو لضرر ونحوه لم يصر بذلك منافقاً ولا كافراً، فقد وقع بينهم حروب ومخالفات، ومع ذلك لم يحكم بعضهم على بعض بالنفاق، وإنما كان حالهم في ذلك حال المجتهدين في الأحكام، فإما أن يقال: كلهم مصيب، أو المصيب واحد والمخطئ معذور، مع أنه مخاطب بما يراه ويظنه، فمن وقع له بغض في أحد منهم والعياذ بالله لشيء من ذلك، فهو عاص يجب عليه التوبة، ومجاهدة نفسه بذكر سوابقهم وفضائلهم، وما لهم على كل من بعدهم من الحقوق إذ لم يصل أحد من بعدهم لشيء من الدين والدنيا إلا بهم وبسببهم قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ [الحشر: ١٠] [(٢)] الآية ا. هـ.

وقد وفق الله الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة لاعتقاد ما دلت عليه النصوص المتقدم ذكرها من أن حب الصحابة واجب على كل مسلم، فقد سئل الحسن البصري

---

(١) كتاب الكبائر ص/٢٣٤ - ٢٣٥.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٥٢/١.

رحمه الله تعالى: حب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما سنة؟ قال: لا، فريضة[(١)].

وقال الطحاوي رحمه الله تعالى مبيناً ما يجب على المسلم اعتقاده في محبة أصحاب رسول الله ﷺ : "ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان" [(٢)].

وقال أبو عبد الله بن بطة في صدد عرضه لعقيدة أهل السنة: "ويحب جميع أصحاب رسول الله ﷺ على مراتبهم ومنازلهم أولاً فأولاً: من أهل بدر والحديبية وبيعة الرضوان وأحد فهؤلاء أهل الفضائل الشريفة والمنازل المنيفة الذين سبقت لهم السوابق رحمهم الله أجمعين"[(٣)].

فعلى المسلم أن يسلك في حب الصحابة مسلك أهل الحق من أهل السنة والجماعة بحيث يحبهم جميعاً، ولا يفرط في حب أحد منهم وأن يتبرأ من طريقة الشيعة الرافضة الذين يتدينون ببغضهم وسبهم، ومن طريقة النواصب والخوارج الذين ابتلوا بإيذاء أهل بيت رسول الله ﷺ، وليعلم كل مسلم أن أهل السنة والجماعة يتبرؤون من طريقة هذه الفرق فيهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ويتبرؤون من طريقة الروافض والشيعة الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، وطريقة النواصب والخوارج الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل"[(٤)].

فمن أراد السلامة لدينه وأن يسلم لـه إيمانه فليحبهم جميعاً، وأن يختم ذلك على نفسه، وعلى كل أبناء جنسه؛ لأن ذلك واجب على جميع الأمة، واتفق على ذلك الأئمة، فلا يزوغ عن حبهم إلا هالك، ولا يزوغ عن وجوب ذلك إلا ضال [(٥)].

* * * * *

---

(١) رواه خيثمة بن سليمان في كتاب "الرقائق والحكايات"، ص/١٧١.

(٢) شرح الطحاوية ص/٤٦٧.

(٣) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص/٢٧١.

(٤) العقيدة الواسطية مع شرحها، لمحمد خليل هراس ص/١٧٣، وانظر قطف الثمر في عقيدة أهل الأثر ص/١٠٣.

(٥) انظر: لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٣٥٤/٢.

المبحث الثاني
الدعاء والاستغفار لهم

من حق الصحابة الكرام رضي الله عنهم على كل من جاء بعدهم من عباد الله المؤمنين أن يدعو لهم ويستغفر لهم، ويترحم عليهم، لما لهم من القدر العظيم، ولما حازوه من المناقب الحميدة، والسوابق القديمة، والمحاسن المشهورة، ولما لهم من الفضل الكبير على كل من أتى بعدهم، فهم الذين نقلوا إلى من بعدهم الدين الحنيف الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، ففضلهم مستمر على كل مسلم جاء بعدهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد ندب الله - جل وعلا - كل من جاء بعدهم من أهل الإيمان إلى أن يدعو لهم، ويترحم عليهم، وأثنى على من استجاب منهم لذلك بقوله - جل وعلا ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

فالآية مشتملة على بيان موقف أهل الإيمان ممن تقدمهم من الصحابة، فقد بين - تعالى - أن موقفهم من أولئك الصفوة أنهم يثنون عليهم، ويدعون لهم ابتهاجاً بما آتاهم الله من الفضل وغبطة لهم فيما وفقوا له من الأعمال المصحوبة بالإخلاص واليقين، وهذا الموقف المبارك ينطبق على أهل السنة والجماعة، فقد وفقهم الله للثناء الجميل والقول الحسن في أصحاب رسول الله ﷺ، وهم الذين يترضون عنهم جميعاً، ويستغفرون لهم، وحرم هذا الموقف العظيم الشيعة الرافضة الذين جعلوا رأس مالهم سبهم وبغضهم والحقد عليهم، وهذا خذلان أيما خذلان أعاذنا الله منه.

وقد فهم متقدموا أهل السنة والجماعة ومتأخروهم أن المراد من الآية السابقة الأمر بالدعاء والاستغفار من اللاحق للسابق، ومن الخلف للسلف، الذين هم أصحاب رسول الله ﷺ، وإليك طائفة من أقوالهم التي دلت على عمق معرفتهم بما دل عليه كتاب ربهم جل وعلا:

١ - روى الإمام مسلم بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت لي عائشة: "يا ابن أختي، أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم"(١).

---

(١) صحيح مسلم ٤/٢٣١٧.

٢ - وعند ابن أبي شيبة بلفظ: "أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ فسبوهم"[١].

٣ - وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها، قالت: أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ، فسبوهم، ثم قرأت الآية ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] [٢].

قال النووي رحمه الله تعالى: قولها: "أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم" قال القاضي: الظاهر أنها قالت هذا عندما سمعت أهل مصر يقولون في عثمان ما قالوا: وأهل الشام في علي ما قالوا، والحرورية في الجميع ما قالوا: وأما الأمر بالاستغفار الذي أشارت إليه فهو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، وبهذا احتج مالك في أنه لا حق في الفيء لمن سب الصحابة رضي الله عنهم؛ لأن الله - تعالى - إنما جعله لمن جاء بعدهم ممن يستغفر الله لهم والله أعلم"[٣].

٤ - وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فإن الله قد أمرنا بالاستغفار لهم، وهو يعلم أنهم سيقتتلون"[٤].

٥ - ذكر الإمام البغوي رحمه الله تعالى عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ [الحشر: ١٠] الآية، عن مالك بن مغول، قال: قال عامر بن شراحيل الشعبي: يا مالك تفاضلت[٥] اليهود والنصارى الرافضة بخصلة، سئلت اليهود من خير أهل ملتكم، فقالت: أصحاب موسى عليه السلام، وسئلت النصارى: من خير أهل ملتكم، فقالوا: حواري عيسى عليه السلام، وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم، فقالوا: أصحاب محمد ﷺ. أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة، كلما أوقدوا ناراً

(١) المصنف لابن أبي شيبة ١٧٩/١٢.
(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ١١٣/٨.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥٨/١٨ - ١٥٩.
(٤) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة ص/١١٩، وأورده القرطبي في تفسيره ٣٣/١٨.
(٥) أي: فضلت. فقد جاء في شرح الطحاوية، ص/٥٣١: "بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصلة".

للحرب أطفأها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وإدحاض حجتهم، أعاذنا الله وإياكم من الفتن المضلة"(١).

٦ - وروى أبو نعيم بإسناده إلى عمر بن ذر، قال: أقبلت أنا وأبي دار عامر، فقال له أبي: يا أبا عمرو، قال: لبيك، قال: ما تقول فيما قال فيه الناس من هذين الرجلين، قال عامر: أي هذين الرجلين؟ قال: علي وعثمان قال: إني والله لغني أن أجيء يوم القيامة خصيماً لعلي وعثمان رضي الله تعالى عنهما وغفر لنا ولهما(٢).

٧ - أخرج عبد بن حميد عن الضحاك بن مزاحم رحمه الله تعالى، أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ [الحشر: ١٠] الآية: "أمروا بالاستغفار لهم وقد علم ما أحدثوا"(٣).

٨ - وأخرج ابن جرير الطبري بإسناده إلى قتادة بن دعامة السدوسي أنه قال بعد قراءته لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ [الحشر: ١٠] الآية: "إنما أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ ولم يؤمروا بسبهم"(٤).

فهذه جملة صالحة من أقوال السلف الصالح كلها دلت على أن كل من جاء بعد الرعيل الأول من الصحابة رضي الله عنهم مأمور بالدعاء والاستغفار لهم، والترحم عليهم، وأنه يجب على كل مسلم أن يطهر قلبه من الغل والحقد عليهم، وقد استنبط أهل العلم من الصحابة ومن جاء بعدهم من علماء أهل السنة والجماعة أن من لم يستغفر لهم وكان في قلبه غل عليهم أنه بعيد من أهل الإسلام، ولا حظ له في الفيء وما يغنمه المسلمون.

٩ - أخرج ابن مردويه عن ابن عمر أنه سمع رجلاً وهو يتناول بعض المهاجرين فقرأ عليه: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨﴾ [الحشر: ٨]، ثم قال: هؤلاء المهاجرون فمنهم

---

(١) تفسير البغوي على حاشية تفسير الخازن ٥٤/٧، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٣٣/١٨، وانظر منهاج السنة ٦/١ - ٧، شرح الطحاوية ص/٥٣١ - ٣٥٢.

(٢) حلية الأولياء ٣٢١/٤، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٧٩/١٢.

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١١٣/٨.

(٤) جامع البيان للطبري ٤٤/٢٨ - ٤٥.

أنت؟ قال: لا ثم قرأ عليه: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٩]، ثم قال: هؤلاء الأنصار، أفأنت منهم؟ قال: لا، ثم قرأ عليه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر: ١٠]، ثم قال: أفمن هؤلاء أنت؟ قال: أرجو، قال: لا ليس من هؤلاء من يسب هؤلاء"[١].

١٠ - وأخرج ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عمر أنه بلغه أن رجلاً نال من عثمان، فدعاه، فأقعده بين يديه، فقرأ عليه ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾ [الحشر: ٨]، الآية، قال: من هؤلاء أنت؟ قال: لا، ثم قرأ ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ [الحشر: ١٠] الآية، قال: من هؤلاء أنت؟ قال: أرجو أن أكون منهم، قال: لا والله ما يكون منهم من يتناولهم، وكان في قلبه الغل عليهم[٢].

ولم يذكر الآية الواردة في الأنصار، لكون الرجل تناول عثمان رضي الله عنه وهو من المهاجرين.

١١ - روى ابن بطة وغيره من حديث أبي بدر، قال: "حدثنا عبد الله بن زيد عن طلحة بن مصرف عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص قال: الناس على ثلاثة منازل، فمضت منزلتان، وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت ثم قرأ: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [الحشر: ٨] هؤلاء المهاجرون وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩]، ثم قال: هؤلاء الأنصار وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر: ١٠]، فقد مضت هاتان وبقيت هذه

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٨/١١٣ - ١١٤.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٨/١١٣ - ١١٤.

المنزلة التي بقيت أن تستغفروا لهم"[١].

ولا يتردد من لـه أدنى علم في أن الشيعة الرافضة خارجون من هذه المنزلة؛ لأنهم لم يترحموا على الصحابة، ولم يستغفروا لهم، بل سبوهم، وحملوا لهم الغل في قلوبهم، فحرموا من تلك المنزلة التي يجب على المسلم أن يكون فيها، ولا يحيد عنها بحال حتى يلقى ربه - جل وعلا -.

١٢ - وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى: من يبغض أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أو كان في قلبه عليهم غل فليس لـه حق في فيء المسلمين، ثم تلا: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ ﴾ [الحشر: ٧] حتى أتى على هذه الآية: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ﴾ [الحشر: ٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ ﴾ [الحشر: ٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ [الحشر: ١٠] إلى قوله: ﴿ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠] [٢].

١٣ - وقال أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ [الحشر: ١٠] يعني التابعين إلى يوم القيامة.

قال الزجاج: والمعنى: ما أفاء الله على رسوله فلله وللرسول ولهؤلاء المسلمين وللذين يجيئون من بعدهم إلى يوم القيامة ما أقاموا على محبة أصحاب رسول الله ﷺ، ودليل هذا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ [الحشر: ١٠] أي: الذين جاءوا في حال قولهم: ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ﴾ [الحشر: ١٠]، فمن ترحم على أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يكن في قلبه غل لهم فله حظ من فيء المسلمين بنص الكتاب"[٣]. ا. هـ

١٤ - وقال البغوي رحمه الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ [الحشر: ١٠] يعني: التابعين، وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة، ثم ذكر أنهم يدعون لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمان والمغفرة - إلى أن قال -: "فكل من كان في قلبه غل على أحد من الصحابة ولم يترحم على جميعهم فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية،

---

(١) وأورده شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "منهاج السنة" ١٥٣/١، ورواه الحاكم في المستدرك ٤٨٤/٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) انظر قول مالك في: "أحكام القرآن لابن العربي" ١٧٧٨/٤، زاد المسير في علم التفسير ٢١٦/٨، تفسير البغوي على حاشية تفسير الخازن ٥٤/٧، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٠٩/٦.

(٣) زاد المسير في علم التفسير ٢١٦/٨.

لأن الله - تعالى - رتب المؤمنين على ثلاثة منازل: المهاجرين والأنصار والتابعين الموصوفين بما ذكر، فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجاً من أقسام المؤمنين.

قال ابن أبي ليلى: الناس على ثلاثة منازل: المهاجرين، والذين تبوؤوا الدار والإيمان، والذين جاءوا من بعدهم فاجتهد ألا تكون خارجاً من هذه المنازل"(١).

١٥ - وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد أن ذكر آيات الحشر الثلاث من قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠)﴾ [الحشر: ٨ - ١٠].

قال رحمه الله: "وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار وعلى الذين جاءوا من بعدهم يستغفرون لهم ويسألون الله ألا يجعل في قلوبهم غلاً لهم، وتتضمن أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفيء، ولا ريب أن هؤلاء الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة، فإنهم لم يستغفروا للسابقين وفي قلوبهم غل عليهم، ففي الآيات الثناء على الصحابة وعلى أهل السنة الذين يتولونهم وإخراج الرافضة من ذلك، وهذا ينقض مذهب الرافضة"(٢).

١٦ - وقال الحافظ ابن كثير: "قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ٨ - ١٠] الآية، هؤلاء هم

---

(١) تفسير البغوي على حاشية تفسير الخازن ٥٤/٧.

(٢) منهاج السنة ١٥٣/١، وانظر شرح الطحاوية ص/٥٢٩.

القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء وهم المهاجرون ثم الأنصار، ثم التابعون لهم بإحسان، كما قال في آية براءة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ﴾ [الحشر: ١٠] أي: قائلين: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا﴾ [الحشر: ١٠] أي: بغضاً وحسداً ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قوله: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] [(١)]ا. هـ.

١٧ - وقال الشوكاني رحمه الله تعالى بعد أن ذكر قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ [الحشر: ١٠] الآية: "أمرهم الله - سبحانه - بعد الاستغفار للمهاجرين والأنصار أن يطلبوا من الله - سبحانه - أن ينزع من قلوبهم الغل للذين آمنوا على الإطلاق، فيدخل في ذلك الصحابة دخولاً أولياً لكونهم أشرف المؤمنين، ولكون السياق فيهم، فمن لم يستغفر للصحابة على العموم ويطلب رضوان الله لهم فقد خالف ما أمره الله به في هذه الآية، فإن وجد في قلبه غلاً لهم، فقد أصابه نزغ من الشيطان، وحل به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه وخير أمة نبيه ﷺ، وانفتح له باب من الخذلان، يفد به على نار جهنم، إن لم يتدارك نفسه باللجأ إلى الله - سبحانه - والاستغاثة به بأن ينزع عن قلبه ما طرقه من الغل لخير القرون، وأشرف هذه الأمة، فإن جاوز ما يجده من الغل إلى شتم أحد منهم، فقد انقاد للشيطان بزمام ووقع في غضب الله وسخطه، وهذا الداء العضال إنما يصاب به من ابتلي بمعلم من الرافضة، أو صاحب من أعداء خير الأمة الذين تلاعب بهم الشيطان، وزين لهم الأكاذيب المختلقة والأقاصيص المفتراة والخرافات الموضوعة، وصرفهم عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٦٠٩/٦.

من خلفه، وعن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنقولة إلينا بروايات الأئمة الأكابر في كل عصر من العصور، فاشتروا الضلالة بالهدى واستبدلوا الخسران العظيم بالربح الوافر، وما زال الشيطان الرجيم ينقلهم من منزلة إلى منزلة، ومن رتبة إلى رتبة، حتى صاروا أعداء كتاب الله وسنة رسوله، وخير أمته وصالحي عباده وسائر المؤمنين، وأهملوا فرائض الله، وهجروا شعائر الدين، وسعوا في كيد الإسلام وأهله كل السعي، ورموا الدين وأهله بكل حجر ومدر، والله من ورائهم محيط(١)ا. هـ.

فهذه النصوص التي سقناها في هذا المبحث عن المتقدمين والمتأخرين من أهل السنة والجماعة كلها تبين أنهم هم الفائزون بسلامة الصدور من الغل والحقد لأصحاب رسول الله ﷺ، وأنهم يعتقدون أن من حق الصحابة الكرام على من بعدهم الترحم عليهم والاستغفار لهم، فأهل السنة والجماعة يترحمون على جميع أصحاب رسول الله ﷺ صغيرهم وكبيرهم أولهم وآخرهم، ويذكرون محاسنهم وينشرون فضائلهم ويقتدون بهديهم ويقتفون آثارهم، ويعتقدون أن الحق في كل ما قالوه والصواب فيما فعلوه(٢).

فمن لم يترحم على الصحابة ويستغفر لهم، فهو ليس من أهل السنة والجماعة، وليس لـه حظ في شيء من فيء المسلمين.

* * * * *

---

(١) فتح القدير ٢٠٢/٥.

(٢) انظر كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة ص/٢٦٤ - ٢٦٥.

المبحث الثالث
الشهادة لمن شهد لـه رسول الله ﷺ بالجنة منهم

من عقائد أهل السنة والجماعة أنهم يشهدون لمن شهد لـه المصطفى ﷺ بالجنـة من الصحابة الكرام، رضـي الله عنهم فهنـاك أشـخاص أخبـر النبـي ﷺ أنهم مـن أهل الجنـة، وهنـاك آخرون أخبـر ببعض النعيم المعد لهم فـي الجنـة، وكـل ذلـك شـهادة منـه ﷺ لهم بالجنة، وسواء ذكر المصطفى ﷺ الشخص من أهل الجنة أو أخبر أن لـه كذا أو مكانتـه فـي الجنـة كذا أو أخبـر أنـه رآه فـي الجنـة الكل يشـهد لـه أهل السـنة والجماعـة بالجنـة تصديقاً منهم لخبر الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ فلقد أخبر ﷺ عن عشرة من المهاجرين بأنهم في الجنة وسماهم بأعيانهم وبشرهم بها، **وأولئك العشرة هم:**

١ – أبو بكر: عبد الله بن عثمان الصديق الأكبر.

٢ – أبو حفص: عمر بن الخطاب.

٣ – أبو عبد الله: عثمان بن عفان.

٤ – أبو الحسن: علي بن أبي طالب.

٥ – أبو محمد: طلحة بن عبيد الله.

٦ – أبو عبد الله: الزبير بن العوام.

٧ – أبو إسحاق: سعد بن أبي وقاص.

٨ – أبو محمد: عبد الرحمن بن عوف.

٩ – أبو عبيدة: عامر بن عبد الله بن الجراح.

١٠ – أبو الأعور: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل.

وهؤلاء العشرة رضي الله عنهم انتظم تبشيرهم بالجنة حديث واحد.

روى الإمام الترمذي وغيره عن سعيد بن زيد أن رسول الله ﷺ قال: **«عشرة في الجنة: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن وأبو عبيدة، وسعد بن أبي وقاص»** قال: فعد هؤلاء التسعة، وسكت عن العاشر، فقال القوم:

ننشدك الله يا أبا الأعور من العاشر؟، قال: نشدتموني بالله: «**أبو الأعور في الجنة**» [(١)].

هؤلاء هم العشرة المبشرون بالجنة رضي الله عنهم، وكلهم من المهاجرين وتبشير العشرة هؤلاء بالجنة لا ينافي تبشير غيرهم، فقد جاء تبشير غيرهم في غير ما خبر، ولأن العدد في الحديث لا ينفي الزائد، وممن بشر بالجنة سوى هؤلاء العشرة كثير منهم:

١١ – "بلال بن رباح":

بلال بن رباح الحبشي المؤذن واسم أمه حمامة، اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد، فأعتقه، فلزم النبي ﷺ، وأذن له، شهد بدراً وأحداً وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، وآخى بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح، خرج رضي الله عنه مجاهداً بعد وفاة النبي ﷺ إلى أن مات بالشام زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[(٢)].

وقد بشر رضي الله عنه بالجنة في غير ما حديث، فقد روى البخاري رحمه الله من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ : «**رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء** [(٣)] **امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال**» [(٤)].

وعند مسلم بلفظ: «**.. ثم سمعت خشخشة أمامي فإذا بلال**» [(٥)].

وروى الإمام مسلم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لبلال عند صلاة الغداة: «**يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته عندك في الإسلام منفعة، فإني سمعت الليلة خشف نعليك بين يدي في الجنة**»، قال بلال: ما عملت عملاً في الإسلام أرجى عندي منفعة من أني لا أتطهر طهوراً تاماً في ساعة من ليل ولا نهار إلا صليت

---

(١) سنن الترمذي ٣١١/٣ - ٣١٢، وسنن أبي داود ٥١٥/٢ - ٥١٦، وابن ماجه ٤٨/١.

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٣٢/٣ - ٢٣٩، الاستيعاب على حاشية الإصابة ١٤٥/١ - ١٥٠، أسد الغابة ٢٠٦/١ - ٢٠٩، تهذيب الأسماء واللغات ١٣٦/١ - ١٣٧، سير أعلام النبلاء ٣٤٧/١، الإصابة ١٦٩/١، تهذيب التهذيب ٥٠٢/١.

(٣) جاء في النهاية: ٢٦٣/٢: "يقال غمصت العين ورمصت، والرمص وهو البياض الذي تقطعه العين، ويجتمع في زوايا الأجفان، والرمص الرطب والغمص اليابس".

(٤) صحيح البخاري ٢٩٣/٢.

(٥) صحيح مسلم ١٩٠٨/٤.

بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي [١].

١٢ – "زيد بن حارثة":

هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي بن عبد العزى بن زيد بن امرئ القيس، وزيد هذا هو والد أسامة بن زيد بن زيد الحب ابن الحب لرسول الله ﷺ، وكان يدعى زيد بن محمد حتى نزلت: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ ﴾ [الأحزاب: ٥]، استشهد في مؤتة من أرض الشام سنة ثمان من الهجرة رضي الله عنه[٢].

ومما جاء في بشارته بالجنة ما أخرجه ابن عساكر عن زيد بن الحباب: حدثني حسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه مرفوعاً، أن النبي ﷺ قال: **«دخلت الجنة فاستقبلتني جارية شابة، فقلت: لمن أنت؟ قالت: أنا لزيد بن حارثة»** [٣].

فهذا الحديث اشتمل على منقبة ظاهرة لزيد بن حارثة حيث أخبر النبي ﷺ أنه أحد الذين رأى لهم بعض النعيم المعد لهم في الجنة.

١٣ – "حاطب بن أبي بلتعة":

هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي من ولد لخم بن عدي، يكنى أبا عبد الله، وقيل يكنى أبا محمد واسم أبي بلتعة عمرو بن راشد بن معاذ اللخمي، حليف قريش، ويقال: إنه من مذحج، وقيل: هو حليف للزبير بن العوام، وهو من أهل اليمن، والأكثر أنه حليف لبني أسد بن عبد العزى، شهد بدراً والحديبية، ومات سنة ثلاثين بالمدينة، وهو ابن خمس وستين سنة وصلى عليه ذو النورين عثمان[٤].

---

(١) صحيح مسلم ١٩١٠/٤.

(٢) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٤٠/٣ - ٤٧، الجرح والتعديل ٥٥٩/٣، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٥٢٥/١ - ٥٣٠، أسد الغابة ٢٢٤/٢ - ٢٢٧، تهذيب الأسماء واللغات ٢٠٢/١ - ٢٠٣، سير أعلام النبلاء ٢٢٠/١ - ٢٣٠، مجمع الزوائد ٢٧٤/٩ - ٢٧٥، الإصابة ٥٤٥/١ - ٥٤٦.

(٣) أورده السيوطي في "الجامع الصغير" وعزاه للروياني والضياء في المختارة عن بريدة. انظر: فيض القدير للمناوي ٥٢١/٣، وذكره الألباني في كتابه "سلسلة الأحاديث الصحيحة" ٤٧٤/٤، وقال: رواه ابن عساكر ٢/٣٩٩/٦، من طريقين عن زيد بن الحباب... إلخ السند المذكور، ثم قال: وهذا سند صحيح على شرط مسلم، وأورده أيضاً في: صحيح الجامع ١٤١/٣، وقال عقبه: صحيح.

(٤) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد ١١٤/٣ - ١١٥، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٤٧/١ - ٣٥٠، سير أعلام النبلاء ٤٣/٢ - ٤٥، البداية والنهاية ١٧١/٧، الإصابة ٢٩٩/١ - ٣٠٠.

وقد جاء النص عليه في أنه من أصحاب الجنة، وممن يقطع لـه بدخولها فيما رواه مسلم بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن عبداً لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً، فقال: يا رسول الله: ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ : **«كذبت لا يدخلها، فإنه شهد بدراً والحديبية»** [1].

فهذا الحديث تضمن فضيلة لأهل بدر والحديبية على وجه العموم ولحاطب على وجه الخصوص، حيث نص عليه باسمه أنه من أهل الجنة وأن النار لا تمسه رضي الله عنه وأرضاه.

١٤ – "عكاشة بن محصن":

هو عكاشة بن محصن بن حرثان بن مرة بن بكير بن غنم بن دودان بن أسيد بن خزيمة الأسدي حليف بني عبد شمس من السابقين الأولين البدريين أهل الجنة، قتل شهيداً في قتال أهل الردة زمن أبي بكر الصديق قتله طليحة بن خويلد الأسدي الذي ادعى النبوة وقد هداه الله - عز وجل - فرجع إلى الإسلام[2].

شهد لـه الرسول ﷺ بالجنة.

فقد روى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج علينا النبي ﷺ يوماً فقال: **«عرضت علي الأمم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد ورأيت سواداً كثيراً سد الأفق، فرجوت أن تكون أمتي، فقيل: هذا موسى وقومه، ثم قيل لي: انظر فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق، فقيل لي: انظر هكذا وهكذا، فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق فقيل: هؤلاء أمتك، ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب»** فتفرق الناس، ولم يبين لهم فتذاكر أصحاب النبي ﷺ، فقالوا: أما نحن فولدنا في الشرك، ولكنا آمنا بالله ورسوله، ولكن هؤلاء هم أبناؤنا، فبلغ النبي ﷺ فقال: **«هم الذين لا يتطيرون ولا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون»** فقام عكاشة بن محصن، فقال: أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال: **«نعم»** فقام آخر، فقال: أمنهم أنا؟ فقال:

---

(١) صحيح مسلم ١٩٤٢/٤.

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد ٩٢/٣ - ٩٣، الجرح والتعديل ٣٩/٧، حلية الأولياء ١٢/٢ - ١٣، الاستيعاب على حاشية الإصابة ١٥٥/٣ - ١٥٧، تهذيب الأسماء واللغات ٣٣٨/١، الإصابة ٤٨٧/٢ - ٤٨٩.

«سبقك بها عكاشة» [١].

وعند الإمام مسلم من حديث عمران بن حصين، قال: قال نبي الله ﷺ : **«يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب»** قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: **«هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون»** فقام عكاشة بن محصن، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: **«أنت منهم»** [٢].

فهذان الحديثان فيهما منقبة لعكاشة بن محصن، رضي الله عنه وهي أن النبي ﷺ أخبر بأنه من المقطوع لهم بدخول الجنة.

١٥ – "سعد بن معاذ":

هو أبو عمرو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي سيد الأوس، وأمه كبشة بنت رافع، لها صحبة، أسلم رضي الله عنه بالمدينة بين العقبة الأولى والثانية علي يدي مصعب بن عمير، ثم كان سبباً في إسلام قومه كلهم، شهد بدراً، وأحداً، والخندق، ورمي يوم الخندق بسهم، فعاش بعد ذلك شهراً حتى حكم في بني قريظة حكمه المشهور[٣] الذي وافق حكم الله من فوق سبع سموات، وبعد ذلك مات بسبب انتقاض جرحه وذلك سنة خمس[٤].

وقد أخبر ﷺ ببعض ما أعد الله لـه في الجنة من النعيم، فقد روى الشيخان من حديث البراء رضي الله عنه قال: أهديت للنبي ﷺ حلة حرير، فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها، فقال: **«تعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين»**

---

(١) صحيح البخاري ١٨/٤ - ١٩، وانظر صحيح مسلم ١٩٩/١.

(٢) صحيح مسلم ١٩٨/١.

(٣) وهو أن من أنبت منهم قتل ومن لم ينبت خلي سبيله، انظر حديث عطية القرظي في سنن أبي داود ٤٥٣/٢، سنن الترمذي ٧٢/٣، وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

(٤) انظر ترجمته في انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٢٠/٣ - ٤٣٦، الجرح والتعديل ٩٣/٤، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٥/٢ - ٣٠، أسد الغابة ٢٩٦/٢ - ٢٩٩، تهذيب الأسماء واللغات ٢١٤/١ - ٢١٥، سير أعلام النبلاء ٢٧٩/١ - ٢٩٧، البداية والنهاية ١٤٣/٤ - ١٤٦، الإصابة ٣٥/٢.

[(١)].

وروى أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه قال: أهدي للنبي ﷺ جبة[(٢)] سندس، وكان ينهى عن الحرير فعجب الناس منها فقال: **«والذي نفس محمد بيده إن مناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا»** [(٣)].

ففي هذين الحديثين: إشارة إلى عظيم منزلة سعد في الجنة، وأن أدنى ثيابه فيها التي هي المناديل خير من تلك الجبة التي أثارت العجب في نفوس أصحاب رسول الله ﷺ، لأن المناديل أدنى الثياب فغيره أفضل، وفيها إثبات الجنة لسعد بن معاذ رضي الله عنه[(٤)].

١٦ – "ثابت بن قيس بن شماس":

هو: ثابت بن قيس بن شماس من مالك بن امرئ القيس بن مالك بن الأغر بن ثعلبة ابن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، وأمه امرأة من طيىء، يكنى أبا محمد بابنه محمد، وقيل: أبا عبد الرحمن، كان رضي الله عنه خطيب الأنصار، ويقال له: خطيب رسول الله ﷺ، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وقتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه[(٥)].

وقد وردت بشارته بالجنة فيما رواه البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه: "أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه، فقال له: ما شأنك؟ فقال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ، فقد حبط عمله، وهو من أهل النار، فأتى الرجل[(٦)] النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال موسى[(٧)]: فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: **«اذهب**

---

(١) صحيح البخاري ٩٥/٢، صحيح مسلم ١٩١٦/٤، وانظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ١٥٨/٣.
(٢) الجبة: هي ما قطع من الثياب مشمراً. هدي الساري، ص/٩٦، وانظر شرح النووي ٢٣/١٦ - ٢٤.
(٣) صحيح البخاري ٩٥/٢، صحيح مسلم ١٩١٦/٤، وانظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ١٥٨/٣.
(٤) انظر شرح النووي على صحيح مسلم: ٢٣/١٦.
(٥) انظر ترجمته في الاستيعاب على حاشية الإصابة ١٩٣/١ - ١٩٧، تهذيب الأسماء واللغات ١٣٩/١ - ١٤٠، سير أعلام النبلاء ٣٠٨/١ - ٣١٤، تهذيب التهذيب: ١٢/٢ - ١٣، الإصابة ١٩٧/١.
(٦) هذا الرجل هو سعد بن معاذ كما في رواية مسلم التي ستأتي بعد هذا الحديث.
(٧) هو ابن أنس راوي الحديث عن أنس. انظر: فتح الباري ٥٩٢/٨.

إليه، فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة» [١].

وروى الإمام مسلم بإسناده إلى أنس بن مالك أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الحجرات: ٢]، جلس ثابت بن قيس في بيته، فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ فقال: "يا أبا عمر، وما شأن ثابت؟ أشتكى[٢]"؟ قال سعد: إنه لجاري، وما علمت لـه بشكو، قال: فأتاه سعد فذكر لـه قول رسول الله ﷺ فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ : **«بل هو من أهل الجنة»**.

وفي رواية أخرى لـه عن أنس قال: لما نزلت هذه الآية. واقتص الحديث[٣] ولم يذكر سعد بن معاذ، وزاد: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجل من أهل الجنة[٤].

هذه الأحاديث تضمنت منقبة عظيمة لثابت بن قيس رضي الله عنه، وهي أن النبي ﷺ أخبر أنه من أهل الجنة رضي الله عنه وأرضاه.

١٧ - "حارثة بن سراقة":

هو حارثة بن سراقة بن الحارث بن عدي بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي ابن النجار الأنصاري، أمه الربيع بنت النضر عمة أنس بن مالك، شهد بدراً، وقتل يومئذ شهيداً، قتله حبان بن العرقة بسهم، وهو يشرب من الحوض، وكان خرج نظاراً يوم بدر ورماه فأصاب حنجرته فقتله، وهو أول قتيل قتل ببدر من الأنصار[٥].

وقد شهد لـه النبي ﷺ بأنه من أهل الجنة، فقد روى البخاري رحمه الله تعالى بإسناده إلى أنس رضي الله عنه قال: "أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى

---

(١) صحيح البخاري: ١٩١/٣.

(٢) أشتكى: الهمزة للاستفهام أي: أمرض، فالشكوى هنا المرض وهمزة الوصل ساقطة كما في قولـه تعالى: ﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الصافات: ١٥٣].

(٣) أي: وروى الحديث على وجهه.

(٤) الحديثان في صحيح مسلم: ١١٠/١ - ١١١.

(٥) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد ٥١٠/٣ - ٥١١، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٨٤/١، الإصابة في تمييز الصحابة ٢٩٧/١، فتح الباري ٣٠٥/٧، أسد الغابة ٣٥٥/١ - ٣٥٦.

النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى تر ما أصنع، فقال: «**ويحك – أو هبلت – أو جنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس**» [١].

وروى أيضاً: بإسناده إلى أنس بن مالك أن أم حارثة بن سراقة أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة - وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب - فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء، قال: «**يا أم حارثة، إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى**» [٢].

في هذين الحديثين منقبة ظاهرة لحارثة بن سراقة وهي أن النبي ﷺ أخبر أمه بأنه في الجنة وأنه أصاب من الجنان أعلاها، وهي الفردوس.

١٨ – حارثة بن النعمان:

هو: حارثة بن النعمان بن نقع بن زيد بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري، يكنى أبا عبد الله، شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان من فضلاء الصحابة، توفي رضي الله عنه في خلافة معاوية بن أبي سفيان[٣].

وحارثة هذا وردت بشارته بالجنة فيما صح من الخبر عن النبي ﷺ، فقد روى الإمام أحمد بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ : «**نمت فرأيتني في الجنة فسمعت صوت قارئ يقرأ فقلت: من هذا؟، قالوا: حارثة بن النعمان**» فقال لها رسول الله ﷺ : «**كذاك البر كذاك البر**» وكان أبر الناس بأمه[٤].

ورواه أبو عبد الله الحاكم بلفظ: "دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان" فقال رسول الله ﷺ : «**كذلكم البر كذلكم البر**» [٥].

---

(١) صحيح البخاري ٧/٣.

(٢) صحيح البخاري ١٣٩/٢.

(٣) انظر ترجمته: في الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٨٧/٣ - ٤٨٨، طبقات خليفة ص/٩٠، المستدرك ٢٠٨/٣، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٨٢/١ - ٢٨٤، أسد الغابة ٣٥٨/١ - ٣٥٩، سير أعلام النبلاء ٣٧٨/٢ - ٣٨٠، الإصابة ٢٩٨/١ - ٢٩٩.

(٤) المسند ١٥١/٦ - ١٥٢، قال الحافظ: إسناده صحيح. الإصابة ٢٩٨/١.

(٥) المستدرك ٢٠٨/٣، وقال عقبه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي، وأورده

قال الطيبي في قوله ﷺ: «كذلكم البر كذلكم البر» المشار إليه ما سبق، والمخاطبون الصحابة، فإن المصطفى ﷺ رأى هذه الرؤيا وقصها على أصحابه، فلما بلغ إلى قوله النعمان نبههم على سبب نيل تلك الدرجة بقوله: «كذلكم البر»، أي: حارثة، نال تلك الدرجة بسبب البر وموقع هذه الجملة التذييل كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]، وفيه من المبالغة أنه جعل جزاء البر براً، وعرف الخبر بلام الجنس تنبيهاً على أن هذه الدرجة القصيا لا تنال إلا ببر الوالدين والتكرار للاستيعاب ا. هـ[١].

١٩ - "عبد الله بن سلام":

هو: عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف من ذرية يوسف بن يعقوب ﷺ، كان حليفاً للأنصار، وهو أحد أحبار اليهود أسلم رضي الله عنه حين قدم النبي ﷺ المدينة، وكان اسمه في الجاهلية الحصين، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله، توفي بالمدينة في خلافة معاوية سنة ثلاث وأربعين[٢].

أخبر رسول الله ﷺ أنه من أهل الجنة.

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث سعد بن أبي وقاص قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض: «إنه من أهل الجنة»، إلا لعبد الله بن سلام، قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠] [٣].

وروى أيضاً - عن قيس بن عباد، قال: كنت جالساً في مسجد المدينة، فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع، فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة، فصلى ركعتين تجوز فيهما، ثم خرج، وتبعته، فقلت: إنك حين دخلت المسجد قالوا: هذا رجل من أهل الجنة، قال:

السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالصحة. انظر فيض القدير للمناوي ٥١٩/٣، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦١٦/٢.

(١) ذكره عنه المناوي في فيض القدير ٥١٩/٣.

(٢) انظر ترجمته في الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة ٣٧٤/٢ - ٣٧٦، أسد الغابة ١٧٦/٣، البداية والنهاية ٣٠/٨، الإصابة ٣١٢/٢ - ٣١٣.

(٣) صحيح البخاري ٣١٤/٢، صحيح مسلم ١٩٣٠/٤.

والله ما ينبغي لأحد[١] أن يقول ما لا يعلم، وسأحدثك لم ذاك رأيت رؤيا على عهد النبي ﷺ فقصصتها عليه، ورأيت كأني في روضة ذكر من سعتها وخضرتها وسطها عمود من حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، في أعلاه عروة[٢]، فقيل لـه: ارقه، قلت: لا أستطيع فأتاني منصف[٣] فرفع ثيابي من خلفي فرقيت حتى كنت في أعلاها، فأخذت العروة، فقيل لـه: استمسك فاستيقظت، وإنها لفي يدي، فقصصتها على النبي ﷺ، فقال: **«تلك الروضة الإسلام، وذلك العمود عمود الإسلام، وتلك العروة عروة الوثقى، فأنت على الإسلام حتى تموت»**، وذاك الرجل عبد الله بن سلام"[٤].

وفي سنن الترمذي من حديث طويل عن معاذ بن جبل، قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول - أي في ابن سلام - **«إنه عاشر عشرة[٥] في الجنة»** [٦].

هذه الأحاديث تضمنت الشهادة بالجنة لعبد الله بن سلام وأنه من المقطوع لهم بها.

قال ابن كثير في ترجمة عبد الله بن سلام: "وهو ممن شهد لـه رسول الله ﷺ بالجنة وهو ممن يقطع لـه بدخولها"[٧].

٢٠ – "أم سليم بنت ملحان":

هي: أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، اختلف في اسمها، فقيل: سهلة، وقيل: رميلة، وقيل: رميثة، وقيل:

---

(١) هذا إنكار من عبد الله بن سلام حيث قطعوا لـه بالجنة فيحمل على أن هؤلاء بلغهم خبر سعد بن أبي وقاص بأن ابن سلام من أهل الجنة ولم يسمع هو، ويحتمل أنه كره الثناء عليه بذلك تواضعاً وإيثاراً للخمول وكراهة للشهرة. شرح النووي: ٤٢/١٦، فتح الباري ١٣١/٧.

(٢) العروة: هي مقبض الشيء، انظر لسان العرب ٤٥/١٥.

(٣) هو الخادم الصغير المدرك للخدمة. شرح النووي ٤٢/١٦، النهاية في غريب الحديث ٦٦/٥.

(٤) صحيح البخاري ٣١٤/٢ - ٣١٥، صحيح مسلم ١٩٣٠/٤ - ١٩٣١، وانظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ١٦٤/٣.

(٥) جاء في تحفة الأحوذي: ٣٠٧/١٠: "عاشر عشرة في الجنة"، أي: مثل عاشر عشرة، أو المعنى يدخل بعد تسعة نفر من الصحابة في الجنة ذكره السيد جمال الدين. قال القارئ: وفيه أنه يلزم تقدمه على بعض العشرة، فلعله العاشر من الذين أسلموا من اليهود، أو مما عدا العشرة فيدخل الجنة بعد تسعة عشر من الصحابة. اهـ.

(٦) سنن الترمذي ٣٣٦/٥، وقال عقبه: وفي الباب عن سعد هذا حديث حسن غريب.

(٧) البداية والنهاية ٣٠/٨.

مليكة، ويقال: الغميصاء أو الرميصاء كانت تحت مالك بن النضر، أبي أنس بن مالك في الجاهلية، فولدت أنساً في الجاهلية، وأسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار، فغضب مالك وخرج إلى الشام، فمات، فتزوجت بعده أبا طلحة الأنصاري[١].

أخبر النبي ﷺ أنه رآها وسمع صوت حركة مشيها في الجنة.

فقد روى البخاري بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ : **«رأيتني دخلت الجنة، فإذا أنا بالرميصاء[٢] امرأة أبي طلحة»** [٣].

وعند مسلم بلفظ: **«أريت الجنة، فرأيت امرأة أبي طلحة»** [٤].

وروى مسلم بإسناده إلى أنس بن مالك عن النبي ﷺ، قال: **«دخلت الجنة فسمعت خشفة** [٥] **فقلت: من هذا؟ قالوا: هذه الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك»** [٦].

فهذه الأحاديث تضمنت شهادة النبي ﷺ بالجنة لأم سليم رضي الله عنها، وهناك جماعة من أهل بيت النبوة غير علي بن أبي طالب رضي الله عنه وردت نصوص عن النبي ﷺ فيها دلالة واضحة في أنهم ممن يقطع لهم بدخول الجنة، منهم أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد، فقد بشرها النبي ﷺ ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب[٧]، وابنته فاطمة رضي الله عنها أخبر بأنها سيدة نساء أهل الجنة[٨]، وولداها الحسن والحسين فقد بين عليه الصلاة والسلام بأنهما سيدا شباب أهل الجنة[٩]، وحمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما، فقد أخبر عليه الصلاة والسلام

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٢٤/٨ - ٤٣٤، الجرح والتعديل ٤٦٤/٩، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٤٣٧/٤ - ٤٣٨، سير أعلام النبلاء ٣٠٤/٢ - ٣١١، الإصابة ٤٤١/٤ - ٤٤٢، تهذيب التهذيب ٤٧١/١٢.

(٢) الرمص: قذى يابس وغير يابس يكون في أطراف العينين، انظر شرح النووي: ١١/١٦، النهاية في غريب الحديث ٢٦٣/٢.

(٣) صحيح البخاري ٢٩٣/٢.

(٤) صحيح مسلم ١٩٠٨/٤.

(٥) هي: حركة المشي وصوته. انظر: شرح النووي ١١/١٦، النهاية في غريب الحديث ٣٤/٢.

(٦) صحيح مسلم ١٩٠٨/٤.

(٧) صحيح البخاري ٣١٥/٢ - ٣١٦، صحيح مسلم ١٨٨٧/٤.

(٨) انظر صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٦٢٧/٦ - ٦٢٨، المستدرك ١٥١/٣.

(٩) انظر المسند ٣/٣، سنن الترمذي ٣٢١/٥، سنن ابن ماجه ٤٤/١، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالصحة، انظر فيض القدير للمناوي ٤١٥/٣.

أنه دخل الجنة فنظر فيها، فإذا جعفر يطير مع الملائكة، وإذا حمزة متكئ على سرير[١].

فكل من تقدم ذكره شهد له الرسول ﷺ بالجنة على سبيل التنصيص عليه باسمه منفرداً، كما شهد ﷺ بالجنة لخلق كثير من الصحابة على سبيل الجمع كأهل بدر وأهل بيعة الرضوان، فأهل بدر كان عددهم رضي الله عنهم بضعة[٢] عشر وثلاثمائة[٣]، فهؤلاء أخبر عنهم ﷺ أنهم من أهل الجنة، فقد روى البخاري من حديث طويل عن علي رضي الله عنه، وفيه أنه قال: **«لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم»** [٤].

وأما أهل بيعة الرضوان فقد كان عددهم ألفاً وأربعمائة[٥] وكلهم شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة، وأنهم ممن يقطع لهم بدخولها، فقد قال ﷺ كما في حديث جابر عند مسلم رحمه الله أن النبي ﷺ قال: **«لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها»** [٦].

فقد قال أهل العلم: "معناه لا يدخلها أحد منهم قطعاً، وإنما قال: إن شاء الله للتبرك لا للشك" [٧].

فأهل السنة والجماعة يشهدون بالجنة لكل من قدمنا ذكره في هذا المبحث [٨]، بل يشهدون بالجنة لجميع الصحابة من مهاجرين وأنصار حيث إن الله تعالى وعدهم

---

(١) انظر المستدرك ٢٠٩/٣، الجامع الصغير للسيوطي، انظر فيض القدير للمناوي ٥٢١/٣، صحيح الجامع الصغير للألباني ١٤٠/٣ - ١٤١.

(٢) البضع: في العدد بالكسر، وقد يفتح ما بين الثلاث إلى التسع، وقيل: ما بين الواحد إلى العشرة، لأنه قطعة من العدد، النهاية في غريب الحديث ١٣٣/١.

(٣) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٢٩٠/٧ - ٢٩١.

(٤) صحيح البخاري ٧/٣.

(٥) ذكر البخاري ثلاثة أقوال في عددهم وأرجحها ما أوردناه هنا. انظر صحيح البخاري ٤٢/٣ - ٤٣، وشرحه فتح الباري ٤٤٠/٧.

(٦) صحيح مسلم ١٩٤٢/٤.

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم ٥٨/١٦.

(٨) انظر كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة ص/٢٦١ - ٢٦٤، عقيدة السلف وأصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٢٨/١، لمعة الاعتقاد لابن قدامة ص/٢٨، العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية مع شرحها لمحمد خليل هراس ص/١٦٩، قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر لصديق حسن خان ص/٩٨.

جميعـــاً بالحســـنى كمـــا قـــال: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد: ١٠].

* * * * *

الفصل الثالث

إثبات عدالتهم رضى الله عنهم

وفيه عدة مباحث

المبحث الأول : العدالة في اللغة والاصطلاح

المبحث الثانى : تعديل الله ورسوله للصحابة

المبحث : الثالث : الإجماع على عدالتهم رضى الله عنهم

المبحث الأول
معنى العدالة في اللغة والاصطلاح

أولاً: معنى العدالة في اللغة:

جاء في الصحاح[١] للجوهري: "العدل خلاف الجور، يقال: عدل عليه في القضية فهو عادل، وبسط الوالي عدله ومعدلته، وفلان من أهل المَعْدلة، أي: من أهل العدل، ورجل عدل، أي: رضا ومقنع في الشهادة، وهو في الأصل مصدر، وقوم عدل وعدول أيضاً: وهو جمع عدل وقد عدل الرجل بالضم عدالة.. إلى أن قال: وتعديل الشيء: تقويمه، يقال: عدلته فاعتدل، أي: قومته فاستقام".

وجاء في لسان العرب[٢]: "رجل عدل بين العدل والعدالة: وصف بالمصدر معناه ذو عدل، قال في موضعين: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢]، ويقال: رجل عدل ورجلان عدل، ورجال عدل، وامرأة عدل، ونسوة عدل، كل ذلك على معنى رجال ذوو عدل، ونسوة ذوات عدل، فهو لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، فإن رأيته مجموعاً، أو مثنى أو مؤنثاً، فعلى أنه قد أجري مجرى الوصف الذي ليس بمصدر" ا. هـ.

وجاء في المصباح المنير: "وعدلت الشاهد نسبته إلى العدالة ووصفته بها و"عُدِّل" هو بالضم، عدالة وعدولة فهو "عدل"أي: مرضي يقنع به، ويطلق "العدل" على الواحدة وغيره بلفظ واحد، وجاز أن يطابق في التثنية والجمع فيجمع على عدول، قال ابن الأنباري: وأنشدنا أبو العباس:

وتعاقد العقد الوثيق وأشهدا ::: من كل قوم مسلمين عدولاً

وربما طابق في التأنيث، وقيل: امرأة عدلة[٣].

وجاء في القاموس[٤]: "العدل ضد الجور، وما قام في النفوس أنه مستقيم كالعدالة والعدولة والمعدلة والمعدلة" ا. هـ.

---

(١) ١٧٦٠/٥ - ١٧٦١، مختار الصحاح ص ٤١٥ - ٤١٦.
(٢) ٤٣٠/١١.
(٣) المصباح المنير ٣٩٧/٢.
(٤) ١٣/٤.

فمن هذه التعاريف اللغوية تبين أن معنى العدالة في اللغة الاستقامة، وأن العدل هو الذي لم تظهر منه ريبة[١]، وهو الذي يرضى الناس عنه، ويقبلون شهادته ويقنعون بها[٢].

ثانياً: تعريف العدالة في الاصطلاح:

أما تعريف العدالة في الاصطلاح فقد تنوعت فيها عبارات العلماء من محدثين وأصوليين وفقهاء:

١ - روى الخطيب البغدادي بإسناده إلى القاضي أبي بكر محمد بن الطيب أنه قال: العدالة المطلوبة في صفة الشاهد والمخبر هي العدالة الراجعة إلى استقامة دينه، وسلامة مذهبه، وسلامته من الفسق، وما يجري مجراه مما اتفق على أنه مبطل العدالة من أفعال الجوارح والقلوب المنهي عنها[٣].

٢ - وعرفها الخطيب البغدادي بقوله: العدل هو من عرف بأداء فرائضه، ولزوم ما أمر به وتوقي ما نهى عنه، وتجنب الفواحش المسقطة، وتحري الحق والواجب في أفعاله ومعاملته، والتوقي في لفظه مما يثلم الدين والمروءة، فمن كانت هذه حاله، فهو الموصوف بأنه عدل في دينه ومعروف بالصدق في حديثه، وليس يكفيه في ذلك اجتناب كبائر الذنوب التي يسمى فاعلها فاسقاً، حتى يكون مع ذلك متوقياً لما يقول كثير من الناس أنه لا يعلم أنه كبير[٤].

٣ - وعرفها الغزالي بقوله: "والعدالة: عبارة عن استقامة السيرة والدين ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعاً حتى تحصل ثقة النفوس بصدقه، فلا ثقة بقول من لا يخاف الله تعالى خوفاً وازعاً عن الكذب، ثم لا خلاف في أنه لا يشترط العصمة من جميع المعاصي، ولا يكفي أيضاً: اجتناب الكبائر بل من الصغائر ما يرد به كسرقة بصلة، وتطفيف في حبة قصداً، وبالجملة كل ما يدل على ركاكة دينه إلى حد يستجرئ على الكذب بالأغراض الدنيوية كيف، وقد

---

(١) انظر لسان العرب ٤٣١/١١، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ٢٨٢/١١.
(٢) انظر المصباح ٣٩٧/٢.
(٣) الكفاية ص/١٠٢.
(٤) الكفاية ص/١٠٣.

شرط في العدالة التوقي عن بعض المباحات القادحة في المروءة نحو الأكل في الطريق والبول في الشارع وصحبة الأراذل وإفراط المزح، وضابط ذلك فيما جاوز محل الإجماع أن يرد إلى اجتهاد الحاكم فما دل عنده على جرأته على الكذب رد الشهادة به وما لا، فلا"[١].

٤ - وعرفها ابن الحاجب[٢] بقوله: العدالة: هي محافظة دينية تحمل على ملازمة التقوى والمروءة ليس معها بدعة، وتتحقق باجتناب الكبائر وترك الإصرار على الصغائر وبعض المباح كاللعب بالحمام والاجتماع مع الأراذل والحرف الدنية مما لا يليق به ولا ضرورة"[٣].

٥ - وعرفها الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بقوله: "المراد بالعدل من له ملكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة، والمراد بالتقوى: اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة"[٤].

٦ - وعرفها أيضاً بتعريف آخر فقال: "والعدل والرضا عند الجمهور من يكون مسلماً مكلفاً حراً غير مرتكب كبيرة ولا مصر على صغيرة. زاد الشافعي: وأن يكون ذا مروءة"[٥].

واشتراط الحرية فيه نظر.

٧ - وذكر علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي عدة تعريفات للعدالة في كتابه "الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف"[٦] حيث قال: "العدالة: هي استواء

(١) المستصفى للغزالي ١٥٧/١.

(٢) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس بن عمرو جمال الدين بن الحاجب فقيه مالكي من كبار العلماء بالعربية ولد في إسنا من صعيد مصر سنة سبعين وخمسمائة، وتوفي سنة ست وأربعين وستمائة هجرية. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٢٦٤/٢٣ - ٢٦٦، البداية والنهاية ١٦٨/١٣، الأعلام للزركلي ٣٧٤/٤، معجم المؤلفين ٢٦٥/٦.

(٣) مختصر منتهى الأصول مع شرح القاضي عضد الملة والدين ٦٣/٢.

(٤) نزهة النظر شرح نخبة الفكر ص/٢٩، وانظر شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول للقرافي ص/٣٦١.

(٥) فتح الباري ٢٥١/٥ - ٢٥٢، وانظر تيسير التحرير ٤٤/٣.

(٦) ٤٣/١٢.

أحواله في دينه واعتدال أقواله وأفعاله، وقيل: العدل من لم تظهر منه ريبة".

وذكر أبو محمد الجوزي في العدالة: "اجتناب الريبة وانتفاء التهمة". زاد في الرعاية: "وفعل ما يستحب وترك ما يكره" ا. هـ.

٨ - وقال السيوطي في تعريف العدالة: "حدها الأصحاب: بأنها ملكة أي: هيئة راسخة في النفس تمنع من اقتراف كبيرة أو صغيرة دالة على الخسة أو مباح يخل بالمروءة، وهذه أحسن عبارة في حدها وأضعفها قول من قال: اجتناب الكبائر والإصرار على الصغائر؛ لأن مجرد الاجتناب من غير أن تكون عنده ملكة وقوة تردعه عن الوقوع فيما يهواه غير كاف في صدق العدالة، ولأن التعبير بالكبائر بلفظ الجمع يوهم أن ارتكاب الكبيرة الواحدة لا يضر وليس كذلك، ولأن الإصرار على الصغائر من جملة الكبائر فذكره في الحد تكرار"(١).

هذه تعريفات أهل العلم للعدالة في الاصطلاح، وهي وإن تنوعت عباراتها إلا أنها ترجع إلى معنى واحد وهو أن العدالة ملكة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة ولا تتحقق للإنسان إلا بفعل المأمور وترك المنهي وأن يبعد عما يخل بالمروءة، وأيضاً: لا تتحقق إلا بالإسلام، والبلوغ، والعقل، والسلامة من الفسق.

والمراد بالفسق: ارتكاب كبيرة من كبائر الذنوب والإصرار على صغيرة من الصغائر؛ لأن الإصرار على فعل الصغائر يصيرها من الكبائر.

والمروءة التي يعبر عنها أهل العلم: هي الآداب النفسية التي تحمل صاحبها على الوقوف عند مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات وما يخل بالمروءة يعود إلى سببين:

الأول: ارتكاب الصغائر من الذنوب التي تدل على الخسة كسرقة شيء حقير كبصلة أو تطفيف في حبة قصداً.

الثاني: فعل بعض الأشياء المباحة التي ينتج عنها ذهاب كرامة الإنسان أو هيبته وتورث الاحتقار، وذلك مثل كثرة المزاح المذموم.

ولم تتحقق العدالة في أحد تحققها في أصحاب رسول الله ﷺ، فجميعهم رضي الله

---

(١) الأشباه والنظائر ص/٣٨٤ - ٣٨٥.

عنهم عدول تحققت فيهم صفة العدالة ومن صدر منه ما يدل على خلاف ذلك كالوقوع في معصية فسرعان ما يحصل منه التوجه إلى الله تعالى بالتوبة النصوح الماحية التي تحقق رجوعه وتغسل حوبته فرضي الله عنهم أجمعين.

* * * * *

المبحث الثاني
تعديل الله ورسوله للصحابة

لقد تضافرت الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ على تعديل الصحابة الكرام رضي الله عنهم، مما لا يبقى معها شك لمرتاب في تحقيق عدالتهم، فكل حديث لـه سند متصل بين من رواه وبين المصطفى ﷺ لم يلزم العمل به إلا بعد أن تثبت عدالة رجاله، ويجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى النبي ﷺ؛ لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن ذلك:

١ - قولـه تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ووجه الاستدلال بهذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم أن وسطاً بمعنى "عدولاً خياراً"[١]، ولأنهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن اللفظ وإن كان عاماً إلا أن المراد به الخصوص، وقيل: "إنه وارد في الصحابة دون غيرهم"[٢].

وقد بين الرازي المعنى لقولـه تعالى في الآية: ﴿وَسَطٗا ﴾ من وجوه:

أحدها: أن الوسط حقيقة في البعد عن الطريفين فكان معتدلاً فاضلاً.

الثاني: إنما سمي العدل وسطاً لأنه لا يميل إلى أحد الخصمين والعدل هو: المعتدل الذي لا يميل إلى أحد الطرفين.

الثالث: لا شك أن المراد بقولـه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، طريقة المدح لهم لأنه لا يجوز أن يذكر الله تعالى وصفاً ويجعله كالعلة في أن جعلهم شهوداً لـه، ثم يعطف على ذلك شهادة الرسول إلا وذلك مدح فثبت أن المراد بقولـه وسطاً: ما يتعلق بالمدح في باب الدين ولا يجوز أن يمدح الله الشهود حال حكمه عليهم بكونهم

(١) انظر جامع البيان ٧/٢، الجامع لأحكام القرآن ١٥٣/٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٣٥/١.
(٢) انظر الكفاية للخطيب البغدادي ص/٦٤.

شهوداً إلا بكونهم عدولاً، فوجب أن يكون المراد من الوسط العدالة.

الرابع: أن أعدل بقاع الشيء وسطه لأن حكمه مع سائر أطرافه على سواء وعلى اعتدال، والأطراف يتسارع إليها الخلل والفساد والأوساط محمية محوطة، فلما صح ذلك في الوسط صار كأنه عبارة عن المعتدل الذي لا يميل إلى جهة دون جهة"(١) ا. هـ.

فالآية ناطقة بعدالة الصحابة رضي الله عنهم قبل غيرهم ممن جاء بعدهم من هذه الأمة.

٢ - قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ووجه دلالة هذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم أنها أثبتت الخيرية المطلقة لهذه الأمة على سائر الأمم قبلها، وأول من يدخل في هذه الخيرية المخاطبون بهذه الآية مباشرة عند النزول وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وذلك يقتضي استقامتهم في كل حال وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة، ومن البعيد أن يصفهم الله - عز وجل التي بأنهم خير أمة ولا يكونوا أهل عدل واستقامة، وهل الخيرية إلا ذلك، كما أنه لا يجوز أن يخبر الله تعالى بأنه جعلهم أمة وسطاً - أي: عدولاً - وهم على غير ذلك.

والخطاب في هاتين الآيتين، وإن كان موجهاً لمن كان موجوداً مع النبي ﷺ وقت نزول الآيتين إلا أنه يشمل جميع الأمة، ويكون الصحابة هم أولى الناس بالدخول فيه لما لهم من المآثر الجليلة والأعمال الخيرية النبيلة التي جعلتهم أهلاً؛ لأن يتصفوا بتلك الصفات الواردة في الآيتين.

قال الشاطبي(٢) رحمه الله تعالى: سنة الصحابة رضي الله عنهم سنة يعمل عليها ويرجع إليها، ومن الدليل على ذلك أمور:

---

(١) تفسير الرازي ٩٧/٤.

(٢) هو: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي الشهير بالشاطبي، أبو إسحاق، محدث، فقيه، أصولي، لغوي، مفسر، مات في شعبان سنة تسعين وسبعمائة، انظر ترجمته في "فهرس الفهارس" ١٣٤/١، الأعلام للزركلي ٧١/١، معجم المؤلفين: ١١٨/١.

أحدها: ثناء الله عليهم من غير مثنوية ومدحهم بالعدالة وما يرجع إليها كقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ففي الآية الأولى: إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقضي باستقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة.

وفي الثانية: إثبات العدالة مطلقاً، وذلك يدل على ما دلت عليه الأولى. ولا يقال إن هذا عام في الأمة، فلا يختص بالصحابة دون من بعدهم لأنا نقول:

أولاً: ليس كذلك بناء على أنهم المخاطبون على الخصوص ولا يدخل معهم من بعدهم إلا بقياس وبدليل آخر.

ثانياً: على تسليم التعميم أنهم أول داخل في شمول الخطاب، فإنهم أول من تلقى ذلك من الرسول عليه الصلاة والسلام وهم المباشرون للوحي.

ثالثاً: أنهم أولى بالدخول من غيرهم، إذ الأوصاف التي وصفوا بها لم يتصف بها على الكمال إلا هم فمطابقة الوصف للاتصاف شاهد على أنهم أحق من غيرهم بالمدح، وأيضاً: فإن من بعد الصحابة من أهل السنة عدلوا الصحابة على الإطلاق والعموم فأخذوا عنهم رواية ودراية من غير استثناء ولا محاشاة، بخلاف غيرهم فلم يعتبروا منهم إلا من صحت إمامته وثبتت عدالته، وذلك مصدق لكونهم أحق بذلك المدح من غيرهم، فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط، أي: عدول بإطلاق، وإذا كان كذلك فقولهم معتبر وعملهم مقتدى به(١).

٣ - قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٤].

ففي هذه الآية وصف الله تعالى عموم المهاجرين والأنصار بالإيمان الحق ومن شهد الله له بهذه الشهادة فقد بلغ أعلى مرتبة العدالة.

٤ - قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ

---

(١) الموافقات ٤/٤٠ - ٤١.

رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ووجه دلالة هذه الآية على عدالتهم رضي الله عنهم أن الله تعالى أخبر فيها برضاه عنهم ولا يثبت الله رضاه إلا لمن كان أهلاً للرضا، ولا توجد الأهلية لذلك إلا لمن كان من أهل الاستقامة في أموره كلها عدلاً في دينه.

ومن أثنى الله تعالى عليه بهذا الثناء كيف لا يكون عدلاً ؟ وإذا كان التعديل يثبت بقول اثنين من الناس، فكيف لا تثبت عدالة صفوة الخلق وخيارهم بهذا الثناء الصادر من رب العالمين؟.

٥ - قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح: ١٨].

وهذه الآية فيها دلالة واضحة على تعديل الصحابة الذين كانوا مع النبي ﷺ يوم الحديبية، وقد تقدم ذكر عدتهم وأنهم كانوا ألفاً وأربعمائة، ووجه دلالة الآية على تعديلهم رضي الله عنهم أن - الباري جل وعلا - أخبر برضاه عنهم، وشهد لهم بالإيمان وزكاهم بما استقر في قلوبهم من الصدق والوفاء والسمع والطاعة، ولا تصدر تلك التزكية العظيمة من - الرب جل وعلا - إلا لمن بلغ الذروة في تحقيق الاستقامة على وفق ما أمر الله به والصحابة رضي الله عنهم كانوا في مقدمة من استقاموا في جميع الأحوال.

فالآية فيها بيان أن طاعة الله والرسول وجدت من أهل بيعة الرضوان أما طاعة الله فالإشارة إليها بقوله: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح: ١٨] وأما طاعة الرسول ﷺ فبقوله: ﴿ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨]، بقي الموعود به، وهو إدخال الجنة أشار إليه بقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح: ١٨]، لأن الرضا يكون معه إدخال الجنة، كما قال - عز وجل: ﴿ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

٦ - قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح: ٢٩].

فهذا الوصف الذي وصفهم الله به في كتبه، وهذا الثناء الذي أثنى به عليهم لا يتطرق إلى النفس معه شك في عدالتهم؟.

قال القرطبي رحمه الله تعالى عند تفسيره لهذه الآية: "فالصحابة كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، هذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة، وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم، ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الأمر، فقال: إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك، ثم تغيرت بهم الأحوال، فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء، فلا بد من البحث، وهذا مردود، فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم ممن أثنى الله عليهم وزكاهم ورضي عنهم وأرضاهم ووعدهم الجنة بقوله تعالى: ﴿مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ [الفتح: ٢٩]، وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم إذ كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد[١].

٧ - قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [الواقعة: ١٠ - ١٢].

فالصحابة رضي الله عنهم هم السابقون من أمة محمد ﷺ إلى كل خير، وإلى تحصيل كل قربة فيها رضا الرب جل وعلا، ولا يصدر ذلك إلا ممن تحقق بوصف العدالة.

قال أبو محمد بن حزم بعد أن ذكر أفضلية جماعات الصحابة حسب سبقهم إلى الإسلام وحسب المشاهد، قال: "فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم إلى تمام بيعة الرضوان، فإنا نقطع على غيب قلوبهم، وأنهم كلهم مؤمنون صالحون، ماتوا على الإيمان والهدى والبر كلهم من أهل الجنة لا يلج أحد منهم النار البتة لقول الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [الواقعة:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٩/١٦.

١٠ - ١٢] وقولـه تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفتح: ١٨] الآية - إلى أن قال: - فمن أخبر الله عنهم بذلك فلا يحل لأحد أن يتوقف في أمرهم ولا الشك فيهم البتة(١).

٨ - قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٨ - ٩].

فالصادقون هم المهاجرون، والمفلحون هم الأنصار، بهذا فسر أبو بكر الصديق هاتين الكلمتين من الآيتين حيث قال في خطبته يوم السقيفة مخاطباً الأنصار: "إن الله سمانا "الصادقين" وسماكم "المفلحين"، وقد أمركم أن تكونوا حيثما كنا، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١١٩] (٢).

فهذه الصفات الحميدة في هاتين الآيتين كلها حققها المهاجرون والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ، واتصفوا بها، ولذلك ختم الله صفات المهاجرين بالحكم بأنهم صادقون وختم صفات الذين آزروهم ونصروهم، وآثروهم على أنفسهم بالحكم لهم بأنهم مفلحون، وهذه الصفات العالية لا يمكن أن يحققها قوم ليسوا بعدول.

فهذه الآيات التي أسلفناها من الآيات البينة الدالة على عدالة الصحابة رضي الله عنهم، فعدالتهم ثابتة بنص القرآن.

وأما دلالة السنة على تعديلهم رضي الله عنهم:

فقد وصفهم النبي ﷺ في أحاديث يطول تعدادها، وأطنب في تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم بتعديليهم ومن تلك الأحاديث:

١ - ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي بكرة أن النبي ﷺ قال: **«.. ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب»** الحديث(٣).

---

(١) ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة ص/٢٦٥ - ٢٦٦.

(٢) العواصم من القواصم ص/٤٤ – ٤٥.

(٣) صحيح البخاري ٣١/١، صحيح مسلم ١٣٠٦/٣.

وجه دلالة الحديث على عدالتهم رضي الله عنهم أن هذا القول صدر من النبي ﷺ في أعظم جمع من الصحابة في حجة الوداع، وهذا من أعظم الأدلة على ثبوت عدالتهم حيث طلب منهم أن يبلغوا ما سمعوه منه من لم يحضر ذلك الجمع دون أن يستثني منهم أحداً.

قال ابن حبان رحمه الله تعالى: "وفي قوله ﷺ : **«ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب»** أعظم دليل على أن الصحابة كلهم عدول ليس فيهم مجروح ولا ضعيف إذ لو كان فيهم أحد غير عدل لاستثنى في قوله ﷺ وقال: **«ألا ليبلغ فلان منكم الغائب»**، فلما أجملهم في الذكر بالأمر بالتبليغ من بعدهم دل ذلك على أنهم كلهم عدول، وكفى بمن عدله رسول الله ﷺ شرفاً"[(١)] ا. هـ.

٢ - روى الشيخان في صحيحيهما من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **«خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»** قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً.. الحديث[(٢)].

٣ - روى البخاري بإسناده إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»** [(٣)].

٤ - وروى بإسناده إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا، فخرج علينا فقال: **«ما زلتم ههنا»** قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: **«أحسنتم أو أصبتم»** قال: فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيراً ما يرفع رأسه، فقال: **«النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»** [(٤)].

---

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩١/١.
(٢) صحيح البخاري ٢٨٧/٢ - ٢٨٨، صحيح مسلم ١٩٦٤/٤.
(٣) صحيح البخاري ٢٨٨/٢، وانظر صحيح مسلم ١٩٦٣/٤.
(٤) صحيح مسلم ١٩٦١/٤.

هذه الأحاديث الثلاثة فيها دلالة واضحة على أن الصحابة عدول على الإطلاق حيث شهد لهم النبي ﷺ بالخيرية المطلقة، كما أخبر بأنهم أمان للأمة من ظهور البدع والحوادث في الدين، ولا يخبر ﷺ بهذا إلا لمن كانوا عدولاً مستقيمين على الصراط المستقيم.

٥ - روى البخاري بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»** [١].

وجه الاستدلال بهذا الحديث على عدالة الصحابة رضي الله عنهم "أن الوصف لهم بغير العدالة سب لا سيما، وقد نهى ﷺ بعض من أدركه، وصحبه عن التعرض لمن تقدمه لشهود المواقف الفاضلة، فيكون من بعدهم بالنسبة لجميعهم من باب أولى[٢].

فالصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم وثنائه عليهم، وثناء رسول الله ﷺ عليهم، فليسوا بحاجة إلى تعديل أحد من الخلق.

قال الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية[٣]: "باب ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة، وأنه لا يحتاج إلى سؤال عنهم، وإنما يجب فيمن دونهم - ثم قال -: كل حديث اتصل إسناده بين من رواه وبين النبي ﷺ، لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله ﷺ؛ لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم في نص القرآن".

ثم ساق جملة من الآيات الدالة على ذلك، وقد سبق لنا قريباً ذكر بعضها وكذلك جملة من الأحاديث إلى أن قال: "والأخبار في هذا المعنى تتسع، وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من

---

(١) صحيح البخاري ٢٩٢/٢.
(٢) فتح المغيث شرح ألفية الحديث ١١٠/٣ - ١١١.
(٣) ص/٦٣ - ٦٧.

الخلق لـه".

ثم قال: "على أنه لو لم يرد من الله - عز وجل - ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون بعدهم أبد الآبدين". فلقد صدق رحمه الله تعالى لو لم تكن عدالتهم منصوصاً عليها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لجزم أهل العقول الصحيحة والقلوب السليمة بعدالتهم استناداً إلى ما تواترت به الأخبار عنهم من الأعمال الجليلة والخيرات الوفيرة التي قدموها لنصرة الدين الحنيف، فقد بذلوا ما أمكنهم بذله في سبيل نصرة الحق ورفع رايته وإرساء قواعده ونشر أحكامه في جميع الأقطار رضي الله عنهم أجمعين، والعدالة المرادة هنا ليس المقصود بها عدم الوقوع في الذنوب والخطايا، فإن هذا لا يكون إلا لمعصوم.

قال ابن الأنباري: وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم، وإنما المراد قبول رواياتهم من غير تكلف البحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية إلا أن ثبت ارتكاب قادح، ولم يثبت ذلك ولله الحمد، فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله ﷺ حتى يثبت خلافه، ولا التفات إلى ما يذكره أهل السير، فإنه لا يصح وما صح، فله تأويل صحيح"[١].

* * * * *

(١) فتح المغيث شرح ألفية الحديث ١١٥/٣.

المبحث الثالث
الإجماع على عدالتهم رضي الله عنهم

أجمع أهل السنة والجماعة على أن الصحابة جميعهم عدول بلا استثناء من لابس الفتن وغيرها، ولا يفرقون بينهم الكل عدول إحساناً للظن بهم، ونظراً لما أكرمهم الله به من شرف الصحبة لنبيه عليه الصلاة والسلام، ولما لهم من المآثر الجليلة من مناصرتهم للرسول ﷺ والهجرة إليه والجهاد بين يديه، والمحافظة على أمور الدين والقيام بحدوده، فشهاداتهم ورواياتهم مقبولة دون تكلف بحث عن أسباب عدالتهم بإجماع من يعتد بقوله.

وقد نقل الإجماع على عدالتهم جم غفير من أهل العلم، ومن تلك النقول:

١ - قال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى بعد أن ذكر الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ التي دلت على عدالة الصحابة وأنهم كلهم عدول، قال: "هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء"[١].

٢ - قال أبو عمر بن عبد البر: "ونحن وإن كان الصحابة رضي الله عنهم قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول فواجب الوقوف على أسمائهم"[٢].

٣ - حكى الإجماع على عدالتهم إمام الحرمين وعلل حصول الإجماع على عدالتهم بقوله: "ولعل السبب فيه أنهم نقلة الشريعة، فلو ثبت توقف في رواياتهم لانحصرت الشريعة على عصر الرسول ﷺ ولما استرسلت على سائر الأعصار"[٣].

٤ - وقال الغزالي: "والذي عليه سلف الأمة وجماهير الخلق أن عدالتهم معلومة بتعديل الله - عز وجل - إياهم وثنائه عليهم في كتابه، فهو معتقدنا فيهم، إلا أن يثبت بطريق قاطع ارتكاب واحد لفسق مع علمه به، وذلك مما لا يثبت فلا حاجة لهم إلى التعديل - ثم ذكر بعض ما دل على عدالتهم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ثم قال: "فأي تعديل أصح من تعديل علام الغيوب - سبحانه - وتعديل رسوله ﷺ كيف، ولو لم يرد

---

(١) الكفاية ص/٦٧.
(٢) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٨/١.
(٣) فتح المغيث شرح ألفية الحديث ١١٢/٣، وذكره السيوطي في تدريب الراوي ٢١٤/٢.

الثناء لكان فيما اشتهر وتواتر من حالهم في الهجرة والجهاد وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأهل في موالاة رسول الله ﷺ ونصرته كفاية في القطع بعدالتهم"[١].

٥ - ذكر ابن الصلاح أن الإجماع على عدالة الصحابة خصيصة فريدة تميزوا بها عن غيرهم، فقد قال: "للصحابة بأسرهم خصيصة، وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه، لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة".

وقال أيضاً: "إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ومن لابس الفتن منهم، فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع إحساناً للظن بهم ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله - سبحانه وتعالى - أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة والله أعلم"[٢].

٦ - قال الإمام النووي رحمه الله تعالى بعد أن ذكر أن الحروب التي وقعت بينهم كانت عن اجتهاد وأن جميعهم معذورون رضي الله عنهم فيما حصل بينهم قال: "ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضي الله عنهم"[٣].

وقال في التقريب: "الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به"[٤].

٧ - وقال الحافظ ابن كثير: "والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله ﷺ رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل"[٥].

٨ - وقال العراقي في شرح ألفيته بعد ذكره لبعض الآيات القرآنية والأحاديث

---

(١) المستصفى ١٦٤/١.
(٢) مقدمة ابن الصلاح ص/١٤٦ - ١٤٧.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤٩/١٥.
(٤) تقريب النواوي مع شرحه تدريب الراوي ٢١٤/٢.
(٥) الباعث الحثيث ص/١٨١ - ١٨٢.

النبوية الدالة على عدالة الصحابة: "إن جميع الأمة مجمعة على تعديل من لم يلابس الفتن منهم، وأما من لابس الفتن منهم وذلك من حين مقتل عثمان فأجمع من يعتد به أيضاً: في الإجماع على تعديلهم إحساناً للظن بهم وحملاً لهم في ذلك على الاجتهاد"[١].

٩ - قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى مبيناً أن أهل السنة مجمعون على عدالة الصحابة فقال: "اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة"[٢].

١٠ - وقال السخاوي: "وهم رضي الله عنهم باتفاق أهل السنة عدول كلهم مطلقاً كبيرهم وصغيرهم لابس الفتنة أم لا وجوباً لحسن الظن، ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر من امتثال أوامره بعده ﷺ وفتحهم الأقاليم وتبليغهم عنه الكتاب والسنة وهدايتهم الناس ومواظبتهم على الصلاة والزكاة وأنواع القربات مع الشجاعة والبراعة والكرم والإيثار والأخلاق الحميدة التي لم تكن في أمة من الأمم المتقدمة"[٣].

وقال الألوسي رحمه الله تعالى: "اعلم أن أهل السنة - إلا من شذ - أجمعوا على أن جميع الصحابة عدول يجب على الأمة تعظيمهم، فقد أخلصوا الأعمال من الرياء نفلاً وفرضاً واجتهدوا في طاعة مولاهم ليرضى، وغضوا أبصارهم عن الشهوات غضاً، فإذا أبصرتهم رأيت قلوباً صحيحة وأجساداً مرضى، وعيوناً قد ألفت السهر، فما تكاد تطعم غمضاً بادروا أعمارهم لعلمهم أنها ساعات تنقضي ولله در من قال فيهم شعراً:

لله در أنـاس أخلصـوا عمـلاً ::: علـى اليقـين ودانـوا بالـذي أمـروا
أولاهـم – نعمـاً فـازداد شـكرهم ::: ثـم ابـتلاهم فأرضـوه بمـا صـبروا
وفـوا لـه ثـم وافـوه بمـا عملـوا ::: سـيوفيهم يومـاً إذا نشـروا[٤]

فهذه النقول المباركة للإجماع من هؤلاء الأئمة كلها فيها بيان واضح ودليل قاطع على أن ثبوت عدالة الصحابة عموماً أمر مفروغ منه ومسلم فلا يبقى لأحد شك ولا ارتياب بعد تعديل الله ورسوله وإجماع الأمة على ذلك

---

(١) شرح ألفية الحديث المسماة بالتبصرة والتذكرة ١٣/٣ - ١٤.
(٢) الإصابة ١٧/١.
(٣) فتح المغيث شرح ألفية الحديث ١٠٨/٣.
(٤) الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهورية ص/١٠.

وهناك مذاهب ذهب أصحابها إلى القول بخلاف هذا الإجماع وأصحابها ممن لا يعتد بقولهم ولا عبرة بخلافهم وهي لا تستحق أن تذكر وإنما تذكر لبيان بطلانها ومجانبتها للحق والصواب، وتلك المذاهب هي:

١ – مذهب الشيعة الرافضة:

الشيعة الرافضة يعتقدون أن الصحابة الكرام رضي الله عنهم ليسوا بعدول، بل يعتقدون ضلال كل من لم يعتقد أن النبي ﷺ نص على أن الخليفة من بعده بلا فصل هو علي رضي الله عنه، ويعتقدون أن جميع الناس هلكوا وارتدوا بعد أن قبض النبي ﷺ إلا نفراً يسيراً منهم يعدون بالأصابع، وسبب تكفيرهم لهم أنهم يزعمون أنهم بايعوا بالخلافة غير علي رضي الله عنه، ولم يعملوا بالنص عليه ومعتقدهم هذا طافحة به كتبهم.

فقد روى محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد في كتابه الاختصاص عن الحارث بن المغيرة، قال: سمعت عبد الملك بن أعين يسأل أبا عبد الله عليه السلام، فلم يزل يسأله حتى قال: فهلك الناس إذاً، فقال: أي والله يا بن أعين هلك الناس أجمعون، قلت أهل الشرق والغرب؟ قال: إنها فتحت على الضلال، أي والله هلكوا إلا ثلاثة نفر سلمان الفارسي وأبا ذر والمقداد ولحقهم عمار وأبو ساسان الأنصاري[١]، وحذيفة وأبو عمرة[٢] فصاروا سبعة.

وفي رواية بعدها أنه قال: ارتد الناس بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة نفر: المقداد بن الأسود وأبا ذر الغفاري وسلمان الفارسي، ثم إن الناس عرفوا ولحقوا بعد[٣].

ولا شك أن من اعتقد كفر الصحابة وارتدادهم أنه كافر؛ لأنه لم يبق له أي علاقة في الدين؛ لأن الكتاب والسنة إنما تلقاهما من جاء بعد الصحابة من الصحابة، فمن اعتقد هذا المعتقد في خيار الخلق بعد النبيين والمرسلين ماذا بقي له من الدين؟ وبناء على ذلك المعتقد الفاسد الذي يعتقده الشيعة الرافضة في الصحابة رضي الله عنهم، يكون من

---

(١) هو الصحابي الجليل بشير بن عمر الأنصاري النجاري. انظر ترجمته في الاستيعاب ١/١٥٧، الإصابة ٤/١٤١.

(٢) هو حصين بن المنذر بن الحارث الرقاشي، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٢/٣٩٥.

(٣) الروايتان في كتاب "الاختصاص" للمفيد ص/٦، وانظر كتاب "الروضة" من الكافي للكليني، حديث رقم ٣٥٦.

البعيد جداً أن يقولوا بعدالة الصحابة بعد أن وصفوهم بالضلال والارتداد عن الإسلام، وهذا المذهب يحكم ببطلانه وضلال أهله كل من ألقى السمع لما ذكر الله في كتابه وذكره رسوله ﷺ، وما قام عليه إجماع أهل الحق ممن يعتد بقوله من بيان مكانة الصحابة الكرام، رضي الله عنهم وكل ما قدمنا في المبحث الثاني من هذا الفصل من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كلها تقضي بفساد هذا المذهب، وخبث قائليه، وسوء ما تنطوي عليه سرائرهم في أصحاب رسول الله ﷺ، والناظر بعين البصيرة في شبههم التي يبنون عليها معتقدهم، هذا يجد أنها من زخرف القول تارة يقولونها من عند أنفسهم، وتارة ينسبونها إلى أهل البيت وهم رضي الله عنهم بريئون من هذا المعتقد ويتبرؤون من كل من استطال بلسانه على الصحابة بالسباب والشتائم، فقد كان موقف أهل بيت النبوة من الصحابة الكرام هو أنهم كانوا في مقدمة العاملين بقوله جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠] [١]. وكانوا ينكرون على من يزعم التشيع لهم ولا يعمل بما دلت عليه هذه الآية، ويدعون عليهم، ويطردونهم من مجالسهم، ويتوعدونهم بالخروج من الإسلام.

فقد ذكر القرطبي: أن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم روى عن أبيه، أن نفراً من أهل العراق جاؤوا إليه فسبوا أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - ثم عثمان رضي الله عنه، فأكثروا، فقال لهم: أمن المهاجرين الأولين أنتم؟ قالوا: لا. فقال: أفمن الذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم؟ فقالوا: لا فقال: قد تبرأتم من هذين الفريقين، أنا أشهد انكم لستم من الذين قال الله - عز وجل -: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠] قوموا فعل الله بكم وفعل.

وذكر أيضاً: عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه عن جده علي بن الحسين رضي الله عنه أنه جاءه رجل، فقال له: يا بن بنت رسول الله ما تقول في عثمان، فقال له: يا أخي أنت من قوم قال الله فيهم: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ [الحشر: ٨] الآية، قال: لا، قال: فوالله

(١) سورة الحشر آية/١٠.

لئن لم تكن من أهل الآية، فأنت من قوم قال الله فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ ﴾ [الحشر: ٩] الآية، قال: لا، قال: فوالله لئن لم تكن من أهل الآية الثالثة، لتخرجن من الإسلام وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر: ١٠] [(١)].

فمذهب الشيعة الرافضة في أصحاب رسول الله ﷺ مذهب باطل بنص كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وإجماع الأمة حيث دلت هذه الأدلة كلها على عدالة جميع الصحابة صغيرهم وكبيرهم ذكراناً وإناثاً.

٢ – مذهب المعتزلة:

أما مذهب المعتزلة فقد اضطربت آراؤهم في عدالة الصحابة إلى ثلاثة أقوال، وإليك هذه الأقوال الثلاثة مع اقتران كل قول ببيان بطلانه:

القول الأول:

ذهب جمهورهم إلى أن الصحابة كلهم عدول إلا من قاتل علياً، فالجمهور منهم صوبوا علياً في حروبه وخطؤوا من قاتله، فنسبوا طلحة والزبير وعائشة ومعاوية إلى الخطأ[(٢)]، وانتفاء العدالة عنهم، وأسوق الرد على هذا القول ببعض ما قرره أهل العلم من أهل السنة والجماعة فيما يجب على المسلم اعتقاده حيال ما جرى بين الصحابة من الشجار:

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكذلك نؤمن بالإمساك عما شجر بينهم، ونعلم أن بعض المنقول في ذلك كذب، وهم كانوا مجتهدين إما مصيبون لهم أجران، أو يثابون على عملهم الصالح مغفور لهم خطؤهم، وما كان لهم من السيئات - وقد سبق لهم من الله الحسنى - فإن الله يغفرها لهم، إما بتوبة أو بحسنات ماحية، أو مصائب مكفرة أو غير ذلك، فإنهم خير قرون هذه الأمة، وهذه خير أمة أخرجت للناس، ونعلم مع ذلك أن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه كان أفضل وأقرب إلى الحق من معاوية، وممن قاتله معه لما ثبت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه قال: «**تمرق مارقة على**

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣١/١٨ – ٣٢.

(٢) مقالات الإسلاميين ١٤٥/٢، الفرق بين الفرق ص/١٢٠ - ١٢١.

حين فرقة من المسلمين تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق» [١]، وفي هذا الحديث دليل على أنه مع كل طائفة حق، وأن علياً رضي الله عنه أقرب إلى الحق" ا. هـ[٢].

وقال الحافظ ابن كثير مبيناً فساد معتقد المعتزلة في عدالة الصحابة: "وقول المعتزلة الصحابة عدول إلا من قاتل علياً قول باطل مرذول ومردود، وقد ثبت في صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال عن ابن بنته الحسن بن علي، وكان معه على المنبر: **«إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»** [٣] وظهر مصداق ذلك في نزول الحسن لمعاوية عن الأمر بعد موت أبيه علي واجتمعت الكلمة على معاوية، وسمي "عام الجماعة"، وذلك سنة أربعين من الهجرة، فسمي الجميع "مسلمين" وقال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩]، فسماهم مؤمنين مع الاقتتال"[٤].

وممن بين بطلان هذا القول الشوكاني رحمه الله تعالى، فإنه قال في صدد عرضه للأقوال في عدالة الصحابة: "القول الرابع: أنهم كلهم عدول إلا من قاتل علياً، وبه قال جماعة من المعتزلة والشيعة، ويجاب عنه بأن تمسكهم بما تمسكوا به من الشبه يدل على أنهم لم يقدموا على ذلك جراءة على الله، وتهاوناً بدينه، وجناب الصحبة أمر عظيم، فمن انتهك أعراض بعضهم، فقد وقع في هوة لا ينجو منها سالماً، وقد كان في أهل الشام صحابة صالحون عرضت لهم شبه، لولا عروضها لم يدخلوا في تلك الحروب، ولا غمسوا فيها أيديهم، وقد عدلوا تعديلاً عاماً بالكتاب والسنة فوجب علينا البقاء على عموم التعديل والتأويل لما يقتضي خلافه"[٥].

فهذا القول الذي قاله جمهور المعتزلة من نفي العدالة عمن قاتل علياً من الصحابة قول باطل؛ لأن الحروب التي جرت بينهم، كانت لكل طائفة منهم شبهة، اعتقدت تصويب نفسها بسببها، فكلهم عدول، رضي الله عنهم ولم يخرج بشيء من تلك الحروب

---

(١) انظر الحديث في صحيح مسلم ٧٤٥/٢.
(٢) مجموع الفتاوى ٤٠٦/٣ - ٤٠٧.
(٣) صحيح البخاري ١١٤/٢.
(٤) الباعث الحثيث ص/١٨٢.
(٥) إرشاد الفحول ص/٧٠.

أحد من العدالة، لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد، كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم رضي الله عنهم"[١].

القول الثاني: قول واصل بن عطاء:

فقد ذهب إلى أن أحد الفريقين المتخاصمين من الصحابة في موقعتي الجمل وصفين كان مخطئاً لا بعينه كالمتلاعنين، فإن أحدهما فاسق لا محالة، "وأقل درجات الفريقين أنه غير مقبول الشهادة كما لا تقبل شهادة المتلاعنين"[٢].

وبناء على معتقده هذا، فإنه لم يحكم بشهادة رجلين أحدهما من أصحاب علي والآخر من أصحاب الجمل، فقد قال: "لو شهدت عندي عائشة وعلي وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم"[٣].

وقال بقبول شهادة رجلين من أصحاب علي، وشهادة رجلين من أصحاب طلحة والزبير[٤]، إذ قد يكون أحد الفريقين عدلاً وعلي صواب وهذا الرأي، قال به وتبناه ضرار بن عمرو وأبو الهذيل، ومعمر بن عياد السلمي حيث قالوا جميعاً: "نحن نتولى كل واحد من الفريقين على انفراد"[٥].

وهذا القول كما هو واضح أصحابه قد شكوا في عدالة علي وطلحة والزبير، وهو قول ظاهر البطلان وهو أحقر من أن يرد عليه؛ لأن عدالة علي وطلحة والزبير وغيرهم من الصحابة ثابتة بتعديل الله ورسوله إياهم، وبإجماع من قوله معتبر من أهل السنة والجماعة وكفى بعلي وطلحة والزبير شرفاً ورفعة أنهم من أصحاب الجنة بشهادة النبي ﷺ لهم بذلك، وإضافة إلى تلك المنزلة الرفيعة دخولهم في أهل بيعة الرضوان الذين عدلهم الله وزكاهم من فوق سبع سموات بقوله جل وعلا: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨] فأي تعديل، وأي شرف أعظم لمن كان من جملة هؤلاء، فمن تجرأ على تجريح

---

(١) انظر الرد على الرافضة لأبي محمد المقدسي ص/٣١٦ - ٣١٧.

(٢) انظر: الملل والنحل للشهرستاني ٤٩/١.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي ٣٢٩/٤، وانظر الفرق بين الفرق ص/١٢٠، الملل والنحل للشهرستاني ٤٩/١.

(٤) انظر الفرق بين الفرق ص/١٢٠، ص/٣٢٠.

(٥) مقالات الإسلاميين ١٤٥/٢.

هؤلاء فهو الجدير بالجرح، وهو الأولى به، ومن قال بكفرهم فهو الكافر وهو من الذين ضلوا عن سواء السبيل.

القول الثالث: قول عمرو بن عبيد:

أما عمرو بن عبيد، فإنه تقدم خطوة أخرى على من تقدم ذكره من المعتزلة، فإنه يعتقد أن الطرفين المتحاربين في موقعتي الجمل وصفين قد فسقوا جميعاً، وقال: "لا أقبل شهادة الجماعة منهم سواء كانوا من أحد الفريقين أو كان بعضهم من حزب علي وبعضهم من حزب الجمل"(١).

وبلغ به الإزراء بهم والتنقص منهم إلى أن قال: "لو شهد عندي علي وطلحة والزبير وعثمان على شراك نعل ما أجزت شهادتهم"(٢).

وهذه الكلمة الخبيثة التي خرجت منه تنبئ عما يكنه لهم من الكراهية وما عود عليه لسانه من سبهم وشتمهم، وهذه الكلمة لا يجرؤ أن ينطق بها من كان قلبه فى مثقال ذرة من إيمان.

وقد ذكر الشوكاني رحمه الله تعالى مذهب عمرو بن عبيد وتولى الرد عليه حيث قال: "القول الثالث: إنهم كلهم عدول قبل الفتن لا بعدها فلا يجب البحث عنهم، وأما بعدها فلا يقبل الداخلون فيها مطلقاً - أي من الطرفين - لأن الفاسق من الفريقين غير معين وبه قال عمرو بن عبيد من المعتزلة، ثم قال رحمه الله مبيناً بطلان هذا القول -: "وهذا القول في غاية الضعف لاستلزامه إهدار غالب السنة، فإن المعتزلين لتلك الحروب هم طائفة يسيرة بالنسبة إلى الداخلين فيها، وفيه أيضاً: أن الباغي غير معين من الفريقين، وهو معين بالدليل الصحيح، وأيضاً التمسك بما تمسكت به كل طائفة يخرجها من إطلاق اسم البغي عليها على تسليم أن الباغي من الفريقين غير معين" ا. هـ(٣).

ويرد عليه أيضاً: أن الواجب على كل مسلم "أن يحمل كل ما جرى بينهم من الفتن على أحسن حال وإن كان ذلك إنما لما أدى إليه اجتهاد كل فريق من اعتقاده أن الواجب ما صار إليه، وأنه أوفق للدين وأصلح للمسلمين وعلى هذا "فإما أن يكون كل مجتهد

---

(١) انظر الفرق بين الفرق ص/١٢١، التبصير في الدين ص٦٩، الملل والنحل للشهرستاني ٤٩/١.

(٢) ميزان الاعتدال ٢٧٥/٣.

(٣) إرشاد الفحول ص/٧٠.

مصيباً، أو أن المصيب واحد والآخر مخطيء في اجتهاده، وعلى كلا التقديرين، فالشهادة والرواية من الفريقين لا تكون مردودة"[١].

فقول عمرو بن عبيد في عدالة الصحابة قول ظاهر البطلان ومردود عليه.

المذهب الثالث:

أن حكمهم في العدالة حكم من بعدهم في لزوم البحث عن عدالتهم عند الرواية[٢]، وقد عزا هذا القول السخاوي والشوكاني إلى أبي الحسين بن القطان[٣] من علماء الشافعية.

وشبهته أنه قال: "فوحشي قتل حمزة وله صحبة. والوليد شرب الخمر فمن ظهر عليه خلاف العدالة لم يقع عليه اسم الصحبة والوليد ليس بصحابي؛ لأن الصحابة إنما هم الذين كانوا على طريقته"[٤].

وهذا الشبهة حكم عليها السخاوي بأنها ساقطة إذ الكل أصحابه باتفاق، وقتل وحشي لحمزة كان قبل إسلامه ثم أسلم، وليس ذلك مما يقدح به، فالإسلام يجبّ ما قبله وأما قوله: والوليد ليس بصحابي... إلخ كلامه - فلم يقل قائل من أهل العلم إن ارتكاب المعصية يخرج من كان صحابياً عن صحبته، وقد كف النبي ﷺ من لعن بعضهم بقوله: "لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله" [٥]، كما كف عمر عن حاطب رضي الله عنه - لما قال له النبي ﷺ : **«إنه شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»** [٦] لا سيما وهم مخلصون في التوبة فيما لعله صدر منهم، والحدود كفارات، بل قيل في الوليد بخصوصه: إن بعض أهل الكوفة

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي: ٢٧٤/١.

(٢) المصدر السابق ٢٧٤/١، شرح مختصر المنتهى ٦٧/٢.

(٣) هو أحمد بن محمد بن القطان البغدادي من كبار الشافعية له مصنفات في أصول الفقه وفروعه، توفي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٣٦٥/٤، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢١٤/٢ - ٢١٥.

(٤) انظر فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي ١١٢/٣، وإرشاد الفحول للشوكاني ص/٦٩.

(٥) صحيح البخاري ١٧٢/٣، من حديث عمر رضي الله عنه.

(٦) صحيح البخاري ٧/٣، صحيح مسلم ١٩٤٢/٤، من حديث علي رضي الله عنه.

تعصبوا عليه فشهدوا عليه بغير الحق وبالجملة فترك الخوض في هذا ونحوه متعين"[١].

فقول أبي الحسين القطان قول لا يعتد به، إذ هو في هذه المسألة أحد الأقوال التي جانبت الصواب.

المذهب الرابع: أن العدالة لا تثبت إلا لمن لازم النبي ﷺ من أصحابه دون من رآه، أو زاره، أو وفد عليه لمدة قليلة وهذا قول المازري من علماء المالكية، فقد حكى عنه الحافظ ابن حجر أنه قال: "في شرح البرهان لسنا نعني بقولنا الصحابة عدول كل من رآه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يوماً ما أو زاره لماماً أو اجتمع به لغرض، وانصرف عن كثب، وإنما نعني به الذين لازموه وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون"[٢].

ويرد على كلام المازري بأنه لم يوافق عليه بل اعترضه جماعة من الفضلاء - كما قال الحافظ ابن حجر - وذكر أن الشيخ صلاح الدين العلائي، قال: "هو غريب يخرج كثيراً من المشهورين بالصحبة والرواية عن الحكم بالعدالة كوائل بن حجر ومالك بن الحويرث وعثمان بن أبي العاص، وغيرهم ممن وفد عليه ﷺ، ولم يقم عنده إلا قليلاً، وانصرف، وكذلك من لم يعرف إلا برواية الحديث الواحد، ولم يعرف مقدار إقامته من أعراب القبائل والقول بالتعميم هو الذي صرح به الجمهور، وهو المعتبر والله - سبحانه وتعالى - أعلم" ا. هـ[٣].

فقول المازري هذا غير معتبر، وهو قول ضعيف كما هو واضح "لاستلزامه إخراج جماعة من خيار الصحابة الذين أقاموا مع النبي ﷺ قليلاً، ثم انصرفوا[٤] منهم من ذكر في قول صلاح الدين العلائي.

فهذه هي المذاهب التي خالف فيها أصحابها إجماع أهل السنة والجماعة في مسألة عدالة الصحابة وهي كما رأينا مبنية على شبه واهية لا تزيدها إلا ضعفاً، فالواجب على المسلم أن يعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة من أن عموم الصحابة

---

(١) فتح المغيب شرح ألفية الحديث ١١٢/٣ - ١١٣.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ١٩/١.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ١٩/١ - ٢٠، فتح المغيث شرح ألفية الحديث ١١٣/٣ - ١١٤.

(٤) انظر إرشاد الفحول للشوكاني ص/٧٠.

عدول ويحرم على كل إنسان ثلبهم بما يشينهم، ولا عبرة بخلاف من خالف في ذلك من الطوائف المخذولة أهل البدع والأهواء مثل الرافضة والمعتزلة والزنادقة وغيرهم ولا من سلك طريقهم في العصر الحديث من الكفرة المستشرقين الذين يزعمون أنهم يعتنون بالدراسات الإسلامية والبحث فيها هم، ومن قلدهم من أبناء المسلمين الواقعين في حرمات الله باسم حرية البحث العلمي، ويقولون إن كل إنسان له أن يقول ما شاء، حتى ولو كان في ذلك اعتداء على حرمات المؤمنين وتكذيب القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين تحت ستار حرية الرأي والبحث، وهذا الاتجاه مرفوض عند علماء المسلمين، حيث إن للعلم قواعد وأصولاً وضوابط شرعية يلتزم بها المؤمن، حتى يكون بحثه واجتهاده في نطاقها، أما حرية البحث التي فتن بها أهل الأهواء ممن ينتسبون إلى الإسلام، وقلدوا فيها الأعداء، وطبقوها حسب ما تلقوها، فليست من سنن المؤمنين ولا سبيل المسلمين، ولذلك كانت بحوثهم مناقضة للقواعد الشرعية والأحكام الإسلامية، فالذين يجرحون الصحابة، ويطعنون في عدالتهم إنما غرضهم من وراء ذلك هو التشكيك في الإسلام، وهدم قواعده التي قام عليها، وهذا ما فطن له أبو زرعة الرازي في القرن الثالث الهجري، فقد روى الخطيب البغدادي بإسناده إلى أبي زرعة الرازي أنه قال: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة"[١].

فقد صدق رحمه الله، فلا يتجرأ على تجريح الصحابة إلا مجروح فتح لنفسه باباً يلج منه إلى الزندقة، فمن يرد السلامة لدينه، فعليه أن يعتقد ما اعتقده أهل السنة والجماعة في عدالة الصحابة، وهو أنهم كلهم عدول من لابس الفتن ومن لم يلابسها، وهذا هو المذهب الحق الذي يجب المصير إليه، وما أحسن ما قاله الإمام الذهبي رحمه الله تعالى في هذه المسألة حيث قال: "فأما الصحابة رضي الله عنهم، فبساطهم مطوي، وإن جرى ما جرى إذ على عدالتهم وقبول ما نقلوه العمل وبه ندين الله تعالى[٢].

---

(١) الكفاية ص٦٧.

(٢) الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب، الرد ص٤٦.

الفصل الرابع

تحريم سبهم بنص الكتاب العزيز والسنة

وأقوال السلف وحكم من يسبهم

وفيه عدة مباحث

المبحث الأول : دلالة السنة مع تحريم سب الصحابة

المبحث الثالث : من كلام السلف في تحريم سب الصحابة

المبحث الرابع : حكم ساب الصحابة وعقوبته

المبحث الأول
تحريم سبهم بنص الكتاب العزيز

إن سب أصحاب رسول الله ﷺ محرم بنص الكتاب العزيز وهو ما تعتقده وتدين به الفرقة الناجية من هذه الأمة، وقد جاءت الإشارة إلى تحريم سبهم في غير ما آية من كتاب الله - جل وعلا - من ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] الآية.

ووجه دلالة الآية على تحريم سبهم أن الله تعالى رضي عنهم رضى مطلقاً، فرضي عن السابقين من غير اشتراط إحسان ولم يرض عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان والرضا من الله صفة قديمة، فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضا، ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبداً، وقد بين تعالى في آخر هذه الآية أن هؤلاء الذين رضي الله عنهم هم من أهل الثواب في الآخرة يموتون على الإيمان الذي به يستحقون ذلك حيث، قال: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ولذا لما كان هؤلاء الأخيار بهذه المنزلة العظيمة والمكانة الرفيعة أمر الله من جاء بعدهم أن يستغفروا لهم ويدعوا الله ألا يجعل في قلوبهم غلاً لهم، ومن هنا علم إن الاستغفار وطهارة القلب من الغل لهم أمر يحبه الله ويرضاه، ويثني على فاعله كما أنه قد أمر بذلك رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

وقال تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ومحبة الشيء كراهته لضده، فيكون الله يكره السب لهم، الذي هو ضد الاستغفار، والبغض لهم الذي هو ضد الطهارة، وهذا معنى قول عائشة رضي الله عنها: أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم[1].

---

(١) انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول ص٥٧٢ - ٥٧٥، وحديث عائشة في صحيح مسلم ٢٣١٧/٤.

٢ - قولــه تعــالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

هذه الآية تضمنت التهديد والوعيد بالطرد والإبعاد من رحمة الله والعذاب المهين لمن آذاه - جل وعلا - بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك(١) وإيذاء رسوله "يشمل كل أذية قولية أو فعلية من سب وشتم أو تنقص له أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى"(٢) ومما يؤذيه ﷺ سب أصحابه، وقد أخبر ﷺ أن إيذاءهم إيذاء له، ومن آذاه فقد آذى الله(٣)، وأي أذية للصحابة أبلغ من سبهم، فالآية فيها إشارة قوية ظاهرة إلى أنه يحرم سبهم رضي الله عنهم.

٣ - قولــه تعــالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وهذه الآية فيها التحذير من إيذاء المؤمنين والمؤمنات بما ينسب إليهم مما هم منه براء لم يعملوه، ولم يفعلوه، والبهت الكبير أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم(٤).

ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم أنهم في صدارة المؤمنين، فإنهم المواجهون بالخطاب في كل آية مفتتحة بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [البقرة: ١٠٤]، ومثل قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [الكهف: ١٠٧]، في جميع القرآن فالآية دلت على تحريم سب الصحابة؛ لأن لفظ المؤمنين أول ما ينطلق عليهم؛ لأن الصدارة في المؤمنين لهم رضي الله عنهم، وسبهم والنيل منهم من أعظم الأذى، وأن من نال منهم بذلك فقد آذى خيار المؤمنين بما لم يكتسبوا، وأن من اتخذ شتمهم والنيل منهم ديناً له، فإن الوعيد المذكور في الآية يصيبه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى عند هذه الآية: "ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/٥١٤.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٦/١٢١.
(٣) انظر المسند للإمام أحمد ٤/٨٧.
(٤) تفسير القرآن العظيم ٥/٥١٤ - ٥١٥.

برأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم، فإن الله - عز وجل - قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم ويتنقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبداً، فهم في الحقيقة منكسو القلوب يذمون الممدوحين، ويمدحون المذمومين"[(١)] ا. هـ.

وكما هو معلوم "أن سب آحاد المؤمنين موجب للتعزير بحسب حالته، وعلو مرتبته، فتعزير من سب الصحابة أبلغ، وتعزير من سب العلماء وأهل الدين أعظم من غيرهم"[(٢)].

٤ - قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح: ٢٩].

ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم أنه لا يسبهم شخص إلا لما وجد في قلبه من الغيظ عليهم، وقد بين تعالى في هذه الآية إنما يغاظ بهم الكفار، فدلت على تحريم سبهم، والتعرض لهم بما وقع بينهم على وجه العيب لهم.

قال أبو عبد الله القرطبي: روى أبو عروة الزبيري من ولد الزبير: كنا عند مالك بن أنس، فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ، فقرأ مالك هذه الآية: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [الفتح: ٢٩] حتى بلغ: ﴿ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ ﴾ [الفتح: ٢٩]، فقال مالك: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقد أصابته هذه الآية - ثم قال -: "لقد أحسن مالك في مقالته، وأصاب في تأويله، فمن نقص واحداً منهم أو طعن عليه في روايته، فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين، ثم ذكر طائفة من الآيات التي تضمنت الثناء عليهم والشهادة لهم بالصدق والفلاح، ثم قال عقبها: "وهذا كله مع علمه تبارك وتعالى بحالهم ومآل أمرهم"[(٣)]. ا. هـ

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/٥١٥.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٦/١٢١.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٩٦، وانظر قول مالك في شرح السنة للبغوي ١/٢٢٩.

فهذه الآية اشتملت على تحريم سب الصحابة؛ لأن سبهم، إنما يصدر ممن امتلأ قلبه غيظاً عليهم، لا محل فيه للإيمان[١] نعوذ بالله من الخذلان.

٥ - قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وهذه الآية الكريمة تضمنت النهي لجميع العباد عن أن يقول بعضهم في بعض بظهر الغيب ما يكره المقول فيه، ذلك أن يقال له في وجهه والغيبة قد فسرها الشارع، كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قيل: يا رسول الله، ما الغيبة؟، قال ﷺ : **«ذكرك أخاك بما يكره»**، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟، قال ﷺ : **«إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»** [٢].

وبتفسير الشارع للغيبة في هذا الحديث يتبين وجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة وذلك أن سبهم وازدراءهم والتنقص من مكانتهم الرفيعة التي أنزلهم الله فيها، إنما هو من البهت لهم بما ليس فيهم، فكل من عابهم وطعن فيهم أو في أحد منهم كل ذلك من البهتان المبين، ومن الوقوع في أعراضهم الذي يعد من أربى الربا عند الله - جل وعلا -، فقد روى ابن أبي حاتم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: **«أي الربا أربى عند الله؟»**، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **«أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم»**، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨] [٣].

فإذا كان الكلام في عرض أي مسلم كان من أربى الربا عند الله عز وجل، فما الشأن بالاستطالة والسب على أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم في مقدمة عباد الله المتقين وعباده الصالحين، ولا يشك مسلم في أن النيل منهم بالقول السيئ من سب وغيره أنه انتهاك لحرمة أمر الله عز وجل باحترام الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١) انظر ما قاله مالك فيمن يسب الصحابة، في تفسير ابن كثير ٣٦٥/٥.
(٢) سنن أبي داود ٥٦٧/٢، سنن الترمذي ٢٢٠/٣ - ٢٢١، وقال: حسن صحيح.
(٣) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٥١٥/٥، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦٥٨/٦.

٦ - قولـه تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة: ١].

ووجـه دلالـة الآيـة علـى تحـريم سـب الصـحابة يتضـح بمـا قالـه السـلف فـي تفسـير هذه الآية، فقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه بعد أن سئل عن قولـه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة: ١]، قال: طعان، ﴿لُّمَزَةٍ﴾، قال: مغتاب[١].

وقال مجاهد: ﴿هُمَزَةٍ﴾ الطعان في الناس، "واللمزة" الذي يأكل لحوم الناس[٢].

وقال قتـادة: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة: ١] قـال: يأكل لحـوم النـاس ويطعـن عليهم"[٣].

وقـال أبـو العاليـة: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمـزة: ١] قـال: تهمـزه فـي وجهـه وتلمزه من خلفه[٤].

فهذه التفاسير لهذه الآية عن هؤلاء الأئمة من السلف تدل على تحريم اغتيـاب عمـوم المـؤمنين، وهـي تنطبـق علـى مـن أطلقـوا ألسـنتهم بـالوقوع فـي الصـحابة مـن الرافضـة وغيـرهم، فهـم الهمـازون لهـم بـالقول، بحيـث يـزدرونهم وينتقصـونهم بالسـب والشـتم، وينسبون إليهم ما لم يقولوه وما لم يفعلوه، ولا شك أن العذاب الذي توعد الله بـه فـي هذه الآية، سيصيب كل من اتخذ الطعن فيهم ديدنه، إن لم يتب، ويقلع عن ذلك، ويجعل لسانه رطباً بذكرهم بالجميل والترضي عنهم، والترحم عليهم والاستغفار لهم كما جاء الأمر به لكل من جاء بعدهم من أهل الإيمان، والحاصل مما تقدم ذكره أن تحـريم سـب الصـحابة جاءت الإشارة إليه في القرآن الكريم، وأن الواجب على كل مسلم أن يعتقد أن الله تعـالى حـرم سبهم وازدراءهم وعيبهم بمـا جرى بينهم، وأن يحـذر طريقـة الـروافض الـذين لـم يراعـوا لـهم حرمـة، ولـم يقـدروهم حـق قـدرهم، وأن مـن سـلك طـريقهم ألقـى نفسـه فـي المهالك التي لا نجاة منها إلا بالرجوع إلى طريقة أهل الحق من أهل السنة والجماعة، والتوبة مما أسلفه من جناية في حق الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

* * * * *

---

(١) الدر المنثور ٦٢٤/٨.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الدر المنثور ٦٢٤/٨.
(٤) المصدر السابق.

المبحث الثاني
دلالة السنة على تحريم سب الصحابة

لقد دلت السنة النبوية المطهرة على تحريم سب الصحابة والتعرض لهم بما فيه نقص وحذر النبي ﷺ من الوقوع في ذلك، لأن الله - تعالى - اختارهم لصحبة نبيه ونشر دينه وإعلاء كلمته، وبلغوا الذروة في محبة النبي ﷺ، فكانوا وزراء وأنصاراً يذبون عنه، وسعوا جاهدين منافحين لتمكين الدين في أرض الله حتى بلغ الأقطار المختلفة، ووصل إلى الأجيال المتتابعة كاملاً غير منقوص، ولمقامهم الشريف ولما لهم من القيام التام بأنواع العبادات، وصنوف الطاعات والقربات جاءت النصوص النبوية القطعية بتحريم سبهم وتجريحهم، أو الطعن فيهم والحط من قدرهم ومن تلك النصوص:

١ - ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: **«لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»** [١].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد أيضاً بلفظ: قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد فقال رسول الله ﷺ : **«لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»** [٢].

٢ - وعند الإمام أحمد من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد، وعبد الرحمن بن عوف كلام، فقال خالد لعبد الرحمن بن عوف: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها - فبلغ النبي ﷺ ذلك -، فقال: **«دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيدي لو أنفقتم مثل أحد ذهباً أو مثل الجبال ذهباً لما بلغتم أعمالهم»** [٣].

هذان الحديثان اشتملا على النهي والتحذير من سب الصحابة رضي الله عنهم، وفيهما التصريح بتحريم سبهم، وقد عد بعض أهل العلم سبهم "من المعاصي الكبائر"[٤].

---

(١) صحيح البخاري ٢/٢٩٢.

(٢) صحيح مسلم ٤/١٩٦٧، ١٩٦٨.

(٣) المسند ٣/٢٦٦، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالصحة. انظر فيض القدير: ٣/٥٣١، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٤/٥٥٦.

(٤) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/٩٣.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: "واعلم أن سب الصحابة رضي الله عنهم حرام من فواحش المحرمات، سواء من لابس الفتن منهم وغيره؛ لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون"(١).

والنهي في هذين الحديثين المتقدمين كان موجهاً من النبي ﷺ لمن كانت لـه صحبة متأخرة، أن يسب من كانت لـه صحبة متقدمة "لامتيازهم عنهم من الصحبة بما لا يمكن أن يشركوهم فيه حتى لو أنفق حدهم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه، فإذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبية، وإن كان قبل فتح مكة، فكيف حال من ليس من الصحابة بحال مع الصحابة رضي الله عنهم"(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: فإن قيل: فلم نهى خالداً عن أن يسب أصحابه إذا كان من أصحابه أيضاً؟، وقال: **«لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**. قلنا: لأن عبد الرحمن بن عوف ونظراءه هم من السابقين الأولين الذين صحبوه في وقت كان خالد وأمثاله يعادونه فيه، وأنفقوا أموالهم قبل الفتح، وقاتلوا وهم أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا، وكلاً وعد الله الحسنى، فقد انفردوا من الصحبة بما لم يشركهم فيه خالد، ونظراؤه ممن أسلم بعد الفتح الذي هو صلح الحديبية وقاتل، فنهي أن يسب أولئك الذين صحبوه قبله، ومن لم يصحبه قط نسبته إلى من صحبه كنسبة خالد إلى السابقين وأبعد.

وقولـه: **«لا تسبوا أصحابي»** خطاب لكل أحد ألاَّ يسب من انفرد عنه بصحبته عليه الصلاة والسلام، وهذا كقولـه عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: **«أيها الناس إني أتيتكم فقلت: إني رسول الله إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو: بكر صدقت، فهل أنتم تاركو لي صاحبي. فهل أنتم تاركو لي صاحبي»** (٣)، أو كما قال بأبي هو وأمي ﷺ قال ذلك لما عاير بعض الصحابة أبا بكر، وذلك الرجل من فضلاء أصحابه ولكن امتاز أبو بكر عنه بصحبته وانفرد بها عنه" ا. هـ(٤).

---

(١) انظر: شرح النووى على صحيح مسلم ٩٣/١٦.

(٢) شرح الطحاوية ص/٥٢٩ - ٥٣٠.

(٣) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٣٠٣/٨، من حديث أبي الدرداء.

(٤) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص/٥٧٦ - ٥٧٧.

فالنهي عن سبهم عام لكل من وجد على ظهر الأرض أيا كان عن أن يسب أي واحد من الصحابة.

قال المناوي بعد قوله ﷺ في الحديث: **«دعوا لي أصحابي»**: "الإضافة للتشريف تؤذن باحترامهم وزجر سابهم... **«لو أنفقتم مثل أحد ذهباً ما بلغتم أعمالهم»** أي: ما بلغتم من إنفاقكم بعض أعمالهم لما قارنها من مزيد إخلاص وصدق نية وكمال يقين، وقوله: **«أصحابي»** مفرد مضاف فيعم كل صاحب له لكنه عموم مراد به الخصوص... يدل على أن الخطاب لخالد وأمثاله ممن تأخر إسلامه، وأن المراد هنا متقدمو الإسلام منهم الذي كانت له الآثار الجميلة والمناقب الجليلة في نصرة الدين من الإنفاق في سبيل الله واحتمال الأذى في سبيل الله ومجاهدة أعدائه، ويصح أن يكون من بعد الصحابة مخاطباً بذلك حكماً إما بالقياس أو بالتبعية"[(١)].

٤ - روى الحافظ الطبراني بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ : **«لا تسبوا أصحابي، لعن الله من سب أصحابي»** [(٢)].

٥ - وروى أيضاً بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»** [(٣)].

٦ - وروى أيضاً بإسناده إلى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«لعن الله من سب أصحابي»** [(٤)].

هذه الأحاديث الثلاثة مشتملة على لعن من سب الصحابة، ودلت على أن سبهم من الكبائر، وقد جمع الإمام الذهبي الذنوب التي هي كبائر وعد سب الصحابة منها[(٥)]، فعلى

---

(١) فيض القدير ٥٣١/٣.

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١/١٠، وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير علي بن سهل وهو ثقة.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ورمز له "بالحسن"، انظر فيض القدير ١٤٦/٦، وأورده الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢٩٩/٥، وقال: حسن، وأشار إلى أنه أورده في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٣٤٠.

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ورمز له "بالصحة" انظر فيض القدير: ٢٧٤/٥، وأورده الألباني في كتابه "صحيح الجامع الصغير" ٢٣/٥، وقال: حسن.

(٥) انظر كتاب الكبائر للذهبي ص٢٣٣ - ٢٣٧.

المسلم أن يحذر من سبهم أو يتعرض لهم بما يشينهم رضي الله عنهم، وسبهم معناه: شتمهم معنى قوله ﷺ : **«فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»** الطرد والإبعاد عن مواطن الأبرار، ومنازل الأخيار، والسب والدعاء من الخلق وتحريم سبهم يشمل من لابس الفتن ومن لم يلابسها؛ لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون فسبهم كبيرة ونبسبتهم إلى الضلال أو الكفر كفر"[١].

٧ - روى الإمام أحمد وغيره من حديث سعيد بن زيد عن النبي ﷺ، قال: **«إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق»** [٢].

فكل من أطلق لسانه بالسب لهم فهو مستطيل عليهم بغير حق، وهو أفاك أثيم إذ لفظ المسلم في الحديث أول ما ينطلق عليهم إذ هم مقدمة المسلمين الذين انقادوا لله تعالى بالطاعة وأخلصوا العبادة له وحده لا شريك له: "وأدنى أحوال الساب لهم أن يكون مغتاباً"[٣].

٨ - روى الشيخان: من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: **«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»** [٤].

فإذا كان هذا الوعيد يلحق من سب كل أي مسلم كان، فما الشأن بمن يسب خيار المسلمين والأبرار من عباده المتقين وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

قال النووي رحمه الله تعالى: السب في اللغة الشتم والتكلم في عرض الإنسان بما يعيبه والفسق في اللغة الخروج والمراد به في الشرع الخروج عن الطاعة، وأما معنى الحديث فسب المسلم بغير حق حرام بإجماع الأمة وفاعله فاسق كما أخبر به النبي ﷺ [٥]، وعلى هذا فالرافضة والخوارج، ومن سلك طريقهم من أهل البدع الذين يشتمون الصحابة ويتكلمون فيهم بما يعيبهم بغير حق، فهم أكثر من يدخل في وصف الفسق كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

---

(١) فيض القدير للمناوي ١٤٦/٦ - ١٤٧.
(٢) المسند ١٩٠/١، سنن أبي داود ٥٦٧/٢، صحيح الجامع الصغير ٢٤٢/٢.
(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص/٥٧١.
(٤) صحيح البخاري ١٨/١، صحيح مسلم ٨١/١.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ٥٣/٢ - ٥٤.

قال المناوي مبيناً معنى قوله ﷺ : «**سباب المسلم فسوق**» أي: مسقط للعدالة والمرتبة، وفيه تعظيم حق المسلم والحكم على من سبه بالفسق وأن الإيمان ينقص ويزيد؛ لأن الساب إذا فسق نقص إيمانه وخرج عن الطاعة فضره ذنبه لا كما زعم المرجئة، أنه لا يضر مع التوحيد ذنب(١).

فكل من سب الصحابة رضي الله عنهم أو واحداً منهم أسقط نفسه من العدالة وفسق بذلك، وأدى إلى نقصان إيمانه بخروجه عن الطاعة.

٩ - روى أبو القاسم الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «**ساب الموتى كالمشرف على الهلك**» (٢).

"أراد: الموتى المؤمنين وإيذاء المؤمن الميت أغلظ من الحي؛ لأن الحي يمكن استحلاله، والميت لا يمكن استحلاله فلذا توعد عليه بالوقوع في الهلاك"(٣).

١٠ - وروى أبو القاسم الطبراني أيضاً: عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «**ساب المؤمن كالمشرف على الهلكة**» (٤).

ومعنى الحديث: أي يكاد أن يقع في الهلاك الأخروى، وأراد في ذلك المؤمن المعصوم والقصد به التحذير من السب(٥)

وهذا الحديث والذي قبله تضمنا العقوبة الشديدة التي تلحق ساب أي ميت من المسلمين وأي مؤمن كان فما الشأن بمن سب أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم خيار موتى المؤمنين وأفضل المؤمنين بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فكل من سبهم يعد من أهلك الهالكين وأخسر الخاسرين بنص هذين الحديثين، فلا يجوز سب أحد من أصحاب رسول الله ﷺ بأي وجه، وقد كان ﷺ ينهى عن أي كلام يصدر من بعض

---

(١) فيض القدير ٨٤/٤.

(٢) أورده السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالصحة، انظر فيض القدير ٧٩/٤.

(٣) فيض القدير ٧٩/٤.

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالصحة، انظر فيض القدير للمناوي ٧٩/٤، وأورده الألباني في صحيح الجامع الصغير ١٩٦/٣، وعزاه للبزار وقال: حسن كما أورده في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٨٧٨.

(٥) فيض القدير للمناوي ٧٩/٤.

الصحابة لآخرين منهم يتضمن الأذى وكان يحذر من ذلك أشد تحذير.

١١ - فقد روى أبو القاسم الطبراني من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: شكا عبد الرحمن بن عوف خالداً إلى رسول الله ﷺ، فقال: **«يا خالد، لا تؤذ رجلاً من أهل بدر فلو أنفقت مثل أحد ذهباً لم تدرك عمله»**، فقال: يقعون في فأرد عليهم، فقال: **«لا تؤذوا خالداً فإنه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار»** [1].

فإذا كان النبي ﷺ لم يقبل أي كلام يتضمن الأذى من بعض الصحابة لآخرين منهم، فما الشأن بحال من ليس من الصحابة، ويطلق لسانه عليهم بالسب القبيح الذي يستحيى المؤمن من حكايته عنهم، لا شك أن من كان هذا شأنه، فإنه أنزل نفسه أقبح المنازل وتجرأ على خيار المؤمنين، وعصى سيد المرسلين في أمره بوجوب الإمساك عن الكلام في شأنهم إذا ذكروا.

١٢ - فقد روى الحافظ الطبراني من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا»** [2].

فمعنى قوله ﷺ : **«إذا ذكر أصحابي»** بما شجر بينهم من الحروب والمنازعات **«فأمسكوا»** وجوباً عن الطعن فيهم والخوض في ذكرهم بما لا يليق، فإنهم خير الأمة وخير القرون، ولما جرى بينهم محامل[3]، فالذي يشغل نفسه بما حصل بينهم من الوقائع ويتخذ ذلك ذريعة لسبهم والطعن فيهم، فقد عصى أبا القاسم ﷺ في أمره بالإمساك عن الكلام فيهم إذا ذكر ما شجر بينهم وعصاه أيضاً: في أمره بالإحسان إليهم وأمره بحفظه فيهم.

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٤٩/٩، وقال عقبه: رواه الطبراني في الصغير والكبير باختصار والبزار بنحوه، ورجال الطبراني ثقات وأخرج الحاكم منه ما يخص خالداً في المستدرك ٢٩٨/٣، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٥٠/١٢.

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٢/٧، وقال: رواه الطبراني، وفيه مسهر بن عبد الملك، وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح، ورواه أبو نعيم في الحلية ١٠٨/٤، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالحسن، انظر: فيض القدير للمناوي ٣٤٧/١ - ٣٤٨، وأورده الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢٠٩/١، وقال عقبه: صحيح وأورده في الصحيحة ٤٢/١.

(٣) فيض القدير للمناوي ٣٤٧/١.

١٣ - فقد روى الإمام أحمد بإسناده إلى إلى جابر بن سمرة، قال: خطب عمر الناس بالجابية، فقال: إن رسول الله ﷺ قام في مثل مقامي هذا فقال: **«أحسنوا إلى أصحابي ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»** (١).

فقد أمر النبي ﷺ في هذا الحديث بالإحسان إلى جميع الصحابة والإحسان يكون بالقول كما يكون بالفعل، فيجب على جميع الناس بعدهم أن يحسنوا إليهم بكف ألسنتهم "عن غمطهم أو الوقيعة فيهم بلوم أو تعنيف لبذلهم نفوسهم واطّراحها بين يدي الله تعالى في الحروب وقتالهم القريب والبعيد في ذات الله، وبذلهم أموالهم وخروجهم من ديارهم وصبرهم على البلاء، والجهد الذي لا يطيقه غيرهم، وليس ذلك إلا عن أمر عظيم ملك البواطن وصرفها على حكم محبة الله ومحبة رسول الله ﷺ، فاستوجبوا بذلك الرعاية وكمال العناية"(٢). فالذي يسبهم ويطعن فيهم لم يحسن إليهم ولم يمتثل أمر الرسول ﷺ بذلك، وإنما أتى بعكس ما أمر به الرسول ﷺ وهو أنه فعل ضد ما أمر به وهو الإساءة إليهم بالقول السيئ نعوذ بالله من ذلك.

والأحاديث التي اشتملت على تحريم سب الصحابة والنهي عنه كثيرة، فالواجب على كل مسلم أن يحذر من الوقوع في ذلك، ويعتقد حرمة ذلك وأنه من أعظم الذنوب التي لا يقع فيها إلا رافضي غال جعل للشيطان على نفسه سبيلاً، يتبعه في كل شيء يأمره به مما فيه معصية لله - عز وجل.

والحاصل مما تقدم أن السنة دلت على أن سب الصحابة من أكبر الكبائر، وأفجر الفجور، وأن من ابتلي بذلك فهو من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وقد وفق الله الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة لاحترامهم ومعرفة حقهم وذكرهم بالجميل اللائق بهم، وحفظوا رسول الله ﷺ فيهم حيث اعتقدوا ما دل عليه الكتاب والسنة من حرمة سبهم، فهم العاملون بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ فيما يجب لهم من الحق على الخلق بعدهم حفظ الله أحياءهم ورحم موتاهم...

* * * * *

---

(١) المسند ٢٦/١، قال أحمد شاكر في تعليقه على المسند ٢٣٠/١: إسناده صحيح. وأورده الشيخ محمد ناصر الدين= =الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٤٣١.

(٢) فيض القدير للمناوي ١٩٧/١.

المبحث الثالث
من كلام السلف في تحريم سب الصحابة

إن النصوص الواردة عن سلف الأمة وأئمتها من الصحابة ومن جاء بعدهم من التابعين لهم بإحسان التي تقضي بتحريم سب الصحابة والدفاع عنهم كثيرة جداً ومتنوعة في ذم وعقوبة من أطلق لسانه على أولئك البررة الأخيار وأقوال السلف التي كانوا يواجهون بها الذين ابتلوا بالنيل من أصحاب رسول الله ﷺ، كانت في غاية الإنكار على من وقع في ذلك وبيان الخسارة الكبيرة التي يكسبها من أراد الله فتنته بالوقوع والنيل من خير القرون.

١ - فقد روى ابن أبي حاتم بإسناده إلى يوسف بن سعد عن محمد بن حاطب، قال: ونزل في داري حيث ظهر علي رضي الله عنه على أهل البصرة، فقال لي يوماً: لقد شهدت أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه وعنده عمار وصعصعة[١]، والأشتر ومحمد بن أبي بكر رضي الله عنهم، فذكروا عثمان رضي الله عنه فنالوا منه، فكان علي رضي الله عنه على السرير ومعه عود في يده، فقال قائل منهم: إن عندكم من يفصل بينكم فسألوه، فقال علي رضي الله عنه: كان عثمان رضي الله عنه من الذين قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٦]، قال: والله عثمان وأصحاب عثمان رضي الله عنهم، قالها ثلاثاً: قال يوسف: فقلت لمحمد بن حاطب: آلله لسمعت هذا من علي رضي الله عنه ؟ قال: آلله لسمعت هذا من علي رضي الله عنه"[٢].

٢ - وكان رضي الله عنه يعاقب بالجلد الموجع على الكلام الذي فيه إيماء أو إشارة إلى النيل من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقد ذكر ابن الأثير أن رجلين وقفا على باب الدار[٣]، الذي نزلت فيه أم المؤمنين بالبصرة، فقال أحدهما: جزيت عنا أمناً عقوقاً.

---

(١) هو صعصعة بن صوحان العبدي نزيل الكوفة تابعي كبير مخضرم فصيح ثقة مات في خلافة معاوية، انظر ترجمته في التقريب ٣٣٧/١، تهذيب التهذيب ٤٢٢/٤.

(٢) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢٨٣/٦.

(٣) هي دار عبد الله بن خلف وهي أعظم دار بالبصرة، نزلت بها عائشة رضي الله عنها بعد انتهاء وقعة الجمل.

وقال الآخر: يا أمي توبي، فقد أخطأت - فبلغ ذلك علياً - فبعث القعقاع بن عمرو إلى الباب، فأقبل بمن كان عليه، فأحالوا على رجلين من أزد الكوفة، وهما عجلان، وسعد ابنا عبد الله فضربها مائة سوط وأخرجهما من ثيابهما"(١).

٣ - روى أبو داود بإسناده إلى رباح بن الحارث قال: كنت قاعداً عند فلان(٢) في مسجد الكوفة، وعنده أهل الكوفة، فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، فرحب به وحياه وأقعده عند رجله على السرير، فجاء رجل من أهل الكوفة يقال له: قيس بن علقمة، فاستقبله فسب وسب، فقال سعيد: من يسب هذا الرجل؟ قال: يسب علياً، فقال: ألا أرى أصحاب رسول الله ﷺ يسبون عندك، ثم لا تنكر ولا تغير؟، أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: وإني لغني أن أقول عنه ما لم يقل فيسألني عنه غداً إذا لقيته - «**أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**»، وسكت عن العاشر، قالوا: من هو العاشر؟ فقال: سعيد بن زيد - يعني نفسه - ثم قال: والله لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يغبر فيه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عمَّر عمر نوح"(٣).

زاد رزين(٤): ثم قال: "لا جرم لما انقطعت أعمارهم، أراد الله ألا يقطع الأجر عنهم إلى يوم القيامة، والشقي من أبغضهم، والسعيد من أحبهم"(٥).

٤ - وذكر ابن الأثير عن رزين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قيل لعائشة: إن ناساً يتناولون أصحاب النبي ﷺ حتى أبا بكر وعمر، فقالت: وما تعجبون من هذا؟ انقطع عنهم العمل فأحب الله ألا ينقطع عنهم الأجر"(٦).

---

(١) الكامل في التاريخ ٢٥٧/٣.

(٢) هو المغيرة بن شعبة كما في عون المعبود ٤٠٢/١٢.

(٣) سنن أبي داود ٥١٦/٢.

(٤) هو رزين بن معاوية بن عمار العبدري، السرقسطي الأندلسي أبو الحسن إمام الحرمين نسبته إلى سرقسطة من بلاد الأندلس جاور بمكة زمناً طويلاً، وتوفي بها، له تصانيف منها التجريد للصحاح الستة، انظر ترجمته في الرسالة المستطرفة ص/١٣٠ - ١٣١، شذرات الذهب ١٠٦/٤، الأعلام ٤٦/٣.

(٥) جامع الأصول ٤١١/٩.

(٦) جامع الأصول ٤٠٨/٩ - ٤٠٩، مسند عائشة للسيوطي ص/١٦٤، وعزاه لابن عساكر وذكره شارح

٥ - روى ابن بطة بإسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنه قال: لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فلمقام أحدهم ساعة - يعني مع النبي ﷺ - خير من عمل أحدكم أربعين سنة(١).

وفي رواية وكيع: "خير من عبادة أحدكم عمره"(٢).

٦ - وروى أبو نعيم بإسناده أن يزيد بن هزاري أنه لقي سعيد بن جبير بأصبهان، فقال له: إن رأيت أن تفيدني مما عندك؟ فحبس دابته، وقال: قال لي ابن عباس: احفظ عني ثلاثاً: إياك والنظر في النجوم، فإنه يدعو إلى الكهانة، وإياك والنظر في القدر، فإنه يدعو إلى الزندقة، وإياك وشتم أصحاب رسول الله ﷺ، فيكبك الله في النار على وجهك يوم القيامة"(٣).

٧ - وروى محمد بن عبد الواحد المقدسي إلى عريب(٤) بن حميد قال: قام رجل فنال من عائشة رضي الله عنها، فقام عمار رضي الله عنه يتخطى الناس فقال: اجلس مقبوحاً(٥) منبوحاً(٦) أنت تقع في حبيبة رسول الله ﷺ؟ فوالله إنها لزوجته في الدنيا والآخرة"(٧).

٨ - وروى أبو يعلى والطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت لأبي عبد الله الجدلي: "يا أبا عبد الله أيسب رسول الله ﷺ فيكم، قلت: أنى يسب رسول الله ﷺ؟ قالت:

الطحاوية ص/٥٣٠، وعزاه إلى مسلم وتعقبه الألباني بقوله: "هذا حديث غريب عندي وعزوه لمسلم أغرب، فإني لم أقف عليه فيه بعد الاستعانة عليه بكل الوسائل الممكنة، ثم تيقنت عدم وجوده فيه بعد أن فرغت منذ بضع سنين من اختصار صحيح مسلم. والأمر كما قال الشيخ الألباني وهو عدم وجوده في صحيح مسلم، فإني بحثت عنه قبل= =أن أطلع على كلام الشيخ الألباني هذا.

(١) ذكره شارح الطحاوية ص/٥٣٠، وانظر الشرح والإبانة لابن بطة ص/١١٩، فإنه أخرج الجزء الأول من قول ابن عباس هذا.

(٢) ذكره أيضاً شارح الطحاوية ص/٥٣١.

(٣) أخبار أصبهان ٣٢٤/١.

(٤) هو: عريب بن حميد أبو عمار الدهني كوفي ثقة من الثالثة. التقريب ٢٠/٣، التهذيب ١٩١/٧.

(٥) أي: مبعداً، النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٤.

(٦) أي: مشتوماً. النهاية في غريب الحديث ٥/٥.

(٧) كتاب النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ص/٢١ - ٢٢، وأورده ابن الأثير في النهاية ٣/٤.

أليس يسب علي ومن يحبه، وقد كان رسول الله ﷺ يحبه"[١].

٩ - وروى محمد بن عبد الواحد المقدسي رحمه الله بإسناده إلى سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، قال: "قلت لأبي[٢]: ما تقول في رجل سب أبا بكر؟، قال: يقتل، قلت: سب عمر؟، قال: يقتل"[٣].

هذه تسعة نماذج عن أصحاب رسول الله ﷺ فيها توضيح للطريقة التي كانوا يواجهون بها من أزاغ الله قلبه عن معرفة ما يجب لأصحاب رسول الله ﷺ وفتن بسبهم والنيل منهم، فقد كان إنكارهم عظيماً على من صدر منه ذلك، فلم يسكتوا عن المتقولين فيهم، بل كانوا يردون عليهم، إما بذكر فضائلهم، وما لهم عند الله من المنزلة العظيمة التي لا يلحقهم فيها غيرهم مهما قدم من العمل، وإما أن يعاقبوا بجلدهم بالسياط، وقد حصل الأمران في موقف علي رضي الله عنه ممن نال من عثمان وعائشة رضي الله عنها، وبعض الصحابة كان يعتبر سب أصحاب رسول الله ﷺ سباً للرسول ﷺ كما تقدم ذلك عن أم سلمة، وبعضهم كان يفتي بقتل من سب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وكل ذلك يدل على عظم الجرم الذي يقع فيه من امتلأ قلبه ببغضهم، وخبث لسانه بالقول القبيح فيهم الذي لا يليق إلا بمن صدر منه، وقد سلك التابعون بإحسان من أهل السنة والجماعة في مواجهة السابين لأصحاب رسول الله ﷺ طريقة الغلظة والشدة عليهم، ولم يسكتوا عن أي تعريض بهم، بل اعتبروا الطعن في الصحابة والسب لهم مروقاً من الدين أعاذنا الله من ذلك.

١٠ - فقد روى أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي بإسناده إلى محمد بن علي ابن الحسين بن علي أنه قال لجابر الجعفي: يا جابر بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر، ويزعمون أني آمرهم بذلك، فأبلغهم عني أني إلى الله منهم بريء والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم لا

---

(١) مجمع الزوائد ١٣٠/٩، وقال عقبه: "رواه الطبراني في الثلاثة وأبو يعلى ورجال الطبراني رجال الصحيح، غير أبي عبد الله الجدلي وهو ثقة.

(٢) هو عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي مولاهم، صحابي صغير، وكان في عهد عمر رجلاً، وكان على خراسان لعلي= ="انظر ترجمته في الإصابة ٣٨١/٢، تهذيب التهذيب ١٣٢/٦ - ١٣٣، تقريب التهذيب ٤٧٢/١.

(٣) كتاب النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ص٢٣.

نالتني شفاعة محمد ﷺ إن لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما، إن أعداء الله لغافلون عن فضلهما، فأبلغهم أني بريء منهم وممن تبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما"[(١)].

١١ - وروى أيضاً بإسناده إلى عبد الله بن الحسن بن علي أنه قال: "ما أرى رجلاً يسب أبا بكر وعمر تيسر لـه توبة أبداً"[(٢)].

١٢ - وقال عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي: "من شتم أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقد ارتد عن دينه وأباح دمه"[(٣)].

١٣ - وقال مالك بن أنس رحمه الله تعالى: "الذي يشتم أصحاب رسول الله ﷺ ليس لـه سهم، أو قال: نصيب في الإسلام"[(٤)].

١٤ - روى محمد بن عبد الواحد المقدسي بإسناده إلى الحسن بن الربيع قال: سمعت أبا الأحوص[(٥)] يقول: لو أن الروم أقبلت من موضعها يعني تقتل ما بين يديها وتقبل حتى تبلغ النخيلة، ثم خرج رجل بسيفه، فاستنقذ ما في أيديها، وردها إلى موضعها، ولقي الله وفي قلبه شيء على بعض أصحاب محمد ﷺ ما رأينا أن ذلك ينفعه"[(٦)].

١٥ - وروى أيضاً: بإسناده إلى عبد الله بن مصعب[(٧)] قال: قال لي أمير المؤمنين - المهدي - ما تقول في الذين يشتمون أصحاب رسول الله ﷺ، فقلت: زنادقة يا أمير المؤمنين، قال: ما علمت أحداً قال هذا غيرك، فكيف ذلك؟ قلت: إنما قوم أرادوا رسول

---

(١) كتاب النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ص١٢، وأورده الحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ٣٤٩/٩، والسياق لـه.

(٢) النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب، ص١٧.

(٣) الشرح والإبانة، لابن بطة ص/١٦٢.

(٤) المصدر السابق ص١٦٢.

(٥) هو سلام بن سليم الحنفي مولاهم أبو الأحوص الكوفي ثقة متقن من السابعة مات سنة تسع وسبعين ومائة. التقريب ٣٤٢/١.

(٦) كتاب النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ص/٢٢.

(٧) هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير أبو بكر القرشي الأسدي أمير من أهل العدل والورع والشعر والفصاحة، ولد بالمدينة سنة إحدى عشرة ومائة وتوفي بالرقة سنة أربعة وثمانين ومائة. ألزمه الرشيد بولاية المدينة وعمره سبعون سنة انظر ترجمته في تاريخ بغداد" ١٧٣/١٠ - ١٧٦، البداية والنهاية لابن كثير: ٢١١/١٠، تهذيب التهذيب ١٦٢/١٠، الأعلام للزركلي ٢٨١/٤ - ٢٨٢.

الله ﷺ فلم يجدوا أحداً من الأمة يتابعهم على ذلك فيه فشتموا أصحابه رضي الله عنهم يا أمير المؤمنين، ما أقبح بالرجل أن يصحب صحابة السوء، فكأنهم قالوا: رسول الله ﷺ صحب صحابة السوء، فقال لي: ما أرى الأمر إلا كما قلت[1].

١٦ - روى أبو عبيد الله بن بطه: إلى أبي بكر بن عياش[2] أنه قال: "لا أصلى على رافضي ولا حروري، لأن الرافضي يجعل عمر كافراً، والحروري يجعل علياً كافراً"[3].

١٧ - روى محمد بن عبد الواحد المقدسي بإسناده إلى يعقوب بن حميد قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: حج هارون الرشيد أمير المؤمنين، فدعاني فقال: يا سفيان، إن أبا معاوية الضرير حدثني عن أبي جناب الكلبي عن أبي سليمان الهمداني عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سيكون بعدي قوم لهم نبز يسمون الرافضة، وآية ذلك أنهم يسبون أبا بكر وعمر، فإذا وجدتموهم فاقتلوهم فإنهم مشركون**»، فقلت: يا أمير المؤمنين اقتلهم بكتاب الله، فقال: يا سفيان وأين موضع ذلك من كتاب الله؟ فقلت: أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ [الفتح: ٢٩]، يا أمير المؤمنين، فمن غاظه أصحاب رسول الله ﷺ فهو كافر[4].

١٨ - وقال أيضاً: من نطق في أصحاب رسول الله ﷺ بكلمة فهو صاحب هوى[5].

---

(١) كتاب النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ص/٢٢ - ٢٣، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ١٠/١٧٥.

(٢) هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي المقرئ مشهور بكنيته، والأصح أنها اسمه ثقة عابد، إلا أنه لما كبر ساء حفظه وكتابه صحيح، مات سنة أربع وتسعين ومائة. وقيل: قبل ذلك. التقريب ٢/٣٩٩.

(٣) الشرح والإبانة لابن بطة ص/١٦٠.

(٤) كتاب النهي عن سب الأصحاب ص/٢٤، ٢٥، وروى الطبراني عن ابن عباس قال: كنت عند النبي ﷺ وعنده علي، فقال النبي ﷺ : «**يا علي سيكون في أمتي قوم ينتحلون حب أهل البيت لهم نبز يسمون الرافضة قاتلوهم فإنهم مشركون**». قال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن "مجمع الزوائد" ١٠/٢٢.

(٥) ذكره عبد القادر الجيلاني في كتابه "الغنية لطالبي طريق الحق" ١/٧٩.

١٩ - ذكر القرطبي عن عمر بن حبيب[(١)] قال: حضرت مجلس هارون الرشيد فجرت مسألة تنازعها الحضور وعلت أصواتهم فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فرفع بعضهم الحديث وزادت المرافعة والخصام، حتى قال قائلون منهم: "لا يقبل هذا الحديث على رسول الله ﷺ، لأن أبا هريرة متهم فيما يرويه وصرحوا بتكذيبه، ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم، ونصر قولهم، فقلت أنا: الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ، وأبو هريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن النبي ﷺ وغيره، فنظر إلي الرشيد نظر مغضب وقمت من المجلس فانصرفت إلى منزلي، فلم ألبث حتى قيل: صاحب البريد بالباب، فدخل فقال لي: أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول وتحنط وتكفن، فقلت: اللهم إنك تعلم أني دفعت عن صاحب نبيك وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه فسلمني منه، فأدخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي.. حاسر عن ذراعيه بيده السيف، وبين يديه النطع[(٢)]، فلما بصر بي، قال لي: يا عمر بن حبيب، ما تلقاني أحد من الرد والدفع لي بمثل ما تلقيتني به، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الذي قلته وجادلت عنه فيه ازدراء على رسول الله ﷺ وعلى ما جاء به إذا كان أصحابه كذابين فالشريعة باطلة، والفرائض والأحكام في الصيام والصلاة والطلاق والنكاح والحدود كله مردود غير مقبول، فرجع إلى نفسه ثم قال: أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله"[(٣)].

٢٠ - روى أبو عبيد الله بن بطة بإسناده إلى هارون بن زياد، قال: سمعت الفريابي[(٤)] ورجل يسأله عمن شتم أبا بكر، فقال: كافر، قال: فنصلي عليه، قال: لا فسألته: كيف نصنع به وهو يقول: لا إله إلا الله، قال: لا تمسوه بأيديكم، ادفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته"[(٥)].

---

(١) هو عمر بن حبيب بن محمد العدوي قاضي من رجال الحديث ولي قضاء البصرة، ثم الشرقية للمأمون العباسي، وكان صلباً في القضاء، حسن السياسة، هابه الناس وأمنوا حقوقهم في أيامه، توفي سنة سبع ومائتين، انظر ترجمته في أخبار القضاة لوكيع ١٤٢/٢، تهذيب التهذيب ٤٣١/٧ - ٤٣٢، التقريب ٥٢/٢، الأعلام للزركلي ٢٠١/٥.

(٢) النطع: بالكسر بساط من الجلد يفرش تحت المحكوم عليه بالعذاب أو بقطع الرأس، أو يفرش للأكل أو اللعب.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٨/١٦ - ٢٩٩.

(٤) هو محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الضبي مولاهم الفريابى، ثقة فاضل مات سنة اثنتي عشرة ومائتين وروى له الجماعة. التقريب ٢٢١/٢، تهذيب التهذيب ٥٣٥/٩ - ٥٣٧.

(٥) الشرح والإبانة ص/١٦٠.

٢١ - وقال بشر بن الحارث[١]: "من شتم أصحاب رسول الله ﷺ فهو كافر، وإن صام وصلى وزعم أنه من المسلمين"[٢].

٢٢ - وقال أبو بكر المروزي: سألت أبا عبد الله، عمن شتم أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة رضي الله عنهم، فقال: "ما أراه على الإسلام"[٣].

٢٣ - وقال محمد بن بشار[٤]: قلت لعبد الرحمن بن مهدي: أحضر جنازة من سب أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: "لو كان من عصبتي ما ورثته"[٥].

٢٤ - وروى محمد بن عبد الواحد المقدسي بإسناده إلى إسماعيل بن القاسم، قال: قال لي عبد الله بن سليمان: يا إسماعيل، ما تقول فيمن يسب أبا بكر وعمر، قلت: يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، قال لي: القتل؟، قلت: نعم، قال: وأنى لك هذا، قلت: بآية من كتاب الله تعالى، فقال: وآية من كتاب الله؟ قلت: نعم، قال: وأي هي من كتاب الله تعالى، قلت له: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ ﴾ [المائدة: ٣٣]، ولا فساد في الأرض أعظم من سب أبي بكر وعمر عليهما السلام، قال لي: أحسنت يا إسماعيل"[٦].

وهذه الآثار عن هؤلاء الأئمة كلها دلت على تحريم سب الصحابة عموماً وفيها بيان الخسارة الواضحة التي تلحق من أقحم نفسه في هذا الجرم الكبير وأن من ابتلي بداء المبغضين لخيار الأمة وحمله ذلك على سبهم وتجريحهم، إنما رام الطعن في رسول الله ﷺ وإبطال الشريعة الإسلامية من أساسها؛ لأن الصحابة إذا كانوا كذابين، فجميع أحكام دين الإسلام باطلة، إذ الدين لم يصل إلينا إلا عن طريقهم، فهم الذين تلقوه من الرسول ﷺ، ومن جاء بعدهم لم يأخذه إلا عنهم، ومن طعن فيهم، أو جرحهم ماذا يبقى له من

---

(١) هو بشر بن الحارث المروزي أبو نصر الحافي الزاهد الجليل المشهور ثقة قدوة مات سنة سبع وعشرين ومائتين. التقريب ٩٨/١.

(٢) الشرح والإبانة لابن بطة ص/١٦٢.

(٣) الشرح والإبانة ص/١٦١.

(٤) هو محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري أبو بكر بندار ثقة، مات سنة اثنتين وخمسين ومائتين. روى له الجماعة التقريب ١٤٧/٢.

(٥) الشرح والإبانة ص/١٦٠.

(٦) كتاب النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ص/٢٥.

الدين، وكما دلت تلك الآثار عن أولئك الأسلاف على تحريم سب الصحابة، دلت كذلك على أن من تكلم فيهم بكلام لا ينبغي، فإنه لا يضرهم وإنما يضر نفسه، فهم رضي الله عنهم قدموا على ما قدموا، وقد قدموا الخير الكثير من الأعمال الجليلة والمآثر الحميدة في نصرة دين الإسلام والكلام فيهم بغير حق يكون ذلك زيادة في حسناتهم، ورفعة لدرجاتهم، لأن المتكلم فيهم بغير حق إن كانت لـه حسنات، فإنهم يأخذون من حسناته، ويضاف ذلك إلى حسناتهم، ويزدادون بذلك رفعة عند الله تعالى، وإن لم يكن للمتكلم فيهم حسنات فلا تأثير لكلامه فيهم، ولا مضرة عليهم، إذ الذي مدحه الله وأثنى عليه لا يضيره ذم الخلق وتنقصهم.

* * * * *

المبحث الرابع
حكم ساب الصحابة وعقوبته

اختلف أهل العلم في الحكم والعقوبة التي يستحقها من سب أصحاب رسول الله ﷺ أو جرحهم، هل يكفر بذلك وتكون عقوبته القتل، أو أنه يفسق بذلك ويعاقب بالتعزير؟

١ - ذهب جمع من أهل العلم إلى القول بتكفير من سب الصحابة رضي الله عنهم أو انتقصهم وطعن في عدالتهم، وصرح ببغضهم، وأن من كانت هذه صفته أباح دم نفسه وحل قتله، إلا أن يتوب من ذلك ويترحم عليهم.

وممن ذهب إلى هذا القول من السلف الصحابي الجليل عبد الرحمن بن أبزى[١]، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي[٢]، وأبو بكر بن عياش[٣]، وسفيان بن عيينة[٤]، ومحمد بن يوسف الفريابي[٥]، وبشر بن الحارث المروزي[٦]، ومحمد بن بشار العبدي[٧] وغيرهم كثير، فهؤلاء الأئمة صرحوا بكفر من سب الصحابة وبعضهم صرح مع ذلك أنه يعاقب بالقتل، وإلى هذا القول ذهب بعض العلماء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية.

قال الإمام الطحاوى في عقيدته: "وحبهم - أي الصحابة رضي الله عنهم - دين وإيمان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"[٨]، ومن سبهم وطعن فيهم فقد زاد على بغضهم. وقال السرخسي[٩] وهو أحد كبار علماء الحنفية: "فأما من طعن في السلف من نفاة القياس لاحتجاجهم بالرأي في الأحكام فكلامه كما قال الله تعالى: ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ

---

(١) انظر كتاب النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ص/٢٣، فتاوى السبكي ٥٨٠/٢.

(٢) انظر الشرح والإبانة لابن بطة ص/١٦٢.

(٣) المصدر السابق ص/١٦٠.

(٤) كتاب النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ص/٢٤ - ٢٥.

(٥) الشرح والإبانة ص/١٦٠، الصارم المسلول على شاتم الرسول ص/٥٧٠.

(٦) الشرح والإبانة ص/١٦٢.

(٧) المصدر السابق ص/١٦٠.

(٨) شرح الطحاوية ص/٥٢٨.

(٩) هو محمد بن أحمد بن سهل أبو بكر، قاضٍ من كبار الأحناف مجتهد من أهل فارس سرخس "في خراسان" توفي سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة هجرية، انظر: ترجمته في الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ص/١٥٨ - ١٥٩، الأعلام للزركلي ٢٠٨/٦.

أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥]، لأن الله تعالى أثنى عليهم في غير موضع من كتابه، كما قال الله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]، ورسول الله ﷺ وصفهم بأنهم خير الناس فقال: **«خير الناس قرني الذي أنا فيهم»** [١]، والشريعة بلغتنا بنقلهم، فمن طعن فيهم فهو ملحد منابذ للإسلام، دواءه السيف إن لم يتب"[٢].

وقال الحميدي القرشي تلميذ الشافعي وشيخ البخاري، موضحاً العقيدة التي يجب على المسلم أن يلتزمها: "والسنة عندنا أن يؤمن الرجل بالقدر خيره وشره حلوه ومره".. إلى أن قال: "والترحم على أصحاب محمد ﷺ كلهم فإن الله - عز وجل - قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر: ١٠]، فلم نؤمر إلا بالاستغفار لهم فمن سبهم أو بعضهم أو أحداً منهم، فليس على السنة وليس له في الفيء حق أخبرنا بذلك غير واحد عن مالك بن أنس، أنه قال: قسم الله الفيء فقال: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ ﴾ [الحشر: ٨]، ثم قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ﴾ [الحشر: ١٠]، فمن لم يقل هذا لهم فليس ممن جعل له الفيء"[٣].

وقد تقدم في المبحث الذي قبل هذا عن الإمام مالك أنه قال: "والذي يشتم أصحاب رسول الله ﷺ ليس له سهم، أو قال: نصيب في الإسلام"[٤].

وقال القرطبي بعد أن ذكر قول مالك: "من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [الفتح: ٢٩] قال: "لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله، فمن نقص واحداً منهم أو طعن عليه في روايته، فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع

---

(١) انظر صحيح البخاري ٢٨٧/٢ - ٢٨٩، صحيح مسلم ١٩٦٣/٤ - ١٩٦٥.
(٢) أصول السرخسي ١٣٤/٢.
(٣) مسند الحميدي ٥٤٦/٢.
(٤) الشرح والإبانة ص/١٦٢.

المسلمين"[١].

وقد ذكر القاضي عياض عن بعض المالكية أنه ذهب إلى أن عقوبة ساب الصحابة أنه يقتل حيث قال: "وقال بعض المالكية يقتل"[٢].

وذكر الألوسي أن القاضي حسين[٣] من علماء الشافعية ذهب إلى أن سب الشيخين كفر، وإن لم يكن بما فيه إكفارهما - ثم قال - وإلى ذلك ذهب معظم الحنفية[٤].

وقال الإمام الذهبي مبيناً حكم الطاعن في الصحابة والساب لهم: "فمن طعن فيهم أو سبهم، فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين؛ لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم وإضمار الحقد فيهم، وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم وما لرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم، ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور والوسائط من المنقول والطعن في الوسائط طعن في الأصل والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته"[٥].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر اختلاف أهل العلم في عقوبة ساب الصحابة، ونص على أن بعض الشافعية يرى قتله، فقد قال رحمه الله: "واختلف في ساب الصحابي، فقال عياض: ذهب الجمهور إلى أنه يعزر، وعن بعض المالكية يقتل[٦]، وخص بعض الشافعية ذلك بالشيخين والحسنين، فيحكى القاضي حسين في ذلك وجهين: وقواه السبكي في حق من كفر الشيخين، وكذا من كفر من صرح النبي ﷺ بإيمانه أو تبشيره بالجنة إذا

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٧/١٦.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٩٣/١٦.

(٣) هو أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد المروزي، ويقال له: أيضاً المرورذي بالذال المعجمة، وتشديد الراء الثانية وتخفيفها - قال النووي: "وهو القاضي حسين من أصحابنا ويأتي كثيراً معرفاً بالقاضي حسين وكثيراً مطلقاً القاضي فقط، كان كبير القدر مرتفع الشأن" توفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة رحمه الله، انظر ترجمته في تهذيب الأسماء واللغات ١٦٤/١ - ١٦٥.

(٤) الأجوبة العراقية ص/٥٠.

(٥) الكبائر ص/٢٣٥.

(٦) انظر شرح النووي ٩٣/١٦.

تواتر الخبر بذلك عنه لما تضمن من تكذيب رسول الله ﷺ"[١] ا. هـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مبيناً أن من علماء الحنابلة من ذهب إلى القول بتكفير من يعتقد سب الصحابة، حيث قال: "وصرح جماعات من أصحابنا بكفر الخوارج المعتقدين البراءة من علي وعثمان، وبكفر الرافضة المعتقدين لسب جميع الصحابة الذين كفروا الصحابة وفسقوهم وسبوهم - ثم قال - وقال أبو بكر عبد العزيز[٢] في المقنع: فأما الرافضي فإن كان يسب فقد كفر، فلا يزوج ولفظ بعضهم، وهو الذي نصره القاضي أبو يعلى[٣] أنه إن سبهم سباً يقدح في دينهم وعدالتهم كفر بذلك، وإن سبهم سباً يقدح - مثل أن يسب أبا أحدهم أو يسبه سباً يقصد به غيظه ونحو ذلك لم يكفر"[٤].

وجاء في كتاب "الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف"[٥]: "وقال في نهاية المبتدي: "من سب صحابياً كفر وإلا فسق، وقيل: وعنه يكفر" ا. هـ.

وأما أبو محمد بن حزم الظاهري فإنه ذهب إلى أن ساب الصحابة لا بد من تعليمه وتعريفه أولاً بما يجب للصحابة، فإن تمادى بعد ذلك يكون فاسقاً، وأما إذا عاند ما جاء عن الله ورسوله فيهم، فهنا يكون كافراً مشركاً حيث قال: "حكمه - أي: ساب الصحابة - أن يعلم ويعرف، فإن تمادى فهو فاسق، وإن عاند في ذلك الله تعالى أو رسوله ﷺ فهو كافر مشرك" ا. هـ[٦].

فهذه النقول فيها توضيح أن طائفة من أهل العلم يرون كفر ساب الصحابة ومنهم

---

(١) فتح الباري ٣٦/٧، وانظر تحفة الأحوذي ٣٦٨/١٠، وانظر فتاوى السبكي ٥٨٠/٢.

(٢) هو الإمام عبد العزيز بن جعفر بن أحمد يزداد بن معروف أبو بكر المعروف بغلام الخلال، كان أحد أهل الفهم موثوقاً به في العلم، متسع الرواية مشهوراً بالديانة توفي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة انظر ترجمته في طبقات الحنابلة ١١٩/٢ - ١٢٧.

(٣) هو محمد بن الحسين بن خلف بن الفراء أبو يعلى عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون من أهل بغداد ارتفعت مكانته عند القادر والقائم العباسيين، ولد سنة ثمانين وثلاثمائة، وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة. انظر ترجمته في طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١٩٣/٢ - ٢٣٠، تاريخ بغداد ٢٥٦/٢، شذرات الذهب ٣٠٦/٣، الأعلام للزركلي ٣٣١/٦.

(٤) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص/٥٧٠.

(٥) ٣٢٤/١٠.

(٦) الإحكام في أصول الأحكام ١٤٩/١.

من قرن هذا الحكم عليه أن يعاقب معه بقتله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وقد قطع طائفة من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم بقتل من سب الصحابة وكفر الرافضة"[١]. وقد استدل أصحاب هذا القول بأمور منها: -

١ - إن سب الصحابة وانتقاصهم والطعن فيهم إيذاء لرسول الله ﷺ وانتقاص له وحط من مكانته عليه الصلاة والسلام، لأنهم أصحابه الذين رباهم وزكاهم وذكرهم بخير وأوصى بهم خيراً، ومن المعلوم أن إيذاء النبي ﷺ كفر فيكون سب أصحابه كفراً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأذى الله ورسوله كفر موجب للقتل، كما تقدم، وبهذا يظهر الفرق بين أذاهم قبل استقرار الصحبة وأذى سائر الناس وبين أذاهم بعد صحبتهم له، فإنه على عهد قد كان الرجل ممن يظهر الإسلام، يمكن أن يكون منافقاً، ويمكن أن يكون مرتداً، فأما إذا مات مقيماً على صحبة النبي ﷺ وهو غير مزنون[٢] بنفاق فأذاه أذى مصحوبه قال عبد الله بن مسعود: اعتبروا الناس بأخدانهم، وقالوا:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ::: فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقال مالك رضي الله عنه: "إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي عليه الصلاة والسلام، فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه، حتى يقال: رجل سوء ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين، أو كما قال، وذلك أنه ما منهم رجل إلا كان ينصر الله ورسوله ويذب عن رسول الله ﷺ بنفسه وماله ويعينه على إظهار دين الله، وإعلاء كلمة الله وتبليغ رسالات الله وقت الحاجة، وهو حينئذ لم يستقر أمره، ولم تنتشر دعوته، ولم تطمئن قلوب أكثر الناس بدينه، ومعلوم أن رجلاً لو عمل به بعض الناس، نحو هذا ثم آذاه أحد لغضب له صاحبه، وعد ذلك أذى له وإلى هذا أشار ابن عمر، قال نسير بن ذعلوق[٣]: سمعت ابن عمر رضي الله عنه يقول: "لا تسبوا أصحاب محمد، فإن مقام أحدهم خير من عملكم كله" رواه اللالكائي، وكأنه أخذه من قول النبي ﷺ : **«لو أنفق أحدكم مثل**

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص/٥٦٩ - ٥٧٠.

(٢) أي: غير متهم. انظر النهاية في غريب الحديث ٣١٦/٢.

(٣) هو نسير بن ذعلوق - بضم المعجمة واللام - بينهما مهملة ساكنة، الثوري مولاهم، أبو طعمة الكوفي صدوق لم يصب من ضعفه من الرابعة. التقريب ٢٩٨/٢.

أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم أو نصيفه» [١]، وهذا تفاوت عظيم جداً[٢].

٢ - إن الطعن في الصحابة والتجريح لهم مفاده إبطال جميع أحكام الشريعة الإسلامية إذ هم نقلتها والمبلغون لها.

قال عمر بن حبيب بن محمد العدوي مخاطباً هارون الرشيد عندما جرت مسألة في مجلسه تنازعها الحاضرون واحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة رضي الله عنه، فقال قائلون منهم: لا يقبل الحديث لأن أبا هريرة متهم فيما يرويه، ودافع عنه عمر بن حبيب ومن ضمن ما قاله للرشيد: "إذا كان أصحابه كذابين فالشريعة باطلة، والفرائض والأحكام في الصيام والصلاة والطلاق والنكاح والحدود كله مردود غير مقبول"[٣]. فاقتنع الرشيد بقولـه وأيده عليه.

وقال القرطبي: "فمن نقص واحداً منهم أو طعن عليه في روايته، فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين"[٤].

٣ - إن الطعن في الصحابة يؤدي إلى إنكار ما قام عليه الإجماع "قبل ظهور المخالف من فضلهم وشرفهم ومصادمة المتواتر من الكتاب والسنة الدالين على أن لهم الزلفى من ربهم"[٥].

ولا شك أن من يعارض كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ولم يقبل ما دلا عليه، فإنه على خطر عظيم، بل إنه لو أنكر حرفاً من القرآن، فإن ذلك يخرجه من الإسلام، ويدخله في الكفر والعياذ بالله.

قال محمد صديق حسن خان: "من خالف الله ورسوله في أخبارهما وعصاهما بسوء العقيدة في خلص عباده، ونخبة عباده فكفره بواح لا سترة عليه"[٦] ا. هـ.

٤ - ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن

---

(١) انظر صحيح البخاري ٢٩٢/٢.
(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص/٥٨٠.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٩/١٦.
(٤) المصدر السابق ٢٩٧/١٦.
(٥) الأجوبة العراقية ص/٤٩.
(٦) الدين الخالص ٣٨٢/٣.

النبي ﷺ قال: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**» [(١)].

ورويا أيضاً: من حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ أنه قال في الأنصار: "لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله" [(٢)].

وعند مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر**» [(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فمن سبهم فقد زاد على بغضهم، فيجب أن يكون منافقاً لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، وإنما خص الأنصار - والله أعلم - لأنهم هم الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبل المهاجرين وآووا رسول الله ﷺ ونصروه ومنعوه، وبذلوا في إقامة الدين النفوس والأموال، وعادوا الأحمر والأسود من أجله، وآووا المهاجرين وواسوهم في الأموال، وكان المهاجرون إذ ذاك قليلاً غرباء فقراء مستضعفين، ومن عرف السيرة وأيام رسول الله عليه الصلاة والسلام وما قاموا به من الأمر، ثم كان مؤمناً يحب الله ورسوله، لم يملك ألا يحبهم، كما أن المنافق لا يملك ألا يبغضهم وأراد بذلك - والله أعلم - أن يعرف الناس قدر الأنصار، لعلمه بأن الناس يكثرون والأنصار يقلون، وأن الأمر سيكون في المهاجرين، فمن شارك الأنصار في نصر الله ورسوله ﷺ بما أمكنه فهو شريكهم في الحقيقة، كما تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤] فبغض من نصر الله ورسوله من أصحابه نفاق" ا. هـ[(٤)].

هذه بعض أدلة الفريق الأول من أهل العلم التي استدلوا بها على ما ذهبوا إليه من أن ساب الصحابة يكفر بسببه وانتقاصه لهم وطعنه في عدالتهم.

٢ - ذهب فريق آخر من أهل العلم إلى أن ساب الصحابة لا يكفر بسببهم، بل يفسق ويضلل ولا يعاقب بالقتل، بل يكتفي بتأديبه وتعزيره تعزيراً شديداً يردعه ويزجره حتى يرجع عن ارتكاب هذا الجرم الذي يعتبر من كبائر الذنوب وفواحش المحرمات، وإن لم

---

(١) صحيح البخاري ١٢/١، صحيح مسلم ٨٥/١.

(٢) صحيح البخاري ٣١٠/٢، صحيح مسلم ٨٥/١.

(٣) صحيح مسلم ٨٦/١.

(٤) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص/٥٨١ - ٥٨٢.

يرجع تكرر عليه العقوبة حتى يظهر التوبة.

فقد روى اللالكائي: عن الحارث بن عتبة، قال: إن عمر بن عبد العزيز أتي برجل سب عثمان، فقال: ما حملك على أن سببته؟، قال: أبغضه، قال: وإن أبغضت رجلاً سببته؟، قال: فأمر به فجلد ثلاثين سوطاً[١].

وروى الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا عاصم[٢] الأحول قال: أتيت برجل قد سب عثمان، قال: فضربته عشرة أسواط، قال: ثم عاد لما قال، فضربته عشرة أخرى، قال فلم يزل يسبه حتى ضربته سبعين سوطاً"[٣].

وممن ذهب من الأئمة إلى ما ذهب إليه عمر بن عبد العزيز وعاصم الأحول الإمام مالك والإمام أحمد وكثير من العلماء ممن جاء بعدهما.

قال القاضي عياض مبيناً ما ذهب إليه الإمام مالك وبعض علماء المالكية في هذه المسألة: "وقد اختلف العلماء في هذا، فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والأدب الموجع، قال مالك رحمه الله: "من شتم النبي ﷺ قتل، ومن شتم أصحابه أدب" وقال أيضاً: من شتم أحداً من أصحاب النبي ﷺ أبى بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص فإن قال: كانوا على ضلال وكفر، قتل، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالاً شديداً.

وقال ابن حبيب[٤]: "من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أدب أدباً شديداً ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد ويكرر ضربه، ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل إلا في سب النبي ﷺ" ا. هـ[٥]

---

(١) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في المصدر السابق ص/٥٦٩.

(٢) هو: عاصم بن سليمان الأحول أبو عبد الرحمن البصري ثقة من الرابعة لم يتكلم فيه إلا القطان وكأنه بسبب= =دخوله في الولاية، مات سنة أربعين ومائة هجرية. التقريب ٣٨٤/١، التهذيب: ٤٢/٥ - ٤٣.

(٣) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الصارم المسلول ص/٥٦٩.

(٤) هو: عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الألبيري القرطبي أبو مروان عالم الأندلس، وفقيهها في عصره، ولد سنة أربع وسبعين ومائة وتوفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين. انظر ترجمته في الديباج المذهب ص/١٥٤ - ١٥٦، ميزان الاعتدال ٦٥٢/٢، الأعلام ٣٠٢/٤.

(٥) الشفاء ٢٦٧/٢.

قال إسحاق بن راهويه: "من شتم أصحاب النبي ﷺ يعاقب ويحبس"[١].

وقال سحنون[٢]: من كفر أحداً من أصحاب النبي ﷺ علياً أو عثمان أو غيرهما يوجع ضرباً.

وحكى أبو محمد بن أبي زيد عن سحنون فيمن قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إنهم كانوا على ضلال وكفر قتل، ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد"[٣].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: "ومن السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين، والكف عن الذي جرى بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً منهم فهو مبتدع رافضي حبهم سنة، والدعاء لهم قربة والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم ولا يطعن على أحد منهم، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه، وعقوبته ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ثم يستتيبه، فإن تاب قبل منه، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يتوب ويراجع"[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ساق قول أحمد هذا: "وحكى الإمام أحمد هذا عمن أدركه من أهل العلم، وحكاه الكرماني عنه وعن إسحاق والحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم.

وقال الميموني: سمعت أحمد يقول ما لهم ولمعاوية؟ نسأل الله العافية، وقال لي: يا أبا الحسن، إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء، فاتهمه على الإسلام" فقد نص رضي الله عنه على وجوب تعزيره واستتابته حتى يرجع بالجلد، وإن لم ينته حبس حتى يموت أو يراجع، وقال: ما أراه على الإسلام وقال: وأتهمه على الإسلام، وقال: أجبن عن قتله".

---

(١) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الصارم المسلول على شاتم الرسول ص/٥٦٨.

(٢) هو: عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي من علماء المالكية، توفي سنة أربعين ومائتين هجرية، انظر: ترجمته في الديباج المذهب ص/١٦٠ - ١٦٦، وفيات الأعيان ١٨٠/٣، ١٨٢، الأعلام ١٢٩/٤.

(٣) الشفاء للقاضي عياض ١٦٧/٢.

(٤) السنة للإمام أحمد ص/١٧، الصارم المسلول ص/٥٦٨، طبقات الحنابلة ٣٠/١.

وقال رحمه الله بعد قول إسحاق بن راهوية المتقدم: "وهذا قول كثير من أصحابنا منهم ابن أبي موسى، قال: ومن سب السلف من الروافض فليس بكفؤ ولا يزوج، وهذا في الجملة قول عمر بن عبد العزيز وعاصم الأحول وغيرهما من التابعين"[١].

وفي مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله أنه قال: سألته عمن شتم رجلاً من أصحاب النبي ﷺ، رضي الله عنهم؟ فقال أبي: أرى أن يضرب، فقلت له حد؟ فقال: فلم يقف على الحد إلا أنه قال: يضرب وقال: ما أراه إلا متهماً على الإسلام"[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: قال أحمد في رواية أبي طالب في الرجل يشتم عثمان: هذا زندقة، وقال في رواية المروزي: "من شتم أبا بكر وعمر وعائشة ما أراه على الإسلام".

قال القاضي أبو يعلى: فقد أطلق القول فيه أنه يكفر بسبه لأحد من الصحابة وتوقف في رواية عبد الله وأبي طالب عن قتله، وكمال الحد وإيجاب التعزير يقتضي أنه لم يحكم بكفره، قال: فيحتمل أن يحمل قوله: "ما أراه على الإسلام" إذا استحل سبهم بأنه يكفر بلا خلاف ويحمل إسقاط القتل على من لم يستحل ذلك بل فعله مع اعتقاده لتحريمه كمن يأتي المعاصي قال: ويحتمل قوله: "ما أراه على الإسلام على سب يطعن في عدالتهم نحو قوله: ظلموا، وفسقوا بعد النبي ﷺ وأخذوا الأمر بغير حق، ويحمل قوله في إسقاط القتل على سب لا يطعن في دينهم نحو قوله: كان فيهم قلة علم، وقلة معرفة بالسياسة والشجاعة، وكان فيهم شح ومحبة للدينا، ونحو ذلك، قال: ويحتمل أن يحمل كلامه على ظاهره فتكون في سابهم روايتان: إحداهما يكفر، والثانية يفسق، وعلى هذا استقر قول القاضي وغيره، حكوا في تكفيرهم روايتين"[٣].

وقال ملا علي القاري حاكياً الإجماع في حكم سب الصحابة: "من سب أحداً من الصحابة فهو فاسق ومبتدع بالإجماع، إلا إذا اعتقد أنه مباح أو يترتب عليه ثواب كما عليه بعض الشيعة أو اعتقد كفر الصحابة فإنه كافر بالإجماع" ا. هـ[٤]

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص/٥٦٨.

(٢) مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله ص/٤٣١، تحقيق: زهير الشاويش.

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص/٥٧١.

(٤) ذكره ابن عابدين في كتاب تنبيه الولاة والحكام ضمن مجموعة رسائله ٣٦٧/١.

فهذه النقول فيها توضيح أن طائفة من أهل العلم ومنهم عمر بن عبد العزيز وعاصم الأحول والإمام مالك وأحمد وكثير من الفقهاء ذهبوا إلى أن ساب الصحابة فاسق ومبتدع ليس كافراً، يجب على السلطان تأديبه تأديباً شديداً لا يبلغ به القتل.

واستدلوا لما ذهبوا إليه بأدلة منها: -

١ - ما رواه الشيخان في صحيحيهما من أن النبي ﷺ قال لخالد بن الوليد وقد سب عبد الرحمن بن عوف: "لا تسبوا أصحابي.. الحديث"(١).

ووجه الدلالة من هذا الحديث أن سب الصحابة وقع على عهد الرسول ﷺ وسمع ذلك، فلم يقل أن الساب كافر ولا أهدر دمه وإنما اكتفى ﷺ بالنهي عن ذلك.

٢ - ما رواه الإمام أحمد بإسناده إلى أبي برزة الأسلمي قال: "أغلظ رجل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: فقال أبو برزة ألا أضرب عنقه، قال: فانتهره وقال: ما هي لأحد بعد رسول الله ﷺ"(٢).

٣ - إن الله تعالى ميز بين مؤذي الله ورسوله ومؤذي المؤمنين فجعل الأول ملعوناً في الدنيا والآخرة، وقال في الثاني: ﴿ فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١١٢]، ومطلق البهتان والإثم ليس بموجب للقتل وإنما هو موجب للعقوبة في الجملة، فتكون عليه عقوبة مطلقة، ولا يلزم من العقوبة جواز القتل، ولأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: **«لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو رجل قتل نفساً فيقتل بها»** (٣).

ومطلق السب لغير الأنبياء لا يستلزم الكفر، لأن بعض من كان على عهد النبي عليه الصلاة والسلام كان ربما سب بعضهم بعضاً، ولم يكفر أحد بذلك ولأن أشخاص الصحابة لا يجب الإيمان بهم بأعيانهم، فسب الواحد لا يقدح في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر"(٤).

---

(١) صحيح البخاري ٢٩٢/٢، صحيح مسلم ١٩٦٧/٤.

(٢) المسند ٩/١، مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله ص/٤٣١، سنن النسائي ١٠٩/٧.

(٣) انظر صحيح البخاري ١٨٨/٤، صحيح مسلم ١٣٠٢/٣ - ١٣٠٣.

(٤) الصارم المسلول ص/٥٧٨ - ٥٧٩.

هذه أدلة من ذهب من أهل العلم إلى أن ساب الصحابة غير كافر ولا مهدور الدم، وإنما يفسق ويضلل ويبدع، هذا ما قرره أهل العلم في حكم ساب الصحابة، فقد اختلفوا في حكمه كما تقدم على قولين، فمن قائل بأنه كافر يجب قتله، ومن قائل بأنه فاسق مبتدع يعاقب بما دون القتل، وكل له أدلة على ما ذهب إليه، والقول الذي تطمئن إليه النفس ويرتاح إليه قلب المؤمن أن من أبغضهم جميعاً أو أكثرهم أو سبهم سباً يقدح في دينهم وعدالتهم، فإنه يكفر بهذا، لأن هذا يؤدي إلى إبطال الشريعة بكاملها، أو أكثرها لأن الصحابة هم الناقلون لها، ومن اعتقد أنهم مجروحون وغير عدول فقد طعن في تلك الواسطة التي تلقت الشريعة عن المصطفى ﷺ، ومن المستحيل أن تطمئن النفوس إلى شريعة نقلتها مطعون فيهم مجروحون.

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: "وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة، وتكفير جميع الأمة بعد النبي ﷺ إذ لم تقدم علياً، وكفرت علياً إذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم، فهؤلاء قد كفروا من وجوه؛ لأنهم أبطلوا الشريعة بأسرها، إذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن إذ ناقلوه كفرة على زعمهم، وإلى هذا والله أعلم أشار مالك في أحد قوليه بقتل من كفر الصحابة، ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي ﷺ على مقتضى قولهم وزعمهم أنه عهد إلى علي رضي الله عنه وهو يعلم أنه يكفر بعده على قولهم(١)، لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله وآله"(٢) ا. هـ

وكذا يكفر من أبغض واحداً من الصحابة أو أكثر لأمر يرجع إلى الصحبة أو النصرة لرسول الله ﷺ أو الجهاد معه، إذ هذا يؤدي إلى إيذاء الرسول ﷺ، وأما إذا كان البغض لأمر لا يرجع إلى الصحبة ولا إلى النصرة فحكم هذا أنه فاسق مبتدع على الحاكم أن ينكل به نكالاً شديداً، لا يبلغ به القتل حتى يظهر التوبة، ويرجع عن طعنه في صحابة رسول الله ﷺ ويعرف لهم حقهم.

---

(١) تكفير جميع الأمة من عقائد الكاملية إحدى فرق الشيعة أتباع رجل من الرافضة يعرف بأبي كامل، انظر: "مقالات الإسلاميين" ٨٩/١ التبصير في الدين للإسفراييني ص/٣٥، الفرق بين الفرق للبغدادي ص/٥٤ - ٥٦، اعتقاد فرق المسلمين والمشركين للرازي ص/٦٠، الملل والنحل للشهرستاني ١٧٤/١ - ١٧٥.

(٢) الشفاء للقاضي عياض: ٢٤٧/٢ - ٢٤٨.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "من لعن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم كمعاوية وعمرو بن العاص أو من هو أفضل من هؤلاء كأبي موسى الأشعري وأبي هريرة أو من هو أفضل من هؤلاء كطلحة والزبير وعثمان أو علي أو أبي بكر أو عمر أو عائشة أو نحو هؤلاء من أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم فإنه يستحق العقوبة البليغة باتفاق المسلمين" ا. هـ[١].

مطلب في حكم ساب أزواجه ﷺ وعقوبته:

إن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن داخلات في عموم الصحابة رضي الله عنهم لأنهن منهم، وكل ما جاء في تحريم سب الصحابة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية فإن ذلك يشملهن، ولما لهن من المنزلة العظيمة وقوة قرابتهن من سيد الخلق ﷺ لم يغفل أهل العلم حكم سابهن وعقوبته، بل بينوا ذلك أوضح بيان في أقوالهم المأثورة ومؤلفاتهم المختلفة، وفي هذا المطلب أجمع شتات بعض ما ورد في ذلك وليكن البدء بذكر حكم من سب عائشة أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها فنقول: إن أهل العلم من أهل السنة والجماعة أجمعوا قاطبة على أن من طعن فيها بما برأها الله منه وبما رماها به المنافقون من الإفك، فإنه كافر مكذب بما ذكره الله في كتابه من إخباره ببراءتها وطهارتها، وقالوا إنه يجب قتله.

وقد ساق أبو محمد بن حزم الظاهري بإسناده إلى هشام بن عمار، قال: سمعت مالك ابن أنس يقول: من سب أبا بكر وعمر جلد، ومن سب عائشة قتل، قيل له: لم يقتل في عائشة؟، قال: لأن الله تعالى يقول في عائشة رضي الله عنها: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النور: ١٧].

قال مالك: فمن رماها فقد خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل.

قال أبو محمد رحمه الله: "قول مالك ههنا صحيح وهي ردة تامة وتكذيب لله تعالى في قطعه ببراءتها" ا. هـ[٢]

وحكى أبو الحسن الصقلي أن القاضي أبا بكر بن الطيب قال: إن الله تعالى إذا ذكر

---

(١) مختصر فتاوى ابن تيمية لبدر الدين البعلي ص/٤٧٨ - ٤٧٩.

(٢) المحلى ٥٠٤/١٣، وانظر أحكام القرآن لابن العربي ١٣٥٦/٣، الشفاء للقاضي عياض: ٢٦٧/٢.

في القرآن ما نسبه إليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ [الأنبياء: ٢٦] في آي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون إلى عائشة فقال: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ ﴾ [النور: ١٦] سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته من السوء، وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة ومعنى هذا والله أعلم، أن الله لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سباً لنبيه وقرن سب نبيه وأذاه بأذاه تعالى وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه كذلك" ا. هـ(١).

وقال أبو بكر بن العربي: "إن أهل الإفك رموا عائشة المطهرة بالفاحشة فبرأها الله، فكل من سبها بما برأها الله منه فهو مكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر فهذا طريق قول مالك، وهي سبيل لائحة لأهل البصائر، ولو أن رجلاً سب عائشة بغير ما برأها الله منه لكان جزاؤه الأدب"(٢).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعض الوقائع التي قتل فيها من رماها رضي الله عنها بما برأها الله منه حيث قال: "وقال أبو بكر بن زياد النيسابوري: سمعت القاسم بن محمد يقول لإسماعيل بن إسحاق: أتى المأمون بالرقة برجلين شتم أحدهما فاطمة والآخر عائشة، فأمر بقتل الذي شتم فاطمة وترك الآخر، فقال إسماعيل: ما حكمهما إلا أن يقتلا لأن الذي شتم عائشة رد القرآن.

قال شيخ الإسلام: وعلى هذا مضت سيرة أهل الفقه والعلم من أهل البيت وغيرهم.

قال أبو السائب القاضي: "كنت يوماً بحضرة الحسن بن زيد الداعي بطبرستان، وكان بحضرته رجل فذكر عائشة بذكر قبيح من الفاحشة، فقال: يا غلام اضرب عنقه، فقال له العلويون: هذا رجل من شيعتنا، فقال: معاذ الله، هذا رجل طعن على النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النور: ٢٦].

فإن كانت عائشة خبيثة فالنبي ﷺ خبيث، فهو كافر فاضربوا عنقه، فضربوا عنقه

---

(١) الشفاء للقاضي عياض ٢/٢٦٧ - ٢٦٨.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٣٥٦.

وأنا حاضر". رواه اللالكائي.

وروى عن محمد بن زيد أخي الحسن بن زيد أنه قدم عليه رجل من العراق فذكر عائشة بسوء فقام إليه بعمود فضرب به دماغه، فقتله، فقيل لـه: هذا من شيعتنا ومن بنـي الآباء، فقال: هذا سمى جدي قرنان[١]، ومن سمى جدي قرنان استحق القتل فقتلته"[٢].

هذا هو موقف أهل البيت من نسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيرهم ممن أطلق لسانه بالنيل من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إنه، موقف الغيور على الدين الذي لم يرض الله لعباده سواه، فمن نال من عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه، فإنما ذلك معاندة للقرآن وتكذيب لله رب العالمين وطعن في رسول الله ﷺ، ولا عقوبة أنجع مع من أقدم على مثل هذا العمل المناقض لدين الإسلام، لأن من كذب الله في أخباره وطعن بقول السوء في سيد الخلق عليه الصلاة والسلام، لا يختلف اثنان في أنه خرج من ملة الإسلام إلى الكفر.

قال القاضي أبو يعلى: من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلا خلاف، وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد، وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم[٣].

وقال ابن أبي موسى[٤]: "ومن رمى عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه فقد مرق من الدين، ولم ينعقد لـه نكاح على مسلمة"[٥].

وقال ابن قدامة المقدسي: "ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء أفضلهن خديجة بنت خويلد وعائشة الصديقة

---

(١) قرنان: على وزن سكران، وهو الذي لا غيرة لـه، قال الأزهري: هذا قول الليث وهو من كلام الحاضرة ولا يعرفه أهل البادية. المصباح المنير ٥٠١/٢.

(٢) الصارم المسلول ص/٥٦٦ - ٥٦٧.

(٣) الصارم المسلول ص: ٥٦٦ - ٥٦٧.

(٤) هو عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن جعفر الهاشمي، إمام الحنابلة ببغداد في عصره كان ثقة زاهداً درس بجامع المنصور وبجامع المهدي وصنف كتباً منها "رؤوس المسائل" و"أدب الفقه" وكان شديداً على أهل البدع، ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وتوفي سنة سبعين وأربعمائة. انظر ترجمته في طبقات الحنابلة ٢٣٧/٢ - ٢٤١، الذيل على طبقات الحنابلة ١٥/١ - ٢٦، مناقب الإمام أحمد ص/٥٢١ - ٥٢٣، الأعلام ٦٣/٤.

(٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص/٥٦٨.

بنت الصديق التي برأها الله في كتابه زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم" ا. هـ[(١)].

وقال الإمام النووي في صدد تعداده الفوائد التي اشتمل عليها حديث الإفك: "الحادية والأربعون براءة عائشة رضي الله عنها من الإفك وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز، فلو تشكك فيها إنسان والعياذ بالله صار كافراً مرتداً بإجماع المسلمين، قال ابن عباس وغيره: لم تزن امرأة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا إكرام من الله تعالى لهم" ا. هـ[(٢)].

وقد حكى العلامة ابن القيم اتفاق الأمة على كفر قاذف عائشة رضي الله عنها حيث قال: "واتفقت الأمة على كفر قاذفها"[(٣)].

وقال الحافظ ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾﴾ [النور: ٢٣] قال: "أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فإنه كافر لأنه معاند للقرآن" ا. هـ[(٤)].

وقال بدر الدين الزركشي: "من قذفها فقد كفر لتصريح القرآن الكريم ببرائتها"[(٥)].

وقال السيوطي عند آيات سورة النور التي نزلت في براءة عائشة رضي الله عنها من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡ﴾ [النور: ١١] الآيات قال: نزلت في براءة عائشة فيما قذفت به، فاستدل به الفقهاء على أن قاذفها يقتل لتكذيبه لنص القرآن.

قال العلماء: قذف عائشة كفر؛ لأن الله سبح نفسه عند ذكره[(٦)] فقال: ﴿سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ﴾ [النور: ١٦]، كما سبح نفسه عند ذكر ما وصفه به المشركون من الزوجة

---

(١) لمعة الاعتقاد ص/٢٩.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١١٧/١٧ - ١١٨.
(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ١٠٦/١.
(٤) تفسير القرآن العظيم ٧٦/٥.
(٥) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص/٤٥.
(٦) الضمير يعود على قصة الإفك.

والولد" ا. هـ[١]

هذه الأقوال المتقدمة عن هؤلاء الأئمة كلها فيها بيان واضح أن الأمة مجمعة على أن من سب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقذفها بما رماها به أهل الإفك، فإنه كافر حيث كذب الله فيما أخبر به من براءتها وطهارتها رضي الله عنها، وأن عقوبته أن يقتل مرتداً عن ملة الإسلام.

وأما حكم من سب غير عائشة من أزواجه ﷺ ففيه قولان:

أحدهما: أنه كساب غيرهن من الصحابة على حسب ما تقدم ذكره.

الثاني: وهو الأصح من القولين على ما سيتضح من أقوال أهل العلم أن من قذف واحدة منهن فهو كقذف عائشة رضي الله عنها وإلى ما قرره أهل العلم في هذه المسألة.

فقد أخرج سعيد بن منصور وابن جرير[٢] والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ سورة النور ففسرها، فلما أتى على هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ﴾ [النور: ٢٣] قال: هذه في عائشة وأزواج النبي ﷺ، ولم يجعل لمن فعل ذلك توبة وجعل لمن رمى امرأة من المؤمنات من غير أزواج النبي ﷺ التوبة ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ [النور: ٤] إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [النور: ٥]، ولم يجعل لمن قذف امرأة من أزواج النبي ﷺ توبة ثم تلا هذه الآية: ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النور: ٢٣]، فهم بعض القوم أن يقوم إلى ابن عباس فيقبل رأسه لحسن ما فسر"[٣].

"فقد بين ابن عباس أن هذه الآية إنما نزلت فيمن يقذف عائشة وأمهات المؤمنين لما في قذفهن من الطعن على رسول الله ﷺ وعيبه، فإن قذف المرأة أذى لزوجها كما هو أذى لابنها، لأنه نسبة له إلى الدياثة وإظهار لفساد فراشه، فإن زناء امرأته يؤذيه أذى عظيماً، ولهذا جوز له الشارع أن يقذفها إذا زنت ودرء الحد عنه باللعان، ولم يبح لغيره

---

(١) الإكليل في استنباط التنزيل ص/١٩٠.
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٠٤/١٨.
(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١٦٥/٦.

أن يقذف امرأة بحال"[١].

وقد قال كثير من أهل العلم أن بقية أزواج النبي ﷺ، لهن حكم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

فقد أبو محمد بن حزم بعد أن ذكر أن رمي عائشة رضي الله عنها ردة تامة وتكذيب للرب - جل وعلا - في قطعه ببراءتها، قال: "وكذلك القول في سائر أمهات المؤمنين ولا فرق، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النور: ٢٦] فكلهن مبرآت من قول إفك والحمد لله رب العالمين"[٢].

وذكر القاضي عياض عن ابن شعبان[٣] أنه قال: "ومن سب غير عائشة من أزواج النبي ﷺ ففيها قولان:

أحدهما: يقتل لأن سب النبي ﷺ بسب حليلته.

والآخر: أنها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري، قال: "وبالأول أقول"[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وأما من سب غير عائشة من أزواجه ﷺ ففيه قولان:

أحدهما: أنه كساب غيرهن من الصحابة.

والثاني: وهو الأصح أنه من قذف واحدة من أمهات المؤمنين، فهو كقذف عائشة رضي الله عنها، وذلك لأن هذا فيه عار وغضاضة على رسول الله ﷺ وأذى له أعظم من أذاه بنكاحهن" ا. هـ[٥]

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص/٤٥.
(٢) المحلى ٥٠٤/١٣.
(٣) هو محمد بن القاسم بن شعبان أبو إسحاق ابن القرطبي ويقال له: ابن شعبان من نسل عمار بن ياسر، رأس الفقهاء المالكيين بمصر في وقته مع التفنن في التاريخ والأدب ولد سنة سبعين ومائتين، وتوفي سنة خمس وخمسين= =وثلاثمائة هجرية. انظر ترجمته في ترتيب المدارك ٢٧٤/٥ - ٢٧٥، الديباج المذهب ص/٢٤٨.
(٤) الشفاء للقاضي عياض ٢٦٩/٢.
(٥) الصارم المسلول ص/٥٦٧.

ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النور: ٢٣]، هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات، وخرج مخرج الغالب المؤمنات، فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة ولا سيما التي كانت سبب النزول، وهي عائشة بنت الصديق رضي الله عنها - إلى أن قال - "وفي بقية أمهات المؤمنين قولان: أصحهما أنهن كهي والله أعلم" ا. هـ[1].

ومما يرجح القول بأن أزواج النبي ﷺ غير عائشة مثل عائشة في الحكم وجوه: -

الوجه الأول: أن لعنة الله في الدنيا والآخرة لا تستوجب بمجرد القذف أن اللام في قوله: ﴿ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [النور: ٢٣] لتعريف المعهود والمعهود هنا أزواج النبي ﷺ لأن الكلام في قصة الإفك ووقوع من وقع في أم المؤمنين عائشة - أو قصر اللفظ العام على سببه للدليل الذي يوجب ذلك.

الوجه الثاني: أن الله - سبحانه - رتب هذا الوعيد على قذف محصنات غافلات مؤمنات، وقال في أول - سورة النور -: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴾ [النور: ٤] الآية، فترتب الجلد وردّ الشهادة والفسق على مجرد قذف المحصنات، فلا بد أن تكون المحصنات الغافلات المؤمنات لهن مزية على مجرد المحصنات وذلك - والله أعلم - لأن أزواج النبي ﷺ مشهود لهن بالإيمان لأنهن أمهات المؤمنين وهن أزواج نبيه في الدنيا والآخرة وعوام المسلمات إنما يعلم منهن في الغالب ظاهر الإيمان ولأن الله سبحانه قال في قصة عائشة: ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١١] فتخصيصه بتولي كبره دون غيره دليل على اختصاص بالعذاب العظيم وقال: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النور: ١٤] فعلم أن العذاب العظيم لا يمس كل من قذف وإنما يمس متولي كبره فقط وقال هنا ﴿ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١١] فعلم أنه الذي رمى أمهات المؤمنين ويعيب بذلك رسول الله ﷺ وتولى كبر الإفك وهذه صفة المنافق ابن أبي.

الوجه الثالث: لما كان رمي أمهات المؤمنين أذى للنبي ﷺ لعن صاحبه في الدنيا والآخرة، ولهذا قال ابن عباس: "ليس فيها توبة، لأن مؤذي النبي ﷺ لا تقبل توبته إذا

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٧٦/٥.

تاب من القذف، حتى يسلم إسلاماً جديداً، وعلى هذا فرميهن نفاق مبيح للدم إذا قصد به أذى النبي ﷺ أو أذاهن بعد العلم بأنهن أزواجه في الآخرة، فإنه ما لعنت امرأة نبي قط.

ومما يدل على أن قذفهن أذىً للنبي ﷺ ما خرجاه في الصحيحين في حديث الإفك عن عائشة، قالت: فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبد الله بن أبي سلول، قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: **«يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي»** فقام سعد بن معاذ الأنصاري، فقال: **«أنا أعذرك منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك»** (١).

فهذه الوجوه الثلاثة فيها تقوية وترجيح لقول من ذهب إلى أن قذف غير عائشة رضي الله عنها من أزواج النبي ﷺ حكمه كقاذف عائشة رضي الله عنها لما فيه من العار والغضاضة على النبي ﷺ كما أن في ذلك أذى عظيماً للنبي عليه الصلاة والسلام.

* * * * *

---

(١) صحيح البخاري ١٦٣/٣، صحيح مسلم ٢١٢٩/٤ - ٢١٣٦.

الفصل الخامس

فضل العشرة المبشرين بالجنة

وغيرهم رضوان الله عليهم

فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه

ينبغي للمسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً أن أفضل البشر بعد الأنبياء هو صديق هذه الأمة المحمدية وهو أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التميمي يجتمع نسبه مع نسب النبي ﷺ في مرة بن كعب وأم الصديق أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بنت عم أبيه وأبوه أبو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو، وهما صحابيان رضوان الله عليهما أجمعين[١].

لقب بالصديق لسبقه إلى تصديق النبي ﷺ، قال الحافظ وروى الطبراني من حديث عليّ: "أنه كان يحلف أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق"[٢]. وقيل: كان ابتداء تسميته بالصديق صبيحة الإسراء، فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كان آمنوا به وصدقوه، وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح، قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة فلذلك سمي أبو بكر الصديق"[٣]. صحب النبي ﷺ قبل البعثة وسبق إلى الإيمان به واستمر معه طول إقامته بمكة ورافقه في الهجرة وفي الغار، وفي المشاهد كلها إلى أن مات، وكانت الراية معه يوم تبوك وحج بالناس ورسول الله ﷺ حي سنة تسع، وكان خليفته من بعده، ولقبه المسلمون خليفة رسول الله ﷺ[٤] وقد دل على أنه أفضل الأمة بعد النبي ﷺ الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، أما دلالة الكتاب فمن ذلك ما يلي:

١ - قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١٦٩/٣، السيرة النبوية لابن هشام ٢٤٩/١، الإصابة في تمييز الصحابة ٣٣٣/٢ - ٣٣٥، فتح الباري ٩/٧، وانظر: صفة الصفوة ٢٣٥/١، حلية الأولياء ٢٨/١، تذكرة الحفاظ ٢/١، لوامع الأنوار البهية ٣١١/٢.

(٢) فتح الباري ٢/٧ ثم قال: "ورجاله ثقات".

(٣) المستدرك ٦٢/٣ ثم قال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

(٤) الإصابة ٣٣٣/٢، وانظر أعلام النبوة للماوردي ص/٢٨٤ - ٢٨٥، تهذيب الأسماء واللغات ١٨٤/٢.

عَلَيۡهِ ﴾ [التوبة: ٤٠]. أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب المذكور في الآية هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه"[(١)].

أخرج ابن عساكر عن سفيان بن عيينة قال: عاتب الله المسلمين كلهم في رسول الله ﷺ إلا أبا بكر وحده فإنه خرج من المعاتبة ثم قرأ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ ﴾ [التوبة: ٤٠] [(٢)].

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: "وإنما عنى الله - جل ثناؤه - بقوله: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ [التوبة: ٤٠] رسول الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه؛ لأنهما كانا اللذين خرجا هاربين من قريش إذ هموا بقتل رسول الله ﷺ واختفيا في الغار وقوله: ﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ ﴾ [التوبة: ٤٠] يقول: إذ رسول الله ﷺ وأبو بكر رحمة الله عليه في الغار، والغار: النقب العظيم يكون في الجبل ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ ﴾ [التوبة: ٤٠] يقول: إذ يقول رسول الله ﷺلصاحبه أبي بكر: ﴿لَا تَحۡزَنۡ ﴾ [التوبة: ٤٠] وذلك أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما فجزع من ذلك فقال له رسول الله ﷺ لا تحزن لأن الله معنا، والله ناصرنا فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا إلينا" ا. هـ[(٣)].

وقال الحافظ ابن كثير: ﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [التوبة: ٤٠] أي: عام الهجرة لما هم المشركون بقتله، أو حبسه، أو نفيه فخرج منهم هارباً صحبة صديقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة فجعل أبو بكر رضي الله عنه يجزع أن يطلع عليهم أحد فيخلص إلى الرسول عليه الصلاة والسلام منهم أذى، فجعل النبي ﷺ يسكنه ويثبته ويقول: "يا أبا بكر ما ظنك، باثنين الله ثالثهما" [(٤)]، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ ﴾ [التوبة: ٤٠] أي: تأييده ونصره عليه أي: على الرسول ﷺ في أشهر القولين وقيل: على أبي بكر، وروي عن ابن عباس وغيره قالوا: لأن الرسول ﷺ لم تزل معه السكينة، وهذا لا ينافي

---

(١) الإصابة ٣٣٥/٢، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص/٤٨، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ١٥٤/١٠، شرح كتاب الفقه الأكبر لملا علي القاري ص/١٠١.

(٢) الدر المنثور للسيوطي ١٩٩/٤، وكتابه تاريخ الخلفاء ص/٥٠.

(٣) جامع البيان ١٣٦/١٠، وانظر تفسير البغوي على حاشية الخازن ٨١/٣.

(٤) صحيح البخاري ٢٨٨/٢، صحيح مسلم ١٨٥٤/٤.

تجدد السكينة خاصة بتلك الحال" ا. هـ[١].

وقال أبو بكر بن العربي: بعد قوله ﷺ : **«ما ظنك باثنين الله ثالثهما»** وهذه مرتبة عظمى وفضيلة شماء لم يكن لبشر أن يخبر عن الله - سبحانه - أنه ثالث اثنين أحدهما أبو بكر، كما أنه قال: مخبراً عن النبي ﷺ وأبي بكر ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٤٠] ا. هـ[٢].

فالآية دلت دلالة واضحة على فضل أبي بكر رضي الله عنه، حيث جعله الله ثاني النبي ﷺ بقوله: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، وما ذلك إلا لأن الصديق بلغ النهاية في الفضل رضي الله عنه وأرضاه.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: ٣٣].

روى ابن جرير بإسناده إلى علي رضي الله عنه في قوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ [الزمر: ٣٣] قال: محمد ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٣] قال: أبو بكر رضي الله عنه[٣].

وهذه الآية أيضاً تضمنت فضيلة عظيمة ومنقبة عالية لأبي بكر رضي الله عنه، وهي أنه صاحب رسول الله ﷺ في تلك السفرة من مكة إلى المدينة، وشهد الله له فيها بأنه صاحب نبيه عليه الصلاة والسلام.

٣ - قال تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

ذهب كثير من المفسرين منهم عبد الله بن عباس وابن مسعود وعبد الله ابن عمر ومجاهد والضحاك إلى أن المراد بصالح المؤمنين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما[٤].

٤ - وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل: ٥ - ٧].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤٠٢/٣، وانظر تفسير البغوي على الخازن ٨١/٣ - ٨٢.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٩٥١/٢.

(٣) جامع البيان ٣/٢٤، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢٢٨/٧.

(٤) جامع البيان ١٦٢/٢٨ - ١٦٣، الجامع لأحكام القرآن ١٩٢/١٨، تفسير ابن كثير ٥٦/٧، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢٢٣/٨ - ٢٢٤.

أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم: ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٧] قال: الجنة[١].

وقد ذكر العلامة ابن جرير الطبري أن هذه الآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه فقد روى بإسناده إلى عامر بن عبد الله بن الزبير قال: كان أبو بكر يعتق على الإسلام بمكة، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: أي بني أراك تعتق أناساً ضعفاء، فلو أنك تعتق رجالاً جلداً يقومون معك، ويمنعونك ويدفعون عنك قال: أي أبت إنما أريد ما عند الله، قال فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية نزلت فيه: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥ - ٧] [٢].

٥ - وقال تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١ ﴾ [الليل: ١٧ - ٢١].

هذه الآيات ذكر الكثير من المفسرين أنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه، وهذه الآيات فيها إخبار من الله تعالى أنه سيزحزح عن النار التقي النقي الأتقى الموضح بقوله: ﴿ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ ﴾ [الليل: ١٨] أي: يصرف ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ ﴾ [الليل: ١٩] أي: ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفاً، فهو يعطي في مقابلة ذلك، وإنما دفعه ذلك ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ ﴾ [الليل: ٢٠] أي: طمعاً في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات، ثم ختم - تعالى - الآيات بقوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١ ﴾ [الليل: ٢١]، أي: ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات[٣].

قال الحافظ ابن كثير: "وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه دخل فيها وأولى الأمة بعمومها فإن لفظها لفظ العموم، وهو قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ ﴾ [الليل: ١٧ - ١٩] ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة، فإنه كان صديقاً تقياً كريماً جواداً بذالا لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول

---

(١) الدر المنثور ٥٣٥/٨.

(٢) جامع البيان ٢٢١/٣٠، والمستدرك للحاكم ٥٢٥/٢ - ٥٢٦.

(٣) تفسير ابن كثير ٣١٠/٧.

الله ﷺ فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل، ولهذا قال له عروة بن مسعود: وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية أما والله لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١ ﴾ [الليل: ١٩ - ٢١] (١).

تلك هي بعض آيات القرآن الكريم الدالة على أن أبا بكر أفضل الخلق بعد النبي عليه الصلاة والسلام.

وأما الأحاديث الدالة على أفضيلته رضي الله عنه فكثيرة جداً ومنها ما يلي:

١ - روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك أن أبا بكر الصديق حدثه قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال: «**يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟**» (٢).

هذا الحديث تضمن منقبة عظيمة ظاهرة لأبي بكر رضي الله عنه وتلك المنقبة أنه رضي الله عنه كان ثاني اثنين ثالثهما رب العالمين.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: "وفيه فضيلة لأبي بكر رضي الله عنه وهي من أجل مناقبه والفضيلة من أوجه منها هذا اللفظ، ومنها بذله نفسه ومفارقته أهله وماله ورياسته في طاعة الله تعالى ورسوله وملازمة النبي ﷺ، ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك" ا. هـ(٣).

٢ - روى البخاري بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: "إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله" قال: فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله عن عبد خير فكان رسول الله

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣١٠/٧ - ٣١١.

(٢) صحيح البخاري ٢٨٨/٢، صحيح مسلم ١٨٥٤/٤ واللفظ له.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥٠/١٥.

ﷺ هو المخيّر وكان أبو بكر أعلمنا فقال رسول الله ﷺ : **«إن من أمنَّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلاً[(١)] غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر»** [(٢)].

وعند مسلم: **«لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر»** [(٣)].

وهذا الحديث فيه فضيلة لأبي بكر حيث كان أعلم الصحابة رضي الله عنهم برسول الله ﷺ، وبما يقول عليه الصلاة والسلام، فقد فهم أبو بكر رضي الله عنه المراد بالعبد المخير، وأنه الرسول ﷺ فبكى حزناً على فراقه وانقطاع الوحي، وغير ذلك من الخير المستمر الذي حصل ببعثته عليه الصلاة والسلام للناس كافة على وجه الأرض.

قال الإمام النووي: قوله ﷺ : **«إن أمنّ الناس علي في ماله وصحبته أبو بكر»**، قال العلماء: معناه أكثرهم جوداً وسماحة لنا بنفسه وماله، وليس هو المن الذي هو الاعتداد بالصنيعة لأنه أذى مبطل للثواب، ولأن المنة لله ولرسوله ﷺ في قبول ذلك وفي غيره" ا. هـ[(٤)].

وقال القرطبي: "هو من الامتنان، والمراد أن أبا بكر له من الحقوق ما لو كان لغيره نظيرها لامتن بها يؤيده قوله في رواية ابن عباس: **«ليس أحد أمن عليّ»** والله أعلم[(٥)].

ومعنى قوله ﷺ : **«لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر»** الخوخة: - بفتح الخاء - وهي الباب الصغير بين البيتين أو الدارين ونحوه. وفي هذا فضيلة

---

(١) قال في النهاية: "الخلة بالضم: الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله أي في باطنه، والخليل: الصديق فعيل بمعنى مفاعل، وقد يكون بمعنى مفعول، وإنما قال ذلك لأن خلته كانت مقصورة على حب الله - تعالى - فليس فيها لغيره متسع ولا شركة من محاب الدنيا والآخرة، وهذه حال شريفة لا ينالها أحد بكسب واجتهاد في الطباع غالبة، وإنما يخص الله بها من يشاء من عباده مثل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه" اهـ ٧٢/٢.

(٢) صحيح البخاري ٢٨٨/٢ - ٢٨٩، صحيح مسلم ١٨٥٤/٤.

(٣) صحيح مسلم ١٨٥٥/٤.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥٠/١٥، وانظر: فتح الباري ٥٥٩/١.

(٥) ذكره عنه الحافظ في"الفتح" ٥٥٩/١.

وخصيصة ظاهرة لأبي بكر رضي الله عنه"[١].

٣ - روى البخاري بإسناده إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال: «**لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن أخي وصاحبي**» وفي رواية قال: «**لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذته خليلاً، ولكن أخوة الإسلام أفضل**» [٢].

وعند مسلم من حديث ابن مسعود: «**لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله – عز وجل – صاحبكم خليلاً**» [٣].

ففي هذا الحديث على اختلاف ألفاظه فضيلة ظاهرة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقد بين عليه الصلاة والسلام أنه لو صلح له أن يتخذ أحداً من الناس خليلاً لاتخذ أبا بكر دون سواه، وأنه رضي الله عنه كان متأهلا؛ لأن يتخذه النبي ﷺ خليلاً لولا المانع المذكور في الحديث. فهذه منقبة عظيمة للصديق رضي الله عنه لم يشاركه فيها أحد.

قال الحافظ عند قوله ﷺ في الحديث الذي قبل هذا: "ولكن أخوة الإسلام ومودته" أي: حاصلة ووقع في حديث ابن عباس، ولكن أخوة الإسلام أفضل - وكذا أخرجه الطبراني من طريق عبيد الله بن تمام عن خالد الحذاء بلفظ: «**ولكن خلة الإسلام أفضل**» وفيه إشكال فإن الخلة أفضل من أخوة الإسلام، لأنها تستلزم ذلك وزيادة، فقيل المراد أن مودة الإسلام مع النبي ﷺ أفضل من مودته مع غيره، وقيل: أفضل بمعنى فاضل، ولا يعكر على ذلك اشتراك جميع الصحابة في هذه الفضيلة لأن رجحان أبي بكر عرف من غير ذلك، وأخوة الإسلام ومودته متفاوتة بين المسلمين في نصر الدين وإعلاء كلمة الحق وتحصيل كثرة الثواب ولأبي بكر من ذلك أعظمه وأكثره والله أعلم" ا. هـ[٤].

٤ - وروى الشيخان من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته، فقلت: أي: الناس أحب إليك؟ قال: "عائشة" فقلت: من

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥١/١٥ - ١٥٢، فتح الباري ١٤/٧.
(٢) صحيح البخاري ٢٨٩/٢.
(٣) صحيح مسلم ١٨٥٥/٤.
(٤) فتح الباري ١٣/٧.

الرجال؟ قال: «**أبوها**» قلت: ثم من؟ قال: «**ثم عمر بن الخطاب**» فعد رجالاً[١].

هذا الحديث فيه تصريح بعظيم فضائل أبي بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم وفيه دلالة بينة لأهل السنة في تفضيل أبي بكر، ثم عمر على جميع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين"[٢].

فكون أبي بكر أحب الناس إلى النبي ﷺ يدل على أنه له فضلاً كثيراً وأنه أفضل الناس بعد النبي ﷺ.

٥ - وروى أيضاً: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينا راع في غنمه عدا عليه الذئب، فأخذ منها شاة فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب فقال: من لها يوم السبع، يوم ليس لها راع غيري ؟ وبينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه فكلمته فقالت: إني لم أخلق لهذا ولكني خلقت للحرث**» قال الناس - سبحان الله - فقال النبي ﷺ : «**فأني أومن بذلك، وأبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما**» [٣].

وهذا الحديث فيه فضيلة ظاهرة لأبي بكر وعمر حيث أخبر عليه الصلاة والسلام أنهما يؤمنان بذلك، ولم يكونا في القوم عند حكاية النبي ﷺ ذلك.

قال الإمام النووي: عند قوله ﷺ : «**فإني أومن به وأبو بكر وعمر**» قال العلماء: "إنما قال ذلك: ثقة بهما لعلمه بصدق إيمانهما وقوة يقينهما وكمال معرفتهما لعظيم سلطان الله وكمال قدرته، ففيه فضيلة ظاهرة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما" ا. هـ[٤].

وقال الحافظ: "ويحتمل أن يكون ﷺ قال ذلك لما اطلع عليه من غلبة صدق إيمانهما وقوة يقينهما، وهذا أليق بدخوله في مناقبهما" ا. هـ[٥].

٦ - روى الإمام البخاري من حديث عائشة رضي الله عنهما وهو حديث السقيفة

---

(١) صحيح البخاري ٢٩٠/٢، صحيح مسلم ١٨٥٧/٤ - ١٨٥٨.
(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٥٣/١٥ - ١٥٤.
(٣) صحيح البخاري ٢٩٠/٢، صحيح مسلم ١٤٥٨/٤.
(٤) شرح النووي ١٥٦/١٥.
(٥) فتح الباري ٢٧/٧.

الطويل وفيه أن أبا بكر قال للأنصار: "ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء هم أوسط العرب داراً، وأعربهم أحساناً، فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس... الحديث"(١).

فعمر رضي الله عنه بين بأن الصديق أفضل الناس وخيرهم بعد رسول الله ﷺ، ولذلك قدموه في الخلافة لأنه الأحق والأفضل.

٧ - وروى أيضاً: بإسناده إلى محمد ابن الحنفية، قال: قلت: لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول عثمان قلت: ثم أنت قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين(٢).

قال الحافظ: "قوله: وخشيت أن يقول عثمان قلت: ثم أنت قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين" في رواية محمد بن سوقة "، ثم عجلت للحداثة، فقلت: ثم أنتم يا أبت فقال: أبوك رجل من المسلمين"، زاد في رواية الحسن بن محمد: "لي ما لهم وعليّ ما عليهم"، وهذا قاله عليّ تواضعاً مع معرفته حين المسألة المذكورة أنه خير الناس يومئذ؛ لأن ذلك كان بعد قتل عثمان: وأما خشية محمد ابن الحنفية أن يقول عثمان، فلأن محمداً كان يعتقد أن أباه أفضل، فخشي أن علياً يقول عثمان على سبيل التواضع منه والهضم لنفسه فيضطرب حال اعتقاده، ولا سيما وهو في سنن الحداثة كما أشار إليه في الرواية المذكورة"(٣).

٨ - وروى البزار - كما في مجمع الزوائد - عن شقيق قال: قيل لعلي: ألا تستخلف قال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف عليكم، وإن يرد الله - تبارك وتعالى - بالناس خيراً فسيجمعهم على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم"(٤).

٩ - وروى الإمام أحمد بإسناده إلى عليّ رضي الله عنه أنه قال لأبي جحيفة: يا أبا جحيفة، ألا أخبرك بأفضل هذه الأمة بعد نبيها، قال: قلت: بلى، ولم أكن أرى أن أحداً

---

(١) صحيح البخاري ٢٩١/٢.
(٢) صحيح البخاري ٢٩١/٢.
(٣) فتح الباري ٣٣/٧.
(٤) مجمع الزوائد ٤٧/٩ ثم قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن الحارث وهو ثقة.

أفضل منه، قال: أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر، وبعدهما آخر ثالث، ولم يسمه[١].

فقد صرح الإمام عليّ رضي الله عنه بأن الصديق خير الناس وأفضلهم بعد الرسول ﷺ.

١٠ - وروى البخاري بإسناده إلى عمار بن ياسر قال: "رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر"[٢].

وهذا الحديث تضمن منقبة عظيمة وفضيلة خاصة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث لم يسبقه أحد من الرجال الأحرار للدخول في الإسلام، فدل هذا على أنه أفضل الخلق بعد النبي ﷺ.

١١ - وروى أيضاً بإسناده إلى ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم"[٣].

هذا الحديث دل على أن أفضلية أبي بكر كانت ثابتة في أيامه عليه الصلاة والسلام، وأنه أفضل الناس بعد النبي ﷺ.

قال الحافظ رحمه الله تعالى: "قوله: "كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله ﷺ أي: نقول: فلان خير من فلان"، وفي رواية عبيد الله بن عمر في مناقب عثمان "كنا لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ فلا نفاضل بينهم"[٤]، وقوله: "لا نعدل بأبي بكر"، أي: لا نجعل له مثلاً، ولأبي داود من طريق سالم عن ابن عمر: "كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان"[٥] زاد الطبراني في رواية: "فيسمع رسول الله ﷺ ذلك فلا ينكره"، وفي

(١) مسند الإمام أحمد ١٠٦/١.
(٢) صحيح البخاري ٢٨٩/٢.
(٣) صحيح البخاري ٢٨٩/٢.
(٤) المصدر نفسه ٢٩٧/٢.
(٥) سنن أبي داود ٥١١/٢.

الحديث تقديم عثمان بعد أبي بكر وعمر كما هو المشهور عند جمهور أهل النسة"[١].

وقال أبو سليمان الخطابي بعد حديث ابن عمر: "كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان رضي الله عنهم، ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ لا نفاضل بينهم، وجه ذلك والله أعلم أنه أراد به الشيوخ الذين كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر شاورهم فيه، وكان عليّ رضوان الله عليه في زمان رسول الله حديث السن، ولم يرد ابن عمر الإزراء بعلي - رضي الله عنه - ولا تأخيره، ودفعه على الفضيلة بعد عثمان، وفضله مشهور لا ينكره ابن عمر ولا غيره من الصحابة" ا. هـ[٢].

فقول ابن عمر: "ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ فلا نفاضل بينهم" لا يلزم منه أنهم تركوا التفاضل حينذاك، ولا يلزم منه ألا يكونوا اعتقدوا بعد ذلك تفضيل علي على من سواه"[٣].

فالحديث دل على أن أبا بكر أفضل الخلق بعد الرسول ﷺ، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة:

١٢ - وروى أيضاً: بإسناده إلى أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه فقال النبي ﷺ : **«أما صاحبكم فقد غامر فسلم»** وقال: يا رسول الله، إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه، ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي، فأقبلت إليك فقال: **«يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثاً»** ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثم أبو بكر، فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ فسلم عليه فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر[٤] حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم مرتين، فقال النبي ﷺ : **«إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه، وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي»** مرتين فما أوذي بعدها[٥].

---

(١) فتح الباري ١٦/٧.
(٢) معالم السنن ٣٠٢/٤.
(٣) انظر: فتح الباري ١٧/٧.
(٤) قال في النهاية ٣٤٢/٤: "فتمعر وجهه"؛ أي: تغير، وأصله قلة النضارة، وعدم إشراق اللون"اهـ.
(٥) صحيح البخاري ٢٨٩/٢ - ٢٩٠.

هذا الحديث فيه بيان فضل أبي بكر، فقد غضب النبي ﷺ على الفاروق رضي الله عنه حين حصل بينه وبين الصديق شيء، فشعر الصديق أنه المخطئ على عمر، فطلب من الصديق أن يعفو عنه ويغفر له، فأبى عليه، فذهب إلى النبي ﷺ وذكر له ما حصل، فاستغفر له النبي ﷺ، ثم إن الفاروق ندم على عدم مغفرته للصديق فأخذ في البحث عنه فلم يجده في منزله فذهب إلى النبي ﷺ، فوجده عنده، فما أن وصل إلى النبي ﷺ إلا وقد رأى تغير وجه النبي ﷺ غضباً، حتى أشفق الصديق من ذلك لئلا يصيب الفاروق من ذلك شيء، وأخبر النبي ﷺ أنه هو الذي بدأ فأخذ النبي ﷺ في بيان فضله ومناقبه ومنزلته عنده، فقال لهم: **«إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت وقال أبو بكر: صدق وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي»** مرتين، فما أوذي بعدها لما أظهره النبي ﷺ لهم من تعظيمه لأبي بكر رضي الله عنه.

قال الحافظ: "وفي الحديث من الفوائد فضل أبي بكر على جميع الصحابة، وأن الفاضل لا ينبغي له أن يغاضب من هو أفضل منه، وفيه جواز مدح المرء في وجهه ومحله إذا أمن عليه الافتتان والاغترار" ا. هـ[١].

١٣ - وروى الإمام مسلم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«من أصبح منكم اليوم صائماً؟»** قال أبو بكر: أنا، قال: **«فمن تبع منكم اليوم جنازة؟»** قال أبو بكر: أنا، قال: **«فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟»** قال أبو بكر: أنا، قال: **«فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟»** قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ : **«ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»** [٢].

هذا الحديث اشتمل على فضائل ظاهرة للصديق رضي الله عنه، فإنه كان سباقاً إلى فعل الخيرات التي تقرب العبد من الجنة، وتزحزحه من النار. قال النووي: قوله ﷺ : **«من أصبح منكم اليوم صائماً»**، قال أبو بكر: أنا إلى قوله ﷺ : **«ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»** قال القاضي معناه: "دخل الجنة بلا محاسبة ولا مجازاة على قبيح الأعمال وإلا فمجرد الإيمان يقتضي دخول الجنة بفضل الله تعالى"[٣].

---

(١) فتح الباري ٢٦/٧.
(٢) صحيح مسلم ١٨٥٧/٤.
(٣) شرح النووي ١٥٦/١٥.

١٤ - وروى البخاري بإسناده إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **«من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»** فقال أبو بكر: إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه، فقال رسول الله ﷺ : **«إنك لست تصنع ذلك خيلاء»**، قال موسى: فقلت لسالم: أذكر عبد الله **«من جر إزاره»** قال: **«لم أسمعه إلا ثوبه»** (١) هذا الحديث تضمن فضيلة لأبي بكر، وهو قوله له ﷺ : **«إنك لست تصنع ذلك خيلاء»** حيث شهد له المصطفى ﷺ بما ينافي ما يكره رضي الله عنه وأرضاه.

١٥ - وروى أيضاً: بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه حدثهم أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم، فقال: **«اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»** (٢) دل هذا الحديث على منقبة عظيمة لأبي بكر رضي الله عنه وهي "وصديق" فقد لقبه النبي ﷺ بهذا اللقب الشريف ومنزلة الصديقين بينها الله تعالى بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩].

فقد بين تعالى أن الصديقين في المرتبة الثانية بعد الأنبياء وفي مقدمتهم الصديق الأعظم أبو بكر رضي الله عنه.

١٦ - وروى أيضاً: بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: إني لواقف في قوم فدعوا الله لعمر بن الخطاب، وقد وضع على سريره، إذا رجل من خلفي، قد وضع مرفقه على منكبي يقول: رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأني كثيراً ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: " كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر"، فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب(٣).

فهذا الحديث تضمن فضيلة الشيخين معاً والغرض منه دلالته على منقبة لأبي بكر الصديق، وهي فضيلة على عمر وغيره، لأنه كان المقدم عند النبي ﷺ في كل شيء،

---

(١) صحيح البخاري ٢/٢٩٠.
(٢) صحيح البخاري ٢/٢٩٣.
(٣) صحيح البخاري ٢/٢٩٣.

حتى في ذكره عنده عليه الصلاة والسلام.

١٧ - وروى البخاري أيضاً: بإسناده إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه توضأ في بيته، ثم خرج فقلت: لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا، قال: فجاء المسجد فسأل عن النبي ﷺ فقالوا: خرج ووجه ههنا، فخرجت على إثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس، فجلست عند الباب وبابها من جريد، حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته، فتوضأ فقمت إليه، فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها[١]، وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر فسلمت عليه، ثم انصرفت فجلست عند الباب، فقلت: لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم، فجاء أبو بكر فدفع الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر فقلت: على رسلك، ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله، هذا أبو بكر يستأذن، فقال: **«ائذن له وبشره بالجنة»** فأقبلت حتى قلت: لأبي بكر ادخل، ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف ودلى رجليه في البئر، كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه، ثم رجعت فجلست، وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني، فقلت: إن يرد الله بفلان خيراً يريد أخاه يأت به فإذا إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب فقلت: على رسلك ثم جئت إلى رسول الله فسلمت عليه فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن، فقال: **«ائذن له وبشره بالجنة»** فجئت فقلت له: ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة، فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره، ودلى رجليه في البئر، ثم رجعت فجلست فقلت: إن يرد الله بفلان خيراً يأت به، فجاء إنسان يحرك الباب فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان فقلت: على رسلك، فجئت إلى رسول الله ﷺ، فأخبرته فقال: **«ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه»** فجئته فقلت له: ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك، فدخل فوجد القف قد ملئ، فجلس وجاهه من الشق الآخر، قال شريك: قال سعيد بن المسيب فأولتها قبورهم"[٢].

هذا الحديث فيه التصريح بفضل الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان، ودل على أن أبا بكر أفضلهم لسبقه بالبشارة بالجنة، ولجلوسه على يمين المصطفى عليه الصلاة والسلام.

---

(١) القف: قال في النهاية ٩١/٤: "قف البئر: هو الدكة التي تجعل حولها وأصل القف ما غلظ من الأرض وارتفع".

(٢) صحيح البخاري ٢٩٢/٢.

١٨ - وروى البخاري أيضاً في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب – يعني الجنة – يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام وباب الريان»** فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة وقال: هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله قال: **«نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر»** (١).

هذا الحديث دل على فضيلة ومنقبة عالية للصديق رضي الله عنه تضمنها قوله ﷺ : **«وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر»** ورجاء النبي ﷺ واقع محقق وفي هذا دلالة واضحة على فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ.

قال العلامة ابن القيم موضحاً منقبة الصديق في هذا الحديث: "لما سمت همة الصديق إلى تكميل مراتب الإيمان وطمعت نفسه أن يدعى من تلك الأبواب كلها سأل رسول الله ﷺ هل يحصل ذلك لأحد من الناس ليسعى في العمل الذي ينال به ذلك فخبره بحصوله وبشره بأنه من أهله وكأنه قال: هل تكمل لأحد هذه المراتب فيدعى يوم القيامة من أبوابها كلها؟ فلله ما أعلى هذه الهمة وأكبر هذه النفس" ا. هـ(٢).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى قوله: "فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة" زاد في الصيام "فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها" وفي الحديث إشعار بقلة من يدعى من تلك الأبواب كلها وفيه إشارة إلى أن المراد ما يتطوع به من الأعمال المذكورة لا واجباتها لكثرة من يجتمع له العمل بالواجبات كلها بخلاف التطوعات فقل من يجتمع له العمل بجميع أنواع التطوعات، ثم من يجتمع له ذلك إنما يدعى من جميع الأبواب على سبيل التكريم له، وإلا فدخوله إنما يكون من باب واحد ولعله باب العمل الذي يكون أغلب عليه... قوله: **«وأرجو أن تكون منهم»** قال العلماء: الرجاء من الله ومن نبيه واقع وبهذا التقرير يدخل الحديث في فضائل أبي

---

(١) المصدر نفسه ٢/٢٩٠.

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص/٧٥ - ٧٦.

بكر ووقع في حديث ابن عباس عند ابن حبان في نحو هذا الحديث التصريح بالوقوع لأبي بكر ولفظه **«قال: أجل وأنت هو يا أبا بكر»** ا. هـ[١].

١٩ - ومن مناقبه رضي الله عنه ما تميز به فوق ما حازه من الفضائل الكثيرة قيامه بالدعوة إلى الله تعالى في بداية الإسلام في وقت لم يجرؤ فيه أحد سواه على الدعوة وقد أسلم على يديه كثير من الصحابة، رضي الله عنهم وكان لهم قدم صدق في الإسلام ومن هؤلاء عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون وغيرهم كثير رضي الله عنهم أجمعين[٢].

وبعد أن تولى الخلافة بعد النبي ﷺ سعى جاهداً في إرساء العقيدة الإسلامية في نفوس الناس وعقد الألوية لمحاربة المرتدين وإرجاعهم إلى دين الإسلام، حيث ارتد كثير من الناس عن هذا الدين الحنيف، وبعضهم أراد أن يمنع الزكاة، والبعض الآخر ادعى النبوة فعمت فتنة الردة كثيراً من البلاد[٣].

روى البيهقي رحمه الله بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: والذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، ثم قيل له: مه يا أبا هريرة فقال: إن رسول الله ﷺ وجه أسامة بن زيد في سبع مائة إلى الشام، فلما نزل بذي خشب[٤] قبض النبي ﷺ، وارتدت العرب حول المدينة؟ واجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا بكر رد هؤلاء توجه هؤلاء إلى الروم، وقد ارتدت العرب حول المدينة فقال: والذي لا إله إلا هو، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشاً وجهه رسول الله ﷺ، ولا حللت لواء عقده رسول الله ﷺ، فوجه أسامة، فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد، إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم، حتى يلقوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم، وقتلوهم، ورجعوا

---

(١) فتح الباري ٢٨/٧ - ٢٩.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢٥٩/١.

(٣) انظر تاريخ الأمم والملوك ٢٤٩/٣، وما بعدها وانظر: الكامل لابن الأثير ٣٤٢/٢، البداية والنهاية ٣٥٠/٦.

(٤) ذي خشب: واد على مسيرة ليلة من المدينة "معجم البلدان" ٣٧٢/٢.

سالمين، فثبتوا على الإسلام[١].

فقد وفق الله الصديق أن وقف موقفاً عظيماً يذكر به في الآخرين أمام تلك الردة التي عمت معظم البلاد، وأصر إلا على قتالهم حتى يرجعوا إلى الإسلام، وكان منفرداً بهذا الرأي حتى شرح الله صدر الفاروق لذلك، وعرف أنه الحق فبارك الله خطاه، حتى رفع راية التوحيد في كل البلاد التي مرض أهلها بالردة، ثم شرع بعد ذلك في نشر الإسلام في البلدان التي لم يصلها نور الإسلام وسعادته حتى لقي ربه تبارك وتعالى.

٢٠ - ومما تميز به عن غيره من صحابة رسول الله ﷺ أن المصطفى عليه الصلاة والسلام انتقل إلى الرفيق الأعلى وهو بالسنح[٢]، فأصاب الناس الذهول والحيرة والاضطراب، أما الصديق فقد رزقه الله قوة النفس والثبات، فكان أصبر الصحابة وأثبتهم عند وفاة النبي ﷺ حيث جاء: "فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله، فقال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً، ثم خرج إلى الناس، فحمد الله وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمداً ﷺ، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] قال: فنشج الناس يبكون، الحديث[٣].

وما إن سمع الصحابة رضي الله عنهم هذه الخطبة من صديق هذه الأمة إلا ورجعوا إلى الرشد والصواب، وانكشف ما بهم من الحيرة والذهول، ولذلك كان أفضلهم على الإطلاق.

تلك هي طائفة من الأحاديث التي اشتملت على المناقب التي دلت على أن الصديق حاز الأفضلية على سائر الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وأما دلالة الإجماع على أفضلية الصديق رضي الله عنه:

---

(١) الاعتقاد للبيهقي ص/١٧٤ - ١٧٥.

(٢) السنح: إحدى محال المدينة كان بها منزل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان بين السنح، ومنزل النبي ﷺ قدر ميل "انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي" ٣/٢٦٥.

(٣) صحيح البخاري ٢/٢٩١.

فقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم من أهل السنة والجماعة على أن أفضل الصحابة والناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أبو بكر، ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ ثم سائر العشرة ثم باقي أهل بدر، ثم باقي أهل أحد، ثم باقي أهل بيعة الرضوان، ثم باقي الصحابة، هكذا إجماع أهل الحق، فأبو بكر أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ لا ينازع في ذلك إلا زائغ[١]، وقد نقل الإجماع على أن أفضل الناس بعد الأنبياء هو أبو بكر الصديق جماعة من أهل العلم منهم:

- أبو طالب العشاري[٢]، والإمام الشافعي، والنووي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن حجر والبيهقي:

فقد روى أبو طالب العشاري بإسناده إلى عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: من فضل على أبي بكر وعمر أحداً من أصحاب النبي ﷺ فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار وطعن على أصحاب النبي ﷺ [٣].

- وقال الإمام الشافعي فيما رواه عنه البيهقي بإسناده: "ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة وإنما اختلف من اختلف منهم في عليّ وعثمان ونحن لا نخطئ واحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فيما فعلوا"[٤].

- وقال الحافظ ابن حجر: "ونقل البيهقي في "الاعتقاد" بسنده إلى أبي ثور عن الشافعي أنه قال: أجمع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبي بكر، ثم عمر ثم عثمان، ثم عليّ"[٥].

- وقال النووي رحمه الله تعالى: "اتفق أهل السنة على أن أفضلهم أبو بكر ثم

---

(١) انظر لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٣١٢/٢، أصول الدين لأبي منصور البغدادي ص/٣٠٤، الفرق بين الفرق ص/٣٥٩، تاريخ الخلفاء ص/٤٤.

(٢) هو محمد بن علي بن الفتح المعروف بابن العشاري، روى عن الدارقطني وطبقته وهو فقيه حنبلي، ولد سنة ستين وثلاثمائة، وتوفي سنة إحدى وخمسين وأربعمائة "، انظر ترجمته في طبقات الحنابلة" ١٩١/٢ - ١٩٤، شذرات= =الذهب ٢٨٩/٣.

(٣) فضائل أبي بكر للعشاري ص/٨.

(٤) كتاب الاعتقاد ص/١٩٢.

(٥) فتح الباري ١٧/٧، وانظر: الاعتقاد للبيهقي ص/١٩٢.

عمر"[١].

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن علي بن أبي طالب أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر"[٢].

- وقال ابن حجر الهيثمي: "واعلم أن الذي أطبق عليه عظماء الملة وعلماء الأمة أن أفضل هذه الأمة أبو بكر الصديق ثم عمر رضي الله عنهما"[٣].

- وهؤلاء الأعلام الذين نقلوا هذا الإجماع إنما هو بناء على ما قاله أئمة أهل السنة والجماعة فقد قال الإمام أبو حنيفة كما في شرح "الفقه الأكبر": ونقر بأن أفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد عليه أفضل الصلاة والسلام أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ رضي الله عنهم أجمعين" ا. هـ[٤].

- وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن الإمام مالك بن أنس أنه قال: لما سأله الرشيد عن منزلة الشيخين من النبي ﷺ فقال: "منزلتهما منه في حياته كمنزلتهما منه بعد مماته - ثم قال - وكثرة الاختصاص والصحبة مع كمال المودة والائتلاف والمحبة والمشاركة في العلم يقضي بأنهما أحق من غيرهما، وهذا ظاهر بين لمن له خبرة بأحوال القوم"[٥]، ومعلوم أن أبا بكر كانت منزلته عند النبي ﷺ أعلى منزلة وكان أفضل الصحابة وكان الصحابة يعتقدون أنه خير الناس، والنبي يعلم ذلك، ويقرهم عليه كما تقدم قريباً في حديث ابن عمر.

- وروى الإمام البيهقي مسنداً إلى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: سمعت محمد ابن إدريس الشافعي يقول: "أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم".

وقال أيضاً رحمه الله تعالى: "اضطر الناس بعد رسول الله ﷺ إلى أبي بكر، فلم

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/١٤٨.
(٢) الوصية الكبرى ص/٣٢.
(٣) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ص/٥٧.
(٤) ص/١٠٨.
(٥) مجموع الفتاوى ٤/٤٠٣.

يجدوا تحت أديم السماء خيراً من أبي بكر من أجل ذلك استعملوه على رقاب الناس"[١].

وقال الإمام أحمد رحمة الله عليه: "وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان بعد عمر، وعلي بعد عثمان ووقف قوم على عثمان وهم خلفاء راشدون مهديون"[٢].

- وقال عبدوس بن مالك العطار: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: "خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق"[٣].

- وقال أبو الحسن الأشعري مبيناً مذهب أهل السنة وعقيدتهم في السلف: "ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله - سبحانه - لصحبة نبيه ﷺ ويأخذون بفضائلهم... ويقدمون أبا بكر ثم عمر، ثم عثمان، ثم علياً رضوان الله عليهم ويقرون أنهم الخلفاء الراشدون المهديون أفضل الناس كلهم بعد النبي ﷺ [٤].

وقال ابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى: وأفضل أمته ﷺ أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى رضي الله عنهم"[٥].

- وقال الإمام الذهبي: "أفضل الأمة وخليفة رسول الله ﷺ ومؤنسه في الغار وصديقه الأكبر... عبد الله بن أبي قحافة عثمان القرشي التيمي" ا. هـ[٦].

- وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: "وأفضل الصحابة، بل أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام أبو بكر عبد الله بن عثمان أبو قحافة التيمي، ثم من بعده عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين" ا. هـ[٧].

تلك هي عقيدة أهل السنة والجماعة في أبي بكر الصديق "وهي الإيمان والمعرفة بأن خير الخلق وأفضلهم وأعظمهم منزلة عند الله - عز وجل - بعد النبيين والمرسلين

---

(١) هذان القولان أوردهما عن الشافعي الإمام البيهقي في كتاب "مناقب الشافعي" ٤٣٣/١ - ٤٣٤.
(٢) طبقات الحنابلة ٣٠/١.
(٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ١٦٠/١.
(٤) مقالات الإسلاميين ٣٤٨/١.
(٥) لمعة الاعتقاد ص/٢٥.
(٦) تذكرة الحفاظ ٢/١.
(٧) الباعث الحثيث ص/١٨٣.

أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة رضي الله عنه"[١].

وهذا هو المذهب الحق الذي يلزم كل مسلم أن يعتقده ويلتزمه ويتمسك به. وبالله التوفيق.

* * * * *

(١) انظر: كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة" لعبيد لله محمد بن بطة العكبري"، ص/٢٥٧، شرح الطحاوية ص/٥٢٨.

فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه

إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يلي أبا بكر الصديق في الفضل، فهو أفضل الناس على الإطلاق بعد الأنبياء وأبي بكر، وهذا ما يلزم المسلم اعتقاده في أفضليته رضي الله عنه، وهذا هو معتقد الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، ونسبه رضي الله عنه هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب، يجتمع مع النبي ﷺ، في كعب وعدد ما بينهما من الآباء إلى كعب متفاوت بواحد بخلاف أبي بكر، فبين النبي ﷺ وكعب سبعة آباء، وبين عمر وبين كعب ثمانية، وأم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة ابنة عم أبي جهل، والحارث ابني هشام بن المغيرة[١].

وهو أحد السابقين إلى الإسلام، وبإسلامه رضي الله عنه ظهر دين الإسلام، وعلت كلمة الإيمان، وكان عند البعثة النبوية شديداً على المسلمين، ولما دخل في الإسلام كان إسلامه فتحاً على المسلمين وفرجاً لهم من الضيق[٢].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إن كان إسلام عمر لفتحاً، وهجرته لنصراً، وإمارته رحمة، والله ما استطعنا أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتلهم حتى ودعونا فصلينا"[٣].

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: "أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب"[٤].

وقد حقق الله فيه دعوة النبي ﷺ له قبل أن يسلم أن يعز به الإسلام فقد روى الترمذي بإسناده إلى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب»** قال: وكان أحبهما

---

(١) الطبقات الكبرى ٢٦٥/٣، تاريخ الأمم والملوك للطبري ١٩٥/٤، تذكرة الحفاظ للذهبي ٥/١، الإصابة ٥١١/٢، فتح الباري ٤٤/٧، وانظر: مجمع الزوائد ٦٠/٩، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص/١٠٨، لوامع الأنوار البهية ٣١٧/٢.

(٢) الإصابة ٥١١/٢.

(٣) انظر الطبقات لابن سعد ٢٧٠/٣، مجمع الزوائد ٦٢/٩، ثم قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفي رواية ما استطعنا أن نصلي عند الكعبة ظاهرين "ورجاله رجال الصحيح"، الإصابة ٥١١/٢ بمعناه.

(٤) مجمع الزوائد ٦٣/٩ ثم قال عقبه الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن.

إليه عمر[١].

وأخرج ابن سعد بسند حسن عن سعيد بن المسيب قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأى عمر بن الخطاب، أو أبا جهل بن هشام قال: **«اللهم اشدد دينك بأحبهما إليك»** فشد دينه بعمر بن الخطاب[٢].

وكان يكنى رضي الله عنه بأبي حفص.

قال الحافظ: أما كنيته، فجاء في السيرة لابن إسحاق أن النبي ﷺ كناه بها، وكانت حفصة أكبر أولاده، وأما لقبه فهو الفاروق باتفاق، فقيل: أول من لقبه به النبي ﷺ رواه أبو جعفر بن أبي شيبة في تاريخه عن طريق ابن عباس عن عمر، ورواه ابن سعد من حديث عائشة[٣]، وقيل: أهل الكتاب أخرجه ابن سعد عن الزهري[٤]، وقيل: جبريل رواه البغوي[٥].

وأحسنها وأقربها أن النبي ﷺ لقبه بالفاروق، لما رواه ابن سعد بإسناده إلى أبي عمرو ذكوان، قال: قلت لعائشة: من سمى عمر الفاروق؟ قالت: النبي عليه السلام[٦].

فهو رضي الله عنه الفاروق الذي فرق الله به بين الحق والباطل، وهو الذي ضرب الله الحق على لسانه وقلبه، وهو المحدث الملهم الصادق الظن، وهو سيد هذه الأمة بعد الصديق، والخليفة الثاني لرسول الله ﷺ على الأمة المحمدية "اتفق العلماء على أنه شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، لم يغب عن غزاة غزاها رسول الله ﷺ"[٧].

وقد وردت الأحاديث الكثيرة والأخبار الشهيرة بفضائل الفاروق رضي الله عنه

---

(١) سنن الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي ١٦٧/١٠ - ١٦٨ ثم قال الترمذي عقبه: هذا حديث حسن صحيح= =غريب من حديث ابن عمر.

(٢) الطبقات الكبرى ٣٦٧/٣، وانظر الإصابة ٥١١/٢ - ٥١٢.

(٣) الطبقات الكبرى ٢٧١/٣.

(٤) المصدر السابق ٢٧٠/٣.

(٥) فتح الباري ٤٤/٧.

(٦) الطبقات الكبرى ٢٧١/١٣.

(٧) تاريخ عمر لابن الجوزي ص/١٠٨.

ومنها:

١ - ما رواه الشيخان من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ : **«رأيتني دخلت الجنة، فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة، وسمعت خشفة فقلت من هذا؟ فقال: هذا بلال ورأيت قصراً بفنائه جارية، فقلت: لمن هذا؟ فقال: لعمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرت غيرتك»** فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله، أعليك أغار؟!

٢ - وروى أيضاً: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: "بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا لعمر فذكرت غيرته فوليت مدبراً" فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله"[١].

هذان الحديثان اشتملا على فضيلة ظاهرة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث أخبر النبي ﷺ برؤيته قصراً في الجنة للفاروق رضي الله عنه وهذا يدل على تكريمه وعلو منزلته رضي الله عنه.

قال ابن بطال: "فيه الحكم لكل رجل بما يعلم من خلقه قال: وبكاء عمر يحتمل أن يكون سروراً، ويحتمل أن يكون تشوقاً أو خشوعاً... " وقال الحافظ: "وفيه ما كان عليه النبي ﷺ من مراعاة الصحبة وفيه فضيلة ظاهرة لعمر" ا. هـ[٢].

٣ - وروى البخاري بإسناده إلى حمزة بن أسيد الأنصاري عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: **«بينا أنا نائم شربت – يعني اللبن – حتى أنظر إلى الري يجري في ظفري أو أظفاري، ثم ناولت عمر»** فقالوا: فما أولته قال: **«العلم»** [٣]. "وجه التعبير بذلك من جهة اشتراك اللبن والعلم في كثرة النفع وكونهما سبباً للصلاح، فاللبن للغذاء البدني والعلم للغذاء المعنوي وفي الحديث فضيلة - ومنقبة لعمر رضي الله عنه - وإن الرؤيا من شأنها أن لا تحمل على ظاهرها وإن كانت رؤيا الأنبياء من الوحي لكن منها ما يحتاج إلى تعبير ومنها ما يحمل على ظاهره... والمراد بالعلم - في الحديث - سياسة بكتاب الله

---

(١) صحيح البخاري ٢٩٣/٢، صحيح مسلم ١٨٦٢/٤ - ١٨٦٣.

(٢) فتح الباري ٧٥/٧.

(٣) صحيح البخاري ٢٩٤/٢، وعند مسلم من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه ١٨٥٩/٤.

وسنة رسوله ﷺ واختص عمر بذلك لطول مدته بالنسبة إلى أبي بكر وباتفاق الناس على طاعته بالنسبة إلى عثمان فإن مدة أبي بكر كانت قصيرة فلم يكثر فيها الفتوح التي هي أعظم الأسباب في الاختلاف ومع ذلك فساس عمر فيها مع طول مدته الناس بحيث لم يخالفه أحد ثم ازدادت اتساعاً في خلافة عثمان فانتشرت الأقوال واختلفت الآراء ولم يتفق له ما اتفق لعمر من طواعية الخلق له فنشأت من ثم الفتن إلى أن أفضى الأمر إلى قتله واستخلف علي فما ازداد الأمر إلا اختلافاً والفتن إلا انتشاراً[١].

وبهذا اتضحت المنقبة التي اشتمل عليها الحديث للفاروق رضي الله عنه.

٤ - وروى الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا على وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض علي عمر وعليه قميص اجتره**» قالوا فما أولته يا رسول الله؟ قال: «**الدين**» [٢].

هذا الحديث تضمن فضيلة ظاهرة لعمر رضي الله عنه وهي قوله: «**وعرض علي عمر وعليه قميص اجتره**» إلخ الحديث.

قال الحافظ: "السائل عن ذلك أبو بكر... وقد استشكل هذا الحديث بأنه يلزم منه أن عمر أفضل من أبي بكر الصديق، والجواب عنه تخصيص أبي بكر من عموم قوله: عرض على الناس فلعل الذين عرضوا إذ ذاك لم يكن فيهم أبو بكر، وأن كون عمر عليه قميص يجره لا يستلزم ألا يكون على أبي بكر قميص أطول منه وأسبع فلعله كان كذلك إلا أن المراد حينئذ بيان فضيلة عمر، فاقتصر عليها، والله أعلم" ا. هـ[٣].

٥ - وروى أيضاً: من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: "استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ، وعند نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر بن الخطاب، قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله

(١) انظر: فتح الباري ٤٦/٧.
(٢) صحيح البخاري ٢٩٥/٢، صحيح مسلم ١٨٥٩/٤.
(٣) فتح الباري ٥١/٧.

فقـال النبـي ﷺ : **«عجبـت مـن هـؤلاء اللاتـي كـن عنـدي، فلمـا سـمعن صـوتك ابتـدرن الحجاب»** قال عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله، ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ فقلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : **«إيها يا بن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً [١] قط إلا سلك فجاً آخر»** [٢].

هذا الحديث فيه بيان فضل عمر رضي الله عنه، وأنه من كثرة التزامه الصواب لم يجد الشيطان عليه مدخلاً ينفذ إليه منه.

قال الحافظ رحمه الله تعالى: "فيه فضيلة لعمر تقتضي أن الشيطان لا سبيل لـه عليه لا أن ذلك يقتضـي وجـود العصـمة إذ لـيس فيـه إلا فـرار الشـيطان منـه أن يشـاركه فـي طريق يسلكها، ولا يمنع ذلك من وسوسته لـه بحسب ما تصل إليه قدرتـه، فـإن قيـل عدم تسليطه عليـه بالوسوسـة، يؤخـذ بطريـق مفهـوم الموافقـة، لأنـه إذا منـع مـن السـلوك فـي طريـق، فـأولى ألا يلابسـه بحيـث يـتمكن مـن وسوسـته لـه، فيمكن أن يكـون حفـظ مـن الشيطان، ولا يلزم من ذلك ثبوت العصمة لـه، لأنها في حق النبي واجبة وفي حق غيره ممكنة، ووقع في حديث حفصـة عند الطبرانـي فـي الأوسط بلفظ: **«إن الشيطان لا يلقى عمر منذ أسلم إلا فر لوجهه»** وهذا دال علـى صلابته في الدين، واستمرار حالـه علـى الجد الصرف والحق المحض.

وقال النووي: "هذا الحديث محمول على ظاهره، وأن الشيطان يهرب إذا رآه، وقـال عياض: يحتمل أن يكون ذاك على سبيل ضرب المثل، وأن عمر فـارق سـبيل الشيطان، وسلك طريق السداد فخالف كل ما يحبه الشيطان" قال الحافظ: "والأول أولى"[٣].

٦ - روى البخـاري بإسـناده إلـى عبد الله بـن مسـعود قـال: مـا زلنـا أعـزة منـذ أسلم عمر[٤].

---

(١) الفـج: الطريـق الواسـع ويطلـق أيضـاً علـى المكـان المنخـرق بـين الجبلـين النهايـة ٤١٢/٣، شـرح النـووي ١٦٥/١٥.

(٢) صحيح البخاري ٢٩٤/٢، صحيح مسلم ١٨٦٣/٤ - ١٨٦٤.

(٣) فتح الباري ٤٧/٧ - ٤٨، شرح النووي ١٦٥/١٥ - ١٦٧.

(٤) صحيح البخاري ٢٩٤/٢.

هذا الحديث تضمن منقبة جليلة لعمر رضي الله عنه لما كان من القوة والجلد في أمر الله قال الحافظ: "وروى ابن أبي شيبة والطبراني من طريق القاسم بن عبد الرحمن قال: قال عبد الله بن مسعود: "كان إسلام عمر عزاً، وهجرته نصراً، وإمارته رحمة، والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر"[١].

٧ - روى الشيخان من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«أريت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليب [٢]، فجاء أبو بكر، فنزع ذنوباً أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً، والله يغفر له [٣]، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غرباً فلم أر عبقرياً يفري فريه حتى روى الناس وضربوا بعطن»** [٤].

هذا الحديث فيه فضيلة ظاهرة لعمر رضي الله عنه تضمنها قوله ﷺ : **«فجاء عمر بن الخطاب فاستحالت غرباً...»** الحديث، ومعنى: **«استحالت»** صارت وتحولت من الصغر إلى الكبر وأما **«العبقري»** فهو السيد وقيل: الذي ليس فوقه شيء ومعنى **«ضرب الناس بعطن»** أي: أرووا إبلهم، ثم آووها إلى عطنها، وهو الموضع الذي تساق إليه بعد السقي؛ لتستريح، وهذا المنام الذى رآه النبي ﷺ مثال واضح لما جرى للصديق وعمر رضي الله عنهما في خلافتهما وحسن سيرتهما وظهور آثارهما، وانتفاع الناس بهما، فقد حصل في خلافة الصديق، قتال أهل الردة وقطع دابرهم واتساع الإسلام، رغم قصر مدة خلافته، فقد كانت سنتين وأشهراً، فوضع الله فيها البركة، ولما حصل فيها من النفع الكثير، ولما توفي الصديق خلفه الفاروق، فاتسعت رقعة الإسلام في زمنه، وتقرر للناس من أحكامه ما لم يقع مثله، فكثر انتفاع الناس في خلافة عمر لطولها، فقد مصر الأمصار، ودون الدواوين، وكثرت الفتوحات والغنائم، ومعنى قوله ﷺ : **«فلم أر عبقرياً من الناس يفري فريه»** أي: لم أر سيداً يعمل عمله ويقطع قطعه ومعنى قوله ﷺ : **«حتى ضرب الناس بعطن»** قال القاضي عياض: ظاهره أنه عائد إلى خلافة عمر

---

(١) فتح الباري ٤٨/٧.

(٢) القليب: هي البئر غير المطوية، شرح النووي ١٥٨/١٥.

(٣) والله يغفر له: هذه العبارة ليس فيها تنقيص لأبي بكر ولا إشارة إلى ذنب، وإنما هي كلمة كان المسلمون يدعمون= =بها كلامهم ونعمت الدعامة "انظر شرح النووي على صحيح مسلم" ١٦١/١٥، فتح الباري ٣٩/٧.

(٤) صحيح البخاري ٢٩٤/٢، صحيح مسلم ١٨٦٢/٤.

خاصة، وقيل: يعود إلى خلافة أبي بكر وعمر جميعاً؛ لأن بنظرهما وتدبيرهما وقيامهما بمصالح المسلمين تم هذا الأمر: **«وضرب الناس بعطن»** لأن أبا بكر قمع أهل الردة وجمع شمل المسلمين وألفهم وابتدأ الفتوح ومهد الأمور وتمت ثمرات ذلك، وتكاملت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما"(١).

٨ - وروى الشيخان بإسنادهما إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يك في أمتي أحد، فإنه عمر»** (٢).

هذا الحديث تضمن منقبة عظيمة للفاروق رضي الله عنه وقد اختلف العلماء في المراد "بالمحدث". فقيل: المراد بالمحدث: الملهم.

وقيل: من يجري الصواب على لسانه من غير قصد.

وقيل: مكلم أي: تكلمه الملائكة بغير نبوة... بمعنى أنها تكلمه في نفسه وإن لم ير مكلماً في الحقيقة فيرجع إلى الإلهام. وفسره بعضهم بالتفرس"(٣).

قال الحافظ: "والسبب في تخصيص عمر بالذكر، لكثرة ما وقع له في زمن النبي ﷺ من الموافقات التي نزل القرآن مطابقاً لها ووقع له بعد النبي ﷺ عدة إصابات"(٤).

وكون عمر رضي الله عنه اختص بهذه المكرمة العظيمة، وانفرد بها دون من سواه من الصحابة لا تدل على أنه أفضل من الصديق رضي الله عنه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وكان أبو بكر رضي الله عنه أكثر علماً وإيماناً من عمر... وإن كان عمر - رضي الله عنه - محدثاً كما جاء في الحديث الصحيح... فهو رضي الله عنه المحدث الملهم الذي ضرب الله الحق على لسانه وقلبه، ولكن مزية الصديق الذي هو أكمل متابعة للرسول وعلماً وإيماناً بما جاء به، درجته فوق درجته فلهذا كان الصديق أفضل الأمة صاحب المتابعة للآثار النبوية، فهو معلم لعمر ومؤدب للمحدث منهم الذي يكون له من ربه إلهام وخطاب، كما كان أبو بكر

---

(١) انظر: شرح النووي ١٦١/١٥ - ١٦٢.

(٢) صحيح البخاري ٢٩٥/٢، ورواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها ١٨٦٤/٤.

(٣) فتح الباري ٥٠/٧ وانظر: شرح النووي ١٦٦/١٥.

(٤) فتح الباري ٥١/٧.

معلماً لعمر ومؤدباً لـه حيث قال لـه: فأخبرك أنك تدخله هذا العام؟ قال: لا قال: إنك آتيه ومطوف.

فبين لـه الصديق أن وعد النبي ﷺ مطلق غير مقيد بوقت، وكونـه سعى في ذلك العام وقصده لا يوجب أن يعني ما أخبر به، فإنـه قد يقصد الشيء ولا يكون، بل يكون غيره، إذ ليس من شرط النبي ﷺ أن يكون كما قصده، بل من تمام نعمة ربه عليه أن يقيده عما يقصده إلى أمر آخر هو أنفع مما قصده، كما كان صلح الحديبية أنفع للمؤمنين من دخولهم ذلك العام، بخلاف خبر النبي ﷺ، فإنه صادق لا بد أن يقع ما أخبر به ويتحقق"[١].

وقال العلامة ابن القيم: "ولا تظن أن تخصيص عمر رضي الله عنه بهذا تفضيل لـه على أبي بكر الصديق، بل هذا من أقوى مناقب الصديق، فإنه لكمال مشربه من حوض النبوة وتمام رضاعه من ثدي الرسالة استغنى بذلك عما تلقاه من تحديث أو غيره، فالذي يتلقاه من مشكاة النبوة أتم من الذي يتلقاه عمر من التحديث، فتأمل هذا الموضع وأعطه حقه من المعرفة، وتأمل ما فيه من الحكمة البالغة الشاهدة لله بأنه الحكيم الخبير"[٢].

٩ - وروى أبو عبد الله الحاكم في المستدرك والترمذي في سننه والإمام أحمد في المسند بإسنادهم إلى عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب»** [٣].

هذا الحديث فيه إبانة لفضل الفاروق رضي الله عنه، حيث جعل الله تعالى فيه من أوصاف الأنبياء وخلال المرسلين ما يجعله، لأن يكون أهلاً للنبوة، لو كان هناك نبوة بعد المصطفى ﷺ، ولكن الله تعالى ختم النبوة بمحمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، فلا نبوة بعده إلى يوم القيامة.

١٠ - وروى البخاري بإسناده إلى أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن

---

(١) دقائق التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محمد السيد الجليند ٣٠٦/٤ - ٣٠٧.

(٢) مفتاح دار السعادة ٢٥٥/١.

(٣) المستدرك ٨٥/٣ وقال الحاكم عقبه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، سنن الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي ١٧٣/١٠، المسند ١٥٤/٤، وأورده الألباني في صحيح سنن الترمذي، وقال عقبه: "حسن"، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٣٢٧.

الساعة فقال: متى الساعة؟ قال: «**وماذا أعددت لها؟**» قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ فقال: «**أنت مع من أحببت**» قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ، وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم[١].

هذا الحديث فيه فضيلة ظاهرة لعمر رضي الله عنه تؤخذ من قول أنس بن مالك، فإنه قرن الصديق وعمر بالنبي ﷺ في العمل، ولا يعني هذا أن أنساً رضي الله عنه يريد أن يكون في درجة النبي ﷺ، فالدرجات متفاوتة، وإنما يريد ويرجو أن يكون في الجنة دار الثواب وبعيداً عن دار العقاب، وكل مؤمن يحبهم يرجو ذلك من الله تعالى.

١١ - ومن أجل مناقبه رضي الله عنه، وأعظمها موافقته للقرآن في وقائع متعددة بمعنى أنه كان يرى الرأي، فيتنزل القرآن موافقاً لما رآه رضي الله عنه وأرضاه، فقد روى البخاري رحمه الله تعالى بإسناده إلى أنس رضي الله عنه، قال: قال عمر: "وافقت ربي في ثلاث: فقلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وآية الحجاب قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب[٢]، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥] فنزلت الآية[٣].

وعند مسلم بلفظ: "وافقت ربي في ثلاث في مقام إبراهيم وفي الحجاب وفي أسارى بدر"[٤].

ووجه موافقته في أسارى بدر أنه لما جيء بهم استشار النبي ﷺ الناس فيهم فقال: «**إن الله قد أمكنكم منهم**» فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله أضرب أعناقهم، فأعرض عنه فقام أبو بكر، فقال: نرى أن تعفو عنهم، وأن تقبل منهم الفداء فعفا عنهم، وقبل منهم الفداء فعفا عنهم فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ

---

(١) صحيح البخاري ٢/٢٩٥.
(٢) هي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾ [الأحزاب: ٥٣].
(٣) صحيح البخاري مع الفتح ١/٥٠٤.
(٤) صحيح مسلم ٤/١٨٦٥.

أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٧ - ٦٩] [(١)] وكانت موافقة لرأي عمر رضي الله عنه.

وروى الإمام أحمد وغيره بإسناده إلى عمر رضي الله عنه، قال: لما نزل تحريم الخمر، قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية التي في سورة البقرة: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢١٩]، قال: فدعي عمر رضي الله عنه، فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية التي في سورة النساء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ [النساء: ٤٣]، فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى ألا يقربن الصلاة سكران، فدعي عمر رضي الله عنه فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية في المائدة، فدعي عمر رضي الله عنه، فقرئت عليه فلما بلغ: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١] قال: فقال عمر رضي الله عنه: انتهينا انتهينا"[(٢)].

وروى الشيخان من حديث عبد الله بن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول جاء ابنه عبد الله، فسأله أن يعطيه قميصه، يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ، ليصلي عليه، فقام عمر، فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ : **«إنما خيرني الله»** فقال: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ [التوبة: ٨٠]، **«وسأزيد على سبعين»**، قال: إنه منافق فصلى عليه رسول الله ﷺ وأنزل الله - عز وجل -: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [التوبة: ٨٤] [(٣)].

فهذه الموافقات كلها مناقب عالية للفاروق رضي الله عنه، فقد رأى أن يتخذ من مقام إبراهيم مصلى، فنزل القرآن بموافقته، وقد رأى أن تحجب نساء النبي ﷺ، فنزل القرآن

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ٤٣/١٠ - ٤٤، تفسير ابن كثير ٣٤٥/٣، لباب النقول في أسباب النزول ص/١١٤.

(٢) المسند ٥٣/١، سنن أبي داود ٢٩١/٢، المستدرك للحاكم ١٤٣/٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ٣٣٣/٨، صحيح مسلم ١٨٦٥/٤.

بموافقته، وقال لنساء النبي ﷺ لما اجتمعن عليه في الغيرة: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ [التحريم: ٥]، فنزل القرآن بموافقته، وقد رأى في أسارى بدر أن تضرب أعناقهم فنزل القرآن بموافقته، وقد رأى تحريم الخمر، فكان يقول: **«اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً»**، فنزل القرآن بموافقته، وقد رأى عدم الصلاة على عبد الله بن أبي فإنه فلما توفي ابن أبي قام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر، فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه منافق فصلى عليه رسول الله ﷺ، فأنزل الله عليه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤]، فكانت موافقة لما كان يراه عمر من عدم الصلاة على رأس النفاق، فلله ما أعظم هذا الفضل وما أعلى هذه المكانة التي تبوأها الفاروق رضي الله عنه، فلقد رزقه الله السداد في الرأي والإصابة في القول، فهو رضي الله عنه المحدث الملهم الذي ضرب الله الحق على لسانه وقلبه، وهو الذي أعز الله به دين الإسلام فرضي الله عنه وأرضاه.

١٢ - ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخبر بأنه شهيد، وتحقق إخباره عليه الصلاة والسلام، فقد مات شهيداً على يد الظالم أبي لؤلؤة المجوسي، فقد روى البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: صعد النبي ﷺ أحداً، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم، فضربه برجله، وقال: **«اثبت أحد فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان»** (١).

وعند الترمذي من حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال النبي ﷺ : **«اهدأ فما عليك إلا نبي وصديق وشهيد»** (٢).

قال أبو بكر بن العربي رحمه الله تعالى: "ولقد أفاد هذا الحديث فائدة عظيمة، وهي أن عمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير شهداء كلهم، وأن أبا بكر صديق ومحمد رسول الله ﷺ نبي عظيم، وقد جمعت هؤلاء الشهداء الشهادة، وإن اختلفت أسبابها، وتباينت وجوهها، ولكن لفهم شرف هذه الصحبة واجتماعهم جملة، وأبان جليل مقدارهم أمر

---

(١) صحيح البخاري ٢/٢٩٤ - ٢٩٥.

(٢) سنن الترمذي مع تحفة الأحوذي ١٠/١٨٦ - ١٨٧.

النبي ﷺ للجبل بالهدوء والسكون لأجل شرف من عليه، فيا معشر الطالبين لعلم الدين، أبعد هذا بيان لمن كان لـه قلب فما لكم تدخلون بينهم وتتكلمون فيما وقع لهم، وترجحون وتقدمون وتؤخرون وتحبون وتبغضون كأنكم لا تعلمون مقاديركم ولا تلزمون مواضعكم حتى تترقوا بالجهل والفضول إلى عثمان وعلي وطلحة والزبير، فتتكلمون بالحمية وتتعصبون ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الطور: ١٥]، وقد رجف الجبل بالنبي عليه السلام، وأبي بكر وعمر وعثمان، وقد رجف بهؤلاء الأعيان، وقد كان ذلك بمكة وبحراء وقد كان بالمدينة وأحد، وأنبأنا الله بالفضل مرتين، وأكده، وعضد مقدارهم، ومهده في جبلين" ا. هـ[١].

١٣ - ومن مناقبه العظيمة رضي الله عنه بشارة النبي ﷺ لـه بالجنة، فعمر رضي الله عنه من أهل الجنة قطعاً، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ : **«افتح له وبشره بالجنة»**، ففتحت لـه، فإذا هو أبو بكر، فبشرته بما قال النبي ﷺ : فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي ﷺ : **«افتح له وبشره بالجنة»**، ففتحت لـه، فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي ﷺ : فحمد الله، ثم استفتح رجل فقال لي: **«افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه»**، فإذا عثمان فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ : فحمد الله ثم قال: الله المستعان[٢].

١٤ - ومن مناقبه الحميدة رضي الله عنه ما جاء من الثناء عليه من فضلاء الصحابة حياً وميتاً، ورضا الجميع عنه، ومن ذلك: ما روى البخاري بإسناده إلى المسور بن مخرمة قال: لما طعن عمر جعل يألم، فقال لـه ابن عباس، وكأنه يجزعه: يا أمير المؤمنين ولئن كان ذاك لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون، قال: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه، فإنما ذاك منّ من الله - تعالى - منّ به علي، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنما ذاك منّ من الله - جل ذكره - منّ

---

(١) عارضة الأحوذي ١٥٣/١٣ - ١٥٤.

(٢) صحيح البخاري ٢٩٦/٢.

به عليّ. وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك والله لو أن لي طلاع[١] الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله - عز وجل - قبل أن أراه"[٢]، وفي هذا بيان فضل عظيم لعمر رضي الله عنه يؤخذ من قول ابن عباس: لقد صحبت رسول الله ﷺ إلى قوله: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ وذلك أن له بهذا فضلاً عظيماً حيث إنه صحب رسول الله ﷺ وفارقه وهو عنه راض وكذلك كان مع أبي بكر وبقية الصحابة جميعاً ومع ما كان عليه من هذه السيرة الحسنة، فإنه رضي الله عنه لحق بالرفيق الأعلى والخوف غالب عليه من خشية التقصير في حقوق الرعية وهكذا المؤمن كامل الإيمان يجمع بين الخوف والإحسان.

وروى الشيخان من حديث ابن أبي مليكة قال: سمعت ابن عباس يقول: وضع عمر ابن الخطاب على سريره فتكنفه[٣] الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل أن يرفع وأنا فيهم قال: فلم يرعني[٤] إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفت إليه فإذا هو علي، فترحم على عمر، وقال: ما خلفت أحداً أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذاك أني كنت أكثر ما أسمع رسول الله ﷺ يقول: "جئت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر" فإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله معهما[٥].

هذا الحديث دل على فضيلة أبي بكر وعمر وشهادة علي لهما، وحسن ثنائه عليهما وصدق ما كان يظنه بعمر قبل وفاته رضي الله عنهم أجمعين.

تلك طائفة من الأحاديث النبوية والآثار التي تضمنت مناقب عالية للفاروق، وكلها أدلة قطعية يقينية، دلت على أن الفاروق أفضل الناس بعد أبي بكر الصديق وهو ما تعتقده الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، وهو ما يجب على المسلم اعتقاده في ثاني الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) طلاع الأرض: أي ما يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل "النهاية في غريب الحديث" ١٣٣/٣.
(٢) صحيح البخاري ٢٩٥/٢ - ٢٩٦.
(٣) فتكنفه الناس: أي أحاطوا به من جانبيه "انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر" ٢٠٥/٤.
(٤) فلم يرعني: أي: لم يفزعني والمراد: أنه رآه بغتة "فتح الباري" ٤٨/٧.
(٥) صحيح البخاري ٢٩٤/٢، صحيح مسلم ١٨٥٨/٤ - ١٨٥٩.

فضل ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه

مما هو معلوم عند جمهور أهل السنة والجماعة أن أفضل الناس على الإطلاق بعد أبي بكر وعمر هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، يكنى أبا عمرو، ويقال: أبا عبد الله[١] يجتمع مع النبي ﷺ في عبد مناف، وعدد ما بينهما من الآباء متفاوت، فالنبي ﷺ من حيث العدد في درجة عفان كما وقع لعمر سواء[٢] وأمه رضي الله عنها أروى بنت كريز ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب، وهي شقيقة عبد الله والد النبي ﷺ، ويقال: إنهما ولدا توأما، فكان ابن بنت عمة النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ ابن خال والدته، وقد أسلمت أمه رضي الله عنه، وماتت على الإسلام، ولها صحبة رضي الله عنها، وأما والده فإنه مات في الجاهلية[٣].

فعثمان رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثلاثة الذين خلصت لهم الخلافة من الستة، ثم تعينت فيه بإجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، فكان ثالث الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، المأمور باتباعهم والاقتداء بهم، وكان رضي الله عنه من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهاجر إلى الحبشة أول الناس ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة، فلما كانت وقعة بدر، اشتغل بتمريض ابنة رسول الله ﷺ، وأقام بسببها في المدينة، وضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره فيها، فهو معدود فيمن شهدها، فلما توفيت زوّجه رسول الله ﷺ بأختها أم كلثوم، ولذلك لقب بذي النورين؛ لأنه تزوج ابنتي نبي واحدة بعد واحدة، ولم يتفق ذلك لغيره رضي الله عنه، وشهد الخندق والحديبية، وبايع عنه رسول الله ﷺ يومئذ بإحدى يديه، وشهد خيبر، وعمرة القضاء، وحضر الفتح وهوازن والطائف وغزوة تبوك، وجهز جيش العسرة، صحب رسول الله

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥٣/٣ وما بعدها، المستدرك للحاكم ٩٦/٣، تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤١٩/٤ - ٤٢٠، الكامل لابن الأثير ١٨٤/٣، الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة ٦٩/٣ - ٨٤، البداية والنهاية لابن كثير ٢١٧/٧، الإصابة لابن حجر رحمه الله تعالى ٤٥٥/٢، فتح الباري ٥٤/٧، مجمع الزوائد ٧٩/٩، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص/١٤٧.

(٢) فتح الباري ٥٤/٧.

(٣) نفس المصدر ٥٥/٧، الإصابة ٢٢٢/٤.

ﷺ، فأحسن صحبته، وتوفي وهو عنه راض، وصحب أبا بكر فأحسن صحبته، وتوفي وهو عنه راض، وصحب الفاروق فأحسن صحبته، وتوفي وهو عنه راض، وكان رضي الله عنه ممن جمع بين العلم والعمل، والصيام، والتهجد، والإتقان، والجهاد في سبيل الله، وصلة الأرحام، وكان من الصادقين القائمين الصائمين المنفقين في سبيل الله تعالى[١].

فهو رضي الله عنه أفضل الناس بعد الشيخين رضي الله عنهما، وهذا هو معتقد الجمهور من أهل السنة والجماعة، قال إسحاق بن راهوية رحمه الله تعالى: "لم يكن بعد رسول الله ﷺ على الأرض أفضل من أبي بكر، ولم يكن بعده أفضل من عمر، ولم يكن بعد أفضل من عثمان، ولم يكن بعد عثمان على الأرض خير ولا أفضل من عليّ"[٢].

وقد ذهب بعض أهل السنة من أهل الكوفة إلى تفضيل عليّ على عثمان رضي الله عنهما، وذهب بعض أهل المدينة إلى التوقف في أمرهما رضي الله عنهما، ثم ذكر أهل العلم رجوع هؤلاء جميعاً إلى مذهب جمهور أهل السنة والجماعة القائل بتقديم عثمان على عليّ رضي الله عنهما، وصار القول واحداً في أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة:

قال الإمام النووي: "وقال بعض أهل السنة من أهل الكوفة بتقديم عليّ على عثمان والصحيح المشهور تقديم عثمان"[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فإن سفيان الثوري، وطائفة من أهل الكوفة رجحوا علياً على عثمان، ثم رجع عن ذلك سفيان وغيره، وبعض أهل المدينة توقف في عثمان وعليّ، وهي إحدى الروايتين عن مالك، لكن الرواية الأخرى عنه تقديم عثمان على عليّ، كما هو مذهب سائر الأئمة، كالشافعي وأبي حنيفة وأصحابه، وأحمد بن حنبل وأصحابه، وغير هؤلاء من أئمة الإسلام[٤].

---

(١) انظر تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي ٨/١ - ١٠، البداية والنهاية ٢١٧/٧ - ٢١٩، لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٣٢٨/٢ - ٣٣٤.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن البر ٢٢٦/٢.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤٨/١٥.

(٤) مجموع الفتاوى ٥٢٦/٤.

وقال الحافظ ابن كثير: "والعجب أنه قد ذهب بعض أهل الكوفة من أهل السنة إلى تقديم عليّ على عثمان ويحكى عن سفيان الثورى، لكن يقال: إنه رجع عنه ونقل مثله عن وكيع بن الجراح ونصره ابن خزيمة والخطابي وهو ضعيف مردود"(١).

وذكر أبو منصور البغدادي عن محمد بن إسحاق بن خزيمة والحسين بن الفضل البجلي أنهما يقولان بتفضيل عليّ رضي الله عنه على عثمان"(٢).

ونقول: إن هذا القول ضعيف مردود لمخالفته ما أطبق عليه أهل السنة والجماعة من تقديم عثمان على عليّ رضي الله عنهما.

وقال أبو الحسن عليّ بن عمر الدارقطني: "اختلف قوم من أهل بغداد، فقال قوم: عثمان أفضل، وقال قوم: عليّ أفضل فتحاكموا إليّ، فأمسكت وقلت: الإمساك خير، ثم لم أر لديني السكوت، وقلت للذي استفتاني: ارجع إليهم، وقل لهم: أبو الحسن يقول: عثمان أفضل من عليّ باتفاق جماعة أصحاب رسول الله ﷺ هذا قول أهل السنة وهو أول عقد يحل في الرفض.

قال الذهبي: قلت: ليس تفضيل عليّ برفض ولا هو ببدعة، بل قد ذهب إليه خلق من الصحابة والتابعين فكل من عثمان وعليّ ذو فضل وسابقة وجهاد، وهما متقاربان في العلم والجلالة ولعلهما في الآخرة متساويان في الدرجة، وهما من سادة الشهداء رضي الله عنهما، ولكن جمهور الأمة على ترجيح عثمان على الإمام عليّ وإليه نذهب"(٣).

وقال غير واحد من العلماء كأيوب السختياني والدارقطني: من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار"(٤).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "وهذا الكلام حق وصدق وصحيح ومليح"(٥).

وإذ قد تبين لنا أن بعض أهل السنة القائلين بتقديم عليّ على عثمان، رضي الله

---

(١) الباعث الحثيث ص/١٨٣.

(٢) أصول الدين لأبي منصور البغدادي ص/٣٠٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤٥٧/١٦.

(٤) ذكره شيخ الإسلام في كتابه منهاج السنة ١٦٦/١، ٢٠٢/٤، مجموع الفتاوى ٤٢٨/٤، البداية والنهاية ١٣/٨.

(٥) البداية والنهاية ١٣/٨، الباعث الحثيث ص/١٨٣.

عنهما والقائلين بالتوقف في أمرهما قد رجعوا إلى قول الجمهور منهم من القول، بتقديم عثمان على عليّ في الفضل تبين أن هذه المسألة مجمع عليها بين أهل السنة والجماعة ولا عبرة بعد ذلك بأي قول يخالف هذا المعتقد الصحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وسائر أئمة السنة على تقديم عثمان وهو مذهب جماهير أهل الحديث وعليه يدل النص والإجماع والاعتبار، وأمَّا ما يحكى عن بعض المتقدمين من تقديم جعفر، أو تقديم طلحة أو نحو ذلك، فذلك في أمور مخصوصة لا تقديماً عاماً وكذلك ما ينقل عن بعضهم في علي"(١).

وقد وردت أحاديث كثيرة في السنة، تضمنت ذكر فضائله رضي الله عنه، وبعضها دل على أنه أفضل الخلق بعد الشيخين رضي الله عنهما ومن تلك الأحاديث:

١ - ما رواه الإمام البخاري بإسناده إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا في زمن النبي ﷺ، لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم"(٢).

هذا الحديث دل على أن عثمان رضي الله عنه أفضل الناس بعد أبي بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: " وقد اتفق العلماء على تأويل كلام ابن عمر، هذا لما تقرر عند أهل السنة قاطبة من تقديم علي بعد عثمان ومن تقديم بقية العشرة المبشرة على غيرهم، ومن تقديم أهل بدر على من لم يشهدها وغير ذلك، فالظاهر أن ابن عمر إنما أراد بهذا النفي أنهم كانوا يجتهدون في التفضيل، فيظهر لهم فضائل الثلاثة ظهوراً بيناً، فيجزمون به ولم يكونوا حينئذ، اطلعوا على التنصيص، ويؤيده ما رواه البزار عن ابن مسعود، قال: كنا نتحدث أن أفضل أهل المدينة علي بن أبي طالب: رجاله موثقون، وهو محمول على أن ذلك قاله ابن مسعود بعد قتل عمر، وقد حمل أحمد حديث ابن عمر على ما يتعلق بالترتيب في التفضيل، واحتج في التربيع بعلي بحديث سفينة مرفوعاً الخلافة ثلاثون سنة، ثم تصير ملكاً "أخرجه أصحاب

(١) منهاج السنة ١٦٦/١.
(٢) صحيح البخاري ٢٩٧/٢.

السنن[١]، وصححه ابن حبان وغيره، وقال الكرماني: لا حجة في قولـه: كنا نترك، لأن الأصوليين اختلفوا في صيغة، كنا نفعل لا في صيغة كنا لا نفعل لتصور تقرير الرسول في الأول دون الثاني، وعلى تقدير أن يكون حجة، فما هو من العمليات حتى يكفي فيه الظن، ولو سلمنا، فقد عارضه ما هو أقوى منه، ثم قال: ويحتمل أن يكون ابن عمر أراد أن ذلك كان في بعض أزمنة النبي ﷺ فلا يمنع ذلك أن يظهر بعد ذلك لهم... والله أعلم"[٢].

٢ - وروى الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: "أن النبي ﷺ دخل حائطاً، وأمرني بحفظ باب الحائط، فجاء رجل يستأذن فقال: **«ائذن له وبشره بالجنة»**، فإذا أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن فقال: **«ائذن له وبشره بالجنة»** فإذا عمر، ثم جاء آخر يستأذن فسكت هنيهة، ثم قال: **«ائذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه»** فإذا عثمان بن عفان"[٣].

هذا الحديث تضمن فضيلة هؤلاء الثلاثة المذكورين وهم أبو بكر وعمر وعثمان، "وأنهم من أهل الجنة - كما تضمن - فضيلة لأبي موسى، وفيه دلالة على جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا أمنت عليه فتنة الإعجاب ونحوه، وفيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ لإخبار بقصة عثمان والبلوى، وأن الثلاثة يستمرون على الإيمان والهدى"[٤].

وروى البخاري بإسناده إلى أبي عبد الرحمن أن عثمان رضي الله عنه، حيث حوصر أشرف عليهم، وقال: أنشدكم الله ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: **«من حفر رومة فله الجنة»**، فحفرتها ألستم تعلمون، أنه قال: **«من جهز جيش العسرة فله الجنة»**، فجهزته قال: فصدقوه بما قال[٥].

هذا الحديث تضمن منقبتين عظيمتين لذي النورين رضي الله عنه شراؤه رضي الله عنه بئر رومة، وتجهيزه جيش العسرة الذي خرج لغزوة تبوك، وقد أخبر الذي لا ينطق

---

(١) انظر سنن أبي داود ٥١٥/٢، سنن الترمذي ٣٤١/٣.

(٢) فتح الباري ٥٨/٧.

(٣) صحيح البخاري ٢٩٦/٢، صحيح مسلم ١٨٦٧/٤.

(٤) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٠/١٥ - ١٧١.

(٥) صحيح البخاري مع شرحه "فتح الباري" ٤٠٦/٥ - ٤٠٧.

عن الهوى أن جزاءه على ذلك أن يكون من أصحاب الجنة، وهاتان المنقبتان من أعلى مناقبه رضي الله عنه.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى عن ابن بطال أنه قال عند هذا الحديث: هذا وهم من بعض رواته، والمعروف أن عثمان اشتراها لا أنه حفرها، قال الحافظ: هو المشهور في الروايات، فقد أخرجه الترمذي من رواية زيد بن أبي أنيسة عن أبي إسحاق فقال فيه: "هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بثمن"[١] لكن لا يتعين الوهم، فقد روى البغوي في "الصحابة" من طريق بشر بن بشير الأسلمي، عن أبيه قال: لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها: رومة وكان يبيع منها القربة بمد.

فقال له النبي ﷺ : **«تبيعنيها بعين في الجنة»**، فقال: يا رسول الله، ليس لي ولا لعيالي غيرها، فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه، فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي ﷺ، فقال: أتجعل لي فيها ما جعلت له قال: **«نعم»** قال: قد جعلتها للمسلمين، "وإن كانت أولا عيناً، فلا مانع أن يحفر فيها عثمان بئراً، ولعل العين كانت تجري إلى بئر فوسعها وطواها فنسب حفرها إليه"[٢].

٤ - روى الترمذي رحمه الله بإسناده إلى ثمامة بن حزن القشيري، قال: شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان، فقال: ائتوني بصاحبيكم اللذين ألباكم علي؟ قال: فجيء بهما كأنهما جملان، أو كأنهما حماران، قال: فأشرف عليهم عثمان، فقال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة، وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة، فقال رسول الله ﷺ : **«من يشتري بئر رومة، فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين، بخير له منها في الجنة»** فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوننى أن أشرب منها حتى أشرب من ماء البحر؟ قالوا: اللهم نعم، فقال: أنشدكم بالله وبالإسلام، هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله؟ فقال رسول الله ﷺ : **«من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة؟»** فاشتريتها من صلب مالي، وأنتم اليوم تمنعوننى أن

---

(١) سنن الترمذي ٢٨٨/٥.

(٢) فتح الباري ٤٠٧/٥ - ٤٠٨.

أصلي فيها ركعتين؟ قالوا: اللهم نعم قال: أنشدكم بالله، وبالإسلام، هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي؟ قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم بالله وبالإسلام، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير مكة، ومعه أبو بكر وعمر وأنا، فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض، قال فركضه برجله فقال: "اسكن ثبير، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان"، قالوا: اللهم نعم، قال: الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد ثلاثاً"، ثم قال الترمذي رحمه الله عقب الحديث: هذا حديث حسن قد روي من غير وجه عن عثمان"[١].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى روايات توضح مقدار المال الذي اشترى به عثمان رضي الله عنه بئر رومة، والبقعة التي زيدت في توسعة المسجد، أما بالنسبة لمقدار المال الذي اشترى به بئر رومة، فقد أورد رواية أنه اشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، وهي من رواية بشير الأسلمي التي أخرجها البغوي في كتابه: "الصحابة"، وأنها كانت لرجل من بني غفار وقد تقدم ذكرها قريباً.

وأما مقدار المال الذي اشترى به البقعة التي زيدت في المسجد فقال: "وزاد النسائي من رواية الأحنف بن قيس عن عثمان أنه اشتراها بعشرين ألفاً أو بخمسة وعشرين ألفاً"[٢].

٥ - روى الترمذي بإسناده إلى عبد الرحمن بن حباب السلمي قال: شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة، فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله علي مائة بعير، بأحلاسها[٣] وأقتابها[٤] في سبيل الله، ثم حض على الجيش، فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله عليّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان ابن عفان فقال: يا رسول الله علي ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فأنا رأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول: **«ما على عثمان ما عمل بعد هذه،**

(١) سنن الترمذي ٢٩٠/٥ - ٢٩١.

(٢) فتح الباري ٤٠٨/٥.

(٣) جمع حلس: وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب. النهاية ٤٢٣/١.

(٤) القتب: إكاف البعير، وقيل: هو الإكاف الصغير الذي على قدر سنام البعير "لسان العرب" ٦٦١/١، النهاية ١١/٤.

ما على عثمان ما عمل بعد هذه» [(١)].

٦ - وروى الإمام أحمد بإسناده إلى عبد الرحمن بن سمرة قال: "جاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز ﷺ جيش العسرة، قال فصبها في حجر النبي ﷺ، فجعل النبي ﷺ يقلبها بيده ويقول: **«ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم»** يرددها مراراً"[(٢)].

قال العلامة ابن القيم ذاكراً صفة خروج النبي ﷺ إلى غزوة تبوك: "ثم إن رسول الله ﷺ جد في سفره وأمر الناس بالجهاز، وحض أهل الغنى على النفقة والحملات في سبيل الله فحمل رجال، واحتسبوا، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها، كانت ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وعدتها، وألف دينار عيناً"[(٣)].

فشهادة النبي ﷺ له بالجنة في شرائه بئر رومة، وتحبيسها على المسلمين غنيهم وفقيرهم، وزيادته في المسجد، وتجهيزه جيش العسرة مع قوله ﷺ "ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم" وهذا كقوله ﷺ : **«وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»** كل هذه الخصال المذكورة من أعظم مناقبه رضي الله عنه، وقد ذكرها يوم كان محصوراً في داره من قبل الزائغين الذين خرجوا عليه بغية الفساد في الأرض وصدقه بها كبار الصحابة وفضلاؤهم الذين سمعوها من النبي ﷺ مثل سعد بن أبي وقاص وعلي والزبير وطلحة رضي الله عنهم أجمعين.

٧ - وروى الإمام مسلم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له، وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه - قال محمد - ولا أقول ذلك في يوم واحد فدخل فتحدث، فلما خرج قالت: عائشة دخل أبو بكر فلم تهتش[(٤)] له ولم تباله ثم دخل عمر،

---

(١) سنن الترمذي ٢٨٩/٥.
(٢) المسند ٦٣/٥، والترمذي في سنن ٢٨٩/٥، ثم قال: "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه".
(٣) زاد المعاد ٥٢٧/٣.
(٤) قال ابن الأثير في النهاية ٢٦٤/٥ يقال: هش لهذا الأمر يهش هشاشة، إذا فرح به واستبشر وارتاح له وخف.

فلم تهتش لـه، ولم تباله، ثم دخل عثمان، فجلست، وسويت ثيابك فقال: **«ألا أستحي من رجل تستحيي منه الملائكة»** [(١)].

هذا الحديث تضمن فضيلة ظاهرة لعثمان رضي الله عنه وبيان أنه جليل القدر حتى عند الملائكة. كما دل الحديث أيضاً: على أن الحياء صفة حميدة، من صفات الملائكة.

٨ - وروى مسلم أيضاً: بإسناده إلى يحيى بن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبي ﷺ وعثمان حدثاه أن أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابس مرط[(٢)] عائشة، فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته، ثم انصرف، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته ثم انصرف، قال عثمان: ثم استأذنت عليه، فجلس وقال لعائشة: **«اجمعي عليك ثيابك»** فقضيت إليه حاجتي، ثم انصرف، فقالت عائشة: يا رسول الله، مالي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، كما فزعت لعثمان قال رسول الله ﷺ : **«إن عثمان رجل حيي، وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال ألا يبلغ إلي في حاجته»** [(٣)].

وهذا الحديث كالذي قبله فيه بيان مكانة عثمان عند النبي ﷺ، وثناؤه عليه بأنه حيي، وأنه عليه الصلاة والسلام اهتم بدخوله عليه، واحتفل به وبين لعائشة رضي الله عنها العلة في ذلك.

٩ - وروى البخاري بإسناده إلى عبيد الله بن عدي بن الخيار أخبره أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، قالا: ما يمنعك أن تكلم عثمان لأخيه الوليد فقد أكثر الناس فيه؟ فقصدت لعثمان حتى خرج إلى الصلاة، قلت: إن لي إليك حاجة وهي نصيحة لك، قال: يا أيها المرء منك قال معمر: أراه قال: أعوذ بالله منك، فانصرفت، فرجعت إليهما، إذ جاء رسول عثمان، فأتيته فقال ما نصيحتك؟ فقلت: إن الله - سبحانه - بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب وكنت ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ فهاجرت الهجرتين، وصحبت رسول الله ﷺ، ورأيت هديه، وقد أكثر الناس في شأن الوليد، قال: أدركت رسول الله ﷺ؟ فقلت: لا ولكن خلص إلي من علمه ما يخلص إلى

---

(١) صحيح مسلم ١٨٩٦/٤.

(٢) المرط: هو كساء وربما كان من خز أو غيره "النهاية لابن الأثير" ٣١٩/٤.

(٣) صحيح مسلم ١٨٦٦/٤ - ١٨٧٦.

العذراء في سترها قال: أما بعد، فإن الله بعث محمداً ﷺ بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله وآمنت بما بعث به وهاجرت الهجرتين - كما قلت - وصحبت رسول الله ﷺ وبايعته، فوالله ما عصيته ولا غششته، حتى توفاه الله، ثم أبو بكر مثله ثم عمر مثله، ثم استخلفت أفليس لي من الحق مثل الذي لهم؟، قلت: بلى قال: فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم؟ أما ما ذكرت من شأن الوليد فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله ثم دعا علياً فأمره أن يجلده فجلده ثمانين"[١].

هذا الحديث اشتمل على مناقب ظاهرة لعثمان رضي الله عنه وهي أنه كان ممن استجاب لله والرسول وآمن بما جاء به الرسول ﷺ حق الإيمان، وهاجر الهجرتين وصحب رسول الله ﷺ فأحسن صحبته، ومات عليه الصلاة والسلام، وهو عنه راض، ثم أبو بكر مثله، ثم عمر كذلك وتوفيا رضي الله عنهما وهما عنه راضيان، ولما طلب منه إقامة الحد على أخيه الوليد، فما أن ثبت لديه ما يوجب ذلك إلا وأمر علياً بإقامة الحد عليه، وهذا فيه دلالة على مراعاته للحق والأخذ به عند ظهوره وفي هذا منقبة من مناقبه رضي الله عنه.

١٠ - روى الإمام أحمد بإسناده إلى سلمة بن عبد الرحمن، قال: أشرف عثمان رضي الله عنه من القصر، وهو محصور، فقال: أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء[٢] إذ اهتز الجبل فركله بقدمه، ثم قال: «**اسكن حراء ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**» وأنا معه فانتشد له رجال، قال: أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان إذ بعثني إلى المشركين إلى أهل مكة، قال: «**هذه يدي وهذه يد عثمان – رضي الله عنه**» فبايع لي فانتشد له رجال"[٣].

هذا الحديث تضمن منقبتين عظيمتين لذي النورين رضي الله عنه:

الأولى: إخبار الرسول ﷺ بأنه سيموت شهيداً، وقد كان ذلك، فإنه رضي الله عنه قتل شهيداً على أيدي الخارجين عليه ظلماً وعدواناً.

---

(١) صحيح البخاري ٢٩٦/٢ - ٢٩٧.

(٢) حراء: جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال وهو جبل معروف "انظر معجم البلدان لياقوت الحموي" ٢٣٣/٢.

(٣) المسند ٥٩/١.

الثانية: أن الرسول ﷺ بايع عنه بيده الشريفة بيعة الرضوان، حيث إنه كان مبعوثاً من قبل الرسول ﷺ لإبلاغ أهل مكة أنه عليه الصلاة والسلام، جاء معتمراً لا محارباً، وهاتان المنقبتان دلتا على علو مكانته وعظيم فضله رضي الله عنه وأرضاه.

١١ - ومن مناقبه رضي الله عنه إجماع الصحابة على خيريته رضي الله عنه، وأفضليته بعد الشيخين، فإنه لما بويع لم يبق في الشورى إلا هو وعلي والحكم عبد الرحمن بن عوف وبقي عبد الرحمن بن عوف ثلاثة أيام بلياليها، يشاور المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ويشاور أمهات المؤمنين، ويشاور أمراء الأمصار، فإنهم كانوا بالمدينة حجوا مع عمر وشهدوا موته، حتى قال عبد الرحمن: إن لي ثلاثاً ما اغتمضت بنوم، وبعد هذا كله وبعد أخذ المواثيق منهما على أن يبايع من بايعه أعلن النتيجة بعد هذا الاستفتاء، وهي قوله: إني رأيت الناس لا يعدلون بعثمان، فبايعه علي وعبد الرحمن وسائر المسلمين بيعة رضى واختيار"[١].

فدل هذا الإجماع على أنه أفضل الخلق بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا إجماع منهم على تقديمهم لعثمان على عليّ[٢] ولما سأل رجل عبد الله بن المبارك أيهما أفضل عليّ أو عثمان قال: "قد كفانا ذاك عبد الرحمن بن عوف"[٣]، وقال عبد الله بن مسعود: "أمرنا خير من بقي ولم نأل"[٤]، ولهذا قال أيوب السختياني وأحمد بن حنبل والدارقطني: "من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار"[٥]، وقد بين معنى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: "لو لم يكن عثمان أحق بالتقديم، وقد قدموه كانوا إما جاهلين بفضله وإما ظالمين بتقديم المفضول من غير ترجيح ديني ومن نسبهم إلى الجهل والظلم فقد أزرى بهم"[٦].

١٢ - ومن مناقبه الكبار وحسناته العظيمة أنه جمع الناس على مصحف واحد

---

(١) انظر صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٣/١٩٣ - ١٩٤، وانظر البداية ٧/١٥٨ - ١٦١.
(٢) مجموع الفتاوى ٤/٤٢٨.
(٣) المسند من مسائل الإمام أحمد للخلال ورقة/٥٧.
(٤) مجمع الزوائد ٩/٨٨ وقال ابن حجر الهيثمي: رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدهما رجال الصحيح.
(٥) مجموع الفتاوى ٤/٤٢٨.
(٦) منهاج السنة ٢/٢٠٧.

وكتب المصحف على العرضة الأخيرة التي درسها جبريل على رسول الله ﷺ في آخر سني حياته وكان سبب ذلك أن حذيفة بن اليمان كان في بعض الغزوات وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود وأبي الدرداء وجماعة من أهل العراق ممن يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود وأبي موسى، وجعل من لا يعلم بسوغان القراءة على سبعة أحرف يفضل قراءته على قراءة غيره، وربما خطأ الآخر أو كفره، فأدى ذلك إلى اختلاف شديد، وانتشار في الكلام السيئ بين الناس فركب حذيفة إلى عثمان، فقال: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها كاختلاف اليهود والنصارى في كتبهم، وذكر له ما شاهد من اختلاف الناس في القراءة، فعند ذلك جمع عثمان الصحابة وشاورهم في ذلك، ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به دون ما سواه لما رأى في ذلك من مصلحة كف المنازعة ودفع الاختلاف.

فاستدعى بالصحف التي كان الصديق أمر زيد بن ثابت بجمعها فكانت عند الصديق أيام حياته، ثم كانت عند عمر، فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين، فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت الأنصاري أن يكتب، وأن يملي عليه سعد بن العاص الأموي بحضرة عبد الله بن الزبير الأسدي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش، فكتب لأهل الشام مصحفاً، ولأهل مصر آخر، وبعث إلى البصرة مصحفاً وإلى الكوفة بآخر، وأرسل إلى مكة مصحفاً، وإلى اليمن مثله، وأقر بالمدينة مصحفاً ويقال لهذه المصاحف: الأئمة"(١).

وبهذا العمل الجليل يعتبر عثمان رضي الله عنه من عباد الله الصالحين الذين أيد الله بهم دينه وحفظ بهم كتابه رضي الله عنه وأرضاه.

١٣ - ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخبر أنه سيكون مستمراً على الهدى المستقيم عند حلول الفتنة، وهذه منقبة عظيمة له رضي الله عنه.

فقد روى الحاكم بإسناده إلى مرة بن كعب قال: سمعت رسول الله ﷺ يذكر فتنة

---

(١) البداية والنهاية ٢٣٥/٧ - ٢٣٦.

فقربها فمر به رجل مقنع[١] في ثوب، فقال: **«هذا يومئذ على الهدى»** فقمت إليه، فإذا هو عثمان رضي الله عنه فأقبلت بوجهه فقلت: هو هذا قال: **«نعم»** [٢].

١٤- ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ أرشد الأمة بالالتفاف حوله عند نزول الفتنة والاختلاف، وفي هذا تنبيه إلى أن عثمان رضي الله عنه ممن أسعدهم الله ووفقهم لسلوك طريقه المستقيم، فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنها ستكون فتنة واختلاف، أو اختلاف وفتنة»** قال: قلنا يا رسول الله فما تأمرنا قال: **«عليكم بالأمير وأصحابه»** وأشار إلى عثمان" [٣].

١٥ - ومن مناقبه الرفيعة رضي الله عنه وفاؤه رضي الله عنه بما عهد إليه النبي ﷺ وإصباره نفسه على طاعة رسول الله ﷺ، وذلك أنه رضي الله عنه لما جاءه الخوارج الذين خرجوا عليه من الأمصار، وجاءوا إلى المدينة، وحصروه في داره رضي الله عنه فوق أربعين يوماً وكان عددهم كما قال ابن العربي: أربعة آلاف وكلهم يريد قتله، وكان عدد الذين لا يريدون قتله أربعين ألفاً"[٤]، وكان باستطاعته رضي الله عنه أن يأمر بالدفاع عنه وقد عرض عليه كثير من فضلاء الصحابة أن يأذن لهم في قتال هؤلاء المارقين، وطردهم عنه، ولكنه أبى رضي الله عنه خشية من أن يسفك دم بسببه، وناشد من كان معه في داره من الصحابة أن يخرجوا عنه ولما خرجوا تسلق عليه أولئك الأخلاط الظلمة داره وأحرقوا الباب ودخلوا عليه وقتلوه ورضي أن يكون عبد الله المقتول لا عبد الله القاتل وفاء بعهد النبي ﷺ إليه.

فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **«ادعوا لي أو ليت عندي رجلاً من أصحابي»** قالت: قلت: أبو بكر ؟ قال: **«لا»** قلت: عمر ؟ قال: **«لا»** قلت: ابن عمك عليّ ؟ قال: **«لا»** قلت: فعثمان ؟ قال: **«نعم»** قالت: فجاء عثمان فقال: **«قومي»** قال: فجعل النبي ﷺ يسر إلى عثمان، ولون عثمان يتغير، قال: فلما كان يوم الدار قلنا: ألا نقاتل ؟ قال: لا إن رسول الله ﷺ عهد إليّ أمراً

---

(١) جاء في لسان العرب: "ورجل مقنع بالتشديد أي: عليه بيضة ومغفر. والمقنع: المغطي رأسه"اهـ ٣٠١/٨.

(٢) المستدرك ١٠٢/٣ ثم قال عقبة: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

(٣) المصدر السابق ٩٩/٣ ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) عارضة الأحوذي بشرح الترمذي ١٥٦/١٤ - ١٥٧

فأنا صابر نفسي عليه[١].

تلك طائفة من الأحاديث والآثار التي دلت على فضل عثمان رضي الله عنه وفي بعضها دلالة على تقديمه بعد الشيخين، وهذا معتقد الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، وهي العقيدة التي ينبغي أن تحل في قلب المسلم الذي رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

* * * * *

(١) المستدرك ٩٩/٣. ثم قال: هذا حديث الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

فضل أبي السبطين علي رضي الله عنه

أجمع أهل السنة من السلف والخلف من أهل الفقه والأثر أن أبا السبطين أفضل الخلق بعد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، واسمه رضي الله عنه عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ويكنى بأبي تراب، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ويقال: إنها أول هاشمية ولدت هاشمياً، وقد أسلمت وهاجرت.

وعليّ رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض، وكان رضي الله عنه رابع الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين المأمور بالاقتداء بهم، وكان ممن سبق إلى الإسلام لم يتلعثم، وتربى في حجر النبي ﷺ وزوجه ابنته فاطمة رضي الله عنها، وهاجر إلى المدينة وشهد بدراً والحديبية وسائر المشاهد غير تبوك، لأن النبي ﷺ خلفه فيها على المدينة، وأبلى ببدر وأحد وبالخندق وبخيبر بلاءً عظيماً، وأغنى في تلك المشاهد وقام فيها المقام الكريم، وكان لواء النبي ﷺ بيده في مواطن كثيرة، وجاهد في الله حق جهاده، ونهض بأعباء العلم والعمل والفتيا رضي الله عنه وأرضاه، وكان رضي الله عنه من جملة من غسل النبي ﷺ وكفنه وولي دفنه"[١].

ولقد وردت الأحاديث الكثيرة والأخبار الشهيرة التي دلت على فضله رضي الله عنه ومنها:

١ - ما رواه الشيخان من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: **«لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»** قال: فبات الناس يدوكون[٢] ليلتهم أيهم، يعطاها قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: **«أين علي بن أبي طالب»** فقالوا: هو يا رسول الله

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٩/٣، الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة ٢٦/٣ - ٦٧، البداية والنهاية ٢٤٢/٧، وما بعدها، الإصابة في تمييز الصحابة ٥٠١/٢ - ٥٠٣، وانظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري ١٥٣/٥، الكامل لابن الأثير ٣٩٦/٣، مجمع الزوائد ١٠٠/٩، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص/١٦٦. لوامع الأنوار البهية ٣٣٤/٢.

(٢) يدوكون: أي: يخوضون ويموجون فيمن يدفعها إليه "النهاية في غريب الحديث" ١٤٠/٢.

يشتكي عينيه قال: فأرسلوا إليه فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا لـه، فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال عليّ: يا رسول الله أقاتلهم، حتى يكونوا مثلنا فقال: **«انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»**[١].

وفي رواية أخرى عند مسلم من حديث أبي هريرة: "... قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ قال: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها قال فدعا رسول الله ﷺ علياً بن أبي طالب فأعطاه إياها"[٢].

هذا الحديث تضمن منقبة ظاهرة لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأرضاه وهي قولـه: **«يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»** ومعنى أن علياً يحب الله ورسوله، أراد بذلك وجود حقيقة المحبة وإلا فكل مسلم يشترك مع علي في مطلق هذه الصفة وفي هذا الحديث تلميح بقولـه تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]، فكأنه أشار إلى أن علياً تام الاتباع لرسول الله ﷺ حتى اتصف بصفة محبة الله لـه"[٣].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: قولـه: **«يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»**، فيه فضيلة عظيمة لعلي رضي الله عنه لأن النبي ﷺ شهد لـه بذلك[٤].

ومعنى قول عمر رضي الله عنه: "فتساورت لها" معناه تطاولت لها أي: حرصت عليها وأظهرت وجهي وتصديت لذلك ليتذكرني، وقولـه: رضي الله عنه "فما أحببت الإمارة إلا يومئذ" إنما كانت محبته، لها لما دلت عليه، هذه الإمارة من محبته لله ورسوله ﷺ ومحبتهما لـه والفتح على يديه[٥].

٢ - وروى الشيخان من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله

(١) صحيح البخاري ٢٩٩/٢ - ٣٣٠، صحيح مسلم ١٨٨٢/٤.
(٢) صحيح مسلم ١٨٧٢/٤.
(٣) فتح الباري ٧٢/٧.
(٤) تيسير العزيز الحميد ص/١٠٧.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٦/١٥ - ١٧٧.

عنه قال: قال رسول ﷺ لعلي: **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»** قال سعيد بن المسيب: فأحببت أن أشافه بها سعداً، فلقيت سعداً فحدثته بما حدثني عامر، فقال: أنا سمعته فقلت: أنت سمعته؟ فوضع أصبعه على أذنيه فقال: نعم وإلا فاستكتا(١).

وهذا الحديث فيه فضيلة عظمى لعلي رضي الله عنه تضمنها قوله ﷺ : **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»** حيث بين عليه الصلاة والسلام منزلة علي منه ومكانته العظيمة عنده عليه الصلاة والسلام.

ونقل الإمام النووي عن القاضي عياض أنه قال: "هذا الحديث مما تعلقت به الروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة في أن الخلافة كانت حقاً لعلي، وأنه وصى له بها، قال: ثم اختلف هؤلاء، فكفرت الروافض سائر الصحابة في تقديمهم غيره، وزاد بعضهم، فكفر علياً، لأنه لم يقم في طلب حقه بزعمهم، وهؤلاء أسخف مذهباً، وأفسد عقلاً من أن يرد قولهم أو يناظر، وقال: ولا شك في كفر من قال هذا، لأن من كفر الأمة كلها، والصدر الأول فقد أبطل نقل الشريعة وهدم الإسلام، وأما من عدا هؤلاء الغلاة، فإنهم لا يسلكون هذا المسلك، فأما الإمامية وبعض المعتزلة، فيقولون: هم مخطئون في تقديم غيره لا كفار، وبعض المعتزلة لا يقول بالتخطئة لجواز تقديم المفضول عندهم، وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم، بل فيه إثبات فضيلة لعلي، ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله، وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده؛ لأن النبي ﷺ إنما قال هذا لعلي، حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك، ويؤيد هذا أن هارون المشبه به، لم يكن خليفة بعد موسى، بل توفي في حياة موسى، وقبل: وفاة موسى بنحو أربعين سنة على ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقصص، قالوا: وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة والله أعلم(٢).

٣ - وروى الشيخان من حديث سهل بن سعد قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد علياً في البيت فقال: **«أين ابن عمك؟»** قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني، فخرج فلم يقل عندي فقال رسول الله ﷺ لإنسان: **«انظر أين هو؟»** فجاء فقال: يا رسول

---

(١) صحيح البخاري ٣٠٠/٢، صحيح مسلم ١٨٧٠/٤ واللفظ لمسلم.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٤/١٥.

الله هو في المسجد راقد فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع وقد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: **«قم أبا تراب قم أبا تراب»** [١].

في هذا الحديث منقبة ظاهرة لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه وبيان علو منزلته عند النبي ﷺ، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام مشى إلى عليّ رضي الله عنه، ودخل المسجد، ومسح التراب عن ظهره واسترضاه تلطفاً به، لأنه كان وقع بينه وبين فاطمة شيء، فخرج إلى المسجد واضطجع فيه، وكناه النبي ﷺ بأبي تراب، وكانت هذه التسمية أحب شيء إليه رضي الله عنه.

٤ - ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ جعل محبته من علامة الإيمان، وجعل بغضه علامة للنفاق، فقد روى مسلم بإسناده إلى علي رضي الله عنه، قال: **«والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليّ أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»** [٢] ففي هذا منقبة ظاهرة لأبي الحسن رضي الله عنه، وهذا جارٍ باطراد في أعيان الصحابة لتحقق مشترك الإكرام لما لهم من حسن الغناء في الدين، قال القرطبي في المفهم: وأما الحروب الواقعة بينه فإن وقع من بعضهم بغض لبعض، فذاك من غير هذه الجهة، بل للأمر الطارئ الذي اقتضى المخالفة ولذلك لم يحكم بعضهم على بعض بالنفاق، وإنما كان حالهم في ذلك حال المجتهدين في الأحكام للمصيب أجران وللمخطئ أجر واحد والله أعلم[٣].

٥ - وروى الإمام البخاري بإسناده إلى عليّ رضي الله عنه، أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحا فأتى النبي ﷺ سبي فانطلقت، فلم تجده فوجدت عائشة فأخبرتها فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة، بمجيء فاطمة فجاء النبي ﷺ إلينا، وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لأقوم، فقال: على مكانكما، فقعد بيننا حتى وجدت، برد قدميه على صدري، وقال: **«ألا أعلمكما خيراً مما سألتماني إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعاً وثلاثين وتسبحا ثلاثاً وثلاثين وتحمدا ثلاثاً وثلاثين فهو خير لكما من خادم»** [٤].

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٥٣٥/٢، صحيح مسلم ١٨٧٤/٤.
(٢) صحيح مسلم ١٠٦/١.
(٣) فتح الباري ٦٣/١.
(٤) صحيح البخاري ٣٠٠/٢.

فهذا الحديث تضمن منقبة لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وتلك المنقبة هي دخول النبي ﷺ بينه وبين فاطمة رضي الله عنهما في فراشهما، وأمره لعلي بلزوم مكانه بعد أن هم بالقيام، وهذا يدل على أن لأبي الحسن رضي الله عنه منزلة عظيمة عند المصطفى ﷺ.

٦ - وروى أيضاً: بإسناده إلى سعد بن عبيدة قال: جاء رجل إلى ابن عمر، فسأله عن عثمان فذكر عن محاسن عمله، قال: لعل ذاك يسوءك، قال: نعم، قال: فأرغم الله بأنفك، ثم سأله عن علي فذكر محاسن عمله، قال هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي ﷺ، ثم قال: لعل ذاك يسوؤك قال: أجل قال: فأرغم الله بأنفك قال: انطلق فاجهد عليّ جهدك"(١).

وهذا الأثر عن ابن عمر تضمن فضل عليّ رضي الله عنه، حيث مدحه بأوصافه الحميدة التي دلت على مكانته وفضله رضي الله عنه وأرضاه.

٧ - وروى البخاري رحمه الله تعالى بإسناده إلى البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال لعلي: **«أنت مني وأنا منك»** (٢).

ففي قول النبي ﷺ هذا فضيلة عظيمة لعلي رضي الله عنه.

٨ - وروى الإمام مسلم بإسناده إلى عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله ﷺ، فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول لـه، خلفه في بعض مغازيه، فقال لـه علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال لـه رسول الله ﷺ : **«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي»** وسمعته يقول يوم خيبر: **«لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»** قال: فتطاولنا لها فقال: **«ادعوا لي علياً»**، فأتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ﴾ [آل عمران: ٦١] دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال:

---

(١) المصدر السابق ٣٠٠/٢.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٣٠٣/٥ - ٣٠٤.

«اللهم هؤلاء أهلي» [(١)].

هذا الحديث تضمن مناقب ظاهرة، وفضائل عالية، لأبي السبطين علي رضي الله عنه وأرضاه.

وقال النووي رحمه الله تعالى: قوله: "إن معاوية قال لسعد بن أبي وقاص، ما منعك أن تسب أبا تراب، قال العلماء: الأحاديث الواردة التي في ظاهرها دخل على صحابي، يجب تأويلها قالوا: ولا يقع في روايات الثقات، إلا ما يمكن تأويله، فقول معاوية: هذا ليس فيه تصريح، بأنه أمر سعداً بسبه، وإنما سأله عن السبب المانع له من السب، كأنه يقول: هل امتنعت تورعاً أو خوفاً، أو غير ذلك فإن كان تورعاً وإجلالاً له، فأنت مصيب محسن، وإن كان غير ذلك فله جواب آخر، ولعل سعداً قد كان في طائفة يسبون، فلم يسب معهم، وعجز عن الإنكار وأنكر[(٢)] عليهم، فسأله هذا السؤال قالوا: ويحْتمِل تأويلا آخر معناه ما منعك أن تخطئه في رأيه واجتهاده وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا وأنه أخطأ"[(٣)].

٩ - ومن مناقبه الدالة على فضله دعاء النبي ﷺ له بتثبيت لسانه وهداية صدره للحق حتى كان مدة حياته، لم يشك في قضاء بعد ذلك، فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى علي رضي الله عنه، قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، قال: فقلت: يا رسول الله إني رجل شاب، وأنه يرد علي من القضاء ما لا علم لي به، قال فوضع يده على صدري، وقال: **«اللهم ثبت لسانه واهد قلبه»** فما شككت في القضاء أو في قضاء بعد[(٤)].

١٠ - ومن مناقبه رضي الله عنه شهادة الرسول ﷺ له بالخشونة في ذات الله، وفي سبيل الله، فقد روى الحاكم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: شكى علي بن أبي طالب الناس إلى رسول الله ﷺ، فقام فينا خطيباً فسمعته يقول: **«أيها الناس**

---

(١) صحيح مسلم ١٨٧١/٤.

(٢) لعلها أو أنكر عليهم حتى يستقيم الكلام.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٥/١٥ - ١٧٦.

(٤) المستدرك ١٣٥/٣ وقال عقبه: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

لا تشكوا علياً فوالله إنه لأخشن في ذات الله وفي سبيل الله» [١].

١١ - ومن مناقبه العظيمة شهادة الرسول ﷺ لـه بالجنـة، فقد روى الحـاكم بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: مشيت مع النبـي ﷺ إلـى امرأة فذبحت لنـا شاة، فقال رسول الله ﷺ : «**ليدخلن رجل من أهل الجنة**»، فدخل أبـو بكـر رضـي الله عنـه، ثـم قـال: «**ليدخلن رجل من أهل الجنة**»، فدخل عمر رضـي الله عنـه، ثـم قـال: «**ليدخلن رجل من أهل الجنة، اللهم إن شئت فاجعله علياً**» قـال: فـدخل علـي بـن أبـي طالب رضي الله عنه[٢].

١٢ - ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ بين أن ابنته فاطمة وزوجها علـي بـن أبي طالب وولديها الحسن والحسين أنهم يكونون معه ﷺ يوم القيامة، في مكان واحد فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل على فاطمة رضي الله عنها فقال: «**إني وإياك وهذا النائم – يعني علياً – وهما – يعني الحسن والحسين – لفي مكان واحد يوم القيامة**» [٣].

ففي هذا بيان منقبة لعلي رضي الله عنه وأرضاه.

وقد كثر الثنـاء عليه رضـي الله عنـه من صـحابة رسـول الله ﷺ ومـن التـابعين لهـم بإحسان بما وجد فيـه من الخصـال الحميدة، وبمـا حصـل لـه من المناقب الرفيعـة التـي استحق أن يكون بها من خير البشر، فقد شهد لـه الفاروق رضي الله عنه بـأن المصـطفى ﷺ التحق بالرفيق الأعلى، وهو عنه راض كما شهد لـه بحل المعضلات.

١ - فقد قال رضي الله عنه عندما قيل لـه: أوص يا أمير المؤمنين استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفي رسول الله ﷺ وهـو عـنهم راض: فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن[٤]، فقد أخبـر الفـاروق رضي الله عنه بأن أبا الحسن كان في مقدمة من مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض.

---

(١) نفس المصدر ١٣٤/٣ وقال عقبه: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) المستدرك ١٣٦/٣ وقال الحاكم عقبه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) المستدرك ١٣٧/٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) انظر صحيح البخاري مع شرحه "فتح الباري" ٦١/٧.

٢ - وروى أبو عمر بن عبد البر بإسناده إلى سعيد بن المسيب قال: كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن[١].

٣ - روى البخاري بإسناده إلى ابن عباس قال: قال عمر رضي الله عنه: "أقرؤنا أبي وأقضانا علي"[٢].

فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه شهد لأبي الحسن بحل المشكلات وبالبراعة في القضاء وإتقانه.

٤ - وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: "كان ابن عباس يقول: إذا جاءنا الثبت عن علي لم نعدل به"[٣].

٥ - وروى ابن أبي شيبة في كتابه "المصنف"[٤] بإسناده إلى عطية بن سعد قال: دخلنا على جابر بن عبد الله وهو شيخ كبير، وقد سقط حاجباه على عينيه فقلت: أخبرنا عن علي ابن أبي طالب، قال: فرفع حاجبيه بيديه ثم قال: "ذاك من خير البشر".

وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى جرى بن كليب العامري، قال: لما سار علي إلى صفين كرهت القتال، فأتيت المدينة فدخلت على ميمونة بنت الحارث، فقالت: ممن أنت، قلت: من أهل الكوفة، قالت: من أيهم قلت: من بني عامر، قالت: رحباً على رحب وقرباً على قرب، تجيء ما جاء بك قال: قلت: سار علي إلى صفين، وكرهت القتال، فجئنا إلى هاهنا قالت: أكنت بايعته؟ قلت: نعم قالت: فارجع إليه فكن معه فوالله ما ضل ولا ضل به"[٥].

فهذا ثناء من أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها على أبي السبطين رضي الله عنه من أنه سالك طريق الحق ولن يحيد عنه إلى الضلال بحال، وهذه منقبة وفضيلة له رضي الله عنه.

---

(١) الاستيعاب في أسماء الأصحاب على حاشية الإصابة ٣٩/٣.
(٢) صحيح البخاري ٩٩/٣، وابن ماجه في سننه ٥٥/١، وأحمد في المسند ١١٣/٥.
(٣) الإصابة ٥٠٢/٢.
(٤) ٨٢/١٢.
(٥) المستدرك ١٤١/٣ وصححه وأقره الذهبي وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٨١/١٢.

٦ - وروى ابن أبي شيبة في كتابه "المصنف"[١] بإسناده إلى أبي هارون قال: كنت مع ابن عمر جالساً إذ جاءنا نافع بن الأزرق، فقام على رأسه، فقال: والله إني لأبغض علياً قال: فرفع إليه ابن عمر رأسه، فقال: أبغضك الله تبغض رجلا سابقة من سوابقه خير من الدنيا وما فيها".

ولقد شهد لـه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بالعلم والفضل والسبق والخيرية، وأقر لـه بفضائله ومناقبه كلها.

٧ - قال ابن كثير: وقال جرير: عن مغيرة قال: لما جاء نعي علي بن أبي طالب إلى معاوية وهو نائم مع امرأته فاختة بنت قرطة في يوم صائف جلس، وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، وجعل يبكي فقالت: لـه فاختة أنت بالأمس تطعن عليه، واليوم تبكي عليه، فقال: ويحك إنما أبكي، لما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره"[٢].

٨ - قال ابن عبد البر: "وكان معاوية يكتب فيما ينزل به، ليسأل لـه علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله، قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب، فقال لـه أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام فقال لـه: دعني عنك"[٣].

هذا موقف معاوية بن أبي سفيان من أبي السبطين علي رضي الله عنه، فإنه بكى عليه عندما بلغه نبأ قتله، وأثنى عليه بصفاته الحميدة من الحلم والعلم والفضل والسابقة والخيرية، واعترف لـه بمناقبه كلها، ولم يمنعه من ذلك ما حصل بينهما من الحروب، ولم يجد الغل محلا في قلب معاوية لأبي الحسن رضي الله عنهما، فأصحاب رسول الله ﷺ نزع الله من قلوبهم الغل، فكانوا إخواناً متحابين، ومهما حصل بينهم من خلاف، فإن ذلك لم يؤد بهم إلى إنكار فضائل بعضهم بعضاً، فهل يدكر بهذا من جاء بعدهم من الرافضة الذين يقدحون فيهم، ولا حامل لهم على ذلك إلا بغضهم، وغلهم المقيت ومعاداتهم الخبيثة للسابقين الأولين الخيرة البررة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين، وأخزى من في قلبه غل عليهم إلى يوم الدين.

---

(١) ٨٢/١٢.

(٢) البداية والنهاية ١٦/٧.

(٣) الاستيعاب في أسماء الأصحاب على حاشية الإصابة ٤٤/٣ - ٤٥.

٩ - سئل الحسن بن أبي الحسن البصري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: كان علي والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه، ورباني هذه الأمة، وذا فضلها، وذا قرابتها من رسول الله ﷺ لم يكن بالنومة عن أمر الله، ولا بالملومة في دين الله، ولا بالسروقة لمال الله، أعطى القرآن عزائمه، ففاز منه برياض مونقة ذلك علي بن أبي طالب يا لكع(١).

تلك طائفة من الأحاديث والآثار التي تضمنت فضل رابع الخلفاء الراشدين أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفضائله رضي الله عنه كثيرة جداً، وقد قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه"(٢).

وكل ما تقدم ذكره من فضائله رضي الله عنه كلها فيها الرد على النواصب الذين يتبرؤون منه، ولا يتولونه كما تتضمن الرد على الخوارج الذين كفروه، وكلتا الفرقتين ضالتان في اعتقادهما فيه رضي الله عنه وأرضاه، وقد ولد له الرافضة مناقب موضوعة هو غني عنها(٣).

والذي أخلص إليه في هذا الفصل أن عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة أنهم يرتبون الخلفاء الأربعة في الفضل، فيعتقدون أن أفضل الأمة أبو بكر، ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين.

قال أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى في صدد عرضه الأقوال في أفضلية الأربعة الخلفاء فقال: "ومنهم من يقول: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، وذلك قول أهل الجماعة والأثر من رواة الحديث وجمهور الأمة"(٤).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: "وأفضل أمته أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى، ثم بقية العشرة ثم أهل بدر،

---

(١) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٤٧/٣.
(٢) المستدرك ١٠٧/٣.
(٣) انظر: الإصابة ٥٠١/٢.
(٤) كتاب الإمامة والرد على الرافضة ص/٢٠٦.

ثم أهل الشجرة - أهل بيعة الرضوان - ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم"[١].

* * * * *

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية، رسالة رقم ١ ص/١٠.

فضل طلحة بن عبيد الله

هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي[١]، يجتمع مع النبي ﷺ في مرة بن كعب ومع أبي بكر الصديق في تيم بن مرة وعدد ما بينهم من الآباء سواء، [٢] وأمه رضي الله عنه الصعبة بنت الحضرمي امرأة من أهل اليمن، وهي أخت العلاء بن الحضرمي[٣]، أسلمت ولها صحبة وظفرت بشرف الهجرة[٤]، وطلحة رضي الله عنه أحد العشرة الذين بشروا بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأحد الستة أصحاب الشورى، وكان رضي الله عنه عند وقعة بدر، قد وجهه رسول الله ﷺ وسعيد بن زيد يتحسسان خبر العير، قبل خروجه عليه الصلاة والسلام إلى بدر، فلم يرجعا إلا وقد فرغ من موقعة بدر، وضرب لهما رسول الله ﷺ بسهميهما وأجرهما"[٥].

وقال الواقدي: بعث رسول الله ﷺ قبل أن يخرج من المدينة إلى بدر طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد إلى طريق الشام يتجسسان الأخبار ثم رجعا إلى المدينة فقدماها يوم وقعة بدر[٦] فخروجهما لجس الأخبار يعتبر في صالح المعركة وهو نوع من المشاركة فيها.

وشهد طلحة رضي الله عنه أحداً وما بعدها من المشاهد، وقد أبلى في غزوة أحد بلاء حسناً فقد وقى النبي ﷺ بنفسه، واتقى النبل عنه بيده حتى شلت أصبعه[٧].

وفضائله رضي الله عنه كثيرة مشهورة ومنها:

---

(١) الإصابة ٢٢٠/٢، وانظر الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة ٢١٠/٢.

(٢) فتح الباري ٨٢/٧.

(٣) الإصابة ٢٢٠/٢.

(٤) المصدر السابق ٣٣٧/٤، وانظر فتح الباري ٨٢/٧.

(٥) انظر المستدرك للحاكم ٣٦٩/٣، ص/٤٣٨، وانظر الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري ٢٥٦/٤.

(٦) مغازي الواقدي ١٩/١، المستدرك للحاكم ٣٦٩/٣.

(٧) انظر الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢١٠/٢ - ٢١٦، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٢٢٠/٢، وانظر الرياض النضرة في مناقب العشرة ٢٤٥/٤ وما بعدها، وانظر: المستدرك للحاكم ٣٦٨/٣ - ٣٦٩.

١ - ما رواه البخاري بإسناده إلى قيس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة شلاء، وقى بها النبي ﷺ يوم أحد[١].

هذا الحديث اشتمل على منقبة عظيمة خص بها طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، وهي أنه وقى رسول الله ﷺ بيده يوم أحد لما أراد بعض المشركين، أن يضربه، فاتقى طلحة الضربة بيده، حتى أصابها شلل والشلل، بطلان في اليد أو في الرجل من آفة، تعتريها، فالحديث فيه بيان فضيلة عظيمة لطلحة رضي الله عنه وأرضاه.

٢ - وروى أيضاً: بإسناده إلى أبي عثمان النهدي، قال: لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن رسول الله ﷺ غير طلحة وسعد عن حديثيهما [٢].

وهذا الحديث أيضاً: تضمن منقبة ظاهرة لأبي محمد طلحة بن عبيد الله من حديث إنه بقي مع رسول الله ﷺ عندما تفرق الناس عنه يوم أحد، والمراد بقوله في الحديث: "في بعض تلك الأيام" يوم أحد.

٣ - وروى أبو عيسى الترمذي بإسناده إلى الزبير رضي الله عنه قال: "كان على رسول الله ﷺ يوم أحد درعان، فنهض إلى الصخرة، فلم يستطع فأقعد تحته طلحة، فصعد النبي ﷺ حتى استوى على الصخرة قال: فسمعت النبي ﷺ يقول: **«أوجب طلحة»** [٣].

ومعنى قوله ﷺ : **«أوجب طلحة»** أي: وجبت له الجنة بسبب عمله هذا، أو بما فعل في ذلك اليوم، فإنه خاطر بنفسه يوم أحد، وفدى بها رسول الله ﷺ، وجعلها وقاية له، حتى طعن ببدنه، وجرح جميع جسده حتى شلت يده[٤].

٤ - وروى أبو نعيم بإسناده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك كله يوم طلحة[٥].

---

(١) صحيح البخاري ٢٣/٣.
(٢) المصدر السابق ٣٠٢/٢ - ٣٠٣.
(٣) سنن الترمذي ٣٠٧/٥ ثم قال عقبه: "هذا حديث حسن صحيح غريب".
(٤) انظر تحفة الأحوذي ٣٤١/٥.
(٥) حلية الأولياء ٨٧/١.

وهذا مدح وثناء عظيم من صديق هذه الأمة وشهادة صادقة لأبي محمد طلحة بن عبيد الله بثباته مع النبي ﷺ في وقعة أحد التي أبلى فيها بلاء حسناً، وكان موقفه عظيماً في غزوة أحد يذكر به في الآخرين رضي الله عنه وأرضاه.

٥ - ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخبر أن طلحة ممن قضى نحبه ووفى لله بما نذره على نفسه من القتال في سبيله ونصرة دينه.

فقد روى الترمذي بإسناده إلى موسى بن طلحة قال: دخلت على معاوية فقال: ألا أبشرك؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«طلحة ممن قضى نحبه»** (١).

وروى أيضاً: بإسناده إلى موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما طلحة: "أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: لأعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه من هو؟ وكانوا لا يجترئون هم على مسألته، يوقرونه ويهابونه، فسأله الأعرابي فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم إني اطلعت من باب المسجد، وعلي ثياب خضر، فلما رآني رسول الله ﷺ قال: **«أين السائل عمن قضى نحبه»** قال الأعرابي: أنا يا رسول الله قال: **«هذا ممن قضى نحبه»** (٢).

هذان الحديثان فيهما بيان فضل طلحة بن عبيد الله، حيث أخبر النبي ﷺ أن طلحة ممن قضى نحبه، وكان طلحة ضمن جماعة كعثمان بن عفان ومصعب وسعيد وغيرهم نذروا إذا لقوا حرباً، ثبتوا حتى يستشهدوا، وقد ثبت طلحة يوم أحد، وبذل جهده، حتى شلت يده، ووقى بها النبي ﷺ (٣) رضي الله عنه وأرضاه.

قال أبو بكر بن العربي أثناء ذكره لمسائل اشتمل عليها الحديث قال رحمه الله تعالى:

الرابعة: إلا أن قوماً تحققت عاقبتهم، وأخبر الله تعالى عن حسن مآلهم، وإن كانوا لم يوافوا بعد، فلهم شرف الحالة بذلك، وعلو المنزلة وطلحة منهم.

---

(١) سنن الترمذي ٣٠٨/٥ وقال: "هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث معاوية إلا من هذا الوجه".

(٢) سنن الترمذي ٣٠٨/٥ - ٣٠٩ وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي كريب عن يونس بن بكير، وقد رواه غير واحد من كبار أهل الحديث، عن أبي كريب بهذا الحديث، وسمعت محمد بن إسماعيل يحدث بهذا عن أبي كريب ووضعه في كتاب الفوائد"اهـ.

(٣) انظر تحفة الأحوذي بشرح الترمذي ٦٣/٩ - ٦٤.

الخامسة: وكان ذلك لـه والله أعلم، بوقايته بنفسه للنبي ﷺ يوم أحد، حتى شلت يمينه، فقدمته يداه إلى الجنة، وتقدمه إليها، وتعلق بسبب عظيم لا ينقطع منها"[١].

٧ - ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ سماه الفياض لسعة عطائه وكثرة إنفاقه في وجوه الخير، فقد روى أبو عبد الله الحاكم، بإسناده إلى موسى بن طلحة أن طلحة نحر جزوراً وحفر بئراً يوم ذي قرد[٢]، فأطعمهم وسقاهم، فقال النبي ﷺ : **«يا طلحة الفياض»** فسمي طلحة الفياض[٣].

٨ - وروى أيضاً بإسناده إلى طلحة رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ وفي يده سفرجلة، فرماها إلي أو قال: ألقاها إلي، وقال: **«دونكها أبا محمد فإنها تجم**[٤] **الفؤاد»**[٥].

وفي هذا منقبة ظاهرة لطلحة رضي الله عنه وأرضاه.

٩ - ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخبر أنه يموت شهيداً، فقد روى مسلم في صحيحه بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء فقال رسول الله ﷺ : **«اسكن حراء فما عليك إلا نبي وصديق وشهيد»** وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم"[٦].

قال النووي رحمه الله تعالى: وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ منها إخباره، أن هؤلاء شهداء، وماتوا كلهم غير النبي ﷺ، وأبي بكر شهداء فإن عمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير رضي الله عنهم، قتلوا ظلماً شهداء، فقتل الثلاثة مشهور،

---

(١) عارضة الأحوذي بشرح الترمذي ٨٢/١٢ - ٨٣.

(٢) قال في النهاية: ٣٧/٤ "ذي قرد بفتح القاف والراء: ماء على ليلتين من المدينة بينهما وبين خيبر"اهـ. وهو موضع غزوة خرج فيها النبي ﷺ، سببها إغارة عيينة بن حصن الفزاري في خيل من غطفان على لقاح لرسول الله ﷺ كان فيها رجل من بني غفار، وامرأة لـه فقتلوا الرجل، واحتملوا المرأة في اللقاح، "انظرالسيرة النبوية لابن هشام ٢٨١/٢، تاريخ الطبري ٥٩٦/٢.

(٣) المستدرك ٣٧٤/٣ ثم قال الحاكم عقبه: "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

(٤) تجم الفؤاد: "أي تريحه. وقيل: تجمعه وتكمل صلاحه ونشاطه " اهـ. النهاية في غريب الحديث ٣٠١/١.

(٥) المستدرك ٣٧٠/٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٦) صحيح مسلم ١٨٨٠/٤.

وقتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفاً تاركاً للقتال وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركاً للقتال، فأصابه سهم فقتله، وقد ثبت أن من قتل ظلماً فهو شهيد، والمراد شهداء في أحكام الآخرة وعظم ثواب الشهداء، وأما في الدنيا فيغسلون ويصلى عليهم، وفيه بيان فضيلة هؤلاء[١].

٦ - ومن مناقبه الرفيعة: أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنه راض. قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى: باب ذكر طلحة بن عبيد الله، وقال عمر: توفي النبي ﷺ وهو عنه راض[٢].

٧ - ومما يدل على عظم مكانته وعلو منزلته أن النبي ﷺ شهد له بالجنة ضمن جماعة من فضلاء الصحابة، فقد روى الترمذي بإسناده إلى عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ : **«أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»** ثم قال: وقد روى هذا الحديث عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن سعيد بن زيد عن النبي ﷺ نحو هذا[٣].

ففي هذا الحديث منقبة واضحة لطلحة رضي الله عنه حيث شهد له النبي ﷺ أنه من أهل الجنة، وأكرم بها من شهادة، فإنها تضمنت الإخبار بسعادته في الدنيا والآخرة، ذلك هو الصحابي طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وتلك طائفة من الأحاديث التي دلت على عظيم قدره، وعلو منزلته رضي الله عنه وأرضاه.

* * * * *

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/١٩٠.

(٢) صحيح البخاري ٢/٣٠٢.

(٣) سنن الترمذي ٥/٣١١، وانظر سنن أبي داود ٢/٥١٦، سنن ابن ماجه ١/٤٨.

الزبير بن العوام

هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي(١)، يجتمع مع النبي ﷺ في قصي، وعدد ما بينهما من الآباء سواء(٢)، وهو حواري رسول الله ﷺ وابن عمته، أمه صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى(٣).

قال عروة بن الزبير: أسلم الزبير بن العوام، وهو ابن ثمان سنين، وهاجر، وهو ابن ثمان عشرة سنة، وكان عم الزبير يعلق الزبير في حصير، ويدخن عليه بالنار، ويقول: ارجع إلى الكفر فيقول الزبير: لا أكفر أبداً.

وقال أيضاً: أسلم الزبير وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين معاً، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ (٤).

فهو رضي الله عنه من السابقين الأولين إلى الإسلام، وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ. وفضائله رضي الله عنه كثيرة مشهورة ومنها:

١ - ما رواه البخاري بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ : **«إن لكل نبي حوارياً، وإن حواري الزبير بن العوام»** (٥).

وعند مسلم بلفظ: ندب رسول الله ﷺ الناس يوم الخندق فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبي ﷺ : **«لكل نبي حواري وحواري الزبير»** (٦).

ومعنى قوله ﷺ : **«وحواري الزبير»**، أي: خاصتي من أصحابي وناصري، ومنه الحواريون أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام، أي: خلصائه وأنصاره وأصله من التحوير: التبييض، قيل: إنهم كانوا قصارين يحورون الثياب، أي: يبيضونها، قال

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٠٠/٣، الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة ٥٦٠/١، الإصابة ٥٢٦/١.

(٢) فتح الباري ٨٠/٧.

(٣) انظر الاستيعاب على حاشية الإصابة ٥٦٠/١ - ٥٦٠، الإصابة ٥٢٦/١ - ٥٢٨.

(٤) المستدرك للحاكم ٣٦٠/٣، وانظر طبقات ابن سعد ١٠٢/٣.

(٥) صحيح البخاري ٣٠٢/٢.

(٦) صحيح مسلم ١٨٧٩/٤.

الأزهري: الحواريون خلصاء الأنبياء، وتأويله الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب"[١].

فالحواري: هو الناصر المخلص، فالحديث اشتمل على هذه المنقبة العظيمة التي تميز بها الزبير رضي الله عنه، ولذلك سمع عبد الله بن عمر رضي الله عنه رجلاً يقول: أنا ابن الحواري، فقال: إن كنت من ولد الزبير وإلا فلا[٢]، وقال عبد الله بن عباس: هو حواري النبي ﷺ وسمى الحواريون لبياض ثيابهم[٣].

وجاء في عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني: فإن قلت: "الصحابة كلهم أنصار رسول الله عليه الصلاة والسلام خلصاء، فما وجه التخصيص به، قلنا: هذا قاله حين قال يوم الأحزاب: من يأتيني بخبر القوم، قال الزبير: أنا، ثم قال: من يأتيني بخبر القوم، فقال: أنا وهكذا مرة ثالثة، ولا شك أنه في ذلك الوقت نصر نصرة زائدة على غيره"[٤].

٢ - من مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ فداه بأبويه، روى البخاري بإسناده إلى عبد الله بن الزبير قال: كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء، فنظرت، فإذا أنا بالزبير على فرسه، يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثاً، فلما رجعت، قلت: يا أبت رأيتك تختلف، قال: وهل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم، قال: كان رسول الله ﷺ قال: **«من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟»** فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: **«فداك أبي وأمي»** [٥].

وهذا الحديث فيه منقبة ظاهرة للزبير رضي الله عنه، حيث فداه رسول الله ﷺ بأبويه "وفي هذه التفدية تعظيم لقدره، واعتداد بعلمه واعتبار بأمره، وذلك لأن الإنسان لا يفدي إلا من يعظمه، فيبذل نفسه أو أعز أهله له"[٦].

٣ - ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان ممن استجاب لله والرسول من بعد ما

---

(١) النهاية لابن الأثير ٤٥٧/١ - ٤٥٨.
(٢) رواه بن سعد في الطبقات الكبرى ١٠٦/٣، وذكره الحافظ في الإصابة ٥٢٧/١.
(٣) صحيح البخاري ٣٠٢/٢.
(٤) عمدة القاري ٢٢٣/١٦، وانظر تحفة الأحوذي بشرح الترمذي ٥٤٧/١٠.
(٥) صحيح البخاري ٣٠٢/٢.
(٦) من مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا علي القاري ٥٧٨/٥، تحفة الأحوذي ٢٤٦/١٠.

أصابهم القرح يوم أحد، فقد روى الشيخان في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٢] قالت لعروة: يا بن أختي، كان أبواك منهم: وهم الزبير وأبو بكر لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا قال: «**من يذهب في إثرهم؟**» فانتدب منهم سبعون رجلاً قال: كان فيهم أبو بكر والزبير"[١].

فلقد أثنى الله على الذين استجابوا لله والرسول، وأخبر أن جزاء المحسنين المتقين منهم أجر عظيم، وكان الزبير بن العوام واحداً من هؤلاء رضي الله عنهم.

٤ - وروى ابن سعد بإسناد صحيح عن هشام عن أبيه، قال: كانت على الزبير عمامة صفراء معتجراً بها يوم بدر، فقال النبي ﷺ : «**إن الملائكة نزلت على سيماء الزبير**» [٢].

وفي هذا الحديث منقبة ظاهرة للزبير رضي الله عنه، دلت على عظيم قدره وعلو منزلته، فكون الملائكة الذين أنزلهم الله لنصر المسلمين في موقعة بدر، كانوا على صورته، فإن ذلك دليل على أنه جليل القدر رفيع المنزلة رضي الله عنه وأرضاه.

٥ - وروى البخاري بإسناده إلى مروان بن الحكم قال: "أصاب عثمان بن عفان رعاف شديد سنة الرعاف، حتى حبسه عن الحج، وأوصى، فدخل عليه رجل من قريش قال: استخلف قال: وقالوه؟ قال: نعم، قال: ومن؟ فسكت فدخل عليه رجل آخر أحسبه الحارث فقال: استخلف فقال عثمان: وقالوا؟ فقال: نعم قال: ومن هو؟ فسكت فلعلهم، قالوا: إنه الزبير؟ قال: نعم قال: والذي نفسي بيده إنه لخيرهم ما علمت وإن كان لأحبهم إلى رسول الله ﷺ" وفي رواية أخرى قال: "أما والله إنكم لتعلمون أنه خيركم ثلاثاً"[٣].

ففي هاتين الروايتين منقبة عظيمة لحواري رسول الله ﷺ حيث شهد له ثالث الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين عثمان بن عفان رضي الله عنه بالخيرية، وأنه كان

---

(١) صحيح البخاري ٢٦/٣، صحيح مسلم ١٨٨١/٤.
(٢) الطبقات الكبرى ١٠٣/٣.
(٣) صحيح البخاري ٣٠٢/٢.

من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ.

قال الداودي: "يحتمل أن يكون المراد من الخيرية في شيء مخصوص كحسن الخلق؛ وإن حمل على ظاهره؛ ففيه ما يبين أن قول ابن عمر: "ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ لا نفاضل بينهم، لم يرد به جميع الصحابة، فإن بعضهم، قد وقع منه تفضيل بعضهم على بعض، وهو عثمان في حق الزبير، وقد تعقب الحافظ رحمه الله هذا الاحتمال الذي قاله الداودي بقوله: "قلت: قول ابن عمر قيده بحياة النبي ﷺ فلا يعارض ما وقع منهم بعد ذلك"[١].

٦ - ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان شجاعاً مقداماً في ساحة القتال، فقد روى البخاري بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه، أن أصحاب النبي ﷺ قالوا للزبير يوم وقعة اليرموك: ألا تشد فنشد معك؟ فحمل عليهم، فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر، قال عروة: فكنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير[٢].

وفي هذا بيان فضيلة للزبير رضي الله، عنه تضمنها قول الصحابة له يوم اليرموك" ألا تشد فنشد معك.. إلخ" فإنه كان شجاعاً مقداماً موفقاً في تسديد الضربات لجيوش الشرك. ولقد أبلى رضي الله عنه في يوم اليرموك، وفي جميع الغزوات التي غزاها بلاء حسناً.

فقد روى الترمذي بإسناده إلى هشام بن عروة قال: "أوصى الزبير إلى ابنه عبد الله صبيحة الجمل فقال: ما مني عضو إلا وقد جرح مع رسول الله ﷺ حتى انتهى ذلك في فرجه"[٣].

٧ - ومن أعظم مناقبه وأعلاها شهادة النبي ﷺ له بالجنة. فقد روى الترمذي وغيره من حديث عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ : **«أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة...»**

---

(١) فتح الباري ٨١/٧.

(٢) صحيح البخاري ٣٠٢/٢.

(٣) سنن الترمذي ٣١٠/٥ - ٣١١ ثم قال عقبه: "هذا حديث حسن غريب من حديث حماد بن زيد".

الحديث[١].

٨ - ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ شهد لـه بأنه يموت شهيداً، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ : **«اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»** [٢].

فلقد شهد لـه الرسول ﷺ بالشهادة وحصلت لـه، كما أخبر بها المصطفى عليه الصلاة والسلام، فإنه لما كان يوم الجمل ذكره علي بما ذكره به، فرجع عن القتال، وكر راجعاً إلى المدينة، فمر بقوم الأحنف بن قيس، وكانوا قد انعزلوا عن الفريقين، فقال قائل يقال لـه الأحنف: ما بال هذا جمع بين الناس، حتى إذا التقوا كر راجعاً إلى بيته من رجل يكشف لنا خبره؟ فاتبعه عمرو بن جرموز في طائفة من غواة بني تميم، فأدركه عمرو بواد يقال لـه: وادي السباع - قريب من البصرة - وهو نائم في القائلة، فهجم عليه فقتله، ولما قتله اجتز رأسه، وذهب به إلى علي، ورأى أن ذلك يحصل لـه به حظوة عنده، فاستأذن فقال علي: لا تأذنوا لـه وبشروه بالنار، وفي رواية: أن علياً، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«بشِّر قاتل ابن صفية بالنار»** ودخل ابن جرموز، ومعه سيف الزبير فقال علي: إن هذا السيف طال ما فرج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ، فيقال: إن عمرو بن جرموز لما سمع ذلك قتل نفسه، وقيل: بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير على العراق، فاختفى منه، فقيل لمصعب: إن عمرو بن جرموز هاهنا وهو مختف فهل لك فيه؟ فقال: مروه فليظهر فهو آمن والله ما كنت لأقيد للزبير منه فهو أحقر من أن أجعله عدلاً للزبير[٣]".

وكان قتله رضي الله عنه يوم الخميس لعشر خلون من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين[٤] ذلك هو حواري رسول الله ﷺ وتلك طائفة من مناقبه التي دلت على عظيم

---

(١) المصدر السابق ٣١١/٥.

(٢) صحيح مسلم ١٨٨٠/٤.

(٣) البداية والنهاية ٢٧٢/٧ - ٢٧٣، وروى الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه، أنه قال عندما قيل لـه: إن قاتل الزبير على الباب، قال: ليدخل قاتل ابن صفية النار، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لكل نبي حواري وإن حواري الزبير بن العوام»** المسند ١٠٣/١.

(٤) انظر الطبقات لابن سعد ١١٠/٣ - ١١٣، الاستيعاب لابن عبد البر على الإصابة ٥٦٤/١، البداية والنهاية

قدره وعلو شأنه رضي الله عنه وأرضاه.

* * * * *

٢٧٣/٧، الإصابة ٥٢٧/١.

عبد الرحمن بن عوف

هو أبو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي القرشي الزهري كان اسمه في الجاهلية - عبد عمرو – وقيل: عبد الكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن، أمه الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث بن زهرة[١].

"شهد رضي الله عنه بدراً والمشاهد كلها، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام"[٢]، "وأحد الستة أصحاب الشورى الذين أخبر عمر عن رسول الله ﷺ أنه توفي وهو عنهم راض، وأسند رفقته أمرهم إليه حتى بايع عثمان" [٣]، "أسلم قديماً قبل أن يدخل رسول الله دار الأرقم، وقبل أن يدعو فيها"[٤].

"وأمّره رسول الله ﷺ حيث بعثه إلى بني كلب، وأرخى له عذبة بين كتفيه، لتكون أمارة عليه للإمارة"[٥].

ومناقبه رضي الله عنه كثيرة وقد وردت طائفة من الأحاديث الصحيحة بذكر مناقبه رضي الله عنه ومنها:

١ - روى الإمام مسلم بإسناده إلى عروة بن المغيرة بن شعبة أخبره، أن المغيرة ابن شعبة أخبره أنه غزا مع رسول الله ﷺ تبوك قال المغيرة: فتبرز رسول الله ﷺ قبل الغائط[٦]، فحملت معه إداوة قبل صلاة الفجر، فلما رجع رسول الله ﷺ إليّ أخذت أهريق على يديه من الإداوة، وغسل يديه ثلاث مرات، ثم ذهب يخرج جبته عن ذراعيه، فضاق كُمّا جبته فأدخل يديه في الجبة

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١٢٤/٣، المستدرك ٣٠٦/٣، الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة ٣٨٥/٢، البداية والنهاية ١٧٨/٧، الإصابة ٤٠٨/٢.

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة ٣٠٥/٤ - ٣٠٦، وانظر البداية والنهاية ١٧٨/٧.

(٣) الإصابة ٤٠٨/٢.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٢٤/٣، المستدرك للحاكم ٣٠٩/٣.

(٥) البداية والنهاية ١٧٨/٧.

(٦) الغائط: هو المكان المنخفض من الأرض "النهاية لابن الأثير" ٣٩٥/٣، وانظر "الفائق في غريب الحديث" للزمخشري ٧٩/٣.

حتى أخرج ذراعيه من أسفل الجبة، وغسل ذراعيه إلى المرفقين، ثم توضأ على خفيه، ثم أقبل. قال المغيرة: فأقبلت معه حتى نجد الناس قد قدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى لهم، فأدرك رسول الله ﷺ إحدى الركعتين، فصلى مع الناس الركعة الآخرة، فلما سلم عبد الرحمن بن عوف، قام رسول الله ﷺ يتم صلاته، فأفزع ذلك المسلمين فأكثروا التسبيح، فلما قضى النبي ﷺ صلاته أقبل عليهم ثم قال: «**أحسنتم**» أو قال: «**أصبتم**» يغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها[١].

فصلاة الرسول ﷺ خلف عبد الرحمن بن عوف الركعة الثانية من صلاة الفجر دلت على منقبة عظيمة له لا تبارى رضي الله عنه وأرضاه.

٢ - ومن مناقبه رضي الله عنه أنه تقاول هو وخالد بن الوليد في بعض الغزوات فأغلظ له خالد في المقال، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «**لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**» [٢].

فقوله ﷺ : «**لا تسبوا أحداً من أصحابي**»، يعني عبد الرحمن ونحوه الذين هم السابقون الأولون، وهم الذين أسلموا من قبل الفتح، وقاتلوا وهم أهل بيعة الرضوان، فهم أفضل وأخص بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان، وهم الذين أسلموا بعد الحديبية، وبعد مصالحة النبي ﷺ أهل مكة، ومنهم خالد بن الوليد، [٣] فالحديث تضمن منقبة رفيعة لعبد الرحمن بن عوف حيث كان ممن شرف بالسبق إلى الإسلام.

٣ - ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ غير اسمه من عبد عمرو إلى عبد الرحمن.

روى الحاكم بإسناده إلى عبد الرحمن بن عوف قال: "كان اسمي في الجاهلية عبد عمرو فسماني رسول الله ﷺ عبد الرحمن"[٤].

---

(١) صحيح مسلم ٣١٧/١ - ٣١٨.
(٢) المصدر السابق ١٩٦٧/٤ - ١٩٦٨.
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص/٥٢٩
(٤) المستدرك ٣٠٦/٣ ثم قال عقبه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

٤ - ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ دعا الله له أن يسقيه من سلسبيل الجنة، فقد روى الحاكم أيضاً بإسناده إلى أم سلمة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأزواجه: «**إن الذي يحنو عليكم بعدي هو الصادق البار اللهم اسق عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة**» [١].

وروى أيضاً: بإسناده إلى أبي سلمة بن عبد الرحمن حدثه، قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها، فقالت لي: كان رسول الله ﷺ يقول لي: «**أمركن مما يهمني بعدي ولن يصبر عليكن إلا الصابرون**»، ثم قالت: فسقى الله أباك من سلسبيل الجنة، وكان عبد الرحمن بن عوف قد وصلهن بمال فبيع بأربعين ألفاً"[٢].

ففي هذين الحديثين فضيلة لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

٥ - ومن أجل مناقبه وأعلاها شهادة النبي ﷺ له بالجنة، فقد روى الترمذي رحمه الله بسنده إلى عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ : «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن ابن عوف في الجنة..**» الحديث[٣].

فقد بين النبي ﷺ أن عبد الرحمن أحد أهل الجنة جعلنا الله منهم بفضله ومنه آمين.

٦ - ومن مناقبه العظيمة إخبار النبي ﷺ بأنه شهيد، روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أنه قال: "أشهد على التسعة أنهم في الجنة، ولو شهدت على العاشر لم آثم، قيل: وكيف ذاك قال: كنا مع رسول الله ﷺ بحراء فقال: «**اثبت حراء فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**» قيل: ومن هم قال: رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف قيل: فمن العاشر، قال: "أنا"[٤].

فالحديث تضمن منقبة عالية لعبد الرحمن، وهي أنه سيموت شهيداً، ولا يعارض

---

(١) المستدرك ٣١١/٣ ثم قال: فقد صح الحديث عن عائشة وأم سلمة، ووافقه الذهبي.

(٢) المصدر السابق ٣١٢/٣ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) سنن الترمذي ٣١١/٥.

(٤) المسند ١٨٧/١، سنن أبي داود ٥١٥/٢، سنن الترمذي ٣١٥/٥، وسنن ابن ماجه ٤٨/١.

هذا وفاته رضي الله عنه على فراشه، فلا بد من التسليم والإيمان بما أخبر به الرسول ﷺ، ولا بد هناك من سبب ثبتت لـه به الشهادة، ليكون تصديقاً للنبي ﷺ لم نعلمه نحن.

ذلك هو عبد الرحمن بن عوف الذي قضى حياته كلها في طاعة ربه حتى في اللحظة الأخيرة - التي كان فيها في مرض موته، فقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: "ولما حضرته الوفاة أوصى لكل رجل، ممن بقي من أهل بدر بأربعمائة دينار، وكانوا مائة، فأخذوها حتى عثمان وعلي، وقال علي: اذهب يا بن عوف، فقد أدركت صفوها وسبقت زيفها[١]. وأوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغ كثير حتى كانت عائشة تقول: سقاه الله من السلسبيل، وأعتق خلقاً من مماليكه، ولما مات صلى عليه عثمان بن عفان، وحمل في جنازته سعد بن أبي وقاص، ودفن بالبقيع[٢] سنة إحدى وثلاثين وقيل: سنة اثنتين وهو الأشهر"[٣]. سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

هو أبو إسحاق سعد بن مالك بن أهيب ويقال لـه: ابن وهيب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب القرشي الزهري[٤]" ويجتمع مع النبي ﷺ في كلاب بن مرة، وعدد ما بينهما من الآباء متقارب، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس لم تسلم"[٥] وهو رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، أسلم قديماً، وكان يوم أسلم عمره سبع عشرة سنة، وهاجر إلى المدينة وشهد بدراً، وما بعدها من المشاهد، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وكان فارساً شجاعاً من أمراء رسول الله ﷺ، وكان في أيام الصديق معظماً جليل المقدار، وكذلك في أيام عمر وقد استنابه على الكوفة، وهو الذي بناها، وهو الذي فتح المدائن[٦]، وكانت بين يديه وقعة جلولاء[٧] وكان سيداً مطاعاً، وعزلـه عن الكوفة عن غير عجز ولا خيانة، ولكن لمصلحة ظهرت لعمر في ذلك، ثم ولاه عثمان بعده، ثم

---

(١) انظر المستدرك للحاكم ٣٠٨/٣.

(٢) البداية والنهاية ١٨٠/٧.

(٣) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٩٠/٢، الإصابة ٤٠٩/٢ - ٤١٠.

(٤) البداية والنهاية ٧٨/٨، الإصابة ٣٠/٢.

(٥) فتح الباري ٨٤/٧.

(٦) انظر: تاريخ الطبري ٨/٤ - ١٦، الكامل لابن الأثير ٥١١/٢، البداية والنهاية ٧١/٧ - ٧٦.

(٧) انظر تاريخ الطبري ٢٤/٤ - ٢٥، الكامل لابن الأثير ٥١٩/٢.

عزلـه عنها وكان رضـي الله عنه مجاب الدعوة مشهوراً بذلك[١]، ومناقبه رضـي الله عنـه كثيرة مشهورة، وردت بها الأحاديث الصحيحة ومنها:

١ - روى البخاري بإسناده إلى سعيد بن المسيب قال: سمعت سعداً يقول: جمع لـي النبي ﷺ أبويه يوم أحد[٢].

٢ - وروى مسلم بإسناده إلى عامر بن سعد عن أبيه أن النبي ﷺ جمع لـه أبويه يوم أحد قال: كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين، فقال لـه النبـي ﷺ : **«ارم فداك أبي وأمي»** قـال: فنزعـت لــه بسـهم لـيس فيـه نصـل، فأصـبت جنبـه، فسـقط، فانكشـفت عورته، فضحك رسول الله ﷺ حتى نظرت إلى نواجذه".

٣ - وروى أيضـاً بإسـناده إلـى عبد الله بـن شـداد قـال: سـمعت عليـاً يقـول: مـا جمـع رسول الله ﷺ أبويه لأحد غير سعد بن مالك، فإنـه جعل يقول لــه يـوم أحد: **«ارم فداك أبي وأمي»** [٣].

هذه الأحاديث تضمنت منقبة عظيمة لسعد رضـي الله عنـه، وهـي أن النبـي ﷺ فداه بأبويـه وهـذه التفديـة فيهـا دلالـة علـى أنـه عظـيم المنزلـة جليـل القـدر عنـد النبـي ﷺ، إذ الإنسان لا يفدي إلا من يعظمه فيضحي بنفسه، أو أعز أهلـه لــه. وقـول علـي رضـي الله عنـه: "مـا جمـع رسـول الله ﷺ أبويـه لأحـد غيـر سـعد بـن مالـك" يفيـد الحصـر، ولكـن هـذا الحصر فيه نظر، لأنه تقدم معنا قريباً أنه عليه الصلاة والسلام جمع أبويـه يـوم الخنـدق للزبير بن العوام رضي الله عنه ويجمع بين الحديثين "بـأن عليـاً رضـي الله عنـه لـم يطلـع على ذلك، ومراده بذلك تقييده بيوم أحد والله أعلم"[٤].

٤ - وروى الإمام مسلم بإسناده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: سهر رسول الله ﷺ ليلة مقدمه المدينة فقال: **«ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة»** قالت: فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح فقال: **«من هذا»** قال: سعد بـن أبـي وقـاص

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد ١٣٧/٣ - ١٤٩، الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصـابة ١٨/٢ - ٢٥، البداية والنهاية ٧٨/٨ - ٨٤، الإصابة ٣٠/٢ - ٣٢.

(٢) صحيح البخاري٣٧٢٥ مسلم ٢٤١٢.

(٣) الحديثان في صحيح مسلم ٢٤١٢

(٤) فتح الباري ٨٤/٧، عمدة القاري ٢٢٨/١٦.

فقال لـه رسول الله ﷺ : «**ما جاء بك ؟**» قال: وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسك فدعا لـه رسول الله ﷺ ثم نام"(١).

هذا الحديث تضمن منقبة لسعد رضي الله عنه، وأنه من الصالحين، وأكرم بها من منقبة إذ الصالحون يتولاهم رب العالمين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾ [الأعراف: ١٩٦] ولقد حظي رضي الله عنه، بمفخرة عظيمة وهي حراسته للنبي ﷺ، ودعاؤه لـه عليه الصلاة والسلام "وكان هذا الحديث قبل نزول قولـه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، لأنـه ﷺ ترك الاحتراس حين نزلت هذه الآية، وأمر أصحابه بالانصراف عن حراسته وهذا الحديث مصرح بأن هذه الحراسة كانت أول قدومه المدينة، ومعلوم أن الآية نزلت بعد ذلك بأزمان"(٢).

٥ - ومن مناقبه رضي الله عنه أن الله تعالى أنزل فيه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، فقد روى الإمام مسلم بإسناده إلى سعد رضي الله عنه، أنه نزلت فيه آيات من القرآن، قال: حلفت أم سعد ألا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمت أن الله وصاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا قال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد فقام ابن لها يقال لـه، عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾ [لقمان: ١٤ - ١٥] قال وأصاب رسول الله ﷺ غنيمة عظيمة فإذا فيها سيف فأخذته فأتيت به الرسول ﷺ فقلت: نفلني هذا السيف فأنا من قد علمت حاله، فقال: «**رده من حيث أخذته**» فانطلقت، حتى إذا أردت أن ألقيه في القبض، لامتني نفسي فرجعت إليه، فقلت أعطنيه، قال: فشد لي صوته: «**رده من حيث أخذته**» قال: فأنزل الله - عز وجل - ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِ﴾ [الأنفال: ١]، قال: ومرضت فأرسلت إلى النبي ﷺ، فأتاني، فقلت: دعني أقسم مالي حيث شئت، قال: فأبى، قلت: فالنصف، قال: فأبى قلت: فالثلث، قال: فسكت فكان بعد الثلث جائزاً، قال: وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين، فقالوا: تعالى نطعمك ونسقيك خمراً، وذلك قبل أن تحرم الخمر،

---

(١) صحيح مسلم ٢٤١٣.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/١٨٣.

قال: فأتيتهم في حش والحش: البستان، فإذا رأس جزور مشوي عندهم وزق من خمر، قال: فأكلت وشربت معهم، قال: فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم، فقلت: المهاجرون خير من الأنصار، قال: فأخذ رجل أحد لحيي الرأس فضربني به فجرح بأنفي، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فأنزل الله - عز وجل - فيّ يعني نفسه شأن الخمر ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [المائدة: ٩٠] (١).

فهذا الحديث تضمن بيان فضيلة سعد حيث نزلت في شأنه تلك الآيات القرآنية المشار إليها في هذا الحديث.

٦ - ومن مناقبه رضي الله تعالى عنه أن الله تعالى أثنى عليه، وأخبر أنه من الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، فقد جاء في صحيح مسلم عنه رضي الله عنه، قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ : اطرد هؤلاء، لا يجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله - عز وجل: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الأنعام: ٥٢] (٢).

٧ - ومن مناقبه رضي الله عنه أنه أسلم قديماً، فقد روى البخاري بإسناده إلى سعد قال: لقد رأيتني وأنا ثلث الإسلام.

وروى أيضاً بإسناده إلى سعيد بن المسيب، قال: سمعت سعد بن أبي وقاص، يقول: ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام(٣).

فقوله رضي الله عنه: لقد رأيتني وأنا ثلث الإسلام فيه منقبة عظيمة له، "وأراد بذلك أنه ثالث من أسلم أولا وأراد بالاثنين أبا بكر وخديجة أو النبي ﷺ وأبا بكر، والظاهر أنه أراد الرجال الأحرار، "فقد ذكر أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب(٤) أنه سابع سبعة في الإسلام "، وقد قدمنا في فضل الصديق من حديث عمار بن ياسر "رأيت النبي ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وأبو بكر فهؤلاء ستة، ويكون هو السابع بهذا

(١) صحيح مسلم، ٢٤١٣.
(٢) المصدر السابق ٢٤١٣.
(٣) هذان الحديثان في صحيح البخاري ٣٧٢٦، ٣٧٢٧.
(٤) الاستيعاب على حاشية الإصابة ١٨/٢.

الاعتبار: أو قال ذلك بحسب اطلاعه والسبب فيه أن من كان أسلم في ابتداء الأمر، كان يخفي إسلامه، فبهذا الاعتبار، قال: وأنا ثلث الإسلام، وقوله رضي الله عنه: "ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه" ظاهره أنه لم يسلم أحد قبله، وهذا فيه إشكال؛ لأنه قد أسلم قبله جماعة، ولكن يحمل هذا على مقتضى ما كان اتصل بعلمه حينئذ، وقد روى ابن مندة في "المعرفة" من طريق أبي بدر عن هاشم بلفظ ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه، وهذا لا إشكال فيه، لأنه لا مانع ألا يشاركه أحد في الإسلام يوم أسلم، ولا ينافي هذا إسلام جماعة قبل يوم إسلامه وقوله: "ولقد مكثت.. إلخ هذا أيضاً على مقتضى اطلاعه"[١].

٨ - ومن مناقبه رضي الله عنه، أنه أول من رمى بسهمه في سبيل الله لمجاهدة أعداء الله وإعلاء كلمة الله، فقد روى البخاري بإسناده إلى سعد رضي الله عنه، قال: إني لأول العرب رمى في سبيل الله، وكنا نغزو مع النبي ﷺ، وما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة ما له خلط.. " الحديث[٢].

في هذا بيان فضيلة سعد رضي الله عنه، حيث إنه كان أول رام بسهمه في سبيل الله، وكان ذلك في سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وكان القتال فيها أول حرب وقعت بين المشركين والمسلمين، وهي أول سرية بعثها رسول الله ﷺ في السنة الأولى من الهجرة بعث ناساً من المسلمين إلى رابغ؛ ليلقوا عيراً لقريش، فتراموا بالسهام، ولم يكن بينهم مسايفة، فكان سعد أول من رمى[٣].

٩ - ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان مجاب الدعوة مشهوراً، بذلك وسبب ذلك أن النبي ﷺ دعا الله له بأن يكون مجاب الدعوة، فحقق الله دعوة نبيه عليه الصلاة والسلام فكانت دعوته مستجابة رضي الله عنه، جاء في مجمع الزوائد عن عامر - يعني الشعبي - قال: قيل لسعد بن أبي وقاص: متى أجبت الدعوة، قال: يوم بدر كنت أرمي بين يدي النبي ﷺ، فأضع السهم في كبد القوس ثم أقول: اللهم زلزل أقدامهم، وارعب قلوبهم، وافعل بهم وافعل فيقول النبي ﷺ : «**اللهم استجب لسعد**»، رواه الطبراني وإسناده

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٨٤/١٥ - ١٨٥، فتح الباري ٨٤/٧، المرقاة شرح المشكاة ٥٧٩/٥.
(٢) صحيح البخاري٣٧٢٨.
(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٥٩١/١، الإصابة ٣٠/٢، فتح الباري ٨٤/٧.

حسن.

وفيه أيضاً: عن سعد قال: سمعني النبي ﷺ وأنا أدعو فقال: **«اللهم استجب له إذا دعاك»** رواه البزار ورجاله رجال الصحيح[١].

١٠ - ومن مناقبه العالية شهادة النبي ﷺ له بالجنة، فقد روى الترمذي وغيره من حديث عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ : **«أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة...»** الحديث[٢].

١١ - ومن مناقبه رضي الله عنه شهادة النبي ﷺ له بأنه من الشهداء، فقد روى مسلم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء فتحرك، فقال رسول الله ﷺ : **«اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»**، وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم "[٣].

فقد شهد له النبي ﷺ، بأنه شهيد مع أنه لم يمت في معركة، وإنما توفي بقصره بالعقيق سنة إحدى وخمسين، وقيل: ست، وقيل: ثمان، والثاني أشهر [٤].

قال النووي: وأما ذكر سعد بن أبي وقاص في الشهداء، فقال القاضي: إنما سمي شهيداً لأنه مشهود له بالجنة[٥]، قال علي بن المديني: وهو آخر العشرة وفاة، وقال غيره: كان آخر المهاجرين وفاة رضي الله عنه وعنهم أجمعين[٦]، ذلك هو سعد بن أبي وقاص، وتلك طائفة من فضائله العظيمة رضي الله عنه.

* * * * *

---

(١) هذان الحديثان في مجمع الزوائد ١٥٣/٩.

(٢) سنن الترمذي ٣٧٤٧

(٣) صحيح مسلم ٢٤١٧

(٤) الإصابة ٣١/٢.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٠/١٥.

(٦) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية" ٨٤/٨.

أبو عبيدة بن الجراح

هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب - ويقال: وهيب - بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك، بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، بن نزار، بن معد بن عدنان؛ أبو عبيدة القرشي الفهري، مشهورٌ بكنيته وبالنسبة إلى جده فيقال: أبو عبيدة بن الجراح ﷺ [(١)].

ويجتمع مع النبي ﷺ في جده السابع: فهر بن مالك [(٢)].

وأمه: أم غنمٍ بنت جابر بن عبد بن العلاء بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر[(٣)]، قيل: إنها أدركت الإسلام وأسلمت [(٤)].

أولاده: كان لأبي عبيدة ﷺ من الولد يزيد وعميرٌ، - وأمهما هند بنت جابر بن وهب ابن ضباب بن حجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي - لكنهما ماتا، فليس له عقبٌ[(٥)].

"كان رجلاً نحيفاً، معروق الوجه، خفيف اللحية، طوالاً، أجنأ، أثرم الثنيتين"[(٦)]، "وكان يخضب بالحناء والكتم، وكان له عقيصتان"[(٧)].

كان ﷺ أحد العشرة السابقين للإسلام، فعن يزيد بن رومان رحمه الله قال: انطلق ابن مظعون، وعبيدة بن الحارث، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، و أبو عبيدة بن الجراح، حتى أتوا رسول الله ﷺ فعرض عليهم الإسلام، وأنبأهم بشرائعه،

---

(١) «سيرة ابن هشام» (١٧٢/٢)، و«طبقات ابن سعد» (٤٠٩/٣)، وغيرهما، "ومنهم من لم يذكر بين عامر والجراح (عبد الله) وبذلك جزم مصعب الزبيري في «نسب قريش»، والأكثر على إثباته". «الإصابة» (٢٤٣/٢).

(٢) «تهذيب الأسماء واللغات» (٢٥٩/٢)، «سير أعلام النبلاء» (٦/١)، «فتح الباري» (٩٣/٧).

(٣) رواه الطبراني (٣٢٦)، والحاكم (٥١٤٢)، عن ابن إسحاق، وذكر الواقدي في روايته أن اسمها " أميمة بنت غنم ابن جابر بن عبد العزى بن عامرة بن عميرة " طبقات ابن سعد (٤٠٩/٣).

(٤) ذكر ذلك ابن خياط في «طبقاته» ص٢٧، ص٣٠٠، ولكن ابن حجر لم يترجم لها في «الإصابة».

(٥) «طبقات ابن سعد» (٤٠٩/٣)، ورواه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٣٧/٢٥) عن ابن منده.

(٦) رواه ابن سعد (٤١٤/٣)، والحاكم برقم (٥١٤٩)، عن مالك بن يخامر. ومعنى (معروق الوجه): قليل لحم الوجه، والجنأ: ميل في الظهر، والثرم: هو انكسار السن من أصله.

(٧) رواه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٩٠/٢٥)، عن الحافظ أبي حفص الفلاس، ونحوه في «طبقات ابن سعد» (٤١٤/٣)، عن رجال من قوم أبي عبيدة، والكتم: نبات يختضب به.

فأسلموا في ساعةٍ واحدةٍ، وذلك قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم[(١)].

١) هاجر ﷺ من مكة إلى الحبشة الهجرة الثانية، لكنه لم يطل المقام بها [(٢)].

٢) وهاجر ﷺ إلى المدينة، ونزل على كلثوم بن الهدم [(٣)]، وآخى النبي ﷺ بينه وبين أبي طلحة ﷺ [(٤)].

٣) وشهد بدراً، وجاء من خبره يومئذٍ أنه ﷺ قتل أباه المشرك، كما جاء عن عبد الله ابن شوذب رحمه الله، قال: جعل أبو أبي عبيدة يتصدى لأبي عبيدة يوم بدرٍ، فجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية حين قتل أباه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢] [(٥)].

٤) وأبلى يوم أحدٍ بلاءً حسناً، وثبت مع رسول الله ﷺ حين فر الناس وولوا، وجاء من خبره يومئذٍ أنه نزع الحلقتين اللتين دخلتا من المغفر في وجنة رسول الله ﷺ.

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: كان أبو بكرٍ ﷺ إذا ذكر يوم أحدٍ بكى، ثم قال: ذاك كله يوم طلحة! ثم أنشأ يحدث، قال: كنت أول من فاء يوم أحدٍ، فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله ﷺ دونه - وأراه قال: يحميه - قال: فقلت: كن طلحة! حيث فاتني ما فاتني، فقلت: يكون رجلاً من قومي، أحب إلي وبيني وبين المشرق رجلٌ لا

(١) رواه ابن سعد في «طبقاته»، (٤٠٩/٣) وانظر: «سير أعلام النبلاء» (٨/١).
(٢) ذكر ذلك الواقدي وابن إسحاق، كما في «طبقات ابن سعد» (٤٠٩/٣)، و«سيرة ابن هشام» (١٧٢/٢).
(٣) ذكره ابن سعد في «طبقاته» (٤١٠/٣).
(٤) أخرجه مسلم (٢٥٢٨) عن أنس موقوفاً، وقيل: إن الرسول ﷺ آخى بينه وبين سعد بن معاذ، كما رواه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٤٦/٢٥) عن ابن إسحاق، وفي رواية الواقدي أنه آخى بينه وبين محمد بن مسلمة كما في «طبقات ابن سعد» (٤٠٩/٣)، وهناك روايات أخرى، والأولى - كما ترى - ثابتة في الصحيح.
(٥) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٦٤)، والحاكم (٥١٥٢)، والبيهقي في «سننه» (١٧٦١٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠١/١)، وجود إسناده الحافظ في «الإصابة» (٢٤٢/٢)، إلا أنه منقطع فعبد الله بن شوذب توفي سنة ١٥٦هـ. قال ابن الأثير: "وكان الواقدي ينكر هذا ويقول: توفي أبو أبي عبيدة قبل الإسلام، وقد رد بعض أهل العلم قول الواقدي". «أسد الغابة» (٥٦٠/١).

أعرفه، وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه، وهو يخطف المشي خطفاً، لا أخطفه فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح، فانتهينا إلى رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته، وشج في وجهه، وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر، فقال رسول الله ﷺ : **«عليكما صاحبكما»** يريد طلحة، وقد نزف لا يلتفت إلى قوله، وذهبت لأنزع ذاك من وجهه، فقال أبو عبيدة: أقسمت عليك بحقي ما تركتني! فتركته، فكره أن يتناولهما بيده، فيؤذي النبي ﷺ، فأزم عليهما بفيه، فاستخرج إحدى الحلقتين، ووقعت ثنيته مع الحلقة، وذهبت لأصنع ما صنع، فقال: أقسمت عليك بحقي ما تركتني! قال: ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى، فوقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة، فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتماً، فأصلحنا من شأن النبي ﷺ، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار، فإذا به بضعٌ وسبعون - أو أقل أو أكثر - بين طعنةٍ ورميةٍ وضربةٍ، وإذا قد قطعت أصابعه، فأصلحنا من شأنه" (١).

٥) كما أنه شهد الخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ (٢).

٦) وكان ﷺ من علية أصحاب رسول الله ﷺ، وقد أمره على بعض السرايا ومنها:

أ - سرية ذي القصة - وهو: موضعٌ بينه وبين المدينة أربعةٌ وعشرون ميلاً (٣) - في ربيع الآخر من السنة السادسة للهجرة: أرسله ﷺ في أربعين رجلاً إلى بني ثعلبة بن سعدٍ، فساروا ليلتهم مشاةً، ووافوا (ذا القصة) مع عماية الصبح، فأغاروا عليهم، فأعجزوهم هرباً في الجبال، وأصابوا نعماً ورثةً، ورجلاً واحداً، فأسلم، فتركه رسول الله ﷺ، وخمس رسول الله ﷺ الغنيمة، و قسم ما بقي على أصحابه (٤).

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الجهاد» (٩١)، والطيالسي (٦)، وأبو نعيم (١٧٤/٨)، وابن حبان (٦٩٨٠)، والبزار

(٦٣)، وابن عساكر في «تاريخه» (١٧٥/٢٥ - ١٧٦)، من طريق إسحاق بن يحيى بن طلحة عن عيسى بن طلحة عن عائشة به قال ابن كثير في «تفسيره» (٥٤٥/١): "وقد ضعف علي بن المديني هذا الحديث من جهة إسحاق بن يحيى"، لكن لبعض مقاطعه شواهد في الصحيح، فقصة جرح النبي ﷺ أخرجها البخاري (٢٤٠)، ومسلم

(١٧٩٠)، وقصة طلحة أخرجها النسائي (٣١٤٩) بسند رجاله ثقات، والله أعلم.

(٢) «طبقات ابن سعد» (٤١٥/٣).

(٣) «معجم البلدان» (٣٦٦/٤).

(٤) ذكر هذه السرية ابن حبان في «السيرة» ص٢٦٨، والواقدي في «مغازيه» ص٥٥٢، وابن سعد في «الطبقات» (٨٦/٢).

ب - سرية ذات السلاسل - وهي من مشارف الشام في بلى ونحوهم من قضاعة - في جمادى الآخرة من السنة الثامنة للهجرة:

حيث أمر النبي ﷺ عمرو بن العاص ﷺ في غزوة ذات السلاسل، فخشي عمرو؛ فبعث يستمد، فندب النبي ﷺ الناس من المهاجرين الأولين، فانتدب أبو بكر وعمر في آخرين، فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح مدداً لعمرو بن العاص؛ فلما قدموا عليه قال: أنا أميركم!. فقال المهاجرون: بل أنت أمير أصحابك، وأبو عبيدة أمير المهاجرين. فقال: إنما أنتم مددي!. فلما رأى ذلك أبو عبيدة - وكان حسن الخلق متبعاً لأمر رسول الله ﷺ وعهده - فقال: تعلم يا عمرو أن رسول الله ﷺ قال لي: «**إن قدمت على صاحبك فتطاوعا**» وإنك إن عصيتني أطعتك، فقال له عمرو: فإني أميرٌ عليك، إنما أنت مددٌ لي. قال: فدونك. فصلى عمرو بن العاص بالناس [١].

وعن الشعبي رحمه الله قال: قال المغيرة بن شعبة ﷺ لأبي عبيدة: إن رسول الله ﷺ أمرك علينا، وإن ابن النابغة ليس لك معه أمرٌ - يعني: عمرو بن العاص - فقال أبو عبيدة ﷺ: "إن رسول الله ﷺ أمرنا أن نتطاوع، وأنا أطيعه لقول رسول الله ﷺ" [٢].

ج - سرية الخبط أو سيف البحر في رجبٍ من السنة الثامنة للهجرة:

عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: "بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة؛ نتلقى عيرًا لقريشٍ، وزودنا جراباً من تمرٍ، لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرةً تمرةً، قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمصها كما يمص الصبي، ثم نشرب عليها من الماء، فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله.

قال: وانطلقنا على ساحل البحر؛ فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم، فأتيناه؛ فإذا هي دابة تدعى (العنبر)، قال أبو عبيدة: ميتةٌ؟! ثم قال: بل نحن رسل رسول الله ﷺ، وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا، قال: فأقمنا عليه شهرًا ونحن ثلاثمائة حتى

---

(١) عزاه في «الإصابة» (٢٤٣/٢) لموسى بن عقبة في «مغازيه».

(٢) أخرجه أحمد (١٦٩٨)، وابن عساكر (٤٤٨/٢٥)، وعزاه ابن حجر في «الإصابة» (٢٤٤/٢)، لابن سمي في «جزئه»، وصحح إسناده.

سمنا.

قال: ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه[١] بالقلال الدهن، ونقتطع منه الفدر [٢]، كالثور - أو كقدر الثور - فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً؛ فأقعدهم في وقب عينه، وأخذ ضلعًا من أضلاعه فأقامها، ثم رحل أعظم بعيرٍ معنا فمر من تحتها، وتزودنا من لحمه وشائق [٣]، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له، فقال: **«هو رزقٌ أخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمه شيءٌ فتطعمونا؟»**قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله" [٤].

٧) وعندما فتح رسول الله ﷺ مكة في السنة الثامنة للهجرة، كان أبو عبيدة قائداً لأحد الجيوش [٥].

٨) وفي عام الوفود - وهو العام التاسع للهجرة - أرسله رسول الله ﷺ مع وفد نجران ليعلمهم الإسلام.

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل! فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلح نحن، ولا عقبنا من بعدنا. قالا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً. فقال **«لأبعثن معكم رجلاً أميناً، حق أمينٍ»**، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ وفي روايةٍ: فجثا لها أصحاب النبي ﷺ على الركب - فقال: **«قم يا أبا عبيدة ابن الجراح»**، فلما قام قال رسول الله ﷺ : **«هذا أمين هذه الأمة»** [٦].

---

(١) هو داخل عينه ونقرتها.

(٢) أي القطع.

(٣) جمع وشيقة، وهو اللحم يؤخذ فيغلى، إغلاء ولا ينضج ويحمل فى الأسفار.

(٤) أخرجه أحمد (١٤٣٥٤، ١٤٣٧٥، ١٤٣٧٦، ١٤٣٧٧)، والبخاري (٢٣٥١، ٢٨٢١، ٤١٠٤، ٥١٧٤، ٥١٧٥)، ومسلم (١٩٣٥)، والنسائي (٤٣٥٢، ٤٣٥٤)، وابن سعد (٤٠٩/٣)، وابن حبان (٥٢٥٩، ٥٢٦٠)، والطيالسي (١٧٤٤)، والطبراني في «الأوسط» (٩٢٠٢)، وأبو يعلى (١٩٥٥)، وعبد الرزاق (٨٦٦٧)، والبيهقي في «السنن» (١٨٧٣٨، ١٨٧٤٠، ١٨٧٤١، ١٨٧٥٢)، وابن عساكر (٤٠٩/٤٩)، واللفظ لمسلم.

(٥) «سيرة ابن هشام» (٦٦/٥).

(٦) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٣٣٢٠، ٢٣٤٤٥)، وفي «فضائل الصحابة» (١٢٧٦)، والبخاري (٦٨٢٧، ٤١٢١)، ومسلم (٢٤٢٠)، والترمذي (٣٧٥٩)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٩٨، ٨١٩٧، ٨١٩٦)، وابن ماجه (١٣٥)، وابن حبان (٦٩٩٩، ٧٠٠٠)، والحاكم (٥١٦٢)، والطيالسي (٤١٢)، وابن أبي شيبة

وفي نفس العام، أرسله الرسول ﷺ إلى البحرين ليأتي بجزيتها [(١)].

٩) وعندما قبض رسول الله ﷺ، واجتمع الناس في سقيفة بني ساعدة، كان أبو عبيدة من أول من بادر إليها.

ففي حديث السقيفة الذي ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أميرٌ ومنكم أميرٌ، فذهب إليهم أبو بكرٍ وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكرٍ، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك، إلا أني قد هيأت كلاماً قد أعجبني، خشيت ألا يبلغه أبو بكرٍ، ثم تكلم أبو بكرٍ فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: "نحن الأمراء وأنتم الوزراء"، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل! منا أميرٌ، ومنكم أميرٌ، فقال أبو بكرٍ: " لا، ولكنا الأمراء، وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً، وأعربهم أحساباً، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح"، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس " [(٢)].

ثانياً: في خلافة الصديق والفاروق رضي الله عنهما:

وفي خلافة الصديق والفاروق رضي الله عنهما؛ كان أبو عبيدة من كبار الصحابة ورؤوسهم، ومن المعلوم ما لأبي عبيدة من أهميةٍ في فتح الشام؛ فإن أكثر الشام فتح على يده، ويصعب هنا ذكر تفاصيل تلك الفتوحات، ولذا سأسرد أهم الأحداث والوقائع إجمالاً دون تفصيلٍ، مع الإشارة لبعض مواقف أبي عبيدة:

١) **في السنة الثانية عشرة للهجرة:** كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد تفرغ من حرب أهل الردة وحرب مسيلمة الكذاب، فجهز أمراء الأجناد لفتح الشام: فبعث أبا عبيدة:

(٣٧٠١٨)، والبيهقي (١٩٩٣٦)، وأبو نعيم (١٧٦/٧)، وابن عساكر (٤٤٩/٢٥ - ٤٥٣)، واللفظ للبخاري، وفي الباب عن أنس= =وعبد الله بن مسعود وعمر بن الخطاب وغيرهم.

(١) أخرجه أحمد (١٧٢٧٣)، والبخاري (٢٩٨٨، ٣٧٩١، ٦٠٦١)، ومسلم (٢٩٦١)، والترمذي (٢٤٦٢)، وابن ماجه (٣٩٩٧)، والطبراني في الكبير (٤١، ٤٠، ٣٩، ٣٨)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٢٩١)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (١٧٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٨١٠)، والبخاري (١١٨٤، ٣٤٦٧ ٤١٨٧)، والنسائي (١٨٤١)، وابن ماجه (١٦٢٧)، والبيهقي في «السنن» (١٦٣١٣).

وجعل لـه نيابة حمصٍ، ويزيد بن أبي سفيان: وجعل لـه دمشق، وعمرو بن العاص: وجعل لـه فلسطين، وشرحبيل بن حسنة: وجعل لـه الأردن [(١)].

٢) وفي السنة الثالثة عشرة للهجرة: كانت أولى المعارك الفاصلة في فتح الشام: معركة أجنادين بقرب الرملة في جمادى الأولى، ونصر الله فيها المؤمنين، ثم توالت الفتوحات: فكانت وقعة مرج الصفر في جمادى الآخرة، ووقعة فحلٍ في ذي القعدة، وهزم الله المشركين وقتل منهم مقتلةٌ عظيمةٌ[(٢)].

٣) وفي السنة الرابعة عشرة للهجرة: حاصر المسلمون دمشق، وكان أبو بكرٍ قد توفي، وقام عمر بعزل خالدٍ، وجعل أبا عبيدة أميرا على الكل، فجاءه التقليد فكتمه مدةً - وكل هذا من دينه ولينه وحلمه، وبقي الحصار لمدة ثلاثة أشهرٍ، ثم رضي الروم بالصلح، فعند ذلك أظهر أبو عبيدة التقليد ليعقد لصلحهم، ففتحوا لـه باب الجابية صلحاً، وإذا بخالدٍ قد افتتح البلد عنوةً من الباب الشرقي، فأمضى لهم أبو عبيدة الصلح، وصالحهم على أنصاف كنائسهم ومنازلهم [(٣)]. ثم كان فتح حمص صلحاً في نفس السنة[(٤)].

٤) وفي السنة الخامسة عشرة للهجرة: كانت وقعة اليرموك[(٥)]، وكان أبو عبيدة رأس الإسلام يومئذٍ، واستأصل الله فيها جيوش الروم وقتل منهم خلقٌ عظيمٌ [(٦)].

٥) وفي السنة السادسة عشرة للهجرة: كان فتح بيت المقدس، وقدم أمير المؤمنين من المدينة لاستلامه.

وكان من خبر أبي عبيدة يومها ما رواه عروة بن الزبير، قال: قدم عمر بن الخطاب ﵁ الشام فتلقاه أمراء الأجناد وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين أخي؟

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣٣٥/٢).

(٢) «تاريخ خليفة بن خياط» ص٢١ من رواية ابن إسحاق.

(٣) «تاريخ خليفة بن خياط» ص٢٣ «سير أعلام النبلاء» (٢١/١ - ٢٢).

(٤) «تاريخ خليفة بن خياط» ص٢٣.

(٥) على ما نقله الحافظ ابن عساكر رحمه الله عن يزيد بن أبي عبيدة والوليد بن لهيعة وأبي معشر، وهو قول ابن إسحاق ونقله خليفة عن ابن الكلبي، وقال سيف بن عمر: إنها كانت في السنة الثالثة عشرة؛ قال ابن عساكر: "وما قاله سيف لم يتابع عليه". «البداية والنهاية» (٤/٧).

(٦) «سير أعلام النبلاء» (٢١/١ - ٢٢).

قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة. قالوا: يأتيك الآن. قال: فجاء على ناقةٍ مخطومةٍ بحبلٍ فسلم عليه وسأله، ثم قال للناس: انصرفوا عنا. فسار معه حتى أتى منزلـه فنزل عليه فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله، فقال لـه عمر بن الخطاب ﷺ لو اتخذت متاعاً؟ قال أبو عبيدة ﷺ : "يا أمير المؤمنين! إن هذا سيبلغنا المقيل"[١].

٦) **وفي السنة السابعة عشرة للهجرة**: حصر الروم أبا عبيدة في حمص، فبعث أبو عبيدة إلى خالدٍ؛ فقدم عليه من قنسرين، وكتب إلى عمر بذلك؛ [فكتب إليه عمر: "سلامٌ، أما بعد: فإنه ما نزل بعبدٍ مؤمنٍ شدةً إلا جعل الله تبارك وتعالى بعدها فرجاً، ولن يغلب عسرٌ يسرين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، فكتب إليه أبو عبيدة: "سلامٌ، أما بعد: فإن الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحديد: ٢٠]، فخرج عمر بكتابه مكانه، فقعد على المنبر فقرأه على أهل المدينة فقال: يا أهل المدينة! إنما يعرض بكم أبو عبيدة أو بي! ارغبوا في الجهاد"] [٢].

ثم خرج عمر بنفسه من المدينة، لينصر أبا عبيدة فبلغ الجابية، وكتب عمر إلى سعدٍ أن يندب الناس مع القعقاع بن عمرو، ويسيرهم إلى حمص، فخرج القعقاع في أربعة آلافٍ، ولما سمعت الروم بقدوم أمير المؤمنين عمر لينصر نائبه عليهم ضعف جانبهم جداً، وأشار خالدٌ على أبي عبيدة، بأن يبرز إليهم ليقاتلهم، ففعل، ففتح الله عليه ونصره، وهزمت الروم هزيمةً فظيعةً، وذلك قبل ورود عمر عليهم، وقبل وصول الإمداد إليهم[٣].

٧) **ومن أخباره في فترة ولايته على الشام**: أن عمر بن الخطاب أرسل إليه

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٥٨٦)، وعبد الرزاق (٢٠٦٢٨)، وأحمد في«الزهد» ص١٨٤، وأبو نعيم (١٠١/١)، وابن عساكر (٤٨٠/٢٥)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٢٦٠/١).

(٢) ما بين المعقوفين من رواية زيد بن أسلم عن أبيه، رواه عنه ابن المبارك في «الجهاد» (٢١٧)، والحاكم (٣١٧٦)، وابن عساكر (٤٧٨/٢٥)، وقال الذهبي في التلخيص: " على شرط مسلم ".

(٣) «البداية والنهاية» (٤/٧)، «تاريخ الطبري» (٤٨٢/٢ - ٤٨٣).

بأربعة آلاف درهمٍ، وقال للرسول: انظر ما يصنع، فقسمها أبو عبيدة، ثم أرسل إلى معاذٍ بمثلها، وقال للرسول مثل ما قال، فقسمها معاذٌ إلا شيئاً قالت لـه امرأته: نحتاج إليه، فلما أخبر الرسول عمر قال: "الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا"(١).

ذكر طرفٍ من مناقبه:

عن عبد الرحمن بن عوفٍ ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«أبو بكرٍ في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوفٍ في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»** (٢).

ومن أعظم مناقبه وأشرفها أن النبي ﷺ وصفه بـ(أمين الأمة) كما في حديث حذيفة ﷺ المتقدم.

وعن ابن أبي مليكة قال: سمعت عائشة، وسئلت: من كان رسول الله ﷺ مستخلفًا لو استخلفه؟ قالت: **«أبو بكرٍ»**، فقيل لها: ثم من بعد أبي بكرٍ؟ قالت: **«عمر»**، ثم قيل لها: من بعد عمر؟ قالت: **«أبو عبيدة بن الجراح»**، ثم انتهت إلى هذا (٣).

وعن عبد الله بن شقيقٍ أن عمرو بن العاص ﷺ قال: يا رسول الله، أي الناس أحب إليك؟ قال: **«عائشة»**، قال: من الرجال؟ قال: **«أبوها»**، قال: ثم من؟ قال: **«أبو عبيدة بن الجراح»** (٤).

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣/٤٠٩)، قال: أخبرنا معن بن عيسى قال: عرضنا على مالك بن أنس أن عمر بن الخطاب.. وذكره.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٥٧)، وفي «فضائل الصحابة» (٢٧٨)، والترمذي (٣٧٤٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٩٤)، وابن حبان (٧٠٠٢)، وأبو يعلى (٨٣٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣٢)، ومن حديث سعيد بن زيد: أخرجه أحمد (١٦٢٩، ١٦٣١، ١٦٣٧)، أبو داود (٤٦٤٩، ٤٦٥٠)، والترمذي(٣٧٤٨)، وابن ماجه (١٣٣)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٩٣، ٨٢١٠، ٨٢١٩)، وابن حبان (٦٩٩٣)، والطبراني في «الأوسط» (٨٦٩، ٢٠٠٩، ٤٣٧٤)، وأبو يعلى (٩٧١)، والبزار (١٢٧٤)، وابن أبي شيبة (٣١٩٤٦، ٣١٩٥٣)، وأبو نعيم (١/٩٥)، وسنده صحيح.

(٣) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٢٠٣، ٢٠٤، ١٢٨٦)، ومسلم (٢٣٨٥)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٠٢)، وابن عساكر في «تاريخه» (٢٥/٤٧٢).

(٤) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٢٨١)، وابن حبان (٦٩٩٨)، وذكر ابن حبان عمر قبل أبي عبيدة، وأخرجه البخاري (٣٤٦٢، ٤١٠٠)، ومسلم (٢٣٨٤)، وغيرهما من طريق خالد الحذاء عن أبي عثمان عن

وعنه قال: قلت لعائشة: أي أصحاب رسول الله ﷺ كان أحب إلى رسول الله؟ قالت: **«أبو بكرٍ»**، قلت: ثم من؟ قالت: **«عمر»**، قلت: ثم من؟ قال: **«أبو عبيدة بن الجراح»** قلت: ثم من؟ قال: فسكتت [(١)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **«نعم الرجل أبو بكرٍ، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح»** [(٢)].

وعن الحسن البصري رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ : **«ما من أصحابي أحدٌ إلا لو شئت لأخذت عليه في بعض خلقه، غير أبي عبيدة بن الجراح»** [(٣)].

ذكر ثناء الصحابة عليه:

١) أبو بكر الصديق ﷺ : سبق ذكر حديث السقيفة، وفيه أن أبا بكر الصديق ﷺ ارتضى أبا عبيدة خليفةً عندما قال: "فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح ".

٢) عمر بن الخطاب ﷺ: قال يوماً لمن حوله: "تمنوا"، فقال: بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءةٌ ذهباً، فأنفقه في سبيل الله، ثم قال: "تمنوا"، فقال رجلٌ: أتمنى لو أنها مملوءةٌ لؤلؤاً أو زبرجداً أو جوهراً، فأنفقه في سبيل الله وأتصدق، ثم قال عمر: "تمنوا"، فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين! قال عمر: أتمنى لو أنها مملوءةٌ رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح"[(٤)].

وقال: "إن أدركني أجلي وأبو عبيدة حي استخلفته، فإن سألني الله: لم استخلفته على

عمرو بن العاص دون ذكر أبي عبيدة.

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٥٨٧١)، وفي «فضائل الصحابة» (٢٥١)، والترمذي (٣٦٥٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٠١)، والحاكم (٤٤٤٦)، وأبو يعلى (٤٨٠٠)، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٩٤٢١)، وفي «فضائل الصحابة» (٣٥٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٣٧)، وفي «التاريخ الكبير» (٢٠٨١)، والترمذي (٣٧٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٣٠، ٨٢٤٣)، والحاكم (٥٠٣١، ٥١٦٦)، وابن أبي شيبة (٣١٩٤٤)، وأبو نعيم (٤٢/٩)، وابن عساكر (٨٥/٩) (٤٦٩/٢٥)، (١٢٦/٤٤) وسنده صحيح.

(٣) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٢٨٣)، والحاكم (٥١٥٧)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٤٨٨/١)، وابن أبي شيبة (٣٢٢٩٦)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤٧٣/٢٥)، ورجاله ثقات إلا أنه مرسل.

(٤) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٢٨٠)، والبخاري في «تاريخه الصغير» (٢٠١)، وأبو نعيم (١٠٢/١)، بسند حسن.

أمة محمدٍ ﷺ ؟ قلت: إني سمعت رسول الله ﷺ : يقول: **«لكل نبي أمينٌ، وأميني أبو عبيدة ابن الجراح»** [(١)].

٣) معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه: لما بلغه أن بعض أهل الشام استعجز أبا عبيدة أيام حصار دمشق ورجح خالد بن الوليد، غضب وقال: " فإلى أبي عبيدة تضطر المعجزة لا أبا لك! والله إنه لمن خير من على الأرض" [(٢)].

وعندما مات أبو عبيدة خطب معاذٌ في الناس فقال: " إنكم أيها الناس، قد فجعتم برجلٍ والله ما أزعم أني رأيت من عباد الله عبداً قط أقل غمزاً، و لا أبر صدراً، و لا أبعد غائلةً، و لا أشد حباً للعاقبة، ولا أنصح للعامة منه، فترحموا عليه رحمه الله، ثم أصحروا للصلاة عليه، فوالله لا يلي عليكم مثله أبداً "[(٣)].

٤) عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: قال: "ثلاثةٌ من قريشٍ؛ أصبح الناس وجوهاً، وأحسنها أخلاقاً وأشدها حياءً، إن حدثوك لم يكذبوك، وإن حدثتهم لم يكذبوك: أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وأبوعبيدة بن الجراح"[(٤)].

٥) عبد الله بن مسعودٍ: قال: "أخلائي من أصحاب محمدٍ ﷺ ثلاثةٌ: أبو بكرٍ وعمر وأبوعبيدة بن الجراح"[(٥)].

ذكر بعض أقواله:

عن ثابتٍ قال: كان أبو عبيدة أميراً على الشام، فخطب الناس فقال: "يا أيها الناس، إني امرؤٌ من قريشٍ، ووالله ما منكم أحمر ولا أسود يفضلني بتقًى إلا وددت أني في مسلاخه" [(٦)].

---

(١) أخرجه أحمد (١٠٨)، وابن عساكر (٤٦٠/٢٥)، والذهبي في «السير» (٩/١)، من طريق رشيد بن عبيد وراشد بن سعد لكنهما لم يدركا عمر، وحسنه الأرناؤوط لغيره في تعليقه على «المسند».

(٢) أخرجه ابن سعد (٤١٤/٣) والبخاري في «تاريخه الصغير» (٢١٧) وحسن الحافظ إسناده في «الإصابة» (٢٤٤/٢).

(٣) أخرجه الحاكم (٥١٤٨)، وسكت عنه الذهبي.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٦)، وأبو نعيم (٥٦/١)، وابن عساكر (٤٧٥/٢٥)، وفي سنده ابن لهيعة. وحسنه الهيثمي في «المجمع» (٢٤٦/٩).

(٥) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٣٥٨)، وابن عساكر (٤٧٤/٢٥).

(٦) أخرجه أحمد في«الزهد» ص١٨٤، وابن أبي الدنيا في «المتمنين» (٣٨)، وابن سعد في «الطبقات» (٤١٢/٣ -

وعن عمران بن نمران عن أبي عبيدة بن الجراح: أنه كان يسير في العسكر فيقول: "ألا رب مبيضٍ لثيابه مدنسٍ لدينه، ألا رب مكرمٍ لنفسه وهو لها مهينٌ، ادرؤوا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات، فلو أن أحدكم عمل من السيئات ما بينه وبين السماء ثم عمل حسنةً؛ لعلت فوق سيئاته حتى تقهرهن" (١).

وعن قتادة قال: قال أبو عبيدة بن الجراح: "وددت أني كنت كبشاً فيذبحني أهلي فيأكلون مرقي" (٢).

وعن خالدٍ بن معدان عن أبي عبيدة بن الجراح قال: "مثل قلب المؤمن مثل العصفور يتقلب كل يومٍ كذا وكذا مرةً" (٣).

ذكر خبر طاعون عمواس ووفاة أبي عبيدة ﷺ :

عن عبد الله بن عباسٍ﵄ أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ(٤) لقيه أمراء الأجناد: أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام. قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين. فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا: فقال بعضهم: قد خرجت لأمرٍ، ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس، وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء. فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: ادع لي الأنصار. فدعوتهم، فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريشٍ؛ من مهاجرة الفتح. فدعوتهم، فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس، ولا تقدمهم على هذا الوباء. فنادى عمر في الناس: إني مصبحٌ على ظهرٍ فأصبحوا عليه، قال أبو عبيدة بن الجراح:

---

٤١٣)، وجود الحافظ إسناده في «الإصابة» (٢٤٤/٢)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠١/١) عن قتادة.

(١) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٤٢٧/٢ - ٤٢٨)، وأبو نعيم (١٠٢/١)، وقال الحافظ في «الإصابة» (٢٤٤/٢): "إسناده مرسل".

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤١٣/٣)، وابن المبارك في «الزهد» (٢٤١)، وابن عساكر (٤٨٢/٢٥)، وهو مرسل.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠٢/١)، وابن أبي شيبة (٣٤٦٢٣) وهو مرسل.

(٤) هي منطقة أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك من منازل حاج الشام. «معجم البلدان» (٢١٢/٣).

أفراراً من قدر الله؟! فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبلٌ هبطت وادياً له عدوتان: إحداهما خصبةٌ، والأخرى جدبةٌ، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوفٍ - وكان متغيباً في بعض حاجته - فقال: إن عندي في هذا علماً؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إذا سمعتم به بأرضٍ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»**.

قال: فحمد الله عمر، ثم انصرف [(١)].

وقد حاول عمر بن الخطاب ﷺ أن يثني أبا عبيدة عن رأيه، ولكنه أصر على البقاء مع جنده، فعن طارق بن شهاب ﷺ قال: أتانا كتاب عمر لما وقع الوباء بالشام، فكتب عمر إلى أبي عبيدة: "أنه قد عرضت لي إليك حاجةٌ لا غنى لي بك عنها، فإذا أتاك كتابي هذا، فإني أعزم عليك إن أتاك ليلاً ألا تصبح حتى تركب، وإذا أتاك نهاراً ألا تمسي حتى تركب إلي"، فلما قرأ الكتاب قال: "يرحم الله أمير المؤمنين! يريد بقاء قومٍ ليسوا بباقين! "

قال: ثم كتب إليه أبو عبيدة: "إني في جيشٍ من جيوش المسلمين، لست أرغب بنفسي عن الذي أصابهم". فلما قرأ الكتاب استرجع - وفي روايةٍ: بكى - فقال الناس: مات أبو عبيدة؟ قال: "لا، وكأن قد! ".

ثم كان كتب إليه بالعزيمة: "فاظهر من أرض الأردن، فإنها عميقةٌ وبيئةٌ، إلى أرض الجابية فإنها نزهةٌ نديةٌ"، فلما أتاه الكتاب بالعزيمة، أمر مناديه فأذن في الناس بالرحيل، فلما قدم إليه - أي: إلى رحله - ليركبه؛ وضع رجله في الغرز [(٢)] ثنى رجله فقال: "ما أرى داءكم إلا قد أصابني".

---

(١) أخرجه مالك (١٥٨٧) وأحمد (١٦٨٣) والبخاري في «صحيحه» (٦٥٧٢، ٥٣٩٧) وفي «التاريخ الصغير» (١٨٤) ومسلم (٢٢١٩) وابن حبان (٢٩٥٣) وأبو يعلى (٨٣٧) والبيهقي (٦٣٤٨) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٦٥٢٧) وابن عساكر (٦٩/٣٤).

(٢) الغرز: ركاب الدابة، أي أن الداء أصاب قدمه فجعله يثنيها.

قال طارق بن شهابٍ: ومات أبو عبيدة ورجع الوباء عن الناس[١].

وكانت وفاته رضي الله عنه في آخر السنة الثامنة عشرة للهجرة[٢]، وعاش ثمانياً وخمسين سنةً رضي الله عنه وأرضاه.

وقبره اليوم في غور البلاونة على الطريق العام الذي يقطع الغور من الشمال إلى الجنوب، وعلى بعد أربعين كيلاً من مدينة السلط، شرق نهر الأردن [٣].

وكان الظاهر بيبرس (المتوفى سنة ٦٧٦هـ) قد بنى عليه مشهداً، ووقف عليه أشياء للواردين إليه[٤]، قال الإمام أبو زكريا النووي رحمه الله تعالى: "وعلى قبره من الجلالة ما هو لائقٌ به، وقد زرته فرأيت عنده عجباً"[٥].

* * * * *

(١) أخرجه الحاكم (٥١٤٦) والطبري في«تاريخه» (٤٨٧/٢ - ٤٨٨) وابن عساكر (٤٨٤/٢٥ - ٤٨٥) وقال الحاكم: "رواة هذا الحديث كلهم ثقات، و هو عجيب بمرة"، وقال الذهبي في التلخيص: "على شرط الشيخين ".

(٢) قال ابن حجر: "وأرخه بعضهم سنة سبع عشرة، وهو شاذ" «الإصابة» (٢٤٤/٢).

(٣) «أبو عبيدة » لمحمد شراب ص٢٣٨.

(٤) «البداية والنهاية» (٢٧٦/١٣)، «الوافي في الوفيات» ص١٤٤٣.

(٥) «تهذيب الأسماء واللغات» (٢٥٩/٢)، والنووي رحمه الله كان قد عاش في زمن الظاهر بيبرس.

سعيد بن زيد

هو أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي كان أبوه زيد بن عمرو بن نفيل أحد الحنفاء الذين طلبوا دين الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام قبل أن يبعث النبي عليه الصلاة والسلام، وكان لا يذبح للأصنام ولا يأكل الميتة والدم وكان يقول لقومه: يا معشر قريش، والله لا آكل ما ذبح لغير الله، والله ما أحد على دين إبراهيم غيري"(١).

وأم سعيد بن زيد فاطمة بنت بعجة بن مليح الخزاعية كانت من السابقين إلى الإسلام وهو ابن عم عمر بن الخطاب، وصهره كانت تحته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب، وكانت أخته عاتكة بنت زيد بن عمرو تحت عمر بن الخطاب، وكان سعيد بن زيد من السابقين الأولين إلى الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم قبل عمر بن الخطاب هو وزوجته فاطمة، وهاجرا، وكان من سادات الصحابة، قال عروة والزهري وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق والواقدي وغير واحد: لم يشهد بدراً لأنه قد كان بعثه رسول الله ﷺ هو وطلحة بن عبيد الله بين يديه يتجسسان أخبار قريش، فلم يرجعا حتى فرغ من بدر فضرب لهما رسول الله ﷺ بسهميهما وأجرهما، ولم يذكره عمر في أهل الشورى لئلا يحابي بسبب قرابته من عمر فيولى فتركه لذلك، ولم يتول بعده ولاية وما زال كذلك حتى مات"(٢).

وقد وردت بعض الأحاديث المتعددة المصرحة بفضله رضي الله عنه ومنها:

١ - ما رواه البخاري بإسناده إلى قيس بن أبي حازم قال: سمعت سعيد بن زيد يقول للقوم في مسجد الكوفة يقول: والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يسلم عمر ولو أن أحداً أرفض(٣) للذي صنعتم بعثمان لكان محقوقاً أن يرفض(٤).

ففي هذا بيان فضيلة ظاهرة لسعيد رضي الله عنه، وهي أنه كان ممن حظي بشرف

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب انظر: الإصابة ٤/٢ "على حاشية".

(٢) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٧٢/٣، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢/٢ - ٨، البداية والنهاية ٦٢/٨، الرياض النضرة في مناقب العشرة ٣٣٧/٤، الإصابة ٤٤/٢.

(٣) أي: زال من مكانه.

(٤) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٧٦/٧.

السبق إلى الإسلام، وأن إسلامه كان قبل إسلام الفاروق رضي الله عنه إذ أنه بين أن صنع عمر هذا به كان قبل أن يسلم.

قال أبو عبد الله الحاكم: "أسلم سعيد بن زيد بن عمرو قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وقبل أن يدعو فيها الناس إلى الإسلام"[١].

٢ - ومن مناقبه العالية شهادة النبي ﷺ له بالجنة مع جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

روى الترمذي بإسناده إلى عبد الرحمن بن حميد أن سعيد بن زيد حدثه في نفر أن رسول الله ﷺ قال: «**عشرة في الجنة: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة وعلي وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص**» قال: فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر، فقال القوم: ننشدك الله يا أبا الأعور من العاشر؟ قال: نشدتموني بالله: «**أبو الأعور في الجنة**» [٢].

٣٠ - ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخبر بأنه من الشهداء، فقد روى الترمذي بإسناده إلى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أنه قال: "أشهد على التسعة أنهم في الجنة ولو شهدت على العاشر لم آثم، قيل: وكيف ذاك؟ قال: كنا مع رسول الله ﷺ بحراء فقال: «**اثبت حراء فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**» قيل: ومن هم؟ قال: رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف، قيل: فمن العاشر قال: أنا"، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقد روى من غير وجه عن سعيد بن زيد عن النبي ﷺ"[٣] ففي هذا فضيلة عظيمة لسعيد بن زيد رضي الله عنه حيث شهد له النبي ﷺ بالشهادة، وإن مات على فراشه، فهو شهيد لخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام بذلك.

وكانت وفاته رضي الله عنه سنة إحدى وخمسين. وقيل: سنة اثنتين وخمسين، وقد

---

(١) المستدرك ٤٣٨/٣.

(٢) سنن الترمذي ٣١٢/٥ وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في المسند ١٨٧/١، وأبو داود في سننه ٥١٥/٢، وأخرجه ابن ماجه في سننه ٤٨/١.

(٣) سنن الترمذي ٣١٥/٥، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١٨٧/١، وأبو داود في سننه ٥١٥/٢، وابن ماجه ٤٨/١ والحاكم في المستدرك ٣١٦/٣ - ٣١٧، وأبو نعيم في الحلية ٩٥/١، الطبقات لابن سعد ٣٨٣/٣.

غسله سعد، وحمل من العقيق على رقاب الرجال إلى المدينة"[١].

قال الشوكاني رحمه الله تعالى مبيناً فضل سعيد بن زيد رضي الله عنه: "ويكفي سعيد بن زيد أنه أحد العشرة المبشرين بالجنة وأنه شهد أحداً وما بعده من المشاهد كلها وصار من جملة أهل بدر بما ضربه له رسول الله ﷺ من السهم والأجر" ا. هـ[٢].

ذلك هو سعيد بن زيد وتلك طائفة من مناقبه وبه رضي الله عنه نختم فضل العشرة المبشرين بالجنة الذين قدمنا فضائلهم التي دلت على مكانتهم وعلو منزلتهم، فيجب على المسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً أنهم من أهل الجنة بأعيانهم، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم: ٤]، وكلهم رضي الله عنهم من قريش الذين سبقوا إلى الإسلام، وهاجروا إلى الله ورسوله، وتركوا ديارهم، وأموالهم بغية نصرة دين الإسلام ورفع رايته.

* * * * *

---

(١) البداية والنهاية ٦٢/٨ وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٨٤/٣ ـ ٣٨٥.

(٢) در السحابة في مناقب القرابة والصحابة ص/٢٥٧.

الحسن بن علي رضي الله عنه

هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي، سبط رسول الله ﷺ، ابن بنته فاطمة الزهراء وريحانته، وأشبه خلق الله به في وجهه ولد للنصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة، فحنكه رسول الله ﷺ بريقه وسماه حسناً، وهو أكبر ولد أبويه، وقد كان رسول الله ﷺ يحبه حباً شديداً حتى كان يقبل زبيبته[١] وهو وربما مص لسانه واعتنقه وداعبه، وربما جاء ورسول الله ﷺ ساجد في الصلاة، فيركب على ظهره، فيقره على ذلك، ويطيل السجود من أجله، وربما صعد إلى المنبر[٢]"، وكانت فاته رضي الله عنه سنة خمسين من الهجرة بالمدنية النبوية"[٣].

وقد وردت أحاديث كثيرة في بيان مناقبه رضي الله عنه منها ما وردت فيه منقبة خاصة به، ومنها ما فيه منقبة مشتركة بينه وبين أخيه الحسين، وكذلك الحسين رضي الله عنه وردت له مناقب انفرد بها ومناقب أخرى اشترك فيها مع أخيه الحسن، وسأبدأ بذكر طائفة من المناقب التي انفرد بها: كل واحد منهما، ثم أعقب ذلك بذكر طائفة من المناقب التي اشتركا فيها معاً رضي الله عنهما، فمن المناقب التي انفرد بها الحسن رضي الله عنه:

١ - ما رواه البخاري بإسناده إلى أبي هريرة، رضي الله عنه قال: عانق النبي ﷺ الحسن[٤].

وروى البخاري بإسناده إلى أبي بكر رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبة، ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة، ويقول: «**ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**» [٥].

هذا الحديث فيه منقبة للحسن رضي الله عنه فقد أخبر النبي ﷺ بأنه سيد.

---

(١) زبيبته: الزبيبة زبدة ترى في شدق الإنسان إذا أكثر الكلام، وقيل: قرحة سوداء تظهر على الجبين، انظر لسان العرب ٤٤٥/١.

(٢) البداية والنهاية ٣٦/٨، وانظر الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٦٨/١ - ٣٧٧، صفة الصفوة ٧٥٨/١ - ٧٦، حلية الأولياء ٣٥/٢، الإصابة ٣٢٧/١ - ٣٣٠، سير أعلام النبلاء ٢٤٥/٣.

(٣) صفة الصفوة ٧٦٢/١، الإصابة ٣٣٠/١، فتح الباري ٩٥/٧.

(٤) صحيح البخاري ٣٠٥/٢.

(٥) صحيح البخاري ٣٠٦/٢.

قال ابن الأثير: "قيل: أراد به الحليم، لأنه قال في تمامه: " وإن الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين" [(١)].

وجاء في تحفة الأحوذي: "فيه أن السيادة لا تختص بالأفضل بل هو الرئيس على القوم، والجمع سادة وهو مشتق من السؤدد، وقيل السواد، لكونه يرأس على السواد العظيم من الناس: أي الأشخاص الكثيرة ولعل الله أن يصلح به بين فئتين تثنية فئة وهي الفرقة"[(٢)].

ووصفه عليه الصلاة والسلام للفئتين بالعظيمتين كما في رواية عند البخاري[(٣)]؛ لأن المسلمين كانوا يومئذ فرقتين فرقة مع الحسن رضي الله عنه، وفرقة مع معاوية، وهذه معجزة عظيمة من النبي ﷺ حيث أخبر بهذا فوقع مثل ما أخبر، وأصل القضية أن علي بن أبي طالب لما ضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي يوم الجمعة وليلة السبت وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين من الهجرة، وبويع لابنه الحسن بالخلافة في شهر رمضان من هذه السنة، وأقام الحسن أياماً مفكراً في أمره، ثم رأى اختلاف الناس فرقة من جهته، وفرقة من جهة معاوية ولا يستقيم الأمر، ورأى النظر في إصلاح المسلمين وحقن دمائهم أولى من النظر في حقه سلم الخلافة لمعاوية في الخامس من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وقيل: من ربيع الآخر وقيل: في غرة جمادى الأولى، وكانت خلافته ستة أشهر إلا أياماً، وسمي هذا العام عام الجماعة، وهذا الذي أخبر به النبي ﷺ : **«لعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين»** [(٤)].

"فالحديث فيه علم من أعلام النبوة، ومنقبة للحسن بن علي، فإنه ترك الملك لا لقلة ولا لذلة ولا لعلة، بل لرغبته فيما عند الله، لما رآه من حقن دماء المسلمين فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة[(٥)].

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٤١٧/٣.

(٢) تحفة الأحوذي ٢٧٧/١٠.

(٣) صحيح البخاري ١١٤/٢.

(٤) عمدة القاري ٢٨٢/١٣، وانظر تاريخ الأمم والملوك للطبري ١٥٨/٥، الكامل ٤٠٤/٣، سير أعلام النبلاء ١٤٤/٣ - ١٤٥، معالم السنن ٣١١/٤.

(٥) فتح الباري ٦٦/١٣.

٣ - وروى الشيخان في صحيحيهما عن البراء بن عازب قال: رأيت الحسن بن علي على عاتق النبي ﷺ وهو يقول: «**اللهم إني أحبه فأحبه**» [١].

٤ - وروى البخاري بإسناده إلى أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن ويقول: «**اللهم إني أحبهما فأحبهما**» [٢].

٥ - وروى الإمام مسلم بإسناده إلى أبي هريرة قال: خرجت مع رسول الله ﷺ في طائفة من النهار لا يكلمني ولا أكلمه، حتى جاء سوق بني قينقاع، ثم انصرف حتى أتى خباء فاطمة فقال: «**أثم لكع أثم لكع؟**» يعني "حسناً"، فظننا أنه إنما تحبسه أمه، لأن تغسله وتلبسه سخابا[٣]" فلم يلبث أن جاء يسعى حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه"[٤].

هذه الثلاثة الأحاديث فيها بيان لفضل الحسن بن علي، كما تضمنت الحث على حبه رضي الله عنه وأرضاه.

٦ - وروى البخاري بإسناده إلى أنس رضي الله عنه قال: لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي[٥].

٧ - وروى أيضاً بإسناده إلى عقبة بن الحارث قال: رأيت أبا بكر رضي الله عنه وحمل الحسن وهو يقول: بأبي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك[٦].

فكونه رضي الله عنه شبه جده عليه الصلاة والسلام في الخلق منقبة عظيمة له وفضيلة ظاهرة.

٨ - وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه، أنه لقى الحسن ابن علي، فقال: رأيت رسول الله ﷺ قبل بطنك، فاكشف الموضع الذي قبل

---

(١) صحيح البخاري ٣٠٦/٢، صحيح مسلم ١٨٨٣/٤.

(٢) صحيح البخاري ٣٠٦/٢.

(٣) سخاباً: جمعه سخب وهو قلادة من القرنفل والمسك والعود ونحوها من أخلاط الطيب يعمل على هيئة السبحة ويجعل قلادة للصبيان، النهاية في غريب الحديث ٣٤٩/٢.

(٤) صحيح مسلم ١٨٨٢/٤ - ١٨٨٣.

(٥) صحيح البخاري ٣٠٦/٢.

(٦) المصدر السابق.

رسول الله ﷺ حتى أقبله قال: وكشف فقبله"[١].

فتقبيل المصطفى عليه الصلاة والسلام لأبي محمد الحسن بن علي رضي الله عنهما منقبة عظيمة، وفضيلة ظاهرة، ولذلك حرص أبو هريرة على أن يقبله في الموضع الذي قبله فيه النبي ﷺ لإظهار هذه المنقبة العظيمة.

٩ - وروى أيضاً بإسناده إلى أبي سعيد المقبري قال: كنا مع أبي هريرة فجاء الحسن بن علي بن أبي طالب علينا، فسلم، فرددنا عليه السلام، ولم يعلم به أبو هريرة، فقلنا له: يا أبا هريرة، هذا الحسن بن علي، قد سلم علينا فلحقه، وقال: وعليك السلام يا سيدي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنه سيد»** [٢].

فإخبار النبي ﷺ بأن الحسن سيد مفخرة عظيمة وميزة شريفة له رضي الله عنه وأرضاه.

١٠ - وروى أيضاً بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لا أزال أحب هذا الرجل بعد ما رأيت رسول الله ﷺ يصنع ما يصنع، رأيت الحسن في حجر النبي ﷺ وهو يدخل أصابعه في لحية النبي، والنبي ﷺ يدخل لسانه في فمه ثم قال: **«اللهم إني أحبه فأحبه»** [٣].

١١ - وروى الإمام أحمد بإسناده إلى معاوية رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يمص لسانه أو قال شفتيه - يعني الحسن بن علي - وإنه لن يعذب لسان أو شفتان يمصهما رسول الله ﷺ [٤].

فإدخاله عليه الصلاة والسلام لسانه في فم الحسن رضي الله عنه ومص لسانه وإخباره بأنه يحبه، ودعا الله تعالى أن يحبه منقبة عظيمة، تدل على علو شأنه، وبيان مكانته عند النبي ﷺ، وقد كان الحسن رضي الله عنه مكرماً معززاً عند الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين الذين ولوا أمر الأمة بعد النبي ﷺ.

---

(١) المستدرك ١٦٨/٣، ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

(٢) المصدر السابق ١٦٩/٣ ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) المستدرك ١٦٩/٣ ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) المسند مع الفتح الرباني ١٦٧/٢٣ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٧/٩ وقال أحمد ورجاله رجال الصحيح.

قال الحافظ ابن كثير: "وقد كان الصديق يجله ويعظمه ويكرمه ويحبه ويتفداه، وكذلك عمر بن الخطاب، فروى الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبيه أن عمر لما عمل الديوان فرض للحسن والحسين مع أهل بدر في خمسة آلاف خمسة آلاف، وكذلك كان عثمان بن عفان يكرم الحسن والحسين ويحبهما، وقد كان الحسن بن علي يوم الدار، وعثمان بن عفان محصور عنده، ومعه السيف متقلداً به يحاجف عن عثمان، فخشي عثمان عليه فأقسم عليه ليرجعن إلى منزلهم تطييباً لقلب علي، وخوفاً عليه رضي الله عنهم وكان علي يكرم الحسن إكراماً زائداً ويعظمه ويبجله وقد قال له يوماً: يا بني ألا تخطب حتى أسمعك؟ فقال: إني أستحيى أن أخطب وأنا أراك فذهب علي فجلس حيث لا يراه الحسن، ثم قام الحسن في الناس خطيباً وعلي يسمع فأدى خطبة بليغة فصيحة فلما انصرف جعل علي يقول: ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٤].

وقد كان ابن عباس يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركبا، ويرى هذا من النعيم عليه، وكانا إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونهما مما يزدحمون عليهما للسلام عليهم رضي الله عنهما وأرضاهما.

وكان ابن الزبير يقول: "والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علي.

وقال غيره: كان الحسن إذا صلى الغداة في مسجد رسول الله ﷺ يجلس في مصلاه يذكر الله حتى يرتفع الشمس، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يتحدثون عنده، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيسلم عليهن وربما أتحفنه، ثم ينصرف إلى منزله"(١) تلك طائفة من مناقب الحسن بن علي التي انفرد بها رضي الله عنه وكلها تدل على أنه جليل القدر رفيع المنزلة رضي الله عنه وأرضاه.

* * * * *

(١) البداية والنهاية ٤٠/٨.

الحسين بن علي رضي الله عنه

هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي السبط الشهيد بكربلاء، ابن بنت رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء وريحانته من الدنيا، عاصر النبي ﷺ وصحبه إلى أن توفي وهو عنه راض، ولكنه كان صغيراً، ثم كان الصديق يكرمه ويعظمه، وكذلك عمر وعثمان وصحب أباه وروى عنه، وكان معظماً موقراً ولم يزل في طاعة أبيه حتى قتل، ولد بعد أخيه الحسن، وكان مولده سنة أربع للهجرة، ومات رضي الله عنه قتلاً في يوم عاشوراء من شهر الله المحرم سنة إحدى وستين هجرية(١) بكربلاء من أرض العراق وذلك لما مات معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، واستخلف من بعده ابنه يزيد قام أهل الكوفة بمكاتبة الحسين بن علي رضي الله عنه، وذكروا له أنهم في طاعته فخرج إليهم الحسين، فسبقه عبيد الله بن زياد إلى الكوفة، فخذل غالب الناس عنه، فتأخروا رغبة ورهبة، وقتل ابن عمه مسلم بن عقيل، وكان الحسين قد قدمه قبله، ليبايع له الناس فجهز إليه ابن زياد عسكراً، فقاتلوه رضي الله عنه إلى أن قتل هو وجماعة من أهل بيته(٢).

وقد وردت أحاديث كثيرة في بيان مناقبه التي اختص بها وتفرد بها ومنها:

١ - ما رواه البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين عليه السلام، فجعل في طست فجعل ينكت، وقال في حسنه شيئاً فقال أنس: كان أشبههم برسول الله ﷺ وكان مخضوباً بالوسمة(٣).

٢ - وفي رواية أخرى عن أنس قال لما أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكت بالقضيب، ثناياه يقول: لقد كان أحسبه قال جميلاً فقلت: والله لأسوءنك إني رأيت رسول الله ﷺ يلثم(٤) حيث يقع قضيبك، قال: فانقبض(٥).

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٦٢/٨ - ١٦٣ وانظر الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٧٧/١ - ٣٨٣، سير أعلام النبلاء ٢٨٠/٣ - ٣٢١، الإصابة لابن حجر ٣٣١/١ - ٣٣٤، أسد الغابة ١٨/٢ - ٢٢.

(٢) فتح الباري ٩٥/٧، تحفة الأحوذي ٢٧٢/١٠.

(٣) صحيح البخاري ٣٠٦/٢.

(٤) يلثم: أي يقبل.

(٥) مجمع الزوائد ١٩٥/٩ ثم قال: رواه البزار والطبراني بأسانيد ورجاله وثقوا.

٣ - وروى الطبراني كما في البداية والنهاية لابن كثير عن زيد بن أرقم، أنه قال لابن زياد، وهو ينكت بقضيبه بين ثنيتي الحسين "ارفع هذا القضيب عن هاتين الثنيتين، فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الثنيتين يقبلهما"[١].

هذه الثلاثة الأحاديث فيها بيان فضل الحسين رضي الله عنه فقد كان رضي الله عنه أشبه أهل البيت برسول الله ﷺ، وقد تقدم في حق الحسن "أنه لم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن علي، فيحصل التعارض، ولكن الحافظ ابن حجر جمع بيهما، فقال رحمه الله: "ويمكن الجمع بأن يكون أنس قال ما وقع في رواية الزهري في حياة الحسن؛ لأنه يومئذ كان أشد شبهاً بالنبي ﷺ من أخيه الحسين، وأما ما وقع في رواية ابن سيرين، فكان بعد ذلك كما هو ظاهر من سياقه أو المراد عن فضل الحسين عليه في الشبه من عدا الحسن، ويحتمل أن يكون كل منهما كان أشد شبهاً في بعض أعضائه.

فقد روى الترمذي وابن حبان من طريق هانئ بن هانئ عن علي، قال: الحسن أشبه رسول الله ﷺ ما بين الرأس إلى الصدر، والحسين أشبه النبي ﷺ ما أسفل من ذلك[٢]، ووقع في رواية عبد الأعلى عن معمر عند الإسماعيلي وفي رواية الزهري هذه وكان أشبههم وجهاً بالنبي ﷺ وهو يؤيد حديث علي هذا والله أعلم"[٣].

٤ - وروى الحاكم بإسناده إلى يعلى العامري رضي الله عنه أنه خرج مع رسول الله ﷺ إلى طعام دعوا له قال: فاستقبل رسول الله ﷺ أمام القوم، وحسين مع الغلمان يلعب فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه فطفق الصبي يفر هاهنا مرة وهاهنا مرة، فجعل رسول الله يضاحكه حتى أخذه قال: فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه فوضع فاه على فيه يقبله فقال: **«حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً ، حسين سبط من الأسباط»** [٤].

جاء في تحفة الأحوذي: قال القاضي: "كأنه ﷺ علم بنور الوحي ما سيحدث بينه وبين القوم فخصه بالذكر، وبين أنهما كالشيء الواحد في وجوب المحبة، وحرمة

---

(١) البداية والنهاية ٢٠٦/٨.

(٢) سنن الترمذي ٣٢٥/٥.

(٣) فتح الباري ٩٧/٧، وانظر البداية والنهاية ٢٠٦/٨.

(٤) المستدرك ١٧٧/٣ ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

التعرض والمحاربة، وأكد ذلك بقول: «**أحب الله من أحب حسيناً**» فإن محبته محبة الرسول ومحبة الرسول محبة الله[(١)].

فالحديث اشتمل على منقبة عالية للحسين رضي الله عنه وأرضاه.

٥ - وروى أيضاً بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما رأيت الحسين بن علي إلا فاضت عيني دموعاً، وذاك أن رسول الله ﷺ خرج يوماً، فوجدني في المسجد، فأخذ بيدي واتكأ علي، فانطلقت معه حتى جاء سوق بني قينقاع، قال: وما كلمني فطاف، ونظر ثم رجع ورجعت معه فجلس في المسجد واحتبى وقال لي: «**ادع لي لكاع**» فأتى حسين يشتد حتى وقع في حجرة ثم أدخل يده في لحية رسول الله ﷺ، فجعل رسول الله ﷺ يفتح فم الحسين فيدخل فاه في فيه ويقول: «**اللهم إني أحبه فأحبه**» [(٢)].

٦ - وروى أبو يعلى بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى الحسين بن علي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقوله[(٣)].

تلك طائفة من الأحاديث التي تضمنت ذكر فضل الحسين بن علي رضي الله عنه منفرداً، وقد وردت أحاديث كثيرة، تضمنت ذكر مناقب مشتركة بين الحسن والحسين رضي الله عنهما ومنها:

١ - ما رواه البخاري بإسناده إلى ابن عمر، وقد سأله رجل من أهل العراق عن المحرم يقتل الذباب، فقال رضي الله عنه: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ. وقال النبي ﷺ : «**هما ريحانتاي من الدنيا**» [(٤)].

ففي هذا الحديث منقبة ظاهرة للحسن والحسين رضي الله عنهما حيث شبههما عليه الصلاة والسلام بالريحان الذي لـه رائحة زكية، وشبههما النبي ﷺ بالريحان، لأن الولد يشم ويقبل، وقد جاء من حديث أنس عند الترمذي أنه عليه الصلاة والسلام، كان يقول

---

(١) تحفة الأحوذي ٢٧٩/١٠.

(٢) المستدرك ١٧٨/٣ ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) أورده الهيثمي في المجمع ١٨٧/٩ وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير الربيع بن سعد، وقيل: ابن سعيد وهو ثقة.

(٤) صحيح البخاري ٣٠٦/٢.

لفاطمة أمهما رضي الله عنها: **«ادعي لي ابني فيشمهما ويضمهما إليه»** [١].

قال الكرماني: شارحاً لقوله عليه الصلاة والسلام: **«هما ريحانتاي من الدنيا»** الريحان الرزق أو المشموم، وتعقبه العيني بقوله: لا وجه هنا أن يكون بمعنى الرزق على ما لا يخفى[٢] والأمر كما قرره العيني.

٢ - وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين هذا على عاتقه، وهذا على عاتقه، وهو يلثم[٣] هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا فقال له رجل: يا رسول الله إنك تحبهما. فقال: **«نعم من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني»** [٤].

٣ - وروى أيضاً بإسناده إلى علي بن أبي طالب قال: لما ولدت فاطمة الحسن جاء النبي ﷺ فقال: **«أروني ابني ما سميتموه»** قال: قلت: سميته حرباً قال: **«بل هو حسن»** فلما ولدت الحسين جاء رسول الله ﷺ فقال: **«أروني ابني ما سميتموه»** قال: قلت: سميته حرباً فقال: **«بل هو حسين»**، ثم لما ولدت الثالث جاء رسول الله ﷺ قال: **«أروني ابني ما سميتموه»** قلت: سمتيه حرباً قال: **«بل هو محسن»** [٥].

فتسميته المصطفى عليه الصلاة والسلام لهما بالحسنين منقبة وفضيلة لهما رضي الله عنهما.

٤ - وروى أبو عيسى الترمذي بإسناده إلى البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أبصر حسناً وحسيناً فقال: **«اللهم إني أحبهما فأحبهما»** [٦].

هذا الحديث والحديثان المتقدمان عليه فيها بيان واضح من النبي ﷺ لفضل الحسن والحسين رضي الله عنهما، كما تضمنت حث الأمة جميعاً على حبهما وبين عليه الصلاة والسلام أن حبهما حب له عليه الصلاة والسلام، وبغضهما بغض له ﷺ ومن حل في

---

(١) سنن الترمذي ٣٢٧/٥ وقال عقبه: "هذا حديث حسن صحيح".
(٢) عمدة القاري ٢٤٣/١٦.
(٣) يلثم: أي يقبل فاه.
(٤) المستدرك ١٦٦/٣ ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
(٥) المستدرك ١٦٥/٣ ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
(٦) سنن الترمذي ٣٢٧/٥ وقال عقبه: "هذا حديث حسن صحيح".

قلبه بغض الرسول كان من الخاسرين.

٥ - وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ : **«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما»** (١).

هذا الحديث اشتمل على منقبتين عظيمتين للحسنين رضي الله عنهما: **الأولى**: شهادة النبي ﷺ لهما بالجنة. **الثانية**: إخباره عليه الصلاة والسلام بأنهما سيدا شباب أهل الجنة وهذا يعني: "أنهما أفضل من مات شاباً في سبيل الله من أصحاب الجنة، ولم يرد به سن الشباب؛ لأنهما ماتا وقد كهلا، بل ما يفعله الشباب من المروءة، كما يقال: فلان فتى وإن كان شيخاً يشير إلى قوته، وفتوته، أو أنهما سيدا أهل الجنة سوى الأنبياء والخلفاء الراشدين وذلك لأن أهل الجنة كلهم في سن واحد، وهو الشباب وليس فيهم شيخ ولا كهل، قال الطيبي: "ويمكن أن يراد هما الآن سيدا شباب من هم من أهل الجنة من شبان هذا الزمان"(٢).

٦ - روى الإمام مسلم بإسناده إلى إياس عن أبيه قال: لقد قدت بنبي الله ﷺ والحسن والحسين بغلته الشهباء حتى أدخلتهم حجرة النبي ﷺ هذا قدامه وهذا خلفه"(٣).

هذا الحديث فيه فضيلة ظاهرة للحسن والحسين رضي الله عنهما، وهذه الفضيلة هي إركابه عليه الصلاة والسلام إياهما حيث جعل أحدهما أمامه والآخر خلفه على بغلته الشهباء.

٧ - وروى أيضاً بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] (٤).

وهذا الحديث اشتمل على ذكر فضيلة لعلي بن أبي طالب وابنيه الحسن والحسين

---

(١) المستدرك ١٦٧/٣ ثم قال: هذا حديث صحيح بهذه الزيادة ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) انظر تحفة الأحوذي ٢٧٣/١٠، عارضة الأحوذي لابن العربي ١٩٢/١٣.

(٣) صحيح مسلم ١٨٨٣/٤.

(٤) صحيح مسلم ١٨٨٣/٤.

وأمهما فاطمة رضي الله عنهم أجمعين، وتلك المنقبة هي إدخاله إياهم عليه الصلاة والسلام في الكساء الذي كان يرتديه، ثم أخبر أنهم من أهل البيت الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم منه تطهيراً.

قال النووي رحمه الله تعالى: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] قيل: هو الشك. وقيل: العذاب. وقيل: الإثم قال الأزهري: الرجس اسم لكل مستقذر من عمل(١).

٨ - وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كنا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء، فكان يصلي، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، وإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما وضعاً رفيقاً، فإذا عاد عادا، فلما صلى جعل واحداً هاهنا وواحداً هاهنا فجئته فقلت: يا رسول الله، ألا أذهب بهما إلى أمهما قال: «**لا**» فبرقت برقة فقال: «**الحقا بأمكما**» فما زالا يمشيان في ضوئها حتى دخلا(٢).

وهذا الحديث فيه إظهار فضل الحسن والحسين وبيان منزلتهما وعظم شأنهما.

٩ - وروى أيضاً بإسناده إلى عبد الله بن شداد بن الهاد عن أبيه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشي الظهر أو العصر، وهو حامل أحد ابنيه الحسن أو الحسين، فتقدم رسول الله ﷺ، فوضعه عند قدمه اليمنى، فسجد رسول الله ﷺ سجدة، أطالها قال أبي: فرفعت رأسي من بين الناس، فإذا رسول الله ﷺ ساجد، وإذا الغلام راكب على ظهره، فعدت فسجدت، فلما انصرف رسول الله ﷺ قال الناس: يا رسول الله لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها أفشيء أمرت به أو كان يوحى إليك؟ قال: «**كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته**» (٣).

١٠ - وروى الترمذي بإسناده إلى أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: طرقت النبي ﷺ ذات ليلة في بعض الحاجة، فخرج النبي ﷺ وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو، فلما فرغت من حاجتي، قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٥/١٥.

(٢) المستدرك ١٦٧/٣ ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) المستدرك ١٦٥/٣ - ١٦٦ ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

عليـه، فكشـفه فـإذا حسـن وحسـين علـى وركيـه فقـال: **«هـذان ابنـاي وابنـا ابنتـي اللهـم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما»** [(١)].

ومن مناقبهما التي أكرمهما الله بها أنهما ماتا شهيدين وهذا من إكرام الله - تعالى - لهما تكميلاً لكرامتهما ورفعا لدرجاتهما.

قـال شيخ الإسـلام ابـن تيميـة رحمـه الله تعـالى: "ومـن ذلـك أن اليـوم الـذي هـو يـوم عاشوراء الذي أكرم الله فيه سبط نبيه وأحد سيدي شباب أهل الجنـة بالشـهادة علـى أيدي من قتله من الفجرة والأشقياء، وكان ذلك مصيبة عظيمة من أعظم المصـائب الواقعة فـي الإسلام، ولا ريـب أن ذلـك، إنمـا فعلـه الله كرامـة للحسـين رضـي الله عنـه، رفعـاً لدرجتـه ومنزلته عند الله وتبليغاً لـه منـازل الشـهداء وإلحاقـاً لـه بأهل بيتـه الـذين ابتلـوا بأصـناف البـلاء، ولـم يكـن الحسـن والحسـين حصـل لهمـا مـن الابـتلاء مـا حصـل لجـدهما ولأمهمـا وعمهمـا لأنهمـا ولـدا فـي عـز الإسـلام وتربيـا فـي حجـور المـؤمنين فـأتم الله نعمتـه عليهمـا بالشهادة أحدهما مسموماً[(٢)]، والآخر مقتولاً[(٣)] لأن الله عنده من المنـازل العاليـة فـي دار كرامته ما لا ينالهما إلا أهل البلاء" ا. هـ[(٤)].

فأهـل السـنة يعتقـدون أن الحسـين رضـي الله عنـه قتـل مظلومـاً، وقتلـه كـذلك فيـه تكـريم لـه ورفـع لدرجتـه عنـد الله - عـز وجـل - كمـا يعتقـدون أن قتلـه مـن أعظـم المصـائب التـي وقعـت فـي الإسـلام، وهـم يلتزمـون عنـد المصـائب مـا شـرعه الله لهـم مـن الاسـترجاع، وإن تقـادم عهـد المصـيبة، أمـا أعـداء الصـحابة والزاعمـون أنهـم شـيعة أهـل البيـت فـإنهم يعملـون بخـلاف مـا أمـرهم الله بـه فـلا يسـترجعون عنـد المصـيبة، وإنمـا يعملـون المـآتم فـي المصـائب، ويتخـذون أوقاتهـا مـآتم باسـتمرار، وهـذا لـيس مـن ديـن الإسـلام وهـو: "أمـر لـم يفعلـه رسـول الله ﷺ ولا أحـد مـن السـابقين الأولـين ولا مـن التـابعين لهـم بإحسـان ولا مـن عـادة أهـل البيـت ولا غيـرهم، وقـد شـهد مقتـل علـي أهـل بيتـه، وشـهد مقتـل الحسـين مـن شـهده مـن أهـل

---

(١) سنن الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي ٢٧٣/١٠ - ٢٧٤ وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) انظر الكامل لابن الأثير ٤٦٠/٣، البداية والنهاية ٤٦/٨، فتح الباري ٩٥/٧.

(٣) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري ٤٠٠/٥ - ٤٦٧، الكامل لابن الأثير ٤٦/٤ - ٩٣، البداية والنهاية ١٨٦/٨ - ٢٢٠.

(٤) حقوق آل البيت ص/٤٤ - ٤٥، مجموع الفتاوى ٥١١/٤.

بيته، وقد مرت على ذلك سنون، وهم متمسكون بسنة رسول الله ﷺ لا يحدثون مأتماً ولا نياحة، بل يصبرون ويسترجعون كما أمر الله ورسوله أو يفعلون ما لا بأس به من الحزن والبكاء عند قرب المصيبة"[١].

وهذا ما عليه الفرقة الناجية التي تعمل بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والتي قلوبهم ممتلئة بحب أصحاب نبيه وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين وكل ما تقدم ذكره من مناقب للحسن والحسين على سبيل الانفراد أو على سبيل الاشتراك بينهما كلها دلت على أنهما جليلا القدر عظيما المكانة، فعلى المسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً أنهما من أهل الفضل ومن صفوة الأمة المحمدية رضي الله عنهما وأرضاهما.

* * * * *

---

(١) حقوق آل البيت ص/٤٦.

حمزة بن عبد المطلب

هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب الإمام البطل الضرغام أبو عمارة وأبو يعلى القرشي الهاشمي المكي، ثم المدني البدري الشهيد عم رسول الله ﷺ، وأخوه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب، وهو أسد الله وأسد رسوله، ولد قبل النبي ﷺ بسنتين، وقيل: بأربع كان من فرسان قريش وسادتها وصناديدها المعدودين أسلم في السنة الثانية من البعثة، وهاجر إلى المدينة، وشهد بدراً، وأبلى فيها بلاء حسناً، واستشهد في معركة أحد في النصف من شوال من السنة الثالثة للهجرة، وسماه المصطفى عليه الصلاة والسلام سيد الشهداء، وحزن عليه حزناً شديداً فرضي الله عنه وأرضاه"(١).

وقد وردت أحاديث كثيرة فيها ذكر مناقبه التي دلت على عظيم شأنه، وجليل قدره، وعلى أنه ذو مكانة عالية في الدنيا والآخرة ومن تلك الأحاديث:

١ - ما رواه محمد بن سعد في كتابه الطبقات(٢) بإسناده إلى يزيد بن رومان، قال: أول لواء عقده رسول الله ﷺ حين قدم المدينة لحمزة بن عبد المطلب بعثة سرية في ثلاثين راكباً حتى بلغوا قريباً من سيف البحر، يعترض لعير قريش، وهي منحدرة إلى مكة قد جاءت من الشام، وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة راكب فانصرف ولم يكن بينهم قتال.

ففي هذا منقبة عظيمة تشرف بها حمزة رضي الله عنه، وهي أن أول لواء عقده رسول الله ﷺ حين قدم المدينة كان لعمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يجله ويكرمه ويقدره ويظهر له أنه ذو مكانة عنده.

٢ - فقد روى الحاكم بإسناده إلى علي بن الحسين عن أبيه عن جده قال: جاء علي وحمزة إلى النبي ﷺ وقد اغتسلا فقال النبي ﷺ : **«كيف صنعتما؟»**

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/٣ - ١٩، الجرح والتعديل ٢١٢/٣، صفة الصفوة ٣٧٠/١ - ٣٧٧، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٧٠/١ - ٢٧٦، أسد الغابة ٤٦/٢ - ٥٠، تهذيب الأسماء واللغات ١٦٨/١ - ١٦٩، سير أعلام النبلاء ١٧١/١ - ١٨٤، الإصابة ٣٥٣/١.

(٢) ٩/٣، المستدرك ١٨٧/٣.

قال أحدهما: يا رسول الله سترته بالثوب، وقال الآخر: فجعلت مثل ذلك فقال رسول الله ﷺ : **«لو فعلتما غير ذلك لسترتكما»** [(١)].

ففي هذا الحديث فضيلة ظاهرة لحمزة وعلي رضي الله عنهما وأرضاهما.

٣ - وروى الإمام مسلم بإسناده إلى قيس بن عباد قال: سمعت أبا ذر يقسم قسماً أن ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ [الحج: ١٩]. إنها نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة"[(٢)].

٤ - وروى الحاكم بإسناده إلى علي رضي الله عنه قال: نزلت ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ [الحج: ١٩] في الذين برزوا يوم بدر حمزة بن عبد المطلب، وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، قال علي: وأنا أول من يجثو للخصومة على ركبتيه بين يدي الله يوم القيامة"[(٣)].

فهذان الحديثان تضمنا ذكر فضيلة ظاهرة لحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه إذ المراد بالذين اختصموا في الله - سبحانه - هم حزب الله، وحزب الشيطان، فحزب الله كان في مقدمتهم حمزة بن عبد المطلب، وأما حزب الشيطان فهم عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة، وابنه الوليد فنصر الله حزبه، وخذل حزب الشيطان، فحمزة رضي الله عنه كان في مقدمة الذين برزوا يوم بدر لضرب المشركين بغية إعلاء كلمة الله ونصر الدين الحنيف.

٥ - وروى الحاكم أيضاً بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "فقد رسول الله ﷺ يوم أحد حمزة حين فاء الناس من القتال، قال: فقال رجل: رأيته عند تلك الشجرة وهو يقول: أنا أسد الله وأسد رسوله اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، لأبي سفيان وأصحابه وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء من انهزامهم، فسار رسول الله ﷺ نحوه، فلما رأى جبهته بكى، ولما رأى ما مثل به شهق، ثم قال: **«ألا كفن»** فقال رجل من الأنصار فرمى بثوب قال

---

(١) المستدرك ١٩٣/٣، ثم قال عقبه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح مسلم ٢٣٢٣/٤.

(٣) المستدرك ٣٨٦/٣ - ٣٨٧ ثم قال: لقد صح الحديث بهذه الروايات عن علي كما صح عن أبي ذر الغفاري وإن لم يخرجاه ووافقه الذهبي.

جابر: فقال رسول الله ﷺ : **«سيد الشهداء عند الله يوم القيامة حمزة»** [١].

٦ - وروى أيضاً: بإسناده إلى سعد بن أبي وقاص قال: كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ ويقول: أنا أسد الله[٢].

وهذان الحديثان فيهما بيان منقبتين عظيمتين لحمزة رضي الله عنه وتلك المنقبتان هما: **الأولى**: قوة عزيمته وشجاعته الصارمة في مواطن القتال ضد أولياء الشيطان من المشركين والكافرين حتى أنه أطلق عليه أنه أسد الله وأسد رسوله.

الثانية: التي تفرد بها وامتاز بها عن غيره إخبار المصطفى عليه الصلاة والسلام بأنه سيد الشهداء عند الله تعالى يوم القيامة.

٧ - ومن مناقبه الشريفة رضي الله عنه أنه جاهد في سبيل الله حق الجهاد، حتى أنه في يوم أحد مثل به المشركون مثلة، لم تكن لأحد سواه، وذلك من شدة غيظ المشركين وحقدهم عليه إذ أنه واجههم في يوم بدر ويوم أحد مواجهة الشجاع المقدام، فكانوا لا يطيقون الوقوف أمامه في ساعة القتال، فإنه ما وقف أمامه فارس إلا كان كأمس الذاهب، ولما استشهد في أحد على يد وحشي، لم يكن عن مواجهة، وإنما كمن له تحت الصخرة فرماه بحربته[٣]، ولما سقط على الأرض شهيداً، فعل به المشركون ما فعلوا من التجديع والتمثيل، فقد روى الحاكم بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرّ بحمزة يوم أحد وقد جدع ومثل به وقال: **«لولا أن صفية تجد لتركته حتى يحشره الله من بطون الطير والسباع»** فكفنه في نمرة[٤].

فهذا التجديع والمثلة التي حصلت لحمزة رضي الله عنه كانت في ذات الله - عز وجل - ولذلك أكرمه الله بأن كان سيد الشهداء.

٨ - وروى الحاكم بإسناده أيضاً: إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه

---

(١) المستدرك ١٩٩/٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) المستدرك ١٩٤/٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) انظر صحيح البخاري مع شرح فتح الباري ٣٦٧/٧.

(٤) المستدرك ١٩٦/٣ ثم قال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

الآيـة فـي حمـزة وأصـحابه: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] [(١)]، وهذا الحديث فيه بيان ما أكرم الله به حمزة وإخوانه الذين استشهدوا معه في موقعة أحد حيث جعلهم الله أحياء يرزقون عنده في الجنة، ففي هذا منقبة عظيمة لشهداء أحد الذين في مقدمتهم سيد الشهداء حمزة رضي الله عن الجميع وأرضاهم وجعل الجنة مثواهم.

تلك طائفة من الأحاديث التي جاء التنويه فيها بفضل حمزة عم النبي ﷺ، فلقد دلت على أنه عظيم القدر عالي المكانة في الدنيا والآخرة رضي الله عنه وأرضاه.

* * * * *

(١) المصدر السابق ٣٨٧/٢ ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي، وانظر المصنف لابن أبي شيبة ١٠٧/١٢، فضائل الصحابة للنسائي ص/٩٢، الدر المنثور للسيوطي ٣٧١/٢.

العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

هو أبو الفضل بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي عم رسول الله ﷺ أمه نتيلة بنت جناب بن كلب - ولد قبل رسول الله ﷺ بسنتين، وهو من سادة قريش في الجاهلية والإسلام، وجد الخلفاء العباسيين، وكانت إليه في الجاهلية السقاية وعمارة المسجد الحرام، حضر مع النبي ﷺ بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم وشهد بدرا مع الكفار مكرهاً فأسر، ثم افتدى نفسه وافتدى ابن أخيه عقيل بن أبي طالب ورجع إلى مكة، وأسلم وكتم إسلامه، وكان يكتب لرسول الله ﷺ بأخبار قريش، وهاجر إلى المدينة قبل الفتح بقليل وشهد فتح مكة، وثبت يوم حنين، وكان عظيم المكانة عند النبي ﷺ يعترف له بسداد الرأي، وكان الفاروق رضي الله عنه يستسقي به إذا قحطوا، توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين للهجرة ودفن بالبقيع رضي الله عنه وأرضاه(١).

وقد وردت في بيان مناقبه أحاديث كثيرة كلها دلت على أنه عظيم المقام جليل القدر ومن تلك الأحاديث:

١ - ما رواه أبو القاسم الطبراني بإسناده إلى أبي رافع رضي الله عنه أنه بشر النبي ﷺ بإسلام العباس فأعتقه رسول الله ﷺ (٢).

فلقد فرح النبي ﷺ بإسلامه، وأعتق أبا رافع لما بشره بإسلامه، ففيه منقبة ظاهرة للعباس.

وروى الترمذي وغيره عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: **«إن العباس مني وأنا منه»** (٣).

جاء في تحفة الأحوذي: قوله: **«العباس مني وأنا منه»** قال: في المرقاة: "أي من

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/٥ - ٣٣، الجرح والتعديل ٢١٠/٦، المستدرك ٣٢١/٣، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٩٤/٣ - ١٠١، صفة الصفوة ٥٠٦/١ - ٥١٠، مجمع الزوائد ٢٦٨/٩، تهذيب التهذيب ٢١٤/٥ - ٢١٥، الإصابة ٢٦٣/٢، أسد الغابة ١٠٩/٣ - ١١٢.

(٢) أورده الهيثمي في المجمع ٢٦٨/٩، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

(٣) سنن الترمذي ٣١٧/٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، المستدرك ٣٢٥/٣، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٢٤/٤.

أقاربي، أو من أهل بيتي أو متصل بي" ا. هـ[١].

٣ - ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان سباقاً لأداء ما أوجب الله عليه من الفرائض، فقد طلب من النبي ﷺ أن يرخص له بأداء زكاته قبل أن يحل وقتها.

فقد روى الحاكم بإسناده إلى علي رضي الله عنه أن العباس بن عبد المطلب سأل رسول الله ﷺ عن تعجيل صدقته قبل أن تحل فرخص له في ذلك "[٢].

٤ - وروى الإمام مسلم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عمر على الصدقة فقيل: منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس عم رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : **«ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيراً فأغناه الله، وأما خالد، فإنكم تظلمون خالداً، وقد احتبس أدراعه، وأعتاده في سبيل الله، وأما العباس فهي علي ومثلها معها»** ثم قال: **«يا عمر أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه»** [٣].

٥ - وروى الإمام أحمد وغيره إلى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب "أن العباس بن عبد المطلب دخل على رسول الله ﷺ مغضباً وأنا عنده فقال: **«ما أغضبك؟»** قال: يا رسول الله مالنا ولقريش اذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة؟، وإذا لقونا بغير ذلك، قال: فغضب رسول الله ﷺ حتى احمر وجهه، ثم قال: **«والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله»**. ثم قال: **«يا أيها الناس، من آذى عمي، فقد آذاني، فإنما عم الرجل صنو أبيه»** [٤].

هذه الأحاديث الثلاثة بَيَّنَ النبي ﷺ للأمة فيها فضل العباس بن عبد المطلب ومكانته منه عليه الصلاة والسلام.

قال ابن الأثير رحمه الله تعالى: "الصنو: المثل، وأصله أن تطلع نخلتان من عرق واحد يريد أن أصل العباس وأصل أبي واحد وهو مثل أبي أو مثلي وجمعه صنوان"[٥].

---

(١) تحفة الأحوذي ٢٦٥/١٠.

(٢) المستدرك ٣٣٢/٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح مسلم ٦٧٦/٤ - ٦٧٧.

(٤) المسند ١٦٥/٤ والترمذي في سننه ٣١٧/٥ - ٣١٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحاكم في المستدرك ٣٣٣/٣.

(٥) النهاية في غريب الحديث ٥٧/٣.

وعلى هذا، فمعنى قولـه ﷺ : «**وأن عم الرجل صنو أبيه**» أي: مثله يعني أصلهما واحد فتعظيمه كتعظيمه وإيذاءه كإيذائه".

٦ - ومن مناقبه العظيمة التي اختص بها وشرف بها رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يجله إجلال الولد والده ويبالغ في إكرامه، فقد روى الحاكم بإسناده إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يجل العباس إجلال الولد والده خاصة خص الله العباس بها من بين الناس"(١).

٧ - وروى الحاكم أيضاً بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان العباس بالمدينة فطلبت الأنصار ثوباً يلبسونه، فلم يجدوا قميصاً يصلح عليه إلا قميص عبد الله بن أبيّ فكسوه إياه، قال جابر: وكان العباس أسير رسول الله ﷺ يوم بدر، وإنما أخرج كرهاً فحمل إلى المدينة فكساه عبد الله بن أبي قميصه، فلذلك كفنه رسول الله ﷺ في قميصه مكافأة لما فعل بالعباس(٢).

وهذا الحديث فيه بيان فضيلة ظاهرة للعباس رضي الله عنه بإكرام النبي ﷺ له حيث أعطى ثوبه عليه الصلاة والسلام كفناً لعبد الله بن أبي مكافأة له على إعطائه قميصاً للعباس حين كان أسير رسول الله ﷺ يوم بدر.

٨ - وروى أيضاً: بإسناده إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن العلاء بن الحضرمي بعث إلى رسول الله ﷺ من البحرين بثمانين ألفاً، فما أتى رسول الله ﷺ مال أكثر منه لا قبلها ولا بعدها، فأمر بها، ونثرت على حصير، ونودي بالصلاة، فجاء رسول الله ﷺ يميل على المال قائماً، فجاء الناس، وجعل يعطيهم، وما كان يومئذ عدد ولا وزن، وما كان إلا قبضاً، فجاء العباس فقال: يا رسول الله، إني أعطيت فدائي وفداء عقيل يوم بدر، ولم يكن لعقيل مال أعطني من هذا المال، فقال رسول الله ﷺ : «**خذ**»، فُحثى في خميصة كانت عليه ثم يذهب ينصرف، فلم يستطع رفع رأسه إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله ارفع علي فابتسم رسول الله ﷺ وهو يقول: «**أما أحد ما وعد الله فقد أنجز لي ولا أدري الأخرى**: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي

(١) المستدرك ٣/٣٢٤ - ٣٢٥ ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) المستدرك ٣/٣٣٠ - ٣٣١ ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

﴿قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٠] **هذا خير مما أخذ مني ولا أدري ما يصنع بالمغفرة»** [(١)].

في هذا الحديث فضيلة ظاهرة للعباس رضي الله عنه، وهي أنه عليه الصلاة والسلام كان يحبه حباً شديداً، فقد أعطى المصطفى عليه الصلاة والسلام الصحابة من مال البحرين بيده، ولما جاء العباس أمره النبي ﷺ أن يأخذ لنفسه بيده.

٩ - ومن مناقبه العظيمة التي رفعت من شأنه، وعلت من مكانته ثبوته الصادق حين حمى الوطيس، وفر الناس يوم حنين، فقد روى مسلم في صحيحه بإسناده إلى العباس رضي الله عنه، قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فلزمت أنا وأبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ، فلم نفارقه ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار، قال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة ألا تسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ : **«أي عباس ناد أصحاب السمرة»** فقال عباس: "وكان رجلاً صيتاً" فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار، قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج، يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله ﷺ وهو يقول على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله ﷺ : **«هذا حين حمي الوطيس»**، قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات، فرمى بهن في وجوه الكفار، ثم قال: **«انهزموا ورب محمد»** قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم مدبراً"[(٢)].

هذا الحديث اشتمل على بيان منقبة عظيمة لأبي الفضل رضي الله عنه، حيث أنه وقف موقف الشجاع المقدام لحرب المشركين من أجل إعلاء كلمة الحق ونصرة دين

---

(١) المستدرك ٣٢٩/٣ - ٣٣٠ ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

(٢) صحيح مسلم مع شرح النووي ١١٣/١٢ - ١١٧.

الإسلام، فلقد ثبت في وقعة حنين من أول المعركة إلى آخرها مع المصطفى ﷺ، ولذلك فصل المعركة وما دار فيها تفصيلاً كاملاً رضي الله عنه وأرضاه.

١٠ - لقد بين الفاروق رضي الله عنه للأمة عامة فضل العباس بن عبد المطلب ومكانته من سيد الخلق، ووضح ذلك وضوحاً كاملاً، فقد روى البخاري إلى أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا، فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، فاسقنا قال: فيسقون"[(١)].

ففي هذا الأثر عن الفاروق رضي الله عنه بيان لفضل العباس بن عبد المطلب، كما تضمن أيضاً فضل عمر، لتواضعه للعباس ومعرفته بحقه.

والمراد بتوسل عمر رضي الله عنه بالعباس بدعائه لا بذاته، إذ التوسل بدعاء أهل الصلاح، والفضل نوع من أنواع التوسل المشروع.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: "وقد بين الزبير بن بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة والوقت، الذي وقع فيه ذلك، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال: اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس"[(٢)].

تلك طائفة من الأحاديث التي تضمنت مناقب عالية للعباس رضي الله عنه، وكلها دلت على أنه عظيم المقام جليل القدر رفيع المنزلة رضي الله عنه وأرضاه.

* * * * *

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٤٩٤/٢.

(٢) فتح الباري ٤٩٧/٢.

عبد الله بن عباس رضي الله عنه

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو العباس الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ حبر هذه الأمة، ومفسر كتاب الله وترجمانه، كان يقال له: الحبر والبحر، وروى عن الرسول ﷺ شيئاً كثيراً، وعن جماعة من الصحابة وأخذ عنه خلق من الصحابة وأمم من التابعين، وله مفردات ليست لغيره من الصحابة لاتساع علمه وكثرة فهمه وكمال عقله وسعة فضله، ونبل أصله رضي الله عنه وأرضاه، وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين، وهو ولد الخلفاء العباسيين هاجر مع أبيه قبل الفتح، فاتفق لقياهما النبي ﷺ بالجحفة، وهو ذاهب لفتح مكة، فشهد الفتح، وحنيناً والطائف عام ثمان، وقيل: كان في سنة تسع، وصحب النبي ﷺ حينئذ، ولزمه وأخذ عنه وحفظ وضبط الأقوال والأفعال والأحوال، وأخذ عن الصحابة علماً عظيماً، ومع الفهم الثاقب والبلاغة والفصاحة، والجمال والملاحة والأصالة والبيان وكانت وفاته رضي الله عنه سنة ثمان وستين بالطائف رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه(١).

وقد وردت في بيان فضله أحاديث كثيرة صحيحة عن رسول الرحمن ﷺ ومن تلك الأحاديث:

١ - ما رواه البخاري بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل الخلاء فوضعت له وضوء قال: **«من صنع هذا؟»** فأخبر فقال: **«اللهم فقهه في الدين»** (٢).

هذه الدعوة النبوية فيها منقبة ظاهرة لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وهي دعاؤه عليه الصلاة والسلام له بالفقه في الدين، قال ابن المنير: "مناسبة الدعاء لابن عباس للتفقه على وضعه الماء من جهة، أنه تردد بين ثلاث أمور: إما أن يدخل إليه بالماء إلى الخلاء، أو يضعه على الباب ليتناوله من قرب، أو لا يفعل شيئاً. فرأى الثاني

---

(١) البداية والنهاية ٣١٧/٨ - ٣١٨، وانظر أنساب الأشراف ٢٧/٣، كتاب المعرفة والتاريخ ٢٤١/١، الجرح والتعديل ١١٦/٥، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٤٢/٢، أسد الغابة ١٩٢/٣، حلية الأولياء ٣١٤/١ - ٣٢٨، صفة الصفوة ٧٤٦/١ - ٧٥٨، تهذيب التهذيب ٢٧٦/٥، الإصابة ٣٢٢/٢ - ٣٢٦.

(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٢٤٤/١.

أوفق لأن في الأول تعرضاً للاطلاع، والثالث يستدعي مشقة في طلب الماء، والثاني أسهلها، ففعله يدل على ذكائه، فناسب أن يدعي لـه بالتفقه في الدين، ليحصل به النفع وكذا كان[١].

٢ - وروى أيضاً بإسناده إلى ابن عباس قال: ضمني رسول الله ﷺ وقال: **«اللهم علمه الكتاب»** [٢].

وفي هذا الحديث فضيلة ظاهرة لابن عباس رضي الله عنه وهي ضم النبي ﷺ إياه ودعوته لـه أن يعلمه الله الكتاب. "والمراد بالكتاب القرآن؛ لأن العرف الشرعي عليه، والمراد بالتعليم ما هو أعم من حفظه والتفهم فيه"[٣].

٣ - وروى مسلم بإسناده إلى ابن عباس أن رسول الله ﷺ أتى الخلاء فوضعت لـه وضوء فلما خرج قال: من وضع هذا" في رواية زهير: قالوا وفي رواية أبي بكر قلت: ابن عباس قال: **«اللهم فقهه»** [٤].

قال النووي: "قولـه ﷺ : **«اللهم فقهه»** فيه فضيلة الفقه واستحباب الدعاء بظهر الغيب واستحباب الدعاء لمن عمل عملاً خيراً مع الإنسان، وفيه إجابة دعاء النبي ﷺ لـه فكان من الفقه بالمحل الأعلى" ا. هـ[٥].

٤ - وروى الإمام أحمد بإسناده إلى ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان في بيت ميمونة فوضعت لـه وضوء من الليل، قال: فقالت ميمونة: يا رسول الله وضع لك هذا عبد الله بن عباس فقال: **«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»** [٦].

٥ - وروى أيضاً بإسناده إلى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ وضع يده على كتفي أو على منكبي شك سعيد ثم قال: **«اللهم فقهه في**

---

(١) فتح الباري ٢٤٤/١ - ٢٤٥.
(٢) صحيح البخاري ٢٥/١، ورواه أحمد في المسند انظر "الفتح الرباني" ٢٩٢/٢٢.
(٣) فتح الباري ١٧٠/١.
(٤) صحيح مسلم ١٩٢٧/٤.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ٣٧/١٦.
(٦) المسند مع الفتح الرباني ٢٩٢/٢٢.

الدين وعلمه التأويل» [١].

٦ - وروى محمد بن سعد بإسناده إلى ابن عباس، قال: دعاني رسول الله ﷺ فمسح على ناصيتي وقال: **«اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب»** [٢].

٧ - وفي مسند الإمام أحمد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«اللهم أعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل»** [٣].

٨ - وبلفظ آخر عن عكرمة عن ابن عباس قال: مسح النبي ﷺ رأسي ودعا لي بالحكمة"[٤].

٩ - وروى الإمام الترمذي بإسناده إلى ابن عباس قال: "دعا لي رسول الله ﷺ أن يؤتيني الله الحكم مرتين" ثم قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث عطاء وقد رواه عكرمة عن ابن عباس[٥].

ومعنى قوله: **«أن يؤتيني الله الحكم مرتين»** أي: العلم والفقه والقضاء بالعدل، والظاهر أن المراد به هنا الفهم في القرآن[٦].

١٠ - وروى الإمام البخاري بإسناده إلى ابن عباس قال: ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال: **«اللهم علمه الحكمة»** [٧].

هذه الأحاديث المتقدمة فيها بيان فضل عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وقد استجاب الله هذا الدعاء النبوي في ابن عباس، فلقد كان إماماً في العلم، وعلماً من أعلام

---

(١) المصدر السابق فقد أورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٢٧٦/٩، وقال: رواه أحمد والطبراني بأسانيد، ولأحمد طريقان رجالهما رجال الصحيح" اهـ، ورواه الحاكم في المستدرك ٥٣٤/٣، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) الطبقات ٣٦٥/٢.

(٣) المسند مع الفتح الرباني ٢٩٢/٢٢.

(٤) المصدر السابق وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٣٢٠/٨، فقد قال رحمه الله "تفرد به أحمد وقد روى هذا الحديث غير واحد عن عكرمة بنحو هذا ومنهم من أرسله عن عكرمة والمتصل هو الصحيح، فقد رواه واحد من التابعين عن ابن عباس"اهـ.

(٥) سنن الترمذي ٣٤٤/٥.

(٦) تحفة الأحوذي ٣٣٧/١٠.

(٧) صحيح البخاري ٣٠٦/٢، سنن الترمذي ٣٤٤/٥.

الأمة المحمدية الذين نشر الله بهم أحكام دين الإسلام من أوامر ونواهٍ وحلال وحرام.

قال الحافظ رحمه الله تعالى: "وهذه الدعوة مما تحقق إجابة النبي ﷺ فيها لما علم من حال ابن عباس في معرفة التفسير والفقه في الدين رضي الله تعالى عنه، وقد اختلف الشراح في المراد بالحكمة هنا، فقيل: القرآن، وقيل: العمل به، وقيل: السنة، وقيل: الإصابة في القول، وقيل: الخشية وقيل: الفهم عن الله، وقيل: العقل، وقيل: ما يشهد العقل بصحته، وقيل: نور يفرق به بين الإلهام والوسواس، وقيل: سرعة الجواب مع الإصابة وبعض هذه الأقوال ذكرها بعض أهل التفسير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢] والأقرب أن المراد بها في حديث ابن عباس الفهم في القرآن"اهـ[١].

١١ - وروى الإمام أحمد بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتيت رسول الله ﷺ في آخر الليل، فصليت خلفه، فأخذ بيدي، فجرني فجعلني حذاءه[٢]، فلما أقبل على صلاته خنست[٣] فصلى رسول الله ﷺ فلما انصرف قال لي: **«ما شأني أجعلك حذائي فتخنس»** فقلت: يا رسول الله أو ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك، وأنت رسول الله الذي أعطاك الله قال: "فأعجبته فدعا الله لي أن يزيدني علماً وفهماً قال: ثم رأيت رسول الله ﷺ نام حتى سمعته ينفخ ثم أتاه بلال فقال: يا رسول الله الصلاة فقام فصلى ما أعاد وضوء [٤].

هذا الحديث فيه فضيلة ظاهرة لعبد الله بن عباس رضي الله عنه، فقد حظي بهذه الدعوة المباركة، وهي الزيادة في العلم والفهم، وقد كان كذلك رضي الله عنه وأرضاه.

١٢ - وروى الإمام مسلم بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كنت ألعب مع الصبيان، فجاء رسول الله ﷺ فتواريت خلف باب قال: فجاء فحطأني حطأة[٥] وقال:

---

(١) فتح الباري ١/١٧٠، ٧/١٠٠.

(٢) أي: بجواره.

(٣) أي: تأخرت.

(٤) المسند مع الفتح الرباني ٢٢/٢٩٣، وأورد الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٩/٢٨٤، ثم قال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ورواه الحاكم في المستدرك ٣/٥٣٤، ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

(٥) فحطأني حطأة: أي: ضربه بيده مبسوطه بين كتفيه.

«اذهب وادع لي معاوية» الحديث[١].

وفي هذا الحديث منقبة لابن عباس رضي الله عنه حيث جاءه النبي ﷺ، وهو متوار خلف باب، فضرب بيده الشريفة، وهي مبسوطة بين كتفيه، وأمره أن ينادي لـه معاوية رضي الله عنه.

١٣ - وروى الإمام أحمد بإسناده إلى ابن عباس قال: كنت مع أبي عند رسول الله ﷺ وعنده رجل يناجيه، فكان كالمعرض عن أبي، فخرجنا من عنده، فقال لي أبي: أي بني، ألم تر إلى ابن عمك كالمعرض عني، فقلت: يا أبتي، إنه كان عنده رجل يناجيه، قال: فرجعنا إلى النبي ﷺ فقال أبي: يا رسول الله، قلت لعبد الله كذا وكذا، فأخبرني أنه كان عندك رجل يناجيك، فهل كان عندك أحد، فقال رسول الله ﷺ : **«وهل رأيته يا عبد الله»**، قال: قلت: نعم قال: **«فإن ذاك جبريل وهو الذي شغلني عنك»** [٢].

١٤ - وروى أبو القاسم الطبراني كما في مجمع الزوائد[٣] عن ابن عباس، قال: بعث العباس بعبد الله إلى رسول الله ﷺ في حاجة، فوجد معه رجل فرجع، ولم يكلمه فقال: **«رأيته؟»** قال: نعم قال: **«ذاك جبريل، أما إنه لن يموت حتى يذهب بصره ويؤتى علماً»**. هذان الحديثان تضمنا منقبة ومفخرة عظيمة لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما حيث أكرمه الله تعالى برؤية جبريل الأمين، كما تضمن حديث الطبراني علماً من أعلام النبوة، حيث حصل لابن عباس ما أخبر به عليه الصلاة والسلام من ذهاب بصره، وإيتائه علماً واسعاً، وكذلك كان رضي الله عنه وأرضاه.

ولقد بين فضله ومكانته العلمية فاروق هذه الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد كان يدخله في مجلس كبار الصحابة من مشيخة بدر رضي الله عنهم، وقد كان لهم أبناء في سنة رضي الله عنه، ولم يحظ بهذا التكريم سواه.

١٥ - فقد روى الإمام البخاري بإسناده إلى ابن عباس، قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا، ولنا أبناء مثله فقال

---

(١) صحيح مسلم ٢٠١٠/٤.

(٢) المسند مع الفتح الرباني ٢٩٤/٢٢ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧٦/٩ ثم قال: رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجالها رجال الصحيح.

(٣) مجمع الزوائد ٢٧٧/٩ وقال الهيثمي: رواه الطبراني بأسانيد ورجاله ثقات.

عمر: إنه من حيث علمتم، فدعا ذات يوم، فأدخله معهم، فما رؤيت إنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر: ١] فقال بعضهم: أمرنا نحمد الله ونستغفره، إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم، فلم يقل شيئاً فقال لي: أكذاك تقول يا بن عباس فقلت: لا قال: فما تقول؟: قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال: إذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك. فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول(١).

١٦ - وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: "وأخرج البغوي في معجم الصحابة من طريق زيد بن أسلم عن ابن عمر قال: كان عمر يدعو ابن عباس ويقربه ويقول: إني رأيت رسول الله ﷺ دعاك يوماً فمسح رأسك وقال: **«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»** (٢).

وتقريب عمر رضي الله عنه لابن عباس، وإدخاله مع أشياخ بدر من أجل أن يقرر عندهم جلالة قدره، وكبير منزلته في العلم والفهم.

١٧ - وذكر الحافظ ابن كثير أن عمر رضي الله عنه، كان يقول: نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس. وكان يقول إذا أقبل: جاء فتى الكهول، وذو اللسان السؤول، والقلب العقول(٣).

١٨ - وروى ابن سعد بإسناده إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أنه قال: ما رأيت أحداً أحضر فهماً ولا ألب لباً ولا أكثر علماً ولا أوسع حلماً من ابن عباس، ولقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات ثم يقول: عندك قد جاءتك معضلة، ثم لا يجاوز قوله، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار(٤).

١٩ - وقال طلحة بن عبيد الله: لقد أعطي ابن عباس فهماً ولقناً وعلماً ما كنت أرى عمر بن الخطاب يقدم عليه أحد (٥).

---

(١) صحيح البخاري ٢٢٢/٣.
(٢) فتح الباري ١٧٠/١.
(٣) البداية والنهاية ٣٢١/٨.
(٤) الطبقات ٣٦٩/٢.
(٥) المصدر السابق ٣٧٠/٢.

٢٠ - وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه حين بلغه موت ابن عباس: "مات أعلم الناس وأحلم الناس، ولقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق.

وقال رافع بن خديج: مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب[١].

٢٢ - وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لعكرمة: مولاك والله أفقه من مات وعاش[٢].

٢٣ - وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: "ابن عباس أعلم الناس بما أنزل الله على محمد ﷺ [٣].

٢٤ - وقال مجاهد: كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه. وقال محمد بن علي يوم مات ابن عباس: اليوم مات رباني هذه الأمة[٤].

٢٥ - وقال طاووس: كان ابن عباس قد بسق على الناس في العلم كما تبسق النخل السحوق[٥] على الودي الصغار[٦]، ذلك هو عبد الله بن عباس، وتلك طائفة من مناقبه التي دلت على علو شأنه وسمو منزلته، وكلها دلت على أنه كان جليل القدر، وأنه كان ذا مكانة عظيمة عند الرسول ﷺ وأصحابه، ولقد اعترف بفضله ونبله كبار الصحابة رضي الله عنهم، والتابعون لهم بإحسان. فرضي الله عنه وأرضاه.

* * * * *

---

(١) المصدر السابق ٣٧٢/٢.

(٢) الطبقات الكبرى ٣٦٩/٢ - ٣٧٠.

(٣) البداية والنهاية ٣٢٣/٨.

(٤) المستدرك ٥٣٥/٣، الطبقات ٣٦٦/٢.

(٥) السحوق: هي النخلة الطويلة التي بعد ثمرها على المجتني "النهاية في غريب الحديث" ٣٤٧/٢.

(٦) طبقات ابن سعد ٣٧٠/٢.

الفضل بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

هو الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ كان أكبر إخوانه وبه كان يكنى أبوه وأمه، واسمها لبابة بنت الحارث الهلالية، غزا مع النبي ﷺ مكة وحنيناً وثبت معه يومئذ وشهد معه حجة الوداع، وكان يكنى أبا العباس وأبا عبد الله، وقيل: كان يكنى أبا محمد، مات في خلافة الصديق رضي الله عنه وأرضاه(١) وقد وردت له بعض المناقب رضي الله عنه، فمن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ زوجه وأمهر عنه:

١ - فقد روى مسلم في حديث طويل بإسناده إلى الزهري أن عبد الله بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب حدثه وفيه أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث، والفضل ابن عباس انطلقا إلى النبي ﷺ يريدان منه أن يوليهما على بعض الصدقة، قال أحدهما: "فلما صلى رسول الله الظهر سبقناه إلى الحجرة، فقمنا عندها حتى جاء فأخذ بآذاننا ثم قال: **«أخرجا ما تصرران»** ثم دخل ودخلنا عليه، وهو يومئذ عند زينب بنت جحش قال: فتواكلنا الكلام، ثم تكلم أحدنا فقال: يا رسول الله، أنت أبر الناس وأوصل الناس وقد بلغنا الحلم فجئنا، لتأمرنا على بعض هذه الصدقات، فنؤدي إليك كما يؤدي الناس ونصيب كما يصيبون قال: فسكت طويلاً حتى أردنا أن نكلمه قال: وجعلت زينب تلمع(٢) علينا من وراء الحجاب ألا تكلما قال: ثم قال: **«إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس»** (٣) ادعوا لي محمية وكان على الخمس ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب قال: فجاءه فقال لمحمية: **«أنكح هذا الغلام ابنتك»** للفضل بن عباس فأنكحه وقال لنوفل بن الحارث: **«أنكح هذا الغلام ابنتك»** "لي" فأنكحني: وقال لمحمية: أصدق عنهما من الخمس كذا وكذا "قال الزهري: ولم يسمه لي"(٤).

---

(١) طبقات ابن سعد ٤٥/٤، التاريخ الكبير ١١٤/٧، التاريخ الصغير ٣٦/١، الجرح والتعديل ٦٣/٧، المستدرك ٢٧٤/٣، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٠٢/٣ - ٢٠٤، أسد الغابة ١٨٣/٣، الإصابة ٢٠٨/٣، تهذيب التهذيب ٢٨٠/٨.

(٢) تلمع: أي: تشير بيدها "النهاية" ٢٧١/٤.

(٣) أوساخ الناس: أي: أنها تطهير لأموالهم ونفوسهم كما قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣] فهي كغسالة الأوساخ.

(٤) صحيح مسلم ٧٥٢/٢ - ٧٥٣.

هذا الحديث فيه بيان منقبة عظيمة ظاهرة للفضل بن عباس، ولعبد المطلب بن ربيعة حيث زوجهما النبي ﷺ وأصدق عنهما، كما دل الحديث على تحريم الصدقة على جميع بني هاشم، وليس الحال كما ورد عن زيد بن أرقم، أن الذين تحرم عليهم الصدقة هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، فهذا عبد المطلب بن ربيعة، بين النبي ﷺ أنه ممن تحرم عليه الصدقة، وليس هو من المذكورين الذين ذكرهم زيد بن أرقم رضي الله عنه، والذي يظهر من هذا أن زيداً لم يرد حصر بني هاشم فيمن ذكرهم.

٢ - ومن مناقب الفضل رضي الله عنه أنه كان رديف النبي ﷺ من المزدلفة إلى منى[١].

٣ - ومن مناقبه رضي الله عنه ما أخرجه البغوي من طريق يزيد بن عبد الله بن قسيط عن عطاء عن ابن عباس عن أخيه الفضل، قال: جاءني رسول الله ﷺ فقال: **«خذ بيدي»** وقد عصب رأسه فأخذت بيده فأقبل حتى جلس على المنبر فقال: **«ناد في الناس»** فصحت فيهم فاجتمعوا له... فذكر الحديث[٢].

ذلك هو الفضل بن عباس، وتلك بعض مناقبه التي دلت على أنه من فضلاء الصحابة رضي الله عنه وأرضاه.

* * * * *

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٤٠٤/٣، صحيح مسلم ٩٣١/٢، المستدرك ٢٧٥/٣.

(٢) أورده الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢٠٣/٣.

جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

هو جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عم رسول الله ﷺ وكان أكبر من أخيه علي بعشر سنين، وكان رضي الله عنه من متقدمي الإسلام والسابقين إليه، وهاجر رضي الله عنه إلى الحبشة وكانت له هناك مواقف مشهورة، ومقامات محمودة، وأجوبة سديدة، وأحوال رشيدة، وقدم المدينة يوم فتح خيبر، وفرح به النبي ﷺ فرحاً شديداً فقام إليه واعتنقه وقبله بين عينيه(١)، ولما بعثه إلى مؤتة جعله نائباً لزيد بن حارثة، ولما استشهد في غزوة مؤتة، وجدوا فيه بضعاً وتسعين ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم، وهو في ذلك كله مقبل غير مدبر، وكانت قد قطعت يده اليمنى ثم اليسرى، وهو ممسك للّواء فلما فقدهما احتضنه حتى قتل، وهو كذلك، فيقال: إن رجلاً من الروم ضربه بسيف فقطعه باثنتين رضي الله عن جعفر ولعن قاتله، وقد أخبر عليه الصلاة والسلام بأنه شهيد، فهو ممن يقطع له بالجنة، وجاء في الأحاديث تسميته بذي الجناحين، وكان يقال له بعد قتله - الطيار -، وكان كريماً جواداً ممدحاً، وكان لكرمه يقال له: أبا المساكين، لإحسانه إليهم وكان استشهاده رضي الله عنه في السنة الثامنة من الهجرة(٢) رضي الله عنه وأرضاه.

وقد وردت مناقبه رضي الله عنه في كثير من الأحاديث الصحيحة ومن تلك الأحاديث:

١ - ما رواه الإمام أحمد وغيره بإسناده إلى عبيد الله بن أسلم مولى النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: **«أشبهت خلقي وخلقي»** (٣).

هذا الحديث فيه منقبة عظيمة لجعفر بن أبي طالب من حيث أنه أشبه النبي ﷺ خلقاً وخُلقاً وأكرم بها من منقبة فقد قال - جل وعلا - مادحاً نبيه عليه الصلاة والسلام:

---

(١) انظر مجمع الزوائد ٢٧١/٩ - ٢٧٢.

(٢) البداية والنهاية ٢٨٥/٤ وانظر الجرح والتعديل ٤٨٢/٢، وحلية الأولياء ١١٤/١ - ١١٨، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢١١/١ - ٢١٤، وأسد الغابة ٣٨٦/١، تهذيب الأسماء واللغات ١٤٨/١ - ١٤٩، سير أعلام النبلاء ٢٠٦/١ - ٢١٧، الإصابة ٢٣٩/١ - ٢٤٠.

(٣) المسند مع الفتح الرباني ٢١٤/٢٢، صحيح البخاري مع فتح الباري ٤٩٩/٧ من رواية البراء رضي الله عنه.

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

٢ - روى الإمام مسلم بإسناده إلى أبي موسى قال: بلغنا مخرج رسول الله ﷺ ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين إليه أنا وإخوان لي، أنا أصغرهما أحدهما أبو بردة، والآخر أبو رهم - إما قال بضعاً وإما قال: ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومي - قال: فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا هاهنا، وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقمنا معه، حتى قدمنا جميعاً قال: فوافقنا رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهم لنا، أو قال: أعطانا منها وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً إلا لمن شهد معه إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسم لهم معهم قال: فكان ناس من الناس يقولون لنا: - يعني لأهل السفينة - نحن سبقناكم بالهجرة.

قال: فدخلت أسماء بنت عميس وهي ممن قدم معنا على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي، فيمن هاجر إليه، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت أسماء بنت عميس: قال عمر الحبشية هذه؟ البحرية هذه؟ فقالت أسماء: نعم فقال عمر: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم فغضبت، وقالت: كذبت[١] يا عمر، كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعظ ما قلت لرسول الله ﷺ، ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك، قال: فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله، إن عمر، قال كذا وكذا[٢] فقال رسول الله ﷺ : «**ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان...**» الحديث[٣].

هذا الحديث فيه بيان فضيلة عظيمة للذين هاجروا الهجرة الأولى إلى الحبشة، فقد

---

(١) كذبت: هنا بمعنى أخطأت وليس المراد بها شتم الفاروق وسبه فالصحابة رضي الله عنهم، كانوا أطهر الناس ألسنة من بذيء الكلام، قال الحافظ رحمه الله تعالى: وأهل الحجاز يقولون: "كذبت" في موضع أخطأت" اهـ. فتح الباري ٦٤/٧.

(٢) البعداء البغضاء قال العلماء: البعداء في النسب البغضاء في الدين، لأنهم كفار إلا النجاشي، وكان يستخفي بإسلامه عن قومه ويوري لهم"اهـ، شرح النووي على صحيح مسلم ٦٥/١٦.

(٣) صحيح مسلم ١٩٤٦/٤، ١٩٤٧.

أكرمهم النبي ﷺ بالقسم من غنائم خيبر، ولم يقسم لأحد غاب عن هذا الفتح سواهم، وأخبر أنهم أحق الصحابة به عليه الصلاة والسلام، وأن لهم أجر الهجرتين، وفي مقدمتهم جميعاً جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

٣ - وروى الإمام أحمد بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه، قال: ما احتذى النعال ولا انتعل ولا ركب المطايا، ولا لبس الكور[١] من رجل بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب[٢].

قال الحافظ ابن كثير بعد إيراد هذا الحديث بسنده: "وهذا إسناد جيد إلى أبي هريرة وكأنه إنما يفضله في الكرم، فأما في الفضيلة الدينية، فمعلوم أن الصديق والفاروق - بل وعثمان بن عفان - أفضل منه، وأما أخوه علي رضي الله عنهما، فالظاهر أنهما متكافئان أو علي أفضل منه"[٣].

ولا شك أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أفضل الخلق على الإطلاق بعد الخلفاء الثلاثة، ولا يساويه أحد في فضله بعدهم رضي الله عنهم أجمعين.

٤ - ومن مناقب جعفر رضي الله عنه التي اشتهر بها، أنه كان كثير العطف والحنو على المساكين، وكان يحبهم ويسكن إليهم حتى إنه كان يكنى بأبي المساكين.

فقد روى الإمام البخاري بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه، أن الناس كانوا يقولون: أكثر أبو هريرة، وإني كنت ألزم رسول الله ﷺ بشبع بطني حتى لا آكل الخمير ولا ألبس الحبير[٤]، ولا يخدمني فلان ولا فلانة، وكنت ألصق بطني بالحصاء من الجوع وإن كنت لأستقرئ الرجل الآية هي معي كي ينقلب بي فيطعمني، وكان أخير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب كان ينقلب بنا فيطعمنا، ما كان في بيته حتى إن كان

---

(١) الكور: رحل الناقة بأداته وهو كالسرج وآلته للفرس "النهاية في غريب الحديث" ٢٠٨/٤.

(٢) المسند ٢١٣/٢ - ٢١٤ وفيه: يعني الجود والكرم، سنن الترمذي ٣٢٠/٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب ورواه النسائي في فضائل الصحابة ص/٨٦، والحاكم في المستدرك ٢٠٩/٣ وقال: صحيح على شرط البخاري وأقره الذهبي.

(٣) البداية والنهاية ٢٨٦/٤.

(٤) الحبير: قال في النهاية: "الحبير من البرود: وما كان موشياً مخططاً" ٣٢٨/١ وانظر فتح الباري ٧٦/٧.

ليخرج إلينا العكة[١] التي ليس فيها شيء فيشقها فنلعق ما فيها"[٢].

ففي هذا بيان فضيلة لجعفر رضي الله عنه وشهادة من أبي هريرة رضي الله عنه بأنه كان أشفق الناس على المساكين.

قال الحافظ ابن حجر: "وهذا التقييد يحمل عليه المطلق الذي جاء عن عكرمة عن أبي هريرة قال: "ما احتذى النعال وما ركب المطايا بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب"[٣].

٥ - ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ جعله نائباً لزيد بن حارثة في غزوة مؤتة وأبلى فيها بلاء حسناً، فقد روى الإمام البخاري بإسناده إلى ابن عمر رضي الله عنهما قال: أمر رسول الله ﷺ في غزوة - مؤتة - زيد بن حارثة فقال رسول الله ﷺ : **«إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر، فعبد الله بن رواحة»** قال عبد الله: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب، فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية.

وروى أيضاً بإسناده إلى نافع أن ابن عمر أخبره، أنه وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل، فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره يعني في ظهره[٤].

هذان الحديثان ظاهرهما التعارض "ويجمع بأن العدد قد لا يكون لـه مفهوم أو بأن الزيادة باعتبار ما وجد فيه من رمي السهام، أو الخمسين مقيدة بكونها ليس فيها شيء في دبره أي: في ظهره، فقد يكون الباقي في بقية جسده ولا يستلزم ذلك أنه ولى دبره، وهو محمول على أن الرمي إنما جاء من جهة قفاه أو جانبيه، ووقع في رواية البيهقي في "الدلائل" بضعاً وتسعين أو بضعاً وسبعين، وأشار إلى أن بضعاً وتسعين أثبت في قولـه "ليس فيها شيء في دبره" بيان فرط شجاعة جعفر وإقدامه" ا. هـ[٥].

---

(١) العكة: ظرف السمن. وقولـه: ليس فيها شيء "مع قولـه": فنعلق ما فيها "لا تنافي بينهما لأنه أراد بالنفي أي: لا شيء فيها يمكن إخراجه منها بغير قطعها، وبلا إثبات ما يبقى في جوانبها" فتح الباري ٧٦/٧.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٧٥/٧.

(٣) فتح الباري ٧٦/٧.

(٤) الحديثان في صحيح البخاري ٥٨/٣.

(٥) فتح الباري ٥١٢/٧، وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٢٧٤/٤.

٧ - ومن مناقبه إخبار النبي ﷺ أنه مات شهيداً في سبيل الله تعالى وشهد له بذلك.

فقد روى الإمام أحمد بإسناده إلى أبي قتادة فارس رسول الله ﷺ قال: بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء وقال: **«عليكم زيد بن حارثة فإن أصيب زيد فجعفر فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة الأنصاري»** فوثب جعفر فقال: بأبي أنت يا نبي الله وأمي، ما كنت أرهب أن تستعمل علي زيداً قال: **«امضوا فإنك لا تدري أي ذلك خير»** قال: فانطلق الجيش فلبثوا ما شاء الله ثم إن رسول الله ﷺ صعد المنبر وأمر أن ينادى الصلاة جامعة فقال رسول الله ﷺ : **«ثاب خبر أو ثاب خبر – شك عبد الرحمن – ألا أخبركم عن جيشكم، هذا الغازي إنهم انطلقوا، فلقوا العدو فأصيب زيد شهيداً استغفروا له، فاستغفر له الناس، ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب، فشد على القوم حتى استشهد، أشهد له بالشهادة، فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة، فأثبت قدميه، حتى قتل شهيداً فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد، ولم يكن من الأمراء هو أمر نفسه»** فرفع رسول الله أصبعيه وقال: **«اللهم هو سيف من سيوفك فانصره»** وقال عبد الرحمن مرة: فانتصر به فيؤمئذ سمي خالد سيف الله، ثم قال النبي ﷺ : **«انفروا فأمدوا إخوانكم ولا يتخلفن أحد فنفر الناس في حر شديد مشاة وركباناً»** [(١)].

قال الحافظ ابن كثير: وقد أخبر عنه الرسول ﷺ بأنه شهيد فهو ممن يقطع له بالجنة ا.هـ[(٢)].

٨ - ومن مناقبه رضي الله عنه إخبار الرسول ﷺ عنه بأن له جناحين يطير بهما مع الملائكة.

روى البخاري بإسناده إلى ابن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا حيا ابن جعفر، قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين[(٣)].

وفي هذا بيان فضيلة لجعفر رضي الله عنه من حيث إطلاق ذي الجناحين عليه وهي منقبة عظيمة له رضي الله عنه، وتحية ابن عمر لابن جعفر بقوله: **«السلام**

---

(١) المسند ٢٩٩/٥ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٦/٦، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير خالد بن سمير وهو ثقة.

(٢) البداية والنهاية ٢٨٥/٤.

(٣) صحيح البخاري ٥٨/٣.

عليك يا ابن ذي الجناحين» كأنه يشير إلى حديث عبد الله بن جعفر وأبي هريرة رضي الله عنهما.

فقد روى الطبراني بإسناده إلى عبد الله بن جعفر قال: قال لي رسول الله ﷺ : **«هنيئاً لك يا عبد الله بن جعفر أبوك يطير مع الملائكة في السماء»** (١).

وروى الحاكم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«مرَّ بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة وهو مخضب الجناحين بالدم أبيض الفؤاد»** (٢).

٩ - ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان ذا مكانة عظيمة عند النبي ﷺ ولذلك لما بلغه نبأ استشهاده حزن حزناً عظيماً عليه عرف ذلك في وجهه عليه الصلاة والسلام.

فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحزن(٣).

وجاء في صحيح البخاري أنه حزن على الأمراء الثلاثة الذين أمّرهم في غزوة مؤتة حزناً عظيماً حتى ظهر أثر الحزن عليه عليه الصلاة والسلام.

فقد روى الإمام البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: "لما جاء قتل ابن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم جلس رسول الله ﷺ يعرف فيه الحزن" الحديث(٤).

١٠ - ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ اعتنى بأولاده عناية عظيمة بعد أن استشهد في غزوة مؤتة، فقد قام بزيارتهم، وتفقد أحوالهم، ودعا لهم، فقد روى الإمام أحمد بإسناده إلى عبد الله بن جعفر، أن رسول الله ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثاً، أن يأتيهم، ثم أتاهم فقال: **«لا تبكوا على أخي بعد اليوم، ادعوا لي ابن أخي»** قال: فجيء بنا كأنا أفرخ فقال: **«ادعوا إليَّ الحلاق»** فجيء بالحلاق، فحلق رؤوسنا ثم قال: "أما محمد

---

(١) مجمع الزوائد ٢٧٣/٩، وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن، وأورده الحافظ في فتح الباري ٧٦/٧ وقال: رواه= =الطبراني بإسناد حسن.

(٢) المستدرك ٢١٢/٣، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) المستدرك ٢٠٩/٣، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٥١٢/٧.

فشبيه عمنا أبي طالب. وأما عبد الله فشبيه خلقي وخُلقي" ثم أخذ بيدي فأشلهما فقال: **«اللهم اخلف جعفراً في أهله وبارك لعبد الله في صفقة يمينه»** قالها ثلاث مرار قال: فجاءت أمنا فذكرت لـه يتمنا وجعلت تفرح لـه[١] فقال: **«العيلة تخافين وأنا وليهم في الدنيا والآخرة»** [٢].

وروى الإمام مسلم بإسناده إلى عبد الله بن جعفر قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقي بصبيان أهل بيته قال: وإنه قدم من سفر فسبق بي إليه فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه قال: فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة[٣].

وروى الإمام أحمد بإسناده إلى عبد الله بن جعفر قال: لو رأيتني وقثم وعبيد الله ابنى عباس ونحن صبيان نلعب إذ مرَّ النبي ﷺ على دابة فقال: **«ارفعوا هذا إليّ»** قال: فحملني أمامه، وقال لقثم: **«ارفعوا هذا إلي»** فجعله وراءه، وكان عبيد الله أحب إلى عباس من قثم فما استحى من عمه أن حمل قثماً وتركه، قال: ثم مسح على رأسي ثلاثاً، وقال كلما مسح: **«اللهم أخلف جعفراً في ولده»** قال: قلت لعبد الله! ما فعل قثم قال: استشهد قال: قلت: الله ورسوله أعلم بالخير[٤].

ذلك هو جعفر بن أبي طالب، وتلك طائفة من مناقبه التي دلت على عظيم مكانته وعلو شأنه وأنه أوتي خيراً كثيراً وفضلاً عظيماً رضي الله عنه وأرضاه.

* * * * *

---

(١) تفرح لـه أي: ذكرت لـه ﷺ يتم أولادها وثقل مؤونتهم وما ستلقاه من العناء في تربيتهم "انظر النهاية" ٤٢٤/٣.

(٢) المسند مع الفتح الرباني ٢١٣/٢٢ - ٢١٤، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٦/٦ - ١٥٧ ثم قال: رواه أحمد= =والطبراني ورجالهما رجال الصحيح.

(٣) صحيح مسلم ١٨٨٥/٤.

(٤) المسند مع الفتح الرباني ٢١٥/٢٢، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: ٢٨٠/٢، أخرجه أحمد وغيرها.

عبد الله بن جعفر رضي الله عنه

هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم أبو جعفر القرشي الهاشمي[١]، وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية، أخت ميمونة بنت الحارث لأمها ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها، وهو أول من ولد بها من المسلمين، وحفظ عن النبي ﷺ وروى عنه رضي الله عنه وأرضاه، وقد وردت لـه بعض المناقب دلت على عظيم شأنه وعلو مكانته.

١ - فمن مناقبه رضي الله عنه أنه كان ممن شمهلم شرف الهجرة من الحبشة إلى المدينة، وأخبر النبي ﷺ أن للناس هجرة واحدة، ولهم هجرتان، فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أسماء بنت عميس رضي الله عنها، قالت: قال لي رسول الله ﷺ : **«للناس هجرة ولكم هجرتان»** [٢].

٢ - ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان من الذين شبهوا النبي ﷺ خَلقاً وخُلقاً، ودعا لـه ولإخوانه عامة، ودعا لـه خاصة أن يبارك لـه في تجارته.

فقد روى الإمام أحمد بإسناده إلى عبد الله بن جعفر... أن النبي ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم، ثم أتاهم، فقال: **«لا تبكوا على أخي بعد اليوم، ادعوا لي ابني أخي»** قال: فجيء بنا كأنا أفرخ فقال: **«ادعوا إلي الحلاق»** فجيء بالحلاق فحلق رؤوسنا، ثم قال: **«أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب وأما عبد الله فشبيه خلقي وخلقي»** ثم أخذ بيدي فأشلهما فقال: **«اللهم اخلف جعفراً في أهله وبارك لعبد الله في صفقة يمينه»** قالها ثلاث مرار... الحديث[٣].

وروى أبو يعلى والطبراني كما في "مجمع الزوائد"[٤] عن عمرو بن حريث أن رسول الله ﷺ مرّ بعبد الله بن جعفر، وهو يبيع بيع الغلمان أو الصبيان قال: **«اللهم بارك له في بيعه أو قال: في صفقته»**.

---

(١) انظر ترجمته في الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٦٦/٢ - ٢٦٧، أسد الغابة ١٣٢/٣ - ١٣٥، سير أعلام النبلاء ٤٥٦/٣ - ٤٦٢، البداية والنهاية ٣٦/٩، الإصابة ٢٨٠/٢ - ٢٨١.

(٢) المستدرك ٥٦٦/٣، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) المسند ٢٠٤/١، ورواه النسائي مختصراً ١٨٢/٨.

(٤) المجمع ٢٨٦/٩، ثم قال: رواه أبو يعلى والطبراني ورجالهما ثقات.

٢ - ومن مناقبه رضي الله عنه إرداف المصطفى عليه الصلاة والسلام له على دابته بين يديه وخلفه، فقد روى الإمام مسلم بإسناده إلى عبد الله بن جعفر قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر، تلقي بصبيان أهل بيته، قال: وإنه قدم من سفر فسبق بي إليه، فحملني بين يديه ثم جيء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه قال: فأدخلنا ثلاثة على دابة(١).

وروى أيضاً بإسناده إلى عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسر إلي حديثاً لا أحدث به أحد من الناس(٢).

ذلك هو عبد الله بن جعفر وتلك طائفة من مناقبه التي دلت على فضله وجلالة قدره رضي الله عنه وأرضاه.

* * * * *

---

(١) صحيح مسلم ١٨٨٥/٤.

(٢) المصدر السابق ١٨٨٦/٤

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب

هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ، قيل: اسمه المغيرة أسلم عام الفتح وحسن إسلامه، وكان قبل إسلامه من أشد الناس على رسول الله ﷺ وعلى دينه ومن تبعه، وكان شاعراً بارعاً هجا الإسلام وأهله، وهو الذي رد عليه حسان ابن ثابت رضي الله عنه في قصيدته التي مطلعها:

ألا أبلغ أبا سفيان عني ::: مغلغلة فقد برح الخفاء
هجوت محمداً وأوجبت عنه ::: وعند الله في ذلك الجزاء[١]

شهد أبو سفيان حنيناً وأبلى فيها بلاء حسناً، وكان ممن ثبت ولم يفر يومئذ، ولم تفارق يده لجام بغلة رسول الله ﷺ، حتى انصرف الناس إليه، وكان يشبه النبي ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يحبه وشهد له بالجنة، وكان يقول: «**أرجو أن تكون خلفاً من حمزة**» وهو معدود في فضلاء الصحابة[٢].

قال الذهبي رحمه الله تعالى: "تلقى النبي ﷺ في الطريق قبل أن يدخل مكة مسلماً، فانزعج النبي ﷺ وأعرض عنه، لأنه بدت منه أمور في أذية النبي ﷺ، فتذلل للنبي ﷺ حتى رق له، ثم حسن إسلامه، ولزم هو والعباس رسول الله ﷺ يوم حنين، إذ فر الناس وأخذ بلجام البغلة وثبت معه، وكان أخا النبي ﷺ من الرضاعة أرضعتهما حليمة[٣].

وكانت وفاته رضي الله عنه سنة عشرين للهجرة "وكان سبب وفاته أنه حج، فلما حلق الحلاق رأسه قطع أثلولاً كان في رأسه، فلم يزل مريضاً منه حتى مات بعد مقدمه من الحج بالمدينة سنة عشرين"[٤].

وأبو سفيان هذا وردت له بعض المناقب دلت على جلالة قدره وهي:

١ - ما رواه الطبراني بإسناده عن أبي حبة البدري قال: كان رسول الله ﷺ يوم حنين لا ينظر في ناحية إلا رأى أبا سفيان بن الحارث يقاتل فقال رسول الله ﷺ : «**إن**

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٤٩/٤ - ٥٤، أسد الغابة ٢١٥/٥، المستدرك ٢٥٥/٣، سير أعلام النبلاء ٢٠٢/١، البداية ١١٤/٧.

(٢) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٨٤/٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٠٣/١.

(٤) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٨٥/٤.

أبا سفيان خير أهلي أو من خير أهلي» [١].

هذا الحديث فيه فضيلة ظاهرة لأبي سفيان بن الحارث حيث بين النبي ﷺ أنه من خيار أهل البيت النبوي رضي الله عنهم أجمعين.

٢ - وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى العباس بن عبد المطلب قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فلقد رأيته وما معه إلا أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وهو آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ وهو راكبها، وأبو سفيان لا يألو أن يسرع نحو المشركين[٢].

وفي هذا الحديث بيان منقبة عظيمة لأبي سفيان رضي الله عنه، وهي فرط شجاعته وإقدامه لمناجزة أعداء الدين من المشركين والكافرين من أجل نصرة الإسلام ورفع رايته.

٣ - وروى الحاكم أبو عبد الله بإسناده إلى عروة بن الزبير، قال: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه كان أحب قريش إلى رسول الله ﷺ، وكان شديداً عليه، فلما أسلم كان أحب الناس إليه[٣].

ففي قول عروة بيان ما حصل لأبي سفيان بن الحارث من المكانة عند النبي ﷺ بعد أن كان من أشد الناس عداوة له، فإنه صار بعد ذلك من أحب الناس إليه، رضي الله عن أبي سفيان وأرضاه.

٤ - وروى الحاكم أيضاً: بإسناده إلى عروة بن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: **«سيد فتيان الجنة أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب»**، قال: حلقه الحلاق بمنى، وفي رأسه ثألول فقطعه فمات فيرون أنه شهيد[٤].

فقول عروة هذا لا بد أنه سمعه من أصحاب رسول الله ﷺ ولا يمكن أن يقوله من

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧٤/٩، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وإسناده حسن.

(٢) المستدرك ٢٥٥/٣ ثم قال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

(٣) المصدر السابق ٢٥٥/٣، وهذا مرسل، ولعله أخذه عن أبيه أو غيره من الصحابة.

(٤) المستدرك ٢٥٥/٣، وأورده الحافظ في "الإصابة" ٦٠/٤ وقال: "أخرجه الحاكم أبو أحمد من طريق حماد بن سلمة عن هشام عن عروة عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أبو سفيان بن الحارث سيد فتيان أهل الجنة»** ثم ساق كلام عروة بكامله ثم قال: "هذا مرسل رجاله ثقات"اهـ.

تلقاء نفسه، والصحابة لا بد أنهم سمعوه من النبي ﷺ؛ لأن هذا من باب الإخبار بالغيب؛ لأنه متضمن الشهادة لمعين بالجنة، ولا يخبر بهذا إلا المصطفى عليه الصلاة والسلام.

ذلك هو أبو سفيان بن الحارث، وتلك بعض مناقبه فقد كان من فضلاء الصحابة وأجلهم ورضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

* * * * *

عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب

هو عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي الهاشمي، كان إسلامه قديماً قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وكان أسن من النبي ﷺ بعشر سنين هاجر إلى المدينة وشهد بدراً، وعقد له رسول الله ﷺ أول راية وأمره على سرية قبل وقعة بدر ومات رضي الله عنه عقب غزوة بدر، إذ قطعت رجله فمات بالصفراء رضي الله عنه وأرضاه[١].

وقد وردت له بعض المناقب دلت على جليل قدره وعظيم مكانته:

١ - فمن مناقبه رضي الله عنه أن أول راية عقدها رسول الله ﷺ كانت له رضي الله عنه.

ذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ عقد لعبيدة بن الحارث راية، وأرسله في سرية قبل وقعة بدر، فكانت أول راية عقدت في الإسلام[٢].

وأما الواقدي فذكر أن أول لواء عقده رسول الله ﷺ كان لحمزة[٣].

قال الحافظ ابن حجر: "ويمكن الجمع على رأي من يغاير بين الراية واللواء والله أعلم"[٤].

٢ - ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان أحد الذين برزوا يوم بدر، فقد كان في حسب الله الذين قاتلوا في سبيل الله، وهم حمزة وعلي وثالثهم عبيدة بن الحارث، وحزب الشيطان كان يمثله عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة.

فقد روى الشيخان وغيرهما عن قيس بن عباد قال: سمعت أبا ذر يقسم قسماً إن هذه الآية: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ ﴾ [الحج: ١٩]. نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة[٥].

---

(١) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٤٣٦/٢ - ٤٣٨، الإصابة ٤٤٢/٢، أسد الغابة ٣٥٦/٣ - ٣٥٧.

(٢) سيرة ابن هشام ٥٩٥/١.

(٣) مغازي الواقدي ٩/١.

(٤) الإصابة ٤٤٢/٢.

(٥) صحيح البخاري ٥/٣، صحيح مسلم ٢٣٢٣/٤.

ففي هذا الحديث منقبة واضحة لعبيدة بن الحارث حيث إنه كان من الصحابة الذين أنزل الله فيهم قرآناً يتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأكرم بها من منقبة، فإنها أكسبته منزلة عظيمة وميزة شريفة رضي الله عنه وأرضاه.

وروى أبو داود بإسناده إلى حارثة بن مضرب عن عليّ، قال: تقدم يعني عتبة بن ربيعة - وتبعه ابنه وأخوه، فنادى من يبارز؟ فانتدب لـه شباب من الأنصار، فقال: من أنتم؟ فأخبروه فقال: لا حاجة لنا فيكم، إنما أردنا بني عمنا فقال النبي ﷺ : **«قم يا حمزة، قم يا عليّ، قم يا عبيدة بن الحارث»** فأقبل حمزة إلى عتبة، وأقبلت على شيبة، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان، فأسخن كل واحد منهما صاحبه، ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة"[١].

٣ - ومن مناقبه رضي الله عنه أن سبب وفاته ضربة بسيف في ساقه يوم بدر ضربه به عتبة بن ربيعة، فكانت وفاته رضي الله عنه في سبيل الله، فقد روى الحاكم بإسناده إلى عبد الله بن عباس، وذكر حديث المبارزة، وأن عتبة بن ربيعة قتل عبيدة بن الحارث، وبارز ضربه عتبة على ساقه فقطعها فحمله رسول الله ﷺ فمات بالصفراء منصرفه من بدر فدفنه هنالك[٢].

ذلك هو عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب فقد كان رضي الله عنه من السابقين الأولين إلى الإسلام، ومن الذين أخلصوا دينهم لله وقاتل في سبيل الله نصرة لدين الإسلام حتى فارق الدنيا، وهو على ذلك فرضي الله عنه وأرضاه.

والذي أخلص إليه في هذا المبحث أنني ضمنته ذكر فضائل أحد عشر شخصاً من أهل بيت النبي ﷺ الذكور عدا أمير المؤمنين علي بن طالب رضي الله عنه، فإنني كما قلت في أول هذا المبحث قد تقدم معنا ذكر فضائله في "الفصل الثالث" من هذا الباب، وهناك أفراد من أهل البيت صحبوا رسول الله ﷺ، لم يرد لهم ذكر فضائل تخصهم، فهؤلاء يكفيهم ما جاء في فضلهم عموماً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، كما يكفيهم ما حصل لهم من شرف الصحبة التي لا يعدلها شيء.

---

(١) سنن أبي داود ٤٩/٢.

(٢) المستدرك ١٨٧/٣ - ١٨٨ ثم قال عقبه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

الفصل السادس

فضل الصحابيات

رضوان الله عليهن

أم المؤمنين خديجة بنت خويلد

هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، تجتمع مع النبي ﷺ في قصي وهي من أقرب نسائه إليه في النسب ولم يتزوج من ذرية قصي غيرها، إلا أن أم حبيبة، تزوجها ﷺ بمكة وهو ابن خمسة وعشرين سنة، وكانت قبله عند أبي هالة بن النباش ابن زرارة التميمي[١] حليف بني عبد الدار، وقد بقيت رضي الله عنها مع النبي ﷺ إلى أن أكرمه الله برسالته، وكانت أول من آمن به من النساء، وصدقته ونصرته، فكانت له وزير صدق وهي سيدة نساء العالمين في زمانها، وهي ممن كملت من النساء، فقد كانت عاقلة جليلة دينة مصونة كريمة من أهل الجنة، وكان عليه الصلاة والسلام يثني عليها ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين ويبالغ في تعظيمها، ولم يتزوج النبي ﷺ امرأة قبلها، وكل أولاده عليه الصلاة والسلام منها إلا إبراهيم رضي الله عنه، فإنه من سريته مارية رضي الله عنها، ولم يتزوج النبي ﷺ عليها امرأة قط، ولا تسرى إلى أن قضت نحبها، فوجد لفقدها، فإنها كانت نعم القرين، فلقد أنفقت عليه ﷺ من مالها، واتجر فيه لها رضي الله عنها وأرضاها، وكانت وفاتها رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين[٢].

وقد وردت الأحاديث الصحيحة بمناقبها الكثيرة ومن تلك الأحاديث:

١ - ما رواه الحاكم بإسناده إلى عفيف بن عمر، وقال: كنت امرأً تاجراً، وكنت صديقاً للعباس بن عبد المطلب في الجاهلية، فقدمت لتجارة فنزلت على العباس بن عبد المطلب بمنى فجاء رجل فنظر إلى الشمس حين مالت فقام يصلي، ثم جاءت امرأة، فقامت تصلي ثم جاء غلام حين راهق الحلم فقام يصلي فقلت للعباس: من هذا؟ فقال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن أخي يزعم أنه نبي، ولم يتابعه على أمره غير هذه المرأة وهذا الغلام، وهذه المرأة خديجة بنت خويلد امرأته، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب، قال

---

(١) وقيل: كانت قبله عند عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، ثم خلف عليها النبي ﷺ وهذا قول أبي عمر بن عبد البر انظر الاستيعاب على الإصابة ٢٧٢/٤.

(٢) طبقات ابن سعد ١٣١/١، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٧١/٤ - ٢٨١، أسد الغابة ٤٣٤/٥، تاريخ الإسلام ٤١/١، مجمع الزوائد ٢١٨/٩ - ٢٢٥، فتح الباري ١٣٤/٧، الإصابة ٢٧٣/٤ - ٢٧٦.

عفيف الكندي: وأسلم وحسن إسلامه: لوددت أني كنت أسلمت يومئذ فيكون لي ربع الإسلام(١).

هذا الحديث اشتمل على منقبة عظيمة لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وهي أنها كانت من السابقين الأولين إلى الإسلام.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: "ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان، فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها فيكون لها مثل أجرهن لما ثبت: **«أن من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء»** (٢) وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجل، ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله - عز وجل (٣).

٢ - روى الإمام البخاري بإسناده إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو غار حراء، فجاءه الملك فقال: **«اقرأ قال: "ما أنا بقارئ" قال: "فأخذني فغطني، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال:** ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾ [العلق: ١ - ٣]» فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: **«زملوني زملوني»** فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال: لخديجة وأخبرها الخبر: **«لقد خشيت على نفسي»** فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. الحديث(٤).

---

(١) المستدرك ١٨٣/٣ ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
(٢) الحديث في صحيح البخارى ١٠٠ مسلم ٢٦٧٣
(٣) فتح الباري ١٣٧/٧.
(٤) صحيح البخاري ٤٩٥٦ مسلم ١٦٠.

فهذا الحديث تضمن ذكر منقبة ظاهرة لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وهي أنها كانت تقوي قلب النبي ﷺ في بداية نزول الوحي عليه وطمأنته عليه الصلاة والسلام مما كان يخشاه على نفسه، وهونت عليه الأمر، وأنه لا خوف عليه ولا حزن، وأقسمت للنبي ﷺ على أن الله لا يخزيه ولا يخذله، واستدلت على ما أقسمت عليه بما فيه من صفاته الطيبة من أصول مكارم الأخلاق التي هي إحسانه إلى الأقارب والأجانب إما بالبدن، وإما بالمال وبينت له أن من وجدت فيه هذه الخصال الحميدة لن يخزيه الله أبداً.

٣ - ومن مناقبها رضي الله عنها التي انفردت بها دون سائر أزواج النبي ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام لم يتزوج عليها حتى فارقت الحياة الدنيا، فقد روى مسلم بإسناده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتى ماتت[١].

قال الحافظ: "وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها، لأنها أغنته عن غيرها، واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين، لأنه ﷺ عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاماً، انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاماً وهي نحو الثلثين من المجموع، ومع طول المدة فصان قلبها فيها من الغيرة، ومن تكدر الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها"[٢].

٤ - ومن مناقبها العظيمة التي شرفت بها أن النبي ﷺ أخبر بأنها خير نساء هذه الأمة المحمدية قاطبة: فقد روى الإمام البخاري بإسناده إلى علي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة»** [٣].

وعند الإمام مسلم بلفظ: **«خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد»** قال أبو كريب وأشار وكيع إلى السماء والأرض[٤].

قال النووي رحمه الله: "قوله ﷺ : **«خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها**

---

(١) صحيح البخارى ٣٨١٦، مسلم ٢٤٣٥.
(٢) فتح الباري ١٣٧/٧.
(٣) صحيح البخاري ٣٨١٥، مسلم ٢٤٣٠.
(٤) صحيح مسلم ٢٤٣٠.

خديجة بنت خويلد» وأشار وكيع إلى السماء والأرض" أراد وكيع بهذه الإشارة تفسير الضمير في نسائها، وأن المراد به جميع نساء الأرض أي: كل من بين السماء والأرض من النساء والأظهر، أن معناه أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها، وأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه"[١].

وقال القرطبي رحمه الله تعالى: "الضمير عائد على غير مذكور لكنه يفسره الحال والمشاهدة يعني: به الدنيا".

وقال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر أقوال العلماء في مرجع الضمير في قوله ﷺ : **«خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة»** والذي يظهر لي أن قوله: **«خير نسائها»** خبر مقدم والضمير لمريم فكأنه قال: مريم خير نسائها أي: نساء زمانها وكذا في خديجة، وقد جزم كثير من الشراح أن المراد نساء زمانها لما تقدم في أحاديث الأنبياء في قصة موسى، وذكر آسية من حديث أبي موسى رفعه "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم وآسية" فقد أثبت في هذا الحديث الكمال لآسية كما أثبته لمريم فامتنع حمل الخيرية في حديث الباب على الإطلاق، وجاء ما يفسر المراد صريحاً، فروى البزار والطبراني من حديث عمار بن ياسر رفعه: **«لقد فضلت خديجة على نساء أمتي، كما فضلت مريم على نساء العالمين»** وهذا حديث حسن الإسناد"[٢].

٥ ـ ومن مناقبها رضي الله عنها التي دلت على شرفها وجلالة قدرها أن النبي ﷺ كان يكثر من ذكرها بعد موتها بالثناء عليها والمدح لها، وكان يأتي من العمل ما يسرها في حياتها، فقد روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة هلكت، قبل أن يتزوجني لما كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن"[٣].

وروى مسلم رحمه الله بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت للنبي ﷺ

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٨/١٥.
(٢) فتح الباري ١٣٥/٧.
(٣) صحيح البخاري ٣٨١٦، صحيح مسلم ٢٤٣٥.

على امرأة من نسائه ما غرت على خديجة لكثرة ذكرها إياها[١].

وروى البخاري رحمه الله بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: "ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول: إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد"[٢].

في هذه الأحاديث الثلاثة "ثبوت الغيرة وأنها غير مستنكر وقوعها من فاضلات النساء فضلاً عن دونهن، وأن عائشة كانت تغار من نساء النبي ﷺ لكن كانت تغار من خديجة أكثر، وقد بينت سبب ذلك وأنه لكثرة ذكر النبي ﷺ إياها، وأصل غيرة المرأة من تخيل محبة غيرها أكثر منها، وكثرة الذكر تدل على كثرة المحبة، وقولها رضي الله عنها: "وأمره الله أن يبشرها" إلخ.

هذا من جملة أسباب الغيرة لأن اختصاص خديجة بهذه البشرى مشعر بمزيد محبة من النبي ﷺ فيها. وقولها أيضاً رضي الله عنها: "وإن كان ليذبح الشاة" إلخ، من أسباب الغيرة لما فيه من الإشعار باستمرار حبه لها حتى كان يتعاهد صواحباتها، وقوله عليه الصلاة والسلام: "إنها كانت وكانت" أي: كانت فاضلة وكانت عاقلة ونحو ذلك"[٣].

٦ - روى الإمام أحمد بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء. قالت: فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق [٤]، لقد أبدلك الله - عز وجل - بها خيراً منها. قال: **«ما أبدلني الله – عز وجل – خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله – عز وجل – ولدها إذ حرمني أولاد النساء»** [٥].

---

(١) صحيح مسلم ٢٤٣٥.

(٢) صحيح البخاري ٣٨٢١ مسلم ٢٤٣٧.

(٣) فتح الباري ١٣٦/٧ - ١٣٧.

(٤) قال النووي: معناه: عجوز كبيرة جداً حتى قد سقطت أسنانها من الكبر ولم يبق لشدقها بياض شيء من الأسنان إنما بقى فيها حمرة لثاتها، قال القاضي: قال المصري وغيره من العلماء: الغيرة مسامح للنساء فيها لا عقوبة عليهن فيها بما جبلن عليه من ذلك، ولهذا لم تزجر عائشة عنها. قال القاضي: وعندي أن ذلك جرى من عائشة لصغر سنها وأول شبيبتها، ولعلها لم تكن بلغت حينئذ"اهـ. شرح النووي ٢٠٢/١٥.

(٥) المسند مع الفتح الرباني ٢٤٠/٢٠ - ٢٤١، وأورده الهيثمي في المجمع ٢٢٤/٣ وقال: رواه أحمد وإسناده

كل ما ذكر في هذا الحديث مناقب عالية لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يكثر من ذكرها والثناء عليها، وكان يعمل بعد موتها ما يسرها في حياتها حيث كان يصل من يودها بالقول والعمل.

قال ابن العربي رحمه الله تعالى مبيناً مكانة خديجة رضي الله عنها: "كان النبي ﷺ قد انتفع بخديجة برأيها ومالها ونصرها، فرعاها حية وميتة برّها موجودة ومعدومة، وأتى بعد موتها ما يعلم أنه يسرها لو كان في حياتها. ومن هذا المعنى ما روي من أن من البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه"(١).

٧ - أخبر النبي ﷺ بأن حبه لها كان رزقاً من الله رزقه إياه، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه بإسناده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة وإني لم أدركها قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: **«أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة»** قالت: فأغضبته يوماً فقلت: خديجة فقال رسول الله ﷺ : **«إني قد رزقت حبها»** (٢). هذا الحديث فيه بيان فضيلة حصلت لخديجة رضي الله عنها.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: "قوله ﷺ : **«رزقت حبها»**، فيه إشارة إلى أن حبها فضيلة حصلت"(٣).

من هذا يتبين أن: حبه ﷺ لما تقدم ذكره من الأسباب وهي كثيرة كل منها كان سبباً في إيجاد المحبة(٤).

٨ - ومما حظيت به رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يرتاح لسماع صوت من يشبه صوته صوتها، لما وضع الله لها في قلبه من المحبة رضي الله عنها وأرضاها.

فقد روى الشيخان عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:

حسن.

(١) عارضة الأحوذي بشرح الترمذي ٢٥٢/١٤.

(٢) صحيح البخارى ٣٨١٨، مسلم ٢٤٣٥.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠١/١٥.

(٤) انظر فتح الباري ١٣٧/٧.

استأذنت هالة بنت خويلد - أخت خديجة على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك، فقال: "اللهم هالة" قالت: فغرت، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيراً منها[١].

"في هذه الأحاديث دلالة لحسن العهد وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حياً وميتاً، وإكرام معارف ذلك الصاحب"[٢].

فلقد أكرم الرسول ﷺ خديجة رضي الله عنها إكراماً بالغاً في حال الحياة وبعد الممات.

٩ - ومما دل على جلالة قدرها أن الباري - جل وعلا - أرسل إليها السلام مع جبريل وأمر نبيه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب اللؤلؤ المجوف المنظوم بالدر والياقوت. فقد روى الإمام البخاري بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب".

وروى أيضاً بإسناده إلى إسماعيل بن أبي خالد، قال: قلت لعبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: بشر النبي ﷺ خديجة؟ قال: «**نعم ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب**» [٣].

هذان الحديثان تضمنا ذكر منقبتين عظيمتين لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وأرضاها:

الأولى: إرسال الرب - جل وعلا - سلامه عليها مع جبريل، وهذه الخاصة لا تعرف لامرأة سواها"[٤]. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله: فاقرأ عليها السلام من ربها ومني: زاد الطبراني في الرواية المذكورة، فقالت: «**هو السلام ومنه**

---

(١) صحيح البخاري ٣٨٢١، صحيح مسلم٢٤٣٧
(٢) انظر شرح النووي ٢٠٢/١٥.
(٣) صحيح البخاري٣٨٢٠. مسلم٢٤٣٢
(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد ١٠٥/١.

السلام وعلى جبريل السلام»، وللنسائي من حديث أنس قال: قال جبريل للنبي ﷺ : «**إن الله يقرئ خديجة السلام، يعني فأخبرها**» فقالت: «**إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك يا رسول السلام ورحمة الله وبركاته**» (١).

قال العلماء: في هذه القصة دليل على وفور فقهها لأنها لم تقل: "وعليه السلام"، كما وقع لبعض الصحابة حيث يقولون في التشهد: "السلام على الله"، فنهاهم النبي ﷺ وقال: «**إن الله هو السلام، فقولوا: التحيات لله**»، فعرفت خديجة لصحة فهمها أن الله لا يرد عليه السلام، كما يرد على المخلوقين، لأن السلام اسم من أسماء الله، وهو أيضاً دعاء بالسلامة وكلاهما لا يصلح أن يرد به على الله، فكأنها قالت: كيف أقول عليه السلام، والسلام اسمه، ومنه يطلب ومنه يحصل، فيستفاد منه أنه لا يليق بالله إلا الثناء عليه، فجعلت مكان رد السلام عليه، الثناء عليه، ثم غايرت بين ما يليق بالله وما يليق بغيره، فقالت: وعلى جبريل السلام ثم قالت: وعليك السلام، ويستفاد منه رد السلام على من أرسل السلام، وعلى من يبلغه، والذي يظهر أن جبريل كان حاضراً عند جوابها، فردت عليه وعلى النبي ﷺ مرتين مرة، بالتخصيص ومرة بالتعميم، وقيل إنما بلغها جبريل عليه السلام من ربها بواسطة النبي ﷺ احتراماً للنبي ﷺ وكذلك وقع له لما سلم على عائشة لم يواجهها بالسلام بل راسلها مع النبي ﷺ (٢).

الثانية: التي اشتملت عليها تلك الأحاديث لخديجة رضي الله عنها هي قول جبريل عليه السلام للنبي ﷺ : «**وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب**»، وببيان معنى هذه المنقبة بأقوال أهل العلم يتبين حال خديجة، وما كانت عليه من القدر العظيم رضي الله عنها: فقوله: «**وبشرها ببيت**»، فقد قال أبو بكر الإسكافي في "فوائد الأخبار": المراد به بيت زائد على ما أعد الله لها من ثواب عملها ولهذا قال: "لا نصب فيه" أي: لم تتعب بسببه(٣). وقال السهيلي: "لذكر البيت معنى لطيف، لأنها كانت ربة بيت قبل المبعث، ثم صارت ربة بيت في الإسلام منفردة به، فلم يكن على وجه الأرض

---

(١) فضائل الصحابة ص/١٩٨.

(٢) فتح الباري ١٣٩/٧، وانظر شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبد الله محمد الغنيمان ٣٦٩/٢ - ٣٧٠.

(٣) الروض الأنف ٢٧٨/١، فتح الباري ١٣٨/٧.

في أول يوم بعث النبي ﷺ بيت إسلام إلا بيتها، وهي فضيلة ما شاركها فيها أيضاً غيرها، قال: وجزاء الفعل يذكر غالباً بلفظه وإن كان أشرف منه فلهذا جاء في الحديث بلفظ البيت دون لفظ القصر[١].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: "وفي البيت معنى آخر؛ لأن مرجع أهل بيت النبي ﷺ إليها لما ثبت في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، قالت أم سلمة: لما نزلت دعا النبي ﷺ فاطمة وعلياً والحسن والحسين فجللهم بكساء فقال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي**» الحديث أخرجه الترمذي[٢] وغيره ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة لأن الحسنين من فاطمة وفاطمة بنتها، وعلي نشأ في بيت خديجة وهو صغير، ثم تزوج بنتها بعدها فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها"ا. هـ[٣].

وقوله ﷺ : «**من قصب**»، قال ابن التين: المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة كالقصر المنيف قال الحافظ عند الطبراني في الأوسط: "من طريق أخرى عن ابن أبي أوفى: "يعني قصب اللؤلؤ"، وعنده في الكبير من حديث أبي هريرة: «**بيت من لؤلؤة مجوفة**» وعنده في الأوسط من حديث فاطمة قالت: قلت يا رسول الله: أين أمي خديجة؟ قال: «**في بيت من قصب**» قلت: أمن هذا القصب؟ قال: «**لا؛ من القصب المنظوم الدر واللؤلؤ والياقوت**» [٤].

قال السهيلي: النكتة في قوله: «**من قصب**» ولم يقل من لؤلؤ أن في لفظ القصب مناسبة لكونها أحرزت قصب السبق بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها، ولذا وقعت هذه المناسبة في جميع ألفاظ الحديث[٥].

قال الحافظ ابن حجر: وفي القصب مناسبة أخرى من جهة استواء أكثر أنابيبه، وكذا كان لخديجة من الاستواء ما ليس لغيرها إذ كانت حريصة على رضاه بكل ممكن،

---

(١) الروض الأنف ٢٧٨/١ - ٢٧٩، فتح الباري ١٣٨/٧.
(٢) سنن الترمذي ٣٨٧١ وصححه الألباني.
(٣) فتح الباري ١٣٨/٧.
(٤) المصدر السابق.
(٥) الروض الأنف ٢٧٩/١، فتح الباري ١٣٨/٧.

ولم يصدر منها ما يغضبه قط كما وقع لغيرها[١].

ومعنى قولـه ﷺ : **«لا صخب فيه ولا نصب»** الصخب: الصياح والمنازعة برفع الصوت، والنصب: التعب[٢].

وقال أبو بكر بن العربي: "لا صخب فيه ولا نصب" معناه: عار عن الأذية[٣] قال السهيلي: "مناسبة نفي هاتين الصفتين - أعني المنازعة والتعب - أنه ﷺ لما دعا إلى الإسلام أجابت خديجة طوعاً، فلم تحوجه إلى رفع صوت ولا منازعة ولا تعب في ذلك بل أزالت عنه كل نصب وآنسته من كل وحشة وهونت عليه كل عسير فناسب أن يكون منزلها الذي بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها"[٤].

١٠ - ومما تميزت به رضي الله عنها أنها كانت ممن كمل من النساء، قال الحافظ ابن كثير: وروى شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه قرة بن إياس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : **«كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث، مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»** [٥].

قال ابن كثير: رواه ابن مردويه في تفسيره، وهذا إسناد صحيح إلى شعبة وبعده قالوا: والقدر المشترك بين الثلاث نسوة آسية ومريم وخديجة أن كلا منهن كفلت نبياً مرسلاً، وأحسنت الصحبة في كفالتها، وصدقته، فآسية ربت موسى، وأحسنت إليه وصدقته حين بعث، ومريم كفلت ولدها أتم كفالة وأعظمها وصدقته حين نزل عليه الوحي من الله - عز وجل[٦].

فهذا الحديث تضمن منقبة ظاهرة لخديجة رضي الله عنها حيث إن "لفظة الكمال تطلق على تمام الشيء وتناهيه في بابه، والمراد هنا التناهي في جميع الفضائل وخصال

---

(١) فتح الباري ١٣٨/٧.
(٢) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١٤/٣، ٦٢/٥، فتح الباري ١٣٨/٧.
(٣) عارضة الأحوذي ٢٥٢/١٤.
(٤) الروض الأنف ٢٧٩/١ وانظر فتح الباري ١٣٨/٧.
(٥) صحيح البخارى٣٧٦٩ مسلم ٢٤٣١
(٦) الحديث السابق

البر والتقوى"[١].

١١ - ومما تميزت به رضي الله عنها: أنها لم تسؤه قط، ولم تعارضه، ولم ينلها منه إيلاء، ولا عتب قط ولا هجر وكفى بهذه منقبة وفضيلة[٢].

١٢ - ومن مناقبها ما رواه الترمذي بإسناده إلى أنس أن النبي ﷺ قال: **«حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون»** [٣].

قوله: **«حسبك»** أي: يكفيك من نساء العالمين أي: الواصلة إلى مراتب الكاملين في الاقتداء بهن وذكر محاسنهن ومناقبهن وزهدهن في الدنيا وإقبالهن على العقبى.

قال الطيبي: حسبك مبتدأ، ومن نساء متعلق به، ومريم خبره، والخطاب إما عام أو لأنس أي: كافيك معرفتك فضلهن عن معرفة سائر النساء[٤].

فالحديث اشتمل على منقبة عظيمة لخديجة رضي الله عنها، حيث بين النبي ﷺ أنها من النساء اللاتي بلغن التناهي في جميع الفضائل وخصال البر والتقوى، فأفضل نساء الأمة المحمدية خديجة بنت خويلد، وعائشة بنت أبي بكر الصديق، وفاطمة بنت محمد عليه الصلاة والسلام، وقد اختلف العلماء في تفضيل بعضهن على بعض:

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "جهات الفضل بين خديجة وعائشة متقاربة وكأنه رأى التوقف"[٥].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: "الخلاف في كون عائشة أفضل من فاطمة أو فاطمة أفضل إذا حرر محل التفضيل صار وفاقاً فالتفضيل بدون التفصيل لا يستقيم، فإن أريد بالفضل كثرة الثواب عند الله - عز وجل - فذلك

---

(١) شرح النووي ١٩٨/١٥.
(٢) جلاء الأفهام ص/١٢٥.
(٣) الترمذى ٣٨٧٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألبانى.
(٤) تحفة الأحوذي بشرح الترمذي ٣٨٩/١٠.
(٥) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في كتابه "فتح الباري" ١٠٩/٧.

أمر لا يطلع عليه إلا بالنص، لأنه بحسب تفاضل أعمال القلوب لا بمجرد أعمال الجوارح، وكم من عاملين أحدهما أكثر عملاً بجوارحه، والآخر أرفع درجة منه في الجنة، وإن أريد بالتفضيل التفضل بالعلم، فلا ريب أن عائشة أعلم وأنفع للأمة، وأدت إلى الأمة من العلم ما لم يؤد غيرها، واحتاج إليها خاص الأمة وعامتها، وإن أريد بالتفضيل شرف الأصل وجلالة النسب، فلا ريب أن فاطمة أفضل فإنها بضعة من النبي ﷺ، وذلك اختصاص لم يشاركها فيه غير أخواتها، وإن أريد السيادة ففاطمة سيدة نساء الأمة، وإذا ثبتت وجوه التفضيل وموارد الفضل وأسبابه صار الكلام بعلم وعدل، وأكثر الناس إذا تكلم في التفضيل، لم يفصل جهات الفضل، ولم يوازن بينهما فيبخس الحق، وإن انضاف إلى ذلك نوع تعصب وهوى، لمن يفضله تكلم بالجهل والظلم"(١).

وقال الحافظ ابن حجر: "امتازت فاطمة عن أخواتها بأنهن متن في حياة النبي ﷺ، وأما ما امتازت به عائشة من فضل العلم فإن لخديجة ما يقابله، وهي أنها أول من أجاب إلى الإسلام ودعا إليه، وأعان على ثبوته بالنفس والمال، والتوجه التام، فلها مثل أجر من جاء بعدها ولا يقدر قدر ذلك إلا الله، وقيل: انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة، وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة"(٢).

وقد بين العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى أقوال العلماء في تفضيل خديجة على عائشة أو العكس وبين أن في المسألة ثلاثة أقوال فقد قال: "واختلف في تفضيلها على عائشة رضي الله عنها على ثلاثة أقوال: ثالثها الوقف: وسألت شيخنا ابن تيمية فقال: "اختصت كل واحدة منهما بخاصة، فخديجة كان تأثيرها في أول الإسلام، وكانت تسلي رسول الله ﷺ وتثبته وتسكنه، وتبذل دونه مالها فأدركت غرة الإسلام واحتملت الأذى في الله وفي رسوله، وكان نصرتها للرسول في أعظم أوقات الحاجة فلها من النصرة والبذل ما ليس لغيرها، وعائشة رضي الله عنها تأثيرها في آخر الإسلام، فلها من التفقه في الدين وتبليغه إلى الأمة، وانتفاع بنيها بما أدت إليهم من العلم ما ليس لغيرها هذا

---

(١) بدائع الفوائد ١٦١/٣ - ١٦٢، وانظر: فتح الباري ١٠٩/٧.
(٢) فتح الباري ١٠٩/٧.

معنى كلامه"[١].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى بعد أن أشار إلى الخلاف في أي أفضل خديجة أم عائشة رضي الله عنهما: "والحق أن كلاً منهما لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لبهره وحيره والأحسن التوقف في ذلك إلى الله - عز وجل - ومن ظهر له دليل يقطع به أو يغلب على ظنه في هذا الباب فذاك الذي يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم، ومن حصل له توقف في هذه المسألة، أو في غيرها فالطريق الأقوم والمسلك الأسلم أن يقول: الله أعلم"ا. هـ[٢].

وقال القاري في المرقاة: قال السيوطي في النقاية: "نعتقد أن أفضل النساء مريم وفاطمة، وأفضل أمهات المؤمنين خديجة وعائشة، وفي التفضيل بينهما أقوال ثالثها: التوقف قال القاري: التوقف في حق الكل أولى إذ ليس في المسألة دليل قطعي والظنيات متعارضة غير مفيدة للعقائد المبنيات على اليقينيات"[٣].

وما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والحافظ ابن كثير في مسألة التفضيل بين خديجة وعائشة هو معتقد الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة وهو القول بالتوقف وهو القول الذي تطمئن إليه النفس لما لكل واحدة منهما من الفضائل التي لا تحصى والله أعلم.

* * * * *

---

(١) جلاء الأفهام ص/١٢٤، وانظر بدائع الفوائد ١٦٢/٣ - ١٦٣.

(٢) البداية والنهاية ١٤٢/٣.

(٣) المرقاة ٦١٥/٥.

سودة بنت زمعة رضى الله عنها

هي سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ويقال: حسيل بن عامر بن لؤي، وأمها الشموس بنت قيس بن زيد بن عمرو بن لبيد بن فراش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار تزوجها رسول الله ﷺ بمكة بعد موت خديجة، وقبل العقد على عائشة، هذا قول قتادة وأبي عبيدة، وكذلك روى عقيل عن ابن شهاب وأنه تزوج سودة قبل عائشة، وقال عبد الله بن محمد بن عقيل: تزوجها بعد عائشة وكذلك قال يونس عن ابن شهاب ولا خلاف أنه لم يتزوجها إلا بعد موت خديجة[١].

قال الذهبي رحمه الله تعالى: "وهي أول من تزوج بها النبي ﷺ بعد خديجة وانفردت به نحواً من ثلاث سنين أو أكثر حتى دخل بعائشة وكانت سيدة جليلة نبيلة ضخمة، وكانت أولاً عند السكران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو العامري، وهي التي وهبت يومها لعائشة رعاية لقلب رسول الله ﷺ، وكانت قد فركت[٢] رضي الله عنها"[٣].

توفي النبي ﷺ وهي مع سائر من توفي عنهن من أزواجه رضي الله عنهن وأرضاهن وأم المؤمنين سودة، وردت لها مناقب دلت على جلالة قدرها، ورفعت شأنها رضي الله عنها وأرضاها، وتلك المناقب هي:

١ - أنها رضي الله عنها كانت من السابقين الأولين إلى الإسلام. قال الحافظ ابن حجر: "وأخرج ابن أبي عاصم من طريق يحيى القطان عن محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عائشة قالت: لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم بن الأوقص امرأة عثمان بن مظعون وذلك بمكة أي: رسول الله ألا تزوج؟ قال: "ومن؟ " قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً. قال: "فمن البكر؟ " قالت: بنت أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر قال: "ومن الثيب؟ " قالت: سودة بنت زمعة، آمنت بك، واتبعتك، قال: "فاذهبي فاذكريهما علي" الحديث[٤].

---

(١) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣١٧/٤، أسد الغابة ٤٨٤/٥ - ٤٨٥، الإصابة ٤٣٠/٤ - ٤٣١.

(٢) فركت: قال في اللسان: ٤٧٤/١٠: "وامرأة مفروكة: لا تحظى عند الرجال".

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٦٦/٢ - ٢٦٧.

(٤) الإصابة ٣٤٨/٤ - ٣٤٩ والحديث طويل جداً، وفيه أن خولة ذهبت وخطبت عائشة رضي الله عنها،

فهي رضي الله عنها من متقدمي الإيمان بالنبي ﷺ والمتبعين لـه.

قال ابن سعد: "وأسلمت بمكة قديماً وبايعت، وأسلم زوجها السكران بن عمرو وخرجا جميعاً مهاجرين إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية"[١].

٢ - ومن حرصها على البقاء في عصمة النبي ﷺ أنها آثرت يومها في القسم حب النبي ﷺ، وجعلته لعائشة إيثاراً منها لرضاه عليه الصلاة والسلام وحباً في المقام معه لتكون من أزواجه في الدنيا والآخرة.

فقد روى أبو عيسى الترمذي بإسناده إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "خشيت سودة أن يطلقها النبي ﷺ فقالت: لا تطلقني، وأمسكني واجعل يومي لعائشة، ففعل فنزلت: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، فما اصطلح عليه من شيء فهو جائز"[٢].

وروى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي ﷺ، تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ[٣].

٣ - ومن مناقبها رضي الله عنها أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تمنت أن تكون في مثل هديها وطريقتها: فقد روى مسلم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت امرأة أحب إلي أن أكون في مسلاخها[٤] من سودة بنت زمعة من امرأة فيها حدة قالت: فلما كبرت جعلت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة قالت: يا رسول الله قد

واستجاب لذلك الصديق وزوجه إياها، وهي حينئذ بنت ست سنين، ثم ذهبت إلى سودة وخطبتها للنبي ﷺ ورضيت= =بالنبي زوجاً لها، ودخل بها عليه الصلاة والسلام في مكة، وهاجرت بعد ذلك إلى المدينة لما هاجر إليها، والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢١٠/٦ والبيهقي في دلائل النبوة ٣١٢/٢ - ٤١١، وأورده الحافظ ابن كثير في البداية ١٤٦/٣ - ١٥٤، والهيثمي في المجمع ٢٢٥/٩.

(١) طبقات ابن سعد ٥٢/٨.

(٢) صحيح البخارى ٥٢٠٦، الترمذي ٣٠٤٠.

(٣) صحيح البخاري ٢٥٩٣.

(٤) قال ابن الأثير في النهاية ٣٨٩/٢: كأنها تمنت أن تكون في مثل هديها وطريقتها ومسلاخ الحية جلدها والسلخ بالكسر: الجلد.

جعلت يومي منك لعائشة، فكان رسول الله ﷺ يقسم لعائشة يومين: يومها ويوم سودة[(١)].

قال النووي: "وقولها: من امرأة. قال القاضي: من هنا للبيان واستفتاح الكلام ولم ترد عائشة عيب سودة بذلك بل وصفتها بقوة النفس وجودة القريحة وهي الحدة بكسر الحاء"[(٢)].

فهذه الأحاديث اشتملت على بيان فضل أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها قال العلامة ابن القيم مبيناً وجه الفضل في هذه الأحاديث: "فلما توفاها الله - يقصد خديجة - تزوج بعدها سودة بنت زمعة رضي الله عنها... وكبرت عنده وأراد طلاقها فوهبت يومها لعائشة رضي الله عنها فأمسكها، وهذا من خواصها أنها آثرت بيومها حب النبي ﷺ تقرباً إلى رسول الله ﷺ وحباً له، وإيثاراً لمقامها معه فكان يقسم لنسائه ولا يقسم لها وهي راضية بذلك مؤثرة لرضا رسول الله ﷺ : رضي الله عنها"[(٣)].

٤ - ومن مناقبها رضي الله عنها أنها كانت من محبي الإنفاق في سبيل الله، فقد روى ابن سعد بإسناده إلى محمد بن سيرين أن عمر بن الخطاب بعث إلى سودة بنت زمعة بغرارة من دراهم فقالت: ما هذه قالوا: دراهم قالت: في الغرارة مثل التمر يا جارية بلغيني القنع. قال: ففرقتها[(٤)].

"توفيت رضي الله عنها في آخر زمان عمر بن الخطاب، ويقال: ماتت سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية"[(٥)].

* * * * *

---

(١) صحيح البخارى٥٢١٢، مسلم ١٤٦٣.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٤٨/١٠.

(٣) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ص/١٢٥.

(٤) انظر الطبقات ٥٦/٨.

(٥) الطبقات ٥٧/٨، الاستيعاب على الإصابة ٣١٨/٤، سير أعلام النبلاء ٢٦٧/٢، الإصابة ٣٣١/٤.

عائشة رضي الله عنها

هي عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان، وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية، ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس تزوجها النبي ﷺ وهي بنت ست، وقيل: سبع، ويجمع بأنها كانت أكملت السادسة ودخلت السابعة، ودخل بها وهي بنت تسع، وكان دخوله بها في شوال في السنة الأولى، وقيل في السنة الثانية من الهجرة، وكانت أحب أزواجه إليه، وهي المبرأة من فوق سبع سموات رضي الله عنها وعن أبيها، وكانت تكنى بأم عبد الله كناها رسول الله ﷺ بابن أختها عبد الله بن الزبير، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكراً غيرها، ولم ينزل عليه الوحي في لحاف امرأة سواها، وكانت أعلم نساء النبي ﷺ، بل هي أعلم النساء على الإطلاق، كان الأكابر من أصحاب النبي ﷺ يرجعون إلى قولها ويستفتونها، توفي النبي ﷺ وهي في الثامنة عشر من عمرها، وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة ثمان وخمسين، ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه وعنها وعن الصحابة أجمعين "[١].

ومناقبها رضي الله عنها كثيرة مشهورة ومنها:

١ - ما رواه البخاري بإسناده إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت: أي: الناس أحب إليك ؟ قال: «**عائشة**» قلت: فمن الرجال ؟ قال: «**أبوها**»... الحديث[٢].

هذا الحديث فيه منقبة ظاهرة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهي أنها كانت أحب أزواج النبي ﷺ إليه.

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى: "وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كان عليه الصلاة والسلام ليحب إلا طيباً وقد قال: "لو كنت متخذاً خليلاً من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام أفضل".

---

(١) طبقات ابن سعد ٥٨/٨، حلية الأولياء لأبي نعيم ٤٣/٢، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٤٥/٤ - ٣٥١، أسد الغابة ٥٠١/٥ - ٥٠٤، سير أعلام النبلاء ١٣٥/٢ - ٢٠١، البداية والنهاية ٩٨/٨ - ١٠٢، الإصابة ٣٤٨/٤ - ٣٥٠، تهذيب التهذيب ٤٣٣/١٢.

(٢) صحيح البخاري ٢٩٠/٢.

فأحب أفضل رجل من أمته وأفضل امرأة من أمته، فمن أبغض حبيبي رسول الله ﷺ، فهو حري أن يكون بغيضاً إلى الله ورسوله. وحبه عليه السلام لعائشة كان أمراً مستفضياً[(١)].

ومن مناقبها رضي الله عنها أن جبريل أرسل إليها سلامه مع النبي ﷺ. فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ يوماً: «**يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام**» فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته. ترى ما لا أرى تريد رسول الله ﷺ [(٢)].

فهذا الحديث يدل على أن لها فضلاً عظيماً ومنزلة عالية حتى عند الملائكة رضي الله عنها وأرضاها.

٣ - ومن مناقبها رضي الله عنها: ما رواه الشيخان في صحيحيهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**» [(٣)].

في هذا الحديث بيان فضيلة عائشة رضي الله عنها فقد بين النبي ﷺ أن فضل عائشة زائد على النساء كزيادة فضل الثريد على غيره من الأطعمة.

قال النووي: "قال العلماء: معناه أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق، فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد وثريد، ما لا لحم فيه أفضل من مرقه، والمراد بالفضيلة نفعه والشبع منه وسهولة مساغه، والالتذاذ به وتيسر تناوله، وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة، وغير ذلك فهو أفضل من المرق كله ومن سائر الأطعمة، وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد على غيره من الأطعمة، وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء الأمة"ا. هـ[(٤)].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٤٢/٢.
(٢) صحيح البخاري ٣٠٨/٢.
(٣) صحيح البخاري ٣٠٨/٢، صحيح مسلم ١٨٩٦/٤.
(٤) شرح النووي ١٩٩/١٥.

وقال الحافظ رحمه الله تعالى: "وتقرير أن قوله: "وفضل عائشة... إلخ لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة وقد أشار ابن حبان إلى أن أفضليتها التي يدل عليها هذا الحديث وغيره مقيدة بنساء النبي ﷺ حتى لا يدخل فيها مثل فاطمة عليها السلام جمعاً بين هذا الحديث وبين حديث: **«أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران»** وأحسبه قال: وامرأة فرعون، وقد أخرجه الحاكم بهذا اللفظ من حديث ابن عباس"(١).

٤ - ومن مناقبها رضي الله عنها: أن الله - عز وجل - لما أنزل على نبيه آية التخيير بدأ بها فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، فاستن بها بقية أزواجه ﷺ. فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: "لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: **«إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا يعمل حتى تستأمري أبويك»** قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمرانني بفراقه قالت: ثم قال: "إن الله - جل ثناؤه - قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾
وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩]. قالت: فقلت: ففي أي هذا استأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت: ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت"(٢).

هذا الحديث تضمن فضل عائشة لبدائته بها رضي الله عنها.

٥ - ومن مناقبها رضي الله عنها: أن الملك أرى صورتها للنبي ﷺ قبل أن يتزوجها في سرقة(٣) حرير، فقد روى الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ : **«أريتك في المنام ثلاث ليال جاءني بك الملك في سرقة من حرير فيقول: هذه امرأتك فأكشف عن وجهك، فإذا أنت هي فأقول: إن يك هذا من عند الله**

---

(١) فتح الباري ١٠٧/٧، والحديث في المستدرك ١٨٥/٣، وقال عقبه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة وأقره الذهبي.

(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٥٢٠/٨.

(٣) سرقة حرير: أي: قطعة من جيد الحرير وجمعها سرق، النهاية في غريب الحديث ٣٦٢/٢.

يمضه» [١].

٦ - ومن مناقبها العظيمة التي دلت على عظيم شأنها وجليل قدرها: أن الوحي كان ينزل على النبي ﷺ، وهو في لحافها دون غيرها من نسائه عليه الصلاة والسلام.

فقد روى البخاري بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة، فقلن: يا أم سلمة، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه، حيث كان أو حيث ما دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ قالت: فأعرض عني، فلما عاد إلي ذكرت له ذلك، فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: **«يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها»** [٢].

هذا الحديث تضمن منقبتين عظيمتين اختصت بهما أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

المنقبة الأولى: أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتحرون بهداياهم اليوم الذي يكون فيه نوبتها رضي الله عنها وأرضاها، يبتغون بذلك مرضاة رسول الله ﷺ ولما يعلمون من شدة حبه ﷺ لها.

المنقبة الثانية: نزول جبريل الأمين بالوحي على النبي ﷺ وهو في لحافها، فلله ما أجلها من منقبة وما أعظمها من مكرمة اختصت بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

٧ - ومن مناقبها رضي الله عنها: شدة حب النبي ﷺ لها. فقد روى مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ فاستأذنت عليه، وهو مضطجع معي في مرطي، فأذن لها، فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة وأنا ساكتة، قالت: فقال لها رسول الله ﷺ : **«أي بنية ألست تحبين ما أحب»**، فقالت: بلى قال: **«فأحبي هذه»** قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ، فرجعت إلى أزواج

---

(١) صحيح البخاري ٢٤٧/٣، صحيح مسلم ١٨٨٩/٤ - ١٨٩٠.

(٢) صحيح البخاري ٣٠٨/٢ - ٣٠٩.

النبي فأخبرتهن بالذي قالت وبالذي قال لها رسول الله ﷺ، وقلنا لها: ما نراك أغنيت عنا في شيء فارجعي إلى رسول الله ﷺ فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبداً، قالت عائشة: فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش. فاستأذنت على رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ مع عائشة في مرطها على الحالة التي دخلت فاطمة عليها، فأذن لها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، قالت: ثم وقعت بي، فاستطالت علي، وأنا أرقب رسول الله ﷺ وأرقب طرفه هل يأذن لي فيها قالت: فلما تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر قالت: فلما وقعت بها لم أنشبها(١) حتى أنحيت عليها قالت: فقال رسول الله ﷺ وتبسم: **«إنها ابنة أبي بكر»** (٢).

هذا الحديث فيه منقبة ظاهرة لعائشة رضي الله عنها حيث بين عليه الصلاة والسلام لابنته فاطمة سيدة نساء أهل الجنة أنه يحب عائشة وأشار لها أن عليها محبتها.

قال النووي رحمه الله تعالى: "اعلم أنه ليس فيه دليل على أن النبي ﷺ أذن لعائشة ولا أشار بعينه ولا غيرها، بل لا يحل اعتقاد ذلك، فإنه ﷺ تحرم عليه خائنة الأعين، وإنما فيه أنها انتصرت لنفسها، فلم ينهها، وأما قوله ﷺ : **«إنها ابنة أبي بكر»** فمعناه الإشارة إلى كمال فهمها وحسن نظرها والله أعلم"(٣).

والعدل الذي طلبه أزواج النبي ﷺ إنما هو التسوية بينهن في محبة القلب، فقد كان ﷺ مسوياً بينهن في الأفعال والمبيت ونحوه، وأما محبة القلب، فقد كان ﷺ يحب عائشة أكثر منهن، وأجمع المسلمون على أن محبتهن لا تكليف فيها، لأنه لا قدرة لأحد عليها إلا الله سبحانه وتعالى وإنما يؤمر بالعدل في الأفعال"(٤).

٨ - ومن مناقبها رضي الله عنها التي دلت على عظيم شأنها ورفعه مكانتها شهادة الباري جل وعلا لها بالبراءة مما رميت به من الإفك، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام

---

(١) لم أنشبها: أي: أنحيت عليها: أي: لم ألبث أن قمعتها وقهرتها "انظر النهاية في غريب الحديث" ٥٢/٥ وانظر شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠٧/١٥.

(٢) صحيح مسلم ١٨٩١/٤.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠٧/١٥.

(٤) المصدر السابق ٢٠٥/١٥.

كان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، ولما أراد الخروج في غزوة بني المصطلق أقرع بينهن، فخرج سهم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأرضاها وذلك بعد أن نزل الحجاب فحملت عائشة في هودجها، ولما فرغ ﷺ من هذه الغزوة، تجهز للعودة فلما قرب من المدينة آذن ليلة بالرحيل، فقامت عائشة رضي الله عنها حين آذنوا بالرحيل ومشت حتى جاوزت مكان الجيش فلما قضت من شأنها أقبلت إلى الرحيل فلمست صدرها وإذ بعقد لها قد انقطع، فرجعت للبحث عنه، فتأخرت في طلب ذلك العقد وجاء الرهط الذين كانوا يحملون هودجها، فرحلوه على بعيرها الذي كانت تركبه، وهم يظنونها فيه، ولخفتها رضي الله عنها لم يستنكروا عدم ثقل الهودج حين رحلوه، ورفعوه وبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدها رضي الله عنها بعد أن ذهب الجيش، وجاءت إلى مكانهم الذي نزلوه، وإذا به ليس فيه داع ولا مجيب، فقصدت مكانها الذي كانت فيه لعلهم يفقدونها، ويرجعون إليه فلم يحصل من ذلك شيء، ولكن الله قيض لها الصحابي الجليل صفوان بن المعطل السلمي، حيث كان متأخراً عن الجيش، فأصبح عند منزلها، فرأى سواد إنسان نائم، فأتى وإذا بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فعرفها، فجعل يسترجع حتى استيقظت باسترجاعه، ولم يكلمها رضي الله عنه بأي كلمة ولا سمعت منه غير كلمة استرجاعه، فأناخ لها راحلته فركبتها وانطلق يقود بها تلك الراحلة حتى لحق بالنبي ﷺ وأصحابه.

فهلك في شأنها من هلك وعصم من ذلك من عصم.

وكان الذي تولى كبره في حادثة الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول، وأخذ المنافقون في نشر هذه الحادثة يحيكونها بالكذب والبهت حتى تأذى من ذلك رسول الله ﷺ أذى شديداً ونزل بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من الغم والهم ما الله به عليم حيث تأخر نزول الوحي بتبرئتها شهراً كاملاً، وبينما رسول الله ﷺ يفاتح عائشة في ذلك الأمر وهي عند أبويها[١] إلا والوحي ينزل بتبرئتها في عدد من آيات القرآن العظيم من سورة النور كانت درساً بليغاً لأهل الإيمان وشهادة من الله بتبرئة أم المؤمنين، وماتت تلك الفتنة يومئذ ولقي من تخوضوا فيها جزاءهم والآيات التي نزلت بتبرئتها رضي الله عنها

---

(١) انظر قصة الإفك على سبيل التفصيل في صحيح البخاري ١٦٣/٣ - ١٦٦، صحيح مسلم ٢١٢٩/٤ - ٢١٣٧.

هي قولـه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾﴾ [النور: ١١] إلى قولـه تعالى: ﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾﴾ [النور: ٢٦] وعدد هذه الآيات لا ينقص عن ثماني عشرة آية تولى الله فيها الدفاع بنفسه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وبين أن ما رميت به كان إفكاً، وهل الإفك إلا الكذب والبهت والافتراء وحذر من العودة إليه أبداً، وتوعد الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات باللعن في الدنيا والآخرة، والآية الأخيرة من تلك الآيات هي قولـه تعالى: ﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾﴾ [النور: ٢٦] يعني أن عائشة ما كانت تصلح لرسول الله شرعاً ولا قدراً لو كانت خبيثة، وأن الله ما كان ليجعل عائشة زوجاً لرسوله إلا وهي طيبة، لأنه أطيب من كل طيب من البشر عليه الصلاة والسلام، كما صرح الله ببراءتها في قولـه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ [النور: ٢٦]، ووعدها بالمغفرة والرزق الكريم: ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ [النور: ٢٦]، وليس لهذا من تفسير إلا أن الباري - جل وعلا - شهد لها بحقيقة الإيمان وبشرها بالموت عليه لتفوز بعد ذلك بالمغفرة والرزق الكريم في الآخرة وبعد هذا لا يجوز لإنسان يؤمن بالله وكلماته أن ينسب أم المؤمنين عائشة إلى شيء من الخبث والريبة ومن وقع في مثل هذا فليس من تفسير لصنعه هذا إلا الكفر البواح والردة الصراح.

قال العلامة ابن القيم: "ومن خصائصها أن الله - سبحانه - برأها بما رماها به أهل الإفك وأنزل في عذرها وبراءتها وحياً يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة شهد لها بأنها من الطيبات ووعدها المغفرة والرزق الكريم، وأخبر - سبحانه - أن ما قيل فيها من الإفك كان خيراً لها، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شراً لها ولا خافضاً من شأنها بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها وأعظم شأنها، وصار لها ذكراً بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء فيالها من منقبة ما أجلها وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها واستصغارها لنفسها حيث قالت: "ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بوحي يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئني الله

بها"[١] فهذه صديقة الأمة وأم المؤمنين وحب رسول الله ﷺ وهي تعلم أنها بريئة منه مظلومة وأن قاذفيها ظالمون مفترون عليها قد بلغ أذاهم إلى أبويها وإلى رسول الله ﷺ"[٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: "ولما تكلم فيها أهل الإفك بالزور والبهتان غار الله لها، فأنزل براءتها في... آيات من القرآن تتلى على تعاقب الزمان، وقد أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها واختلفوا في بقية أمهات المؤمنين هل يكفر من قذفهن أم لا؟ على قولين: وأصحهما أنه يكفر؛ لأن المقذوف زوجة رسول الله ﷺ، والله تعالى إنما غضب لها لأنها زوجة رسول الله ﷺ فهي وغيرها منهن سواء"[٣].

٩ - ومما كان تشريفاً وتكريماً لها ما رواه البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فأرسل رسول الله ﷺ ناساً من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا النبي ﷺ شكوا ذلك إليه فنزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير: "جزاك الله خيراً، فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجاً وجعل فيه للمسلمين بركة[٤].

في هذا الحديث فضيلة ظاهرة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها تضمنها قوله: "جزاك الله خيراً... " إلخ الحديث، فما نزل بها أمر إلا جعل الله لها منه مخرجاً، وجعله لأمة محمد تخفيفاً وتيسيراً وبركة.

١٠ - ومنها أن النبي ﷺ لما لحق بالرفيق الأعلى كان في بيتها وبين سحرها ونحرها وكان مسنداً ظهره إلى صدرها "وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر ساعة من ساعاته في الدنيا وأول ساعة من الآخرة ودفن في بيتها"[٥].

فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ لما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول: **«أين أنا غداً؟»** حرصاً على بيت عائشة قالت

---

(١) جزء من حديث الإفك، انظر صحيح البخاري ١٦٥/٣.
(٢) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ص/١٢٦.
(٣) البداية والنهاية ٩٩/٨، وانظر تفسير القرآن العظيم ٧٦/٥.
(٤) صحيح البخاري ٣٠٨/٢.
(٥) انظر سير أعلام النبلاء ١٨٩/٢، البداية والنهاية ٩٩/٨.

عائشة: فلما كان يومي سكن"[١].

وعند مسلم عنها رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله ﷺ ليتفقد يقول: **«أين أنا اليوم؟ أين أنا غداً؟»** استبطاء ليوم عائشة قالت: فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري.

وروى مسلم أيضاً بإسناده إلى عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة أنها أخبرته أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت وهو مسند إلى صدرها وأصغت إليه وهو يقول: **«اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق»**.

وفي رواية أخرى عنها أن آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ قوله: **«اللهم الرفيق الأعلى»** [٢].

١١ - روى الإمام البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها"[٣].

قال الحافظ الذهبي: "قلت: وهذا من أعجب شيء أن تغار رضي الله عنها من امرأة عجوز توفيت قبل تزوج النبي بعائشة بمديدة، ثم يحميها الله من الغيرة من عدة نسوة يشاركنها في النبي ﷺ، فهذا من ألطاف الله بها، وبالنبي ﷺ لئلا يتكدر عيشهما، ولعله إنما خفف أمر الغيرة عليها حب النبي ﷺ وميله إليها فرضي الله عنها وأرضاها"[٤].

١٢ - ومنها إخبار المصطفى عليه الصلاة والسلام إياها بأنها من أصحاب الجنة. فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: "قلت: يا رسول الله من من أزواجك في الجنة؟ قال: **«أما إنك منهن»** قالت: فخيل إلي أن ذاك أنه لم يتزوج بكراً غيري[٥].

---

(١) صحيح البخاري ٣٠٨/٢.
(٢) هذه الأحاديث الثلاثة في صحيح مسلم ١٨٩٣/٤ - ١٨٩٤.
(٣) صحيح البخاري ٣١٥/٢.
(٤) سير أعلام النبلاء ١٦٥/٢.
(٥) المستدرك ١٣/٤ ثم قال عقبه: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي".

١٣ - ومنها أن كبار الصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا أشكل عليهم الأمر من الدين استفتوها فيجدون علمه عندها. فقد روى أبو عيسى الترمذي بإسناده إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً[١].

وقال عروة: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا طب ولا شعر من عائشة ولم تروا امرأة ولا رجل غير أبي هريرة - عن رسول الله ﷺ من الأحاديث بقدر روايتها رضي الله عنها.

وقال أبو الضحى عن مسروق: رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكابر يسألونها عن الفرائض.

وقال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواجه لكان علم عائشة أفضل[٢].

وقد أثنى عليها بعض الصحابة بما يبين أنها وجيهة في الدنيا والآخرة، فقد روى أبو عيسى الترمذي بإسناده إلى عمرو بن غالب: "أن رجلاً نال من عائشة عند عمار بن ياسر - فقال له: - اغرب مقبوحاً منبوحاً أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ [٣].

وفي صحيح البخاري عن أبي وائل قال: لما بعث علي عماراً والحسن إلى الكوفة ليستنفرهم خطب عمار فقال: إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها[٤].

قال الحافظ رحمه الله تعالى شارحاً لقول عمار: "إني لأعلم أنها زوجته" أي: زوجة النبي ﷺ "في الدنيا والآخرة" وعند ابن حبان من طريق سعيد بن كثير عن أبيه "حدثتنا عائشة أن النبي ﷺ قال لها: **«أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة»** فلعل عماراً كان سمع هذا الحديث من النبي ﷺ وقوله: في

---

(١) سنن الترمذي ٣٦٥/٥ وقال عقبه: "هذا حديث حسن صحيح غريب".

(٢) انظر هذه الآثار في "سير أعلام النبلاء" ١٨٣/٢، وما بعدها، البداية والنهاية ١٠٠/٨.

(٣) سنن الترمذي ٣٦٥/٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) صحيح البخاري ٣٠٨/٢.

الحديث: «**لتتبعوه أو إياها**» قيل: الضمير لعلي لأنه الذي كان عمار يدعو إليه، والذي يظهر أنه لله، والمراد باتباع الله اتباع حكمه الشرعي في طاعة الإمام وعدم الخروج عليه ولعله أشار إلى قوله: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فإنه أمر حقيقي خوطب به أزواج النبي ﷺ ولهذا كانت أم سلمة، تقول: لا يحركني ظهر بعيري حتى ألقى النبي ﷺ، والعذر في ذلك عن عائشة أنها كانت متأولة هي وطلحة والزبير وكان مرادهم إيقاع الإصلاح بين الناس، وأخذ القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنهم أجمعين، وكان رأي علي الاجتماع على الطاعة وطلب أولياء المقتول القصاص ممن يثبت عليه القتل بشروطه"[(١)].

وروى البخاري بإسناده إلى القاسم بن محمد أن عائشة اشتكت، فجاء ابن عباس فقال: يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر[(٢)].

في هذا فضيلة عظيمة لعائشة رضي الله عنها حيث قطع لها رضي الله عنه بدخول الجنة إذ لا يقول ذلك إلا بتوقيف[(٣)].

وروى الإمام أحمد بسنده إلى عبد الله بن أبي مليكة، أنه حدثه ذكوان - حاجب عائشة - إنه جاء عبد الله بن عباس يستأذن على عائشة، فجئت - وعند رأسها عبد الله ابن أخيها عبد الرحمن - فقلت: هذا ابن عباس يستأذن فأكب عليها ابن أخيها عبد الله، فقال: هذا عبد الله بن عباس يستأذن - وهي تموت فقالت: دعني من ابن عباس، فقال: يا أمها، إن ابن عباس من صالح بنيك يسلم عليك ويودعك، فقالت: ائذن له إن شئت، قال: فأدخلته فلما جلس قال: أبشري، فقالت: بماذا؟ فقال: ما بينك وبين أن تلقي محمداً والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد، وكنت أحب نساء رسول الله ﷺ إليه، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيباً، وسقطت قلادتك ليلة الأبواء، فأصبح رسول الله ﷺ وأصبح الناس وليس معهم ماء فأنزل الله آية التيمم، فكان ذلك في سببك، وما أنزل الله من الرخصة لهذه الأمة، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات جاء بها الروح الأمين، فأصبح ليس من مساجد الله إلا يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار. فقالت: دعني منك يابن

---

(١) فتح الباري ١٠٨/٧.
(٢) صحيح البخاري ٣٠٨/٢.
(٣) انظر فتح الباري ١٠٨/٧، عمدة القاري ٢٥١/١٦.

عباس والذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسياً منسياً[١].

والأحاديث في فضلها ومناقبها كثيرة جداً، وحسبنا هنا ما تقدم.

* * * * *

(١) المسند مع الفتح الرباني ١٢٦/٢٢.

حفصة رضي الله عنها

هي حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وهي أخت عبد الله لأبيه، وأمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح تزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث من الهجرة "وكانت قبله عند خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، وكان بدرياً شهد بدراً مع رسول الله ﷺ فلم تلد لـه شيئاً، ولم يشهد من بني سهم بدراً غيره"[١] وولدت رضي الله عنها قبل المبعث بخمس سنين وتوفيت سنة خمس وأربعين[٢].

وقد وردت مناقبها رضي الله عنها في أحاديث دلت على عظم شأنها ورفعة مكانتها ومنها:

١ - روى ابن سعد بإسناده إلى أبي الحويرث قال: تزوج خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم حفصة بنت عمر بن الخطاب فكانت عنده وهاجرت معه إلى المدينة[٣].

في هذا منقبة لأم المؤمنين حفصة وهي أنها كانت ممن حظي بشرف الهجرة التي لا مثل لها في الأجر والثواب.

٢ - روى البخاري رحمه الله بإسناده إلى سالم بن عبد الله أنه سمع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يحدث أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، فتوفي بالمدينة، فقال عمر بن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال: سأنظر في أمري فلبثت ليالي، ثم لقيني فقال: بدا لي ألا أتزوج يومي هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئاً وكنت أوجد عليه مني على عثمان فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني

---

(١) تاريخ ابن جرير ١٦٤/٣.

(٢) انظر ترجمتها في طبقات ابن سعد ٨١/٨ - ٨٦، المستدرك ١٤/٤، حلية الأولياء ٥٠/٢ - ٥١، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٦٠/٤ - ٢٦١، صفة الصفوة ١٤٦/١، أسد الغابة ٤٢٥/٥، جلاء الأفهام ص/١٢٧، سير أعلام النبلاء ٢٢٧/٢ - ٢٣١، البداية والنهاية ٣٣/٨، الإصابة ٢٦٣/٤ - ٢٦٥.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨١/٨.

أبو بكر، فقال: فلعلك وجدت عليّ حين عرضت علي حفصة، فلم أرجع إليك شيئاً، قال عمر: قلت: نعم، قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت علي إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها[١].

٣ - ما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في كتابه "فتح الباري" بقوله: "ووقع في رواية ربعي بن حراش عن عثمان عند الطبري، وصححه هو والحاكم[٢] أن عثمان خطب إلى عمر بنته فرده فبلغ ذلك النبي ﷺ، فلما راح إليه عمر قال: **«يا عمر، ألا أدلك على ختن خير من عثمان وأدل عثمان على ختن خير منك؟»** قال: نعم يا نبي الله قال: **«تزوجني بنتك وأزوج عثمان بنتي»** قال الحافظ الضياء: إسناده لا بأس به، لكن في الصحيح أن عمر عرض على عثمان حفصة فرد عليه: "قد بدا لي ألا أتزوج".

قلت: أخرج ابن سعد[٣] من مرسل الحسن نحو حديث ربعي، ومن مرسل سعيد بن المسيب أتم منه وزاد في آخره "فخار الله لهما جميعاً"[٤]، ويحتمل في الجمع بينهما أن يكون عثمان خطب أولاً إلى عمر فرده كما في رواية ربعي، وسبب رده يحتمل أن يكون من جهتها، وهي أنها لم ترغب في التزوج عن قرب من وفاة زوجها، ويحتمل غير ذلك من الأسباب التي لا غضاضة فيها على عثمان في رد عمر له، ثم لما ارتفع السبب بادر عمر فعرضها على عثمان رعاية لخاطره كما في حديث الباب، ولعل عثمان بلغه ما بلغ أبا بكر من ذكر النبي ﷺ، لها فصنع كما صنع من ترك إفشاء ذلك ورد على عمر بجميل"[٥].

٤ - روى الطبراني بإسناده إلى قيس بن يزيد أن رسول الله ﷺ طلق حفصة تطليقة... فجاء النبي ﷺ فدخل فتجلببت فقال النبي ﷺ : **«أتاني جبريل عليه السلام**

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٧٥/٩ - ١٧٦ وأخرجه، ابن سعد في الطبقات ٨٢/٨.
(٢) المستدرك ١٠٧/٣ وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".
(٣) الطبقات ٨٢/٨.
(٤) المصدر السابق ٨٣/٨.
(٥) فتح الباري ١٧٦/٩ - ١٧٧.

فقال: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة» [١].

في هذا الحديث تنبيه على فضلها والثناء عليها بكثرة الصيام والقيام والإخبار بأنها زوجته ﷺ في الجنة.

قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله تعالى: "طلقها تطليقة ثم ارتجعها وذلك أن جبرائيل عليه السلام قال له: **«راجع حفصة فإنها قوامة وصوامة وإنها زوجتك في الجنة»** [٢].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: "ومن خواصها: ما ذكره الحافظ أبو محمد المقدسي في مختصره في السيرة: أن النبي ﷺ طلقها فأتاه جبريل فقال: **«إن الله يأمرك أن تراجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة»** [٣].

وقال الذهبي رحمه الله تعالى: "وروي أن النبي ﷺ طلق حفصة تطليقة، ثم راجعها بأمر جبريل عليه السلام له بذلك وقال: **«إنها صوامة قوامة وهي زوجتك في الجنة»** [٤].

وكل ما تقدم من ذكر مناقبها رضي الله عنها يدل على أنها كانت على جانب عظيم من رفعة مكانتها وجلالة قدرها رضي الله عنها وأرضاها.

* * * * *

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٥/٩ وقال: "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح".

(٢) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٦١/٤.

(٣) جلاء الأفهام ص/١٢٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٢٨/٢.

زينب بنت خزيمة رضي الله عنها

هي زينب بنت خزيمة بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية أم المؤمنين زوج النبي ﷺ، وكانت يقال لها: أم المساكين، لأنها كانت تطعمهم وتتصدق عليهم، وكانت قبل النبي ﷺ تحت عبد الله بن جحش، فاستشهد بأحد فتزوجها النبي ﷺ، وقيل: كانت تحت الطفيل بن الحارث بن المطلب، ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث وهي أخت ميمونة بنت الحارث لأمها، وكانت دخوله ﷺ بها بعد دخوله على حفصة بنت عمر، ثم لم تلبس عنده عليه الصلاة والسلام إلا شهرين أو ثلاث ثم ماتت"[١].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: "وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت تحت عبد الله بن جحش تزوجها سنة ثلاث من الهجرة، وكانت تسمى أم المساكين لكثرة إطعامها المساكين، ولم تلبث عند رسول الله ﷺ إلا يسيراً شهرين أو ثلاثة وتوفيت رضي الله عنها"[٢].

وقال الزهري رحمه الله تعالى: "تزوج النبي ﷺ زينب بنت خزيمة، وهي أم المساكين سميت بذلك لكثرة إطعامها المساكين، وهي من بني عامر بن صعصعة وتوفيت ورسول الله ﷺ حي"[٣].

وقال محمد بن إسحاق: "تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين وكانت قبله عند الحصين، أو عند الطفيل بن الحارث ماتت بالمدينة أول نسائه موتاً"[٤].

وقال الحافظ بن كثير: "وهي التي يقال لها: أم المساكين لكثرة صدقاتها عليهم، وبرها لهم وإحسانها إليهم، وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشاً، دخل بها في رمضان

(١) انظر ترجمتها في طبقات ابن سعد ١١٥/٨ - ١١٦، المستدرك للحاكم ٣٣/٤ - ٣٤، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٠٥/٤ - ٣٠٦، أسد الغابة ٤٦٦/٥، العبر ٥/١، سير أعلام النبلاء ٢١٨/٢، مجمع الزوائد ٢٤٨/٩، الإصابة ٣٠٩/٤.

(٢) جلاء الأفهام ص/١٣٧.

(٣) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٨/٩، وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٤) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٨/٩ وعزاه إلى الطبراني حيث قال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث فطلقها"[١].

وأم المؤمنين زينب بنت خزيمة وإن كان لم يرد لها مناقب تخصها على الانفراد مثل بقية أمهات المؤمنين سواها فإنه يكفيها نزول القرآن فيهن على وجه العموم ومخاطبة الرب لهن جميعاً. مثل قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦] وقوله: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، وقوله - عز شأنه -: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٣ - ٣٤].

قال عبد الله بن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] نزلت في أزواج النبي ﷺ خاصة، وقال عكرمة: من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ[٢].

كما يكفيها فخراً وشرفاً أنها إحدى أمهات المؤمنين اللاتي ضرب عليهن الحجاب، واللاتي هن أزواج نبيه ﷺ في الدنيا والآخرة، وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة أربع للهجرة[٣]. رضي الله عنها وأرضاها.

* * * * *

---

(١) البداية والنهاية ١٠٢/٤.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٦٠٣/٦، وانظر جامع البيان للطبري ٨/٢٢.

(٣) انظر البداية والنهاية ١٠٢/٤، الإصابة ٣٠٩/٤.

أم سلمة رضي الله عنها

اسمها هند بنت أبي أمية واسمه حذيفة، وقيل: سهل بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية مشهورة بكنيتها معروفة باسمها، كان أبوها يلقب زاد الراكب، لأنه كان أحد الأجواد، فكان إذا سافر لم يحمل أحد معه من رفقته زاداً، بل هو كان يكفيهم، وأمها عاتكة بنت عامر كنانية من بني فراس، وكانت أولاً تحت ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد وهاجرت معه إلى الحبشة، ثم هاجرت إلى المدينة فيقال: إنها أول ظعينة دخلت إلى المدينة مهاجرة، ولما مات زوجها عبد الله بن عبد الأسد، خطبها النبي ﷺ، وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة إحدى وستين رضي الله عنها[١].

وقد جاء ذكر مناقبها في أحاديث كثيرة منها:

١ - ما رواه الإمام مسلم بإسناده إلى أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من عبد مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها»** قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ، قالت: أرسل إلي رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له، فقلت: إن لي بنتاً وأنا غيور فقال: "أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها وأدعو الله أن يذهب بالغيرة" [٢].

٢ - شرفت رضي الله عنها برؤية جبريل حيث رأته عليه السلام في صورة دحية بن خليفة الكلبي، فقد روى الشيخان في صحيحيهما عن معتمر - بن سليمان التيمي - قال: سمعت أبي عن أبي عثمان قال: "أنبئت أن جبريل أتى النبي ﷺ، وعنده أم سلمة فجعل يتحدث، فقال النبي ﷺ لأم سلمة: من هذا؟ أو كما قال، قالت: هذا دحية، فلما قام، قالت: والله ما حسبته إلا إياه حتى خطبه النبي ﷺ يخبر خبر جبريل، أو كما قال قال

---

(١) انظر ترجمتها في الطبقات لابن سعد ٨٦/٨ - ٩٦، الجرح والتعديل ٤٦٤/٩، المستدرك للحاكم ١٦/٤ - ١٩، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٤٠٥/٤ - ٤٠٨، أسد الغابة ٥٨٨/٥ - ٥٨٩، سير أعلام النبلاء ٢٠١/٢ - ٢١٠، البداية والنهاية ١٣٢/٨، مجمع الزوائد ٢٤٥/٩، الإصابة ٤٠٧/٤ - ٤٠٨.

(٢) صحيح مسلم ٦٣٢/٢.

أبي: قلت لأبي عثمان: ممن سمعت هذا؟ قال: من أسامة بن زيد"[١].

قال النووي: "قوله أن أم سلمة رأت جبريل في صورة دحية هو - بفتح الدال وكسرها - وفيه منقبة لأم سلمة رضي الله عنها، وفيه جواز رؤية البشر الملائكة، ووقوع ذلك ويرونه على صورة الآدميين لأنهم لا يقدرون على رؤيتهم على صورهم، وكان النبي ﷺ يرى على صورة دحية غالباً ورآه مرتين على صورته الأصلية"[٢].

وقال العلامة ابن القيم: "ومن خصائصها: أن جبرائيل دخل على النبي ﷺ وهي عنده فرأته في صورة دحية الكلبي"[٣].

٣ - شهد لها الرسول ﷺ بأنها على خير فقد روى الترمذي من حديث عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال: **«اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»** قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله: قال: **«أنت على مكانك وأنت على خير»** [٤].

قال صاحب تحفة الأحوذي: "أنت على مكانك وأنت على خير" يحتمل أن يكون معناه أنت خير وعلى مكانك من كونك من أهل بيتي ولا حاجة لك في الدخول تحت الكساء، كأنه منعها عن ذلك لمكان علي، وأن يكون المعنى أنت على خير وإن لم تكوني من أهل بيتي كذا في اللمعات قلت: الاحتمال الأول هو الراجح بل هو المتعين[٥].

٤ - أكرمها الله بالصواب والسداد فيما تشير به ومن ذلك ما أشارت على النبي ﷺ عام الحديبية حينما أمر أصحابه أن يحلقوا رؤوسهم وينحروا هديهم، فتثاقلوا ذلك طمعاً منهم في أن يدخلوا مكة ويطوفوا بالبيت رضي الله عنهم وأرضاهم. فقد روى البخاري بإسناده من حديث طويل عن المسور ومروان وفيه: "فلما فرغ من قضية الكتاب، قال

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ٣/٩، صحيح مسلم ١٩٠٦/٤ واللفظ للبخاري.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٨/١٦.

(٣) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ص/١٣٦.

(٤) سنن الترمذي ٣١/٤ وقال عقبه: هذا حديث غريب من هذا الوجه من حديث عطاء عن عمر عن أبي سلمة.

(٥) تحفة الأحوذي ٦٦/٩.

رسول الله ﷺ لأصحابه: «**قوموا فانحروا ثم احلقوا**» قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاثة مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت لـه أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ أخرج لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك، فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحد منهم، حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً"(١).

فهذه الأحاديث المتقدمة التي ذكر فيها فضل أم سلمة أم المؤمنين كلها دلت دلالة واضحة على أنها كانت جليلة القدر عظيمة المكانة رضي الله عنها وأرضاها. "وهي آخر أزواج النبي ﷺ موتاً" وقيل: "بل ميمونة"(٢).

* * * * *

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٣٣٢/٥.

(٢) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ص/١٣٦، زاد المعاد ١١٤/١.

زينب بنت جحش رضي الله عنها

هي زينب بنت جحش بن رياب بن يعمر الأسدي حليف بني عبد شمس، وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمت النبي ﷺ، وهي أخت حمنة، من المهاجرات الأول تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث، وقيل: سنة خمس، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة، وفيها نزلت: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وكان يدعى زيد بن محمد فلما نزلت: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥]، وتزوج النبي ﷺ امرأته، وانتفى ما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من أن الذي يتبنى غيره يصير ابنه بحيث يتوارثان إلى غير ذلك، وكانت زينب رضي الله عنها من سادة النساء ديناً وورعاً وجوداً ومعروفاً رضي الله عنها، وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة عشرين[١].

ومناقبها رضي الله عنها نطق بها الكتاب والسنة:

١ - شهادة الرب - جل وعلا - لها بحقيقة الإيمان. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فالمراد بالمؤمنة في هذه الآية زينب رضي الله عنها.

قال السيوطي: "أخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية، فخطبها قالت: لست بناكحته قال: بلى فانكحيه، قالت: يا رسول الله، أوامر في نفسي فبينما هما يتحدثان، أنزل الله هذه الآية على رسوله ﷺ : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، قالت: قد رضيته لي يا رسول الله منكحاً وقال: **«نعم»** قالت: إذن لا أعصي رسول الله ﷺ قد أنكحته نفسي"[٢].

٢ - مما أكرمها الله وشرفها به أن تولى بنفسه تزويجها بنبيه من فوق سبع سموات

---

(١) انظر ترجمتها في الطبقات الكبرى لابن سعد ١٠١/٨ - ١١٥، المستدرك ٢٣/٤ - ٢٥، حلية الأولياء لأبي نعيم ٥١/٢ - ٥٤، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٠٦/٤ - ٣١٠، أسد الغابة ٤٦٣/٥، سير أعلام النبلاء ٢١١/٢ - ٢١٨، البداية والنهاية ١١٥/٧، التهذيب ٤٢٠/١٢، الإصابة ٣٠٧/٤ - ٣٠٨، مجمع الزوائد ٢٤٦/٩ - ٢٤٨، كنز العمال ٧٠٠/١٣ - ٧٠٤.

(٢) الدر المنثور ٦٠٩/٦، تفسير ابن جرير ١١/٢٢، تفسير ابن كثير ٤٦٣/٥.

بعد أن طلقها مولاه زيد بن حارثة وانقضت عدتها، وكانت تفخر بذلك على سائر أزواج النبي ﷺ حيث كانت تقول لهن: زوجكن أهليكن وأنا زوجني الله من فوق سبع سموات.

فقد روى البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك قال: جاء زيد بن حارثة يشكوا "فجعل النبي ﷺ يقول: **«اتق الله وأمسك عليك زوجك»** قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهليكن وزوجني الله - تعالى - من فوق سبع سموات".

وروى أيضاً بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: نزلت آية الحجاب في زينب بنت جحش وأطعم عليها يومئذ خبزاً ولحماً، وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ وكانت تقول: "إن الله أنكحني في السماء"[١].

وروى الإمام مسلم بإسناده إلى أنس قال: لما انقضت عدة زينب، قال رسول الله ﷺ لزيد: **«فاذكرها علي»** قال: فانطلق زيد حتى أتاها، وهي تخمر عجينها، قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي، فقلت: يا زينب، أرسل رسول الله ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن... "الحديث[٢].

وقد حكى الله - جل وعلا - تزويجه إياها بنبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

قال الذهبي رحمه الله تعالى: "فزوجها الله - تعالى - بنبيه بنص كتابه بلا ولي ولا شاهد، فكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين وتقول: زوجكن أهليكن وزجني الله من فوق عرشه"[٣].

---

(١) الحديثان في صحيح البخاري ٢٨١/٤.
(٢) صحيح مسلم ١٠٤٨/٢ - ١٠٤٩.
(٣) سير أعلام النبلاء ٢١١/٢.

قال الحافظ في بيان قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧] والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابناً ووقع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم. وقد أخرج الترمذي[(١)] من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة قالت: "لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧]- يعني بالإسلام - : ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧] بالعتق: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧] إلى قوله: ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وأن رسول الله ﷺ لما تزوجها قالوا: تزوج حليلة ابنه فأنزل الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وكان تبناه وهو صغير، قلت: حتى صار رجلاً، يقال له: زيد بن محمد. فأنزل الله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، قوله: ﴿وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥] [(٢)].

٣ - ومما حظيت به وكان تكريماً لها من ربها أن آية الحجاب، نزلت حين تزوجت بالنبي ﷺ، فقد روى البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك قال: "أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب: لما أهديت زينب إلى رسول الله ﷺ كانت معه في البيت صنع طعاماً، ودعا القوم فقعدوا يتحدثون فجعل النبي ﷺ يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدثون فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ إلى قوله: ﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] فضرب الحجاب وقام القوم"[(٣)].

فزواجها رضي الله عنها بالنبي ﷺ كان السبب في نزول آية الحجاب.

٤ - روى الإمام مسلم بإسناده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : **«أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً»** قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً

---

(١) سنن الترمذي ٣١/٥ - ٣٢.
(٢) فتح الباري ٥٢٤/٨.
(٣) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٥٢٧/٨.

قالت: فكانت أطولنا يداً زينب، لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق"[١].

وروى الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لأزواجه: «**أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً**» قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ، وكانت امرأة قصيرة، ولم تكن أطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبي ﷺ إنما أراد بطول اليد الصدقة، قال: وكانت زينب امرأة صناعة اليد، فكانت تدبغ وتخرز وتصدق في سبيل الله عز وجل"[٢].

قال النووي رحمه الله تعالى: "معنى الحديث أنهن ظنن أن المراد بطول اليد طول اليد الحقيقية، وهي الجارحة، فكن يذرعن أيديهن بقصبة، فكانت سودة أطولهن جارحة، وكانت زينب أطولهن يداً في الصدقة وفعل الخير، فماتت زينب أولهن، فعلموا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود. وفيه معجزة باهرة لرسول الله ﷺ ومنقبة ظاهرة لزينب، ووقع هذا الحديث في كتاب الزكاة من البخاري بلفظ متعقد يوهم أن أسرعهن لحاقاً سودة، وهذا الوهم باطل بالإجماع"[٣].

٥ - روى الإمام مسلم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها من حديث طويل، وفيه قالت عائشة: فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرب إلى الله تعالى ما عدا سورة[٤] من حد كانت فيها تسرع منها الفيئة[٥]... الحديث[٦].

---

(١) صحيح مسلم ١٩٠٧/٤.

(٢) المستدرك ٢٥/٤ وقال عقبه: هذا حديث على شرط مسلم، ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٨/١٦ - ٩.

(٤) ما عدا سورة من حد: أي: شدة الخلق وثورانه. انظر النهاية في غريب الحديث ٤٢٠/٢، شرح النووي ٢٠٦/١٥.

(٥) الفيئة: الرجوع ومعنى الكلام أنها كاملة الأوصاف، إلا أن فيها شدة خلق وسرعة غضب، تسرع منها الرجوع أي: إذا وقع ذلك منها رجعت عنه سريعاً ولا تصر عليه، شرح النووي ٢٠٦/١٥.

(٦) صحيح مسلم ١٨٩١/٤ - ١٨٩٢.

فلقد وصفت عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين زينب بنت جحش بصفات عظيمة كلها جامعة لمكارم الأخلاق وأصول الفضائل التي طابعها البر والتقوى، وكل صفة منها منقبة ظاهرة لأم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها وأرضاها.

كما وصفتها عائشة رضي الله عنها وصفاً عظيماً في حديث الإفك الطويل حيث قالت رضي الله عنها: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري: **«ما علمت؟ أو ما رأيت؟»** فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيراً. قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب[١] لها، فهلكت فيمن هلك[٢] هذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري قالت رضي الله عنها: "وكانت عائشة تقول: أما زينب ابنة جحش فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً، وأما أختها حمنة فهلكت فيمن هلك"[٣].

ففي هذين النصين فضيلة ظاهرة لأم المؤمنين زينب رضي الله عنها.

قال الإمام الذهبي: "ويروى عن عمرة عن عائشة قالت: يرحم الله زينب لقد نالت في الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف إن الله زوجها ونطق به القرآن، وإن رسول الله ﷺ قال لنا: **«أسرعكن لحوقاً أطولكن باعاً»** فبشرها بسرعة لحوقها به وهي زوجته في الجنة"[٤].

ومناقبها رضي الله عنها التي وردت بها الأحاديث والآثار كثيرة جداً رضي الله عنها وأرضاها.

* * * * *

(١) وطفقت أختها حمنة تحارب لها "أي: جعلت تتعصب لها، فتحكي ما يقوله أهل الإفك" شرح النووي ١١٣/١٧.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١١٣/١٧.

(٣) صحيح البخاري ١٦٨/٣.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢١٥/٢.

جويرية بنت الحارث رضى الله عنها

هي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن جديمة وهو المصطلق بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو الخزاعية المصطلقية، لما غزا النبي ﷺ بني المصطلق فى غزوة المريسيع في سنة خمس أو ست وسباهم، وقعت جويرية رضي الله عنها في سهم ثابت بن قيس، فكاتبها رضي الله عنها على نفسها، وجاءت إلى النبي ﷺ وطلبت منه أن يعينها على ما كاتبها عليه ثابت بن قيس، فعرض عليها النبي ﷺ ما خير لها في العاجل والآجل، وهو أن يؤدي عنها ما كاتبها عليه ثابت بن قيس رضي الله عنه ويتزوجها، فوافقت على ذلك وأسلمت وتزوجها سيد الخلق، وأطلق لها الأسارى من قومها، وكانت قبله عليه الصلاة والسلام تحت مسافع بن صفوان المصطلقي، وقتل عنها في غزوة المريسيع"(١).

وقد وردت لها مناقب في بعض الأحاديث دلت على فضلها وعظم شأنها ومنها ما يلي:

١ - مما أكرمت به رضي الله عنها أن النبي ﷺ أدى عنها كتابتها وتزوجها، وكان ذلك صداقاً لها، قال محمد بن إسحاق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم لـه(٢)، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحة(٣) لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، قالت عائشة: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها ﷺ ما رأيت، فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعت في السهم

---

(١) طبقات ابن سعد ١١٦/٨ - ١٢٠، المستدرك ٢٥/٤ - ٢٨، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٥١/٤ - ٢٥٤، أسد الغابة ٤١٩/٥ - ٤٢٠، مجمع الزوائد ٢٥٠/٩، البداية والنهاية ٥٣/٨ - ٥٤، تهذيب التهذيب ٤٠٧/١٢، الإصابة ٢٥٧/٤ - ٢٥٨.

(٢) وقع في "مغازي الواقدي" ٤١٠/١ وقعت في السهم لثابت بن قيس وابن عم لـه وأن ثابتاً خلصها من ابن عمه بنخلات لـه في المدينة.

(٣) ملاحة: بضم الميم وتشديد اللام: أي شديدة الملاحة وهو من أبنية المبالغة، انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣٥٥/٤، وكنت به عائشة عن جمالها.

لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم لـه، فكاتبته على نفسي فجئتك أستعينك على كتابتي، قال: «**فهل لك من خير من ذلك؟**» قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «**أقضي عنك كتابتك وأتزوجك**» قالت: نعم يا رسول الله قد فعلت، قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ، وأرسلوا ما بأيديهم قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة [١] أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها"[٢].

هذا الحديث تضمن منقبة ظاهرة، وميزة شريفة لأم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها حيث إن المصطفى عليه الصلاة والسلام اتخذها زوجة لـه بعد أن أسلمت وصارت بذلك أماً للمؤمنين وكان زواجها بالنبي ﷺ خيراً لها ولقومها فما أن علم الصحابة الكرام رضي الله عنهم بزواجها بالنبي ﷺ إلا وأطلقوا الأسارى الذين كانوا في أيديهم من قومها إجلالاً وتعظيماً لسيد الخلق عليه الصلاة والسلام لأنهم صاروا أصهاره لما تزوج بجويرية رضي الله عنها ولذلك قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه: "فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها".

٢ - ومما شرفت به أن تسميتها بهذا الاسم الذي عرفت به وهو جويرية إنما هو تسمية نبوية سماها به النبي ﷺ. فقد روى مسلم بإسناده إلى عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت جويرية اسمها برة فحول رسول الله ﷺ جويرية وكان يكره أن

---

(١)" مائة أهل بيت" جاء في عون المعبود: "كذا بالإضافة أي: مائة طائفة كل واحدة منهن أهل بيت، ولم تقل مائة هم أهل بيت بإيهام أنهم مائة نفس كلهم أهل بيت، وليس مراداً، وقد روي أنهم أكثر من سبعمائة، "قاله الزرقاني" عون المعبود ٤٤٤/١٠، وانظر شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٣٤٥/٣.

(٢) سيرة ابن هشام ٢٩٤/٢ - ٢٩٥، كتاب السير والمغازي لابن إسحاق ص/٢٦٣، والحديث أخرجه أحمد في المسند من طريق ابن إسحاق ٢٧٧/٦، وأبو داود في سننه ٣٤٧/٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٧٤/٩، وقال صاحب عون المعبود: قال المنذري: وفيه محمد بن إسحاق بن يسار، ثم قال صاحب عون المعبود: قلت: وقد صرح بالتحديث في رواية يونس ابن بكير عنه وأخرجه أحمد في المسند اهـ. عون المعبود ٤٤١/١٠ وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: "ابن إسحاق حسن الحديث إلا أنه لا يحتج به إذا خولف"اهـ. فتح الباري ٣٢/٤. وقال الشيخ محمد ناصر الألباني: "الذي استقر عليه رأي العلماء المحققين أن حديث ابن إسحاق في مرتبة الحسن بشرطين: أحدهما: أن يصرح بالتحديث وأن لا يخالف من هو أوثق منه" اهـ "دفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الرد على البوطي" ص/٨٢. وبهذا يعلم أن الحديث إسناده صحيح وهو حسن لذاته.

يقال: خرج من عند برة[١].

٣ - كانت رضي الله عنها من المكثرات للعبادة الذاكرات الله ذكراً كثيراً. فقد روى مسلم بإسناده إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن جويرية أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: "ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ " قالت: نعم: قال النبي "لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله بحمده، عدد خلقه ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته" [٢] فلقد نالت جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها بدخولها في الإسلام وزواجها بخير البرية فضلاً عظيماً وخيراً كثيراً رضي الله عنها وأرضاها وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة خمسين للهجرة وقيل: سنة ست وخمسين للهجرة"[٣].

* * * * *

(١) صحيح مسلم ٢١٤٠ وابو داوود٣ ١٥٠٣.

(٢) صحيح مسلم ٢٧٢٦ والنسائى٣/٧٧ وابن ماجه ٣٨٠٨.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٢٠/٨، وسير أعلام النبلاء ٤٦٣/٢، البداية والنهاية لابن كثير ٥٤/٨، مجمع الزوائد ٢٥٠/٩.

أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها

اسمها رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموية زوج النبي ﷺ، تكنى أم حبيبة، وهي بها أشهر من اسمها، وأمها صفية بنت أبي العاص بن أمية، ولدت رضي الله عنها قبل البعثة بسبعة عشر عاماً، وكانت قبل النبي ﷺ تحت عبيد الله بن جحش بن رياب بن يعمر الأسدي من بني أسد بن خزيمة، فأسلما ثم هاجرا إلى الحبشة فولدت حبيبة وبها كانت تكنى، ولقد أصيب زوجها بالخذلان، فارتد عن الإسلام، ودخل في النصرانية وفارقها، وذلك من فضل الله تعالى عليها ليتم لها الإسلام، والهجرة وأبدلها الله - عز وجل - من هو أفضل من كل البشر محمداً بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة أربع وأربعين للهجرة[1] رضي الله عنها وأرضاها.

ولقد وردت لها بعض المناقب التي دلت على علو مكانتها وجليل قدرها رضي الله عنها وأرضاها وتلك المناقب هي:

١ - مما حظيت به رضي الله عنها أنها كانت ممن هاجر في الله الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة فارة بدينها رضي الله عنها وأرضاها، فقد روى ابن سعد والحاكم عن إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص، قال: قالت أم حبيبة: رأيت في النوم عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة وأشوهه، ففزعت فقلت: تغيرت، والله حاله فإذا هو يقول، حيث أصبح: يا أم حبيبة إني نظرت في الدين، فلم أر ديناً خيراً من النصرانية، وكنت قد دنت بها، ثم دخلت في دين محمد، ثم قد رجعت إلى النصرانية، فقلت: والله ما خير لك وأخبرته بالرؤيا التي رأيت له، فلم يحفل بها، وأكب على الخمر حتى مات فأرى في النوم، كأن آتياً يقول: يا أم المؤمنين ففزعت فأولتها أن رسول الله ﷺ يتزوجني، قالت: فما هو إلا أن

---

(١) انظر ترجمتها في "الطبقات لابن سعد ٩٦/٨ - ١٠٠، طبقات خليفة بن خياط ص/٣٣٢، الجرح والتعديل ٤٦١/٩، المستدرك ٢٠/٤ - ٢٣، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٩٦/٤ - ٢٩٩، أسد الغابة ٤٥٧/٥، جلاء الأفهام ص/١٢٨ - ١٣٥، سير أعلام النبلاء ٢١٨/٢ - ٢٢٣، البداية والنهاية ٣١/٨، مجمع الزوائد ٢٤٩/٩ - ٢٥٠، الإصابة ٢٩٨/٤، تهذيب التهذيب ٤١٩/٤.

انقضت عدتي فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن، فإذا جارية له يقال لها: أبرهة، كانت تقوم على ثيابه ودهنه، فدخلت علي فقالت: إن الملك يقول لك: إن رسول الله ﷺ كتب إلي أن أزوجكه فقالت: بشرك الله بخير قالت: يقول لك الملك: وكلي من يزوجك فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته... الحديث[١].

في هذا بيان فضيلة ظاهرة لأم حبيبة رضي الله عنها وهي أنها كانت ممن شرف بالهجرة إلى أرض الحبشة.

وقال ابن سعد: "وكان عبيد الله بن جحش هاجر بأم حبيبة معه إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، فتنصر وارتد عن الإسلام، وتوفي بأرض الحبشة، وثبتت أم حبيبة على دينها الإسلام وهجرتها"[٢].

وقال الحافظ ابن كثير: "أسلمت قديماً، وهاجرت هي وزوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة، فتنصر هناك زوجها وثبتت على دينها رضي الله عنها[٣].

٢ - ومما فيه تنويه بشأنها أن النبي ﷺ بعث من يخطبها له إلى الحبشة.

فقد روى الحاكم بإسناده إلى جعفر بن محمد بن علي عن أبيه قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي يخطب عليه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت تحت عبيد الله بن جحش فزوجها إياه وأصدقها النجاشي أربعمائة دينار[٤].

قال أبو جعفر محمد بن جرير: "فما نرى عبد الملك بن مروان وقّت صداق النساء أربعمائة دينار إلا لذلك"[٥].

روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل

---

(١) الطبقات الكبرى ٩٧/٨، المستدرك ٢٠/٤ - ٢١.

(٢) الطبقات ٩٦/٨.

(٣) البداية والنهاية ٣١/٨.

(٤) المستدرك ٢٢/٤، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٩٩/٨.

(٥) ذكره عنه ابن سعد في الطبقات ٩٩/٨، الحاكم في المستدرك ٢٢/٤.

عائشة زوج النبي ﷺ كم أصدق رسول الله ﷺ أزواجه، قالت: كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونصفاً، فذلك خمسمائة درهم، فهذا صداق رسول الله ﷺ لأزواجه "قال الحاكم": هذا حديث صحيح الإسناد وعليه العمل، وإنما أصدق النجاشي أم حبيبة أربعمائة دينار استعمالا لأخلاق الملوك في المبالغة في الصنائع لاستعانة النبي ﷺ به في ذلك[١].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: "وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان واسمها رملة. هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة، فتنصر بالحبشة وأتم الله لها الإسلام وتزوجها رسول الله ﷺ، وهي بأرض الحبشة، وأصدقها عنه النجاشي أربعمائة، دينار وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري فيها إلى أرض الحبشة وولى نكاحها عثمان بن عفان، وقيل: خالد بن سعيد بن العاص"[٢].

قال الذهبي: "وهي من بنات عم الرسول ﷺ وليس في أزواجه من هي أقرب نسباً إليه منها ولا في نسائه من هي أكثر صداقاً منها، ولا من تزوج بها وهي نائية الدار أبعد منها، عقد له ﷺ عليها بالحبشة وأصدقها عنه صاحب الحبشة أربع مائة دينار، وجهزها بأشياء"[٣].

٤ - ومما زاد في قدرها وعلو شأنها أنها أكرمت فراش رسول الله ﷺ من أن يجلس عليه أبوها لما قدم المدينة لعقد الهدنة بين الرسول ﷺ وبين قريش ومنعته من الجلوس عليه؛ لأنه كان يومئذ على الشرك، ولم يكن قد أسلم، فقد روى ابن سعد بإسناده إلى محمد بن مسلم الزهري قال: لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يريد غزو مكة فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية، فلم يقبل عليه رسول الله ﷺ فقام فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه، فقال: يا بنية، أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس

---

(١) المستدرك ٢٢/٤.

(٢) جلاء الأفهام ص/١٢٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢١٩/٢.

مشرك فقال: يا بنية لقد أصابك بعدي شر[١].

٥ - أنها كانت شديدة الخوف من الله - جل وعلا - ومن العابدات الورعات، فقد روى ابن سعد والحاكم عن عوف بن الحارث قال: سمعت عائشة تقول: دعتني أم حبيبة زوج النبي ﷺ عند موتها، فقالت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك، فقلت: غفر الله لك ذلك كله وتجاوز وحللك من ذلك، فقالت: سررتيني سرك الله، وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك، وتوفيت سنة أربع وأربعين في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما[٢].

* * * * *

(١) الطبقات الكبرى ٩٩/٨ - ١٠٠، وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٢٣/٢.

(٢) الطبقات الكبرى ١٠٠/٨، المستدرك ٢٢/٤ - ٢٣، وأورده الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٢٣/٢، وابن= =كثير في البداية والنهاية ٣١/٨، والحافظ ابن حجر في الإصابة ٣٠٠/٤.

صفية بنت حيي رضي الله عنها

هي صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن أبي خبيب من بني النضير، وهو من سبط لاوي بن يعقوب، ثم من ذرية هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام، كانت قبل إسلامها تحت سلام بن مشكم، ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق، فقتل كنانة يوم خيبر، فصارت صفية مع السبي، فأخذها دحية الكلبي، ثم استعادها المصطفى عليه الصلاة والسلام، فأعتقها وتزوجها، كانت رضي الله عنها سيدة شريفة عاقلة فاضلة ذات حسب وجمال ودين رضي الله عنها، وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة اثنتين وخمسين في خلافة معاوية رضي الله عنه[(١)].

وقد وردت أحاديث كثيرة بذكر مناقبها رضي الله عنها وأرضاها منها:

١ - من إكرام الله لها أن النبي ﷺ تزوجها وجعل عتقها صداقها، فقد روى الشيخان في صحيحيهما من حديث طويل عن أنس رضي الله عنه في غزوة خيبر وفيه: "قال وأصبناها عنوة[(٢)] وجمع السبي فجاءه دحية، فقال: يا رسول الله أعطني جارية من السبي فقال: «**اذهب فخذ جارية**» فأخذ صفية بنت حيي، فجاء رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: يا نبي الله، أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير؟ ما تصلح إلا لك قال: «**ادعوه بها**» قال: فجاء بها فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: «**خذ جارية من السبي غيرها**» قال: وأعتقها وتزوجها، فقال له ثابت: يا أبا حمزة ما أصدقها؟ قال: نفسها أعتقها وتزوجها حتى إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم فأهدتها له[(٣)] من الليل فأصبح النبي ﷺ عروساً... الحديث[(٤)].

وعند الإمام مسلم أيضاً: من حديث أنس وفيه قال: "ووقعت في سهم دحية جارية جميلة، فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس، ثم دفعها إلى أم سليم تصنعها له وتهيئها

---

(١) الطبقات الكبرى ١٢/٨ - ١٢٩، المستدرك ٢٨/٤ - ٢٩، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٣٧/٤ - ٣٣٩، أسد الغابة ٤٩٠/٥ - ٤٩١، جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ص/١٣٨، سير أعلام النبلاء ٢٣١/٢ - ٢٣٨، البداية والنهاية ٥٠/٨، الإصابة ٣٣٧/٤ - ٣٣٩.

(٢) عنوة: أي: قهراً لا صلحاً.

(٣) فأهدتها له: أي: زفتها له ﷺ.

(٤) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٤٦٩/٧، صحيح مسلم ١٠٤٣/٢ - ١٠٤٤ واللفظ له.

قال: وأحسبه قال: وتعتد في بيتها[١] وهي صفية بنت حيي. قال: وقال الناس: لا ندري أتزوجها أم اتخذها أم ولد، قالوا: إن حجبها فهي امرأته وإن لم يحجبها فهي أم ولد، فلما أراد أن يركب حجبها، فقعدت على عجز البعير فعرفوا أنه قد تزوجها" الحديث[٢].

هذان الحديثان اشتملا على بيان فضيلة ظاهرة لأم المؤمنين صفية رضي الله عنها حيث أكرمها الله - عز وجل - بالدخول في الإسلام وكتب لها الزواج برسول الله ﷺ حيث صارت بذلك في أمهات المؤمنين اللاتي هن أزواج نبيه ﷺ في الدنيا والآخرة.

والحديثان يوهم ظاهرهما التعارض إذ الأول يفيد أنه ﷺ أذن لدحية في أخذه جارية من السبي، فأخذ صفية فاستردها منه، والثاني يفيد أنها وقعت في سهمه واشتراها بسبعة أرؤس، وقد ذكر الجمع بينهما الحافظ حيث قال: "قال السهيلي: لا معارضة بين هذه الأخبار فإنه أخذها من دحية قبل القسم، والذي عوضه عنها ليس على سبيل البيع، بل على سبيل النفل قلت: وقع في رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عند مسلم أن صفية وقعت في سهم دحية، وعنده أيضاً فيه "فاشتراها" من دحية بسبعة أرؤس "فالأولى في طريق الجمع أن المراد بسهمه هنا نصيبه الذي اختاره لنفسه، وذلك أنه سأل النبي ﷺ أن يعطيه جارية فأذن له أن يأخذ جارية، فأخذ صفية فلما قيل للنبي ﷺ إنها بنت ملك من ملوكهم، ظهر له أنها ليست ممن توهب لدحية لكثرة من كان في الصحابة مثل دحية، وفوقه وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها، فلو خصه بها لأمكن تغير خاطر بعضهم، فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاص النبي ﷺ بها، فإن في ذلك رضا الجميع، وليس ذلك من الرجوع في الهبة من شيء، وأما إطلاق الشراء على العوض فعلى سبيل المجاز، ولعله عوضه عنها بنت عمها أو بنت عم زوجها[٣]، فلم تطب نفسه فأعطاه من جملة السبي زيادة على ذلك.

---

(١) أي تستبرئ فإنها كانت مسبية يجب استبراؤها وجعلها في مدة الاستبراء في بيت أم سليم.

(٢) صحيح مسلم ١٠٤٥/٢ - ١٠٤٦.

(٣) وقع عند ابن إسحاق أن صفية سبيت من حصن القموص، وهو حصن ابن أبي الحقيق، وكانت تحت كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وسبي معها بنت عمها، وعند غيره بنت عم زوجها فلما استرجع النبي ﷺ صفية من دحية أعطاه بنت عمها، انظر كتاب المغازي والسير ص/٢٦٤، الإصابة ٣٣٨/٤، فتح الباري ٤٦٩/٧ - ٤٧٠.

وعند ابن سعد من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس وأصله في مسلم: "صارت صفية لدحية فجعلوا يمدحونها فبعث رسول الله ﷺ فأعطى بها دحية ما رضي"(١).

٢ - ومما دل على عظيم شأنها وجلالة قدرها أن النبي ﷺ كان يضع لها ركبته، لتصعد من عليها للركوب على البعير حال رجوعه عليه الصلاة والسلام من غزوة خيبر، فكانت تجله وتكرمه عليه الصلاة والسلام من أن تضع رجلها على فخذه، وإنما كانت تضع ركبتها على فخذه حتى تركب، فقد روى البخاري بإسناده إلى أنس رضي الله عنه قال: "قدمنا خيبر فلما فتح الله عليه الحصن ذكر لـه جمال صفية بنت حيي بن أخطب، وقد قتل زوجها وكانت عروساً، فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه، فخرج حتى بلغنا سد الصهباء حلت، فبنى بها رسول الله ﷺ، ثم صنع حيساً في نطع صغير، ثم قال لي: آذن من حولك، فكانت تلك وليمته على صفية ثم خرجنا إلى المدينة، فرأيت النبي ﷺ يحوي لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب"(٢).

وقال الحافظ ابن حجر: "ووقع في مغازي أبي الأسود عن عروة فوضع رسول الله ﷺ لها فخذه لتركب فأجلت رسول الله ﷺ أن تضع رجلها على فخذه، فوضعت ركبتها على فخذه وركبت(٣).

٣ - روى محمد بن سعد بأسانيده في حديث طويل وفيه: "لم يخرج النبي ﷺ من خيبر حتى طهرت صفية من حيضها، فحملها وراءه، فلما صار إلى منزل على ستة أميال من خيبر مال يريد أن يعرس بها، فأبت عليه فوجد في نفسه، فلما كان بالصهباء وهي على بريد من خيبر نزل بها هناك، فمشطتها أم سليم وعطرتها، قالت أم سنان الأسلمية: وكانت من أضوأ ما يكون من النساء فدخل بأهله، فلما أصبح سألتها عما قال لها؟ فقالت: قال لي: "ما حملك على الامتناع من النزول أولاً" قالت: خشيت عليك من قرب اليهود، فزادها ذلك عنده وذكرت أنه سر بها ولم ينم تلك الليلة لم يزل يتحدث

---

(١) فتح الباري ٤٧٠/٧، شرح النووي ٢٢٠/٩ - ٢٢١.

(٢) صحيح البخاري ٥٢/٣.

(٣) فتح الباري ٤٨٠/٧.

معها"[١].

فهذا الحديث اشتمل على فضيلة ظاهرة لأم المؤمنين صفية رضي الله عنها، فلقد خشيت على النبي ﷺ من غدر اليهود إن هو نزل منزلاً قريباً من خيبر، لأنها خبيرة بكيد اليهود وشدة بغضهم وحقدهم على الإسلام والنبي عليه الصلاة والسلام، ولذلك امتنعت من النزول في المنزل الأول الذي كان يبعد عن خيبر ستة أميال، ولما بلغ الصهباء نزل بها، وسألها عن سبب امتناعها عن النزول أولاً أوضحت له أنها تخشى عليه من اليهود، فزادها ذلك منزلة ورفعة عنده عليه الصلاة والسلام، وكل هذا ناشئ عن الإيمان الصادق الذي أنساها قتل أبيها وزوجها من أجل كفرهما بالله وصدهما عن سبيل الله، ولذلك سر بها المصطفى عليه الصلاة والسلام، فلم ينم تلك الليلة، بل استمر في مبادلتها الحديث رضي الله عنها وأرضاها.

٤ - وورد التنوية بشرف نسبها فيما رواه أبو عيسى الترمذي بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي فقال: «**ما يبكيك؟**» قالت: قالت لي حفصة: إني ابنة يهودي فقال النبي ﷺ : «**وإنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟**» ثم قال: «**اتقي الله يا حفصة**» [٢].

فهذا النص النبوي تضمن ذكر فضيلة ظاهرة لصفية رضي الله عنها حيث بين النبي ﷺ أنها من سلالة نبوية، فقد هون عليها ما بلغها من أم المؤمنين حفصة حيث بين لها أنها ابنة نبي وهو هارون بن عمران عليه السلام، وأن عمها لنبي وهو موسى بن عمران عليه السلام، وأنها لتحت نبي، وهو أفضل البشر وسيد ولد آدم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، ومعنى قوله ﷺ : «**ففيم تفخر عليك؟**» أي: في أي شيء تفخر حفصة عليك ومع أن كلمة حفصة رضي الله عنها كلمة صحيحة بالنظر إلى أبيها لم يرضها النبي ﷺ لأن التفاخر من عادات الجاهلية ولذلك حذر منه النبي ﷺ.

٥ - ومما هو مفخرة في حقها مدح النبي ﷺ لها بالصدق فقد أخرج ابن سعد عن

---

(١) الطبقات ١٢٠/٨ - ١٢٢ فقد رواه بثلاثة أسانيد لأبي هريرة وإلى أنس بن مالك وإلى أم سنان الأسلمية.

(٢) سنن الترمذي ٣٨٩٤ ثم قال عقبه: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٥٣/٣، وصححه الألباني.

زيد ابن أسلم أن نبي الله ﷺ في الوجع الذي توفي فيه اجتمع إليه نساؤه، فقالت صفية بنت حيي: أما والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي، فغمزنها أزواج النبي ﷺ وأبصرهن رسول الله ﷺ فقال: **«مضمضن»** فيقلن من أي شيء يا نبي الله؟ قال: **«من تغامزكن بصاحبتكن والله إنها لصادقة»** (١).

٦ - ومنها ما رواه أبو عمر بن عبد البر فقال: وكانت صفية حليمة عاقلة فاضلة وروينا أن جارية لها أتت عمر بن الخطاب فقالت: إن صفية تحب السبت وتصل اليهود فبعث إليها عمر فسألها فقالت: أما السبت فإني لم أحبه منذ أن أبدلني الله به يوم الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً وأنا أصلها، قال ثم قالت للجارية: وما حملك على ما صنعت قالت: الشيطان. قالت: اذهبي فأنت حرة(٢).

٧ - لما اجتمع أهل الفتنة على الخليفة الثالث ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه وحصروه في الدار، وقطعوا عليه الماء والطعام كان لها رضي الله عنها موقف طيب تذكر به في الآخرين، فقد حاولت بقدر استطاعتها إيصال الماء والطعام إلى عثمان رضي الله عنه. فقد روى ابن سعد بإسناده إلى كنانة بن نبيه - مولى صفية - قال: كنت أقود بصفية لترد على عثمان، فلقيها الأشتر(٣) فضرب وجه بغلتها حتى مالت فقالت: ردوني لا يفضحني هذا قال الحسن في حديثه: ثم وضعت خشباً من منزلها إلى منزل عثمان تنقل عليه الماء والطعام(٤).

فقد كانت رضي الله عنها من سيدات النساء عبادة وورعاً وزهادة وبراً وصدقة رضي الله عنها وأرضاها.

* * * * *

---

(١) الطبقات الكبرى ١٢٨/٨، وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٣٥/٢، والحافظ في الإصابة ٣٣٩/٤.

(٢) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٣٩/٤.

(٣) اسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن جزيمة بن مالك بن النخع النخعي الكوفي المعروف بالأشتر، كان أحد الساعين في الفتنة زمن عثمان رضي الله عنه وأحد المؤلبين على عثمان وشهد حصره، هلك سنة ٣٧ "انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١١/١٠ - ١٢.

(٤) الطبقات الكبرى ١٢٨/٨.

ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها

هي ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بحير بن الهزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر أن صعصعة الهلالية، وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة من حمير، وقيل: من كنانة، وكانت قبل النبي ﷺ عند أبي رهم بن عبد العزى، وقيل: عند سبرة بن أبي رهم هذا، وقيل: عند حويطب بن عبد العزى، وقيل: عند فروة أخيه وتزوجها رسول الله ﷺ في ذي القعدة سنة سبع لما اعتمر عمرة القضية زوجه إياها العباس بن عبد المطلب، وكان يلي أمرها وهي أخت أم ولده أم الفضل بنت الحارث الهلالية لأبيها وأمها، وتزوجها رسول الله ﷺ بسرف على عشرة أميال من مكة، وهي آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ (١).

ولقد وردت مناقبها رضي الله عنها في أحاديث دلت على أنها كانت من سادات النساء رضي الله عنها وأرضاها.

١ - من تلك الأحاديث ما أخرجه ابن سعد بإسناده إلى علي بن عبد الله بن عباس قال: لما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى مكة عام القضية بعث أوس بن خولي وأبا رافع إلى العباس فزوجه ميمونة، فأضلا بعيريهما، فأقاما أياماً ببطن رابغ، حتى أدركهما رسول الله ﷺ بقديد، وقد ضما بعيريهما، فسارا معه حتى قدم مكة، فأرسل إلى العباس، فذكر ذلك له وجعلت ميمونة أمرها إلى رسول الله ﷺ (٢)، فجاء رسول الله منزل العباس فخطبها إلى العباس فزوجها إياه"(٣).

٢ - وروى أيضاً بإسناده إلى سليمان بن يسار: أن النبي ﷺ بعث أبا رافع ورجلاً من الأنصار، فزوجاه ميمونة قبل أن يخرج من المدينة"(٤).

٣ - وروى أيضاً بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما خطب رسول الله

---

(١) انظر ترجمتها في: الطبقات الكبرى لابن سعد ١٣٢/٨ - ١٤٠، المستدرك للحاكم ٣٠/٤ - ٣٣، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٩١/٤ - ٣٩٥، أسد الغابة ٥٥٠/٥، سير أعلام النبلاء ٢٣٨/٢ - ٢٤٥، البداية والنهاية ٦٣/٨، الإصابة ٣٩٧/٤ - ٣٩٩، مجمع الزوائد ٢٤٩/٣.

(٢) قال الذهبي رحمه الله تعالى: "كذا قال: وصوابه إلى العباس" سير أعلام النبلاء ٢٣٩/٢.

(٣) الطبقات ١٣٢/٨.

(٤) الطبقات الكبرى ١٣٣/٨، وأخرجه مالك في الموطأ ٣٤٨/١.

ﷺ ميمونة جعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب فزوجها رسول الله ﷺ [١].

في هذه الأحاديث الثلاثة منقبة عظيمة لأم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها وأرضاها، فقد أكرمها الله - عز وجل - بأن جعلها إحدى أمهات المؤمنين اللاتي هن أزواجه عليه الصلاة والسلام في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

٤ - روى الحاكم بإسناده إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، وأقام بمكة ثلاثاً، فأتاه حويطب بن عبد العزى، في نفر من قريش في اليوم الثالث، فقالوا له: إنه قد انقضى أجلك، فاخرج عنا، قال: وما عليكم لو تركتموني، فأعرست بين أظهركم، فصنعت لكم طعاماً، فحضرتموه قالوا: لا حاجة لنا في طعامك، فاخرج عنا فخرج بميمونة بنت الحارث رضي الله عنها حتى أعرس بها بسرف[٢].

٥ - روى الإمام أحمد بإسناده إلى أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: كنت في بعث مرة فقال رسول الله ﷺ : **«اذهب فأتني بميمونة»** فقلت: يا رسول الله: إني في البعث فقال رسول الله ﷺ : **«أليس تحب ما أحب؟»** فقلت: بلى قال: **«فاذهب فأتني بها»** فذهبت فجئته بها[٣].

٦ - إن تسميتها باسم "ميمونة" إنما سماها بهذا الاسم المبارك الميمون المصطفى ﷺ. فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان اسم خالتي ميمونة برة فسماها رسول الله ﷺ ميمونة"[٤].

٧ - شهد لها المصطفى عليه الصلاة والسلام بحقيقة الإيمان واستقراره في قلبها رضي الله عنها. فقد روى الحاكم بإسناده أيضاً إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال

---

(١) الطبقات ١٣٣/٨.

(٢) المستدرك ٣١/٤ وقال عقبه: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي" وكلمة "سرف": اسم مكان يبعد عن مكة ستة أميال وقيل سبعة وتسعة واثني عشر وهو الموضع الذي بنى فيه رسول الله ﷺ بميمونة "انظر معجم البلدان" ٢١٢/٣.

(٣) المسند مع الفتح الرباني ١٣٧/٢٢ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٨/٩، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير الحسن بن علي بن أبي رافع وهو ثقة.

(٤) المستدرك ٣٠/٤ وقال عقبه: "صحيح" ووافقه الذهبي.

رسول الله ﷺ : **«الأخوات مؤمنات، ميمونة زوج النبي ﷺ، وأختها أم الفضل بنت الحارث، وأختها سلمة بنت الحارث امرأة حمزة، وأسماء بنت عميس أختهن لأمهن»** [١].

هذا الحديث اشتمل على منقبة عظيمة وفضيلة ظاهرة لأم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها وأخواتها اللاتي ذكرن معها رضي الله عنهن وأرضاهن.

٨ - روى أبو يعلى بإسناده إلى يزيد بن الأصم قال: "ثقلت ميمونة زوج النبي ﷺ بمكة وليس عندها أحد من بني أخيها فقالت: أخرجوني من مكة، فإني لا أموت بها، إن رسول الله ﷺ أخبرني أني لا أموت بمكة، قال: فحملوها حتى أتوا بها سرف إلى الشجرة التي بنا بها رسول الله ﷺ تحتها في موضع، الفيئة قال: فماتت فلما وضعناها في لحدها أخذت ردائي فوضعته تحت خدها في اللحد فأخذه ابن عباس فرمى به"[٢]. فقد شاء الله تعالى لها أن تموت في المكان الذي بنى بها فيه الرسول ﷺ فقد بنى بها بسرف، وماتت رضي الله عنها في نفس المكان الذي بنى بها فيه، وفيه إخبار الرسول ﷺ لها بأنها لا تموت بمكة وفهمها لذلك منقبة ظاهرة لها، ولذلك طلبت أن يخرجوها من مكة. رضي الله عنها وأرضاها.

٩ - ومن مناقبها رضي الله عنها: ما رواه ابن سعد والحاكم عن يزيد بن الأصم قال: "تلقيت عائشة وهي مقبلة من مكة أنا وابن طلحة بن عبيد الله وهو ابن أختها، وقد كنا وقعنا في حائط من حيطان المدينة، فأصبنا منه فبلغها ذلك، فأقبلت على ابن أختها تلومه وتعذله[٣]، ثم أقبلت علي، فوعظتني موعظة بليغة، ثم قالت: أما علمت أن الله - تبارك وتعالى - ساقك حتى جعلك في بيت نبيه؟ ذهبت والله ميمونة ورمي بحبلك على غاربك، أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم[٤]"[١].

---

(١) المستدرك ٣٢/٤ - ٣٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي، ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ١٣٨/٨.

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٩/٩، وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

(٣) العزل: اللوم، انظر غريب الحديث لابن الجوزي ٧٧/٢.

(٤) قال الذهبي: "قلت: فيه دليل على أن ميمونة ماتت قبل عائشة، فبطل قول من قال: ماتت سنة إحدى

فقد شهدت عائشة أم المؤمنين لميمونة رضي الله عنها بصفتين عظيمتين من صفات عباد الله المخلصين هما تقوى الله التي هي فعل المأمور وترك المنهي، وصلة الرحم التي هي أصل من أصول الأخلاق التي حث الله عباده على صلتها وعدم قطعها.

وجزم الحافظ ابن كثير بأنها توفيت سنة إحدى وخمسين(٢).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: "وكانت وفاة ميمونة سنة إحدى وخمسين، ونقل ابن سعد عن الواقدي أنها ماتت سنة إحدى وستين قال: وهي آخر من مات من أزواج النبي ﷺ انتهى، ولولا هذا الكلام الأخير لاحتمل أن يكون قوله: وستين وهماً من بعض الرواة، ولكن دل أثر عائشة الذي حكاه عنها يزيد بن الأصم أن عائشة ماتت قبل الستين بلا خلاف والأثر المذكور صحيح، فهو أولى من قول الواقدي، وقد جزم يعقوب بن سفيان بأنها ماتت سنة تسع وأربعين، وقال غيره: ماتت سنة ثلاث وستين، وقيل: سنة ست وستين وكلاهما غير ثابت والأول أثبت"(٣).

فهؤلاء جملة من دخل بهن من النساء وهن إحدى عشرة(٤).

قال العلامة ابن القيم: "قال الحافظ أبو محمد المقدسي وغيره: وعقد على سبع ولم يدخل بهن. فمن فارقها في حياتها ولم يدخل بها لا يثبت لها أحكام زوجاته اللاتي دخل بهن ومات عنهن ﷺ، ا. هـ(٥).

"ولا خلاف أنه ﷺ توفي عن تسع وكان يقسم منهن لثمان: عائشة، وحفصة، وزينب بنت جحش، وأم سلمة، وصفية، وأم حبيبة، وميمونة، وسودة،

وستين"اهـ، التلخيص للذهبي على حاشية المستدرك ٣٢/٤.

(١) الطبقات الكبرى ١٣٨/٨، المستدرك ٣١/٤ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي، وأورده الحافظ في الإصابة ٣٩٩/٤ وقال عقبه: "هذا سند صحيح".

(٢) البداية والنهاية ٦٣/٨.

(٣) الإصابة ٣٩٩/٤.

(٤) جلاء الأفهام ص/١٣٨.

(٥) المصدر السابق ص/١٣٨ - ١٣٩.

وجويرية"[١].

هؤلاء أمهات المؤمنين اللاتي يجب على كل مسلم الإقرار والاعتراف بفضلهن وأنهن أمهات المؤمنين، كما أطلق الله ذلك عليهن وأن من طعن فيهن أو واحدة كان فاسقاً حائداً عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قال أبو بكر الباقلاني: "ويجب أن يعلم أن أخير الأمة أصحاب رسول الله ﷺ، وأفضل الصحابة العشرة الخلفاء الراشدون الأربعة رضي الله عن الجميع وأرضاهم ونقر بفضل أهل بيت رسول الله ﷺ، وكذلك نعترف بفضل أزواجه رضي الله عنهن، وأنهن أمهات المؤمنين، كما وصفهن الله تعالى ورسوله، ونقول في الجميع خيراً ونبدع ونضلل، ونفسق من طعن فيهن أو في واحدة منهن لنصوص الكتاب والسنة في فضلهم ومدحهم، والثناء عليهم فمن ذكر خلاف ذلك كان فاسقاً مخالفاً للكتاب والسنة نعوذ بالله من ذلك"[٢].

* * * * *

(١) زاد المعاد ١١٤/١.

(٢) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص/٦٨.

زينب رضي الله عنها

هي زينب بنت سيد ولد آدم محمد ﷺ، وأمها خديجة بنت خويلد، وكانت أكبر بنات رسول الله ﷺ، وأول من تزوج منهن ولدت قبل البعثة بمدة، قيل: إنها عشر سنين وتزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع العبشمي، وأمه هالة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي خالة زينب بنت رسول الله ﷺ، وولدت زينب لأبي العاص علياً وأمامة، فتوفي علي وهو صغير وبقيت أمامة فتزوجها علي بن أبي طالب بعد موت فاطمة بنت رسول الله ﷺ (١).

ولقد وردت مناقبها رضي الله عنها في جملة الأحاديث وهي كما يلي:

١ - روى ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها أن أبا العاص بن الربيع كان فيمن شهد بدراً مع المشركين، فأسره عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري، فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، قدم في فداء أبي العاص أخوه عمرو بن الربيع، وبعثت معه زينب بنت رسول الله، وهي يومئذ بمكة بقلادة لها كانت لخديجة بنت خويلد من جزع ظفار - وظفار جبل باليمن -، وكانت خديجة بنت خويلد أدخلتها بتلك القلادة على أبي العاص بن الربيع حين بنى بها فبعثت بها في فداء زوجها أبي العاص، فلما رأى رسول الله ﷺ القلادة عرفها ورق لها، وذكر خديجة وترحم عليها وقال: «**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا إليها متاعها فعلتم**» قالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوا أبا العاص بن الربيع، وردوا على زينب قلادتها، وأخذ النبي ﷺ على أبي العاص أن يخلي سبيلها إليه فوعده ذلك ففعل(٢).

٢ - وروى أبو القاسم الطبراني والبزار عن عائشة زوج النبي ﷺ لما قدم

---

(١) انظر ترجمتها في "الطبقات لابن سعد" ٣٠/٨ - ٣٦، التاريخ الصغير ٧/١، المستدرك ٤٢/٤ - ٤٦، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٠٤/٤ - ٣٠٥، أسد الغابة ١٣٠/٧، العبر ١٠/١، سير أعلام النبلاء ٢٤٦/٢ - ٢٥٠، مجمع الزوائد ٢١٢/٩ - ٢١٦، الإصابة ٣٠٦/٤.

(٢) الطبقات ٣١/٨، المستدرك للحاكم ٤٥/٤ وقال: "حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

مكة[١]، خرجت ابنته زينب من مكة مع كنانة أو ابن كنانة، فخرجوا في طلبها، فأدركها هبار بن الأسود، فلم يزل يطعن بعيرها برمحه، حتى صرعها، وألقت ما في بطنها، فتحملت واشتجر فيها بنو هاشم وبنو أمية، فقال بنو أمية: نحن أحق بها وكانت تحت ابن عمهم أبي العاص، وكانت عند هند بنت عتبة بن ربيعة وكانت تقول: هذا في سبب أبيك فقال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة: **«ألا تنطلق فتجيء بزينب»** قال: بلى يا رسول الله قال: **«فخذ خاتمي فأعطها إياه»** فانطلق زيد فلم يزل يتلطف فلقي راعياً فقال: لمن ترعى فقال: لأبي العاص فقال: لمن هذه الغنم فقال: لزينب بنت محمد ﷺ فسار معه شيئاً ثم قال هل لك أن أعطيك شيئاً تعطيها إياه ولا تذكره لأحد؟ قال: نعم فأعطاه الخاتم فعرفته، فقالت: من أعطاك هذا؟ قال: رجل قالت: فأين تركته؟ قال: بمكان كذا وكذا فسكتت حتى إذا كان الليل خرجت إليه فلما جاءته، قال لها: اركبي بين يدي على بعيره، قالت: لا ولكن اركب أنت بين يدي فركب وركبت وراءه حتى إذا أتت فكان رسول الله ﷺ يقول: **«هي خير بناتي أصيبت في»** [٢].

٣ - وروى البزار بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بعث رسول الله ﷺ سرية وكنت فيهم فقال: **«إن لقيتم هبار بن الأسود ونافع بن عبد عمرو فاحرقوهما»** وكانا نخسا بزينب بنت رسول الله ﷺ حين خرجت، فلم تزل ضبنة[٣] حتى ماتت ثم قال: **«إن لقيتموهما، فاقتلوهما فإنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بعذاب الله»** [٤].

وعند البخاري رحمه الله تعالى من حديث أبي هريرة قال: بعثنا رسول الله ﷺ

---

(١) كذا في المعجم ولعل الصواب "لما قدم المدينة" كما في المستدرك ٤٣/٤.

(٢) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٢/٩ - ٢١٣، ثم قال: "رواه الطبراني في الكبير والأوسط بعضه ورواه البزار ورجاله رجال الصحيح" ورواه الدولابي في الذرية الطاهرة ص/٤٦.

(٣) ضبنة: أي زمنة، من الضبنة وهي الزمانة وهي المرض الدائم، "انظر هذا المعنى في الفائق في غريب الحديث" ٢٢٨/٢.

(٤) أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٤٧/٢، وقال المحقق: إسناده قوي فإن راويه عن ابن لهيعة ابن المبارك وقد سمع منه قبل احتراق كتبه" اهـ، وانظر الحديث في السيرة لابن هشام ٦٥٧/١، وأورده الحافظ في الإصابة ٥٦٥/٣ - ٥٦٦ وعزاه إلى تاريخ محمد بن عثمان بن أبي شيبة.

في بعث فقال: **«إن وجدتم فلاناً وفلاناً فاحرقوهما بالنار»** ثم قال رسول الله ﷺ حين أردنا الخروج: **«إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً، وأن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموهما فاقتلوهما»** (١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: ووقع في رواية ابن إسحاق: **«إن وجدتم هبار بن الأسود، والرجل الذي سبق منه إلى زينب ما سبق فاحرقوهما بالنار»** يعني زينب بنت رسول الله ﷺ، وكان زوجها أبو العاص بن الربيع لما أسره الصحابة ثم أطلقه النبي ﷺ من المدينة وشرط عليه أن يجهز له ابنته زينب، فجهزها فتبعها هبار ابن الأسود ورفيقه فنخسا بعيرها فأسقطت، ومرضت من ذلك، والقصة مشهورة عند ابن إسحاق(٢) وغيره... إلى أن قال: وقد أسلم هبار هذا فلم تصبه السرية وأصابه الإسلام فهاجر(٣).

روى الحاكم بإسناده إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ أن زينب بنت رسول الله ﷺ أرسل إليها أبو العاص بن الربيع، أن خذي لي أماناً من أبيك، فخرجت فأطلعت رأسها من باب حجرتها، والنبي ﷺ في الصبح يصلي بالناس، فقالت: أيها الناس: إني زينب بنت رسول الله ﷺ وإني قد أجرت أبا العاص، فلما فرغ النبي ﷺ من الصلاة قال: **«أيها الناس، إنه لا علم لي بهذا حتى سمعتموه، ألا وإنه يجير على المسلمين أدناهم»** (٤).

ففي هذا الحديث منقبة ظاهرة لزينب رضي الله عنها، حيث قبل جوارها لزوجها وصار ذلك سنة للمسلمين إلى يوم القيامة، وهو أنه يجير على المسلمين أدناهم ولو كان امرأة.

٥ - روى الإمام مسلم بإسناده إلى أم عطية قالت: لما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ قال لنا رسول الله ﷺ : **«اغسلنها وتراً ثلاثاً أو خمساً، واجعلن**

---

(١) صحيح البخاري ١٧٢/٢.
(٢) انظر سيرة ابن هشام ٦٥٤/١، المستدرك ٤٢/٤ - ٤٣.
(٣) فتح الباري ١٤٩/٦ - ١٥٠، الإصابة ٥٦٦/٣.
(٤) أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية ١٥٧/١ - ١٥٨، ابن سعد في الطبقات ٣٢/٨، والحاكم في المستدرك ٤٥/٤، والدولابي في الذرية الطاهرة ص/٤٧، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٣٦٤/٣ - ٣٦٥.

في الخامسة كافوراً أو شيئا من كافور فإذا غسلتنها فأعلمنني» قالت: فأعلمناه فأعطانا حقوه[١] وقال: **«أشعرنها [٢] إياه»** [٣].

هذه الأحاديث المتقدمة كلها اشتملت على بيان مناقب عالية، لزينب بنت رسول الله ﷺ حيث كانت ممن تقدم إسلامهم، وممن حظي بشرف الهجرة، وممن أوذي في الله، وصبرت على ذلك، وتحملت الأذى في ذات الله وإيماناً بما عنده من الثواب والجزاء العظيم على ذلك، كما دلت هذه الأحاديث على أنه كان لها منزلة عظيمة عند أبيها ﷺ وكانت وفاتها رضي الله عنها في أول السنة الثامنة للهجرة[٤].

* * * * *

---

(١) الحقو: معقد الإزار، وسمي الإزار حقواً لأنه يشد على الحقو "النهاية في غريب الحديث" ٤١٧/١، شرح النووي ٣/٧.

(٢) أشعرنها: أي: اجعلنه شعاراً لها، وهو الثوب الذي يلي الجسد لأنه يلي شعرها "النهاية في غريب الحديث" ٢٨٠/٢، شرح النووي على صحيح مسلم ٣/٧.

(٣) صحيح البخارى ١٢٥٣ مسلم ٩٣٩.

(٤) الطبقات ٣٢/٨، سير أعلام النبلاء ٢٥٠/٢، الإصابة ٣٠٦/٤.

رقية رضي الله عنها

هي رقية بنت سيد البشر ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وأمها خديجة بنت خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصي، ولدت رضي الله عنها سنة ثلاث وثلاثين من مولد أبيها ﷺ. قال أبو عمرو: "لا أعلم خلافاً أن زينب أكبر بناته ﷺ واختلف فيمن بعدها منهن، ذكر أبو العباس محمد بن إسحاق السراج قال: سمعت عبد الله بن محمد بن سليمان بن جعفر بن سليمان الهاشمي، قال: ولدت زينب بنت رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ ابن ثلاثين سنة وولدت رقية بنت رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ ابن ثلاث وثلاثين سنة[(١)].

وكانت رضي الله عنها ممن تقدم إسلامهم فقد قال محمد بن سعد: "وأسلمت حين أسلمت أمها خديجة بنت خويلد وبايعت رسول الله ﷺ هي وأخواتها حين بايعه النساء"[(٢)].

وكانت رضي الله عنها قبل الهجرة تحت عتبة بن أبي لهب ففارقها[(٣)].

قال أبو عمر رحمه الله تعالى: وقال مصعب وغيره من أهل النسب: كانت رقية تحت عتبة بن أبي لهب، وكانت أختها أم كلثوم تحت عتيبة بن أبي لهب فلما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١] قال لهما أبوهما أبو لهب، وأمهما حمالة الحطب: فارقا ابنتي محمد وقال أبو لهب: رأسي من رأسيكما حرام إن لم تفارقا ابنتي محمد ففارقاهما[(٤)].

ولما فارقها عتبة بن أبي لهب، أبدلها الله بزوج كان من السابقين الأولين إلى الإسلام ومن المبشرين بالجنة، وهو ذو النورين عثمان، فقد روى أبو القاسم الطبراني بإسناده إلى قتادة بن دعامة السدوسي قال: كانت رقية عند عتبة بن أبي لهب فلما أنزل الله - تبارك وتعالى -: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١]، سأل النبي ﷺ عتبة طلاق رقية، وسألته رقية ذلك فطلقها فتزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه رقية

---

(١) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٩٢/٤.

(٢) الطبقات ٣٦/٨.

(٣) المصدر السابق، وانظر سير أعلام النبلاء ٢٥١/٢، مجمع الزوائد ٢١٦/٩ - ٢١٧.

(٤) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٩٢/٤.

وتوفيت عنده[١].

وقال ابن شهاب: فتزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه رقية بمكة، وهاجرت إلى أرض الحبشة وولدت له هناك ابناً فسماه عبد الله، فكان يكنى به، وقال مصعب كان عثمان يكنى في الجاهلية أبا عبد الله، فلما كان الإسلام ولد له من رقية بنت رسول الله ﷺ غلام سماه عبد الله، واكتنى به، فبلغ الغلام ست سنين، فنقر عينه ديك فتورم وجهه، ومرض ومات، وقال غيره توفي عبد الله بن عثمان من رقية بنت رسول الله ﷺ في جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة، وهو ابن ست سنين، وصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل في حفرته أبوه عثمان رضي الله عنهما"[٢].

وقد وردت طائفة من الأحاديث والآثار التي فيها ذكر بعض المناقب لرقية رضي الله عنها ومنه ما يلي:

١ - كانت رضي الله عنها في صدارة من شرفوا بفضل الهجرة الأولى إلى الحبشة فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى عروة في تسمية الذين خرجوا في المرة الأولى إلى هجرة الحبشة قبل خروج جعفر وأصحابه عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ [٣].

وروى ابن المبارك من طريق قتادة عن النضر بن أنس عن أبيه قال: خرج عثمان برقية إلى الحبشة مهاجراً فاحتبس خبرهما، فأتت النبي ﷺ امرأة فأخبرته أنها رأتهما فقال: "منحهما الله إن عثمان أول من هاجر بأهله" [٤].

ففي هذا منقبة لعثمان وزوجه رقية حيث إن عثمان أول من هاجر بأهله من أمة محمد ﷺ.

٣ - لما مرضت رضي الله عنها أمر المصطفى عليه الصلاة والسلام زوجها عثمان بن عفان أن يتخلف عن غزوة بدر لتمريضها. فقد روى البخاري في صحيحه

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٦/٩ - ٢١٧ وقال: رواه الطبراني وفيه زهير بن العلاء، ضعفه أبو حاتم، ووثقه ابن حبان فالإسناد حسن، وانظر الذرية الطاهرة ص/٥٢.

(٢) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٩٢/٤ - ٢٩٣، وانظر الذرية الطاهرة ص/٥٣.

(٣) المستدرك ٤٦/٤.

(٤) أورده الحافظ في الإصابة ٢٩٨/٤.

من حديث ابن عمر قال: وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال لـه رسول الله ﷺ : **«إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه»** [(١)].

وقال الزبير بن بكار: كانت رقية بنت رسول الله ﷺ عند عتبة بن أبي لهب، ففارقها فتزوج عثمان بن عفان رقية بمكة، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة، فولدت لـه عبد الله، وبه كان يكنى، وقدمت معه إلى المدينة، وتخلف عن بدر عليها بإذن رسول الله ﷺ، وضرب لـه رسول الله ﷺ مع سهمان أهل بدر قال: وأجرى يا رسول الله قال: **«وأجرك»** [(٢)].

وقال الحافظ ابن كثير: وأما رقية فكان قد تزوجها أولا ابن عمها عتبة ابن أبي لهب، كما تزوج أختها أم كلثوم أخوه عتيبة بن أبي لهب، ثم طلقاهما قبل الدخول بهما بغضة في رسول الله ﷺ حين أنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾﴾ [المسد: ١ - ٥] فتزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه رقية، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة، ويقال: إنه أول من هاجر إليها ثم رجع إلى مكة وهاجر إلى المدينة، وولدت لـه ابنه عبد الله فبلغ ست سنين، فنقره ديك في عينيه، فمات وبه كان يكنى أولاً، ثم اكتنى بابنه عمرو، وتوفيت، وقد انتصر رسول الله ﷺ ببدر يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، ولما أن جاء البشير بالنصر إلى المدينة - وهو زيد بن حارثة - وجدهم قد ساووا على قبرها التراب[(٣)]، وكان عثمان قد أقام عليها يمرضها بأمر رسول الله ﷺ وضرب لـه بسهمه، وأجره ولما رجع زوجه بأختها أم كلثوم أيضاً، ولهذا كان يقال لـه: ذو النورين، ثم ماتت عنده في شعبان سنة تسع ولم تلد لـه شيئاً وقد قال رسول الله ﷺ : **«لو كانت عندي ثالثة لزوجتها عثمان»** وفي رواية: قال رسول الله ﷺ : **«لو كن عشراً لزوجتهن عثمان»** [(٤)].

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٥٤/٧.

(٢) رواه الطبراني كما في مجمع الزوائد ٢١٧/٩، وقال الهيثمي عقبه: "رواه الطبراني وروى عن الزهري بعضه فرجاله إلى قائلها ثقات وانظر الذرية الطاهرة للدولابي ص/٥٤.

(٣) انظر الطبقات لابن سعد ٣٧/٨، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٢٩٤/٤، سير أعلام النبلاء ٢٥٢/٢، البداية والنهاية ٣٨١/٣، مجمع الزوائد ٢١٧/٩، الإصابة ٢٩٨/٤.

(٤) البداية والنهاية ٣٤٦/٥ - ٣٤٧، وانظر الطبقات لابن سعد ٣٨/٨.

وما تقدم من الآثار وبعض الأحاديث كلها تدل على فضل رقية بنت رسول الله ﷺ فقد أراد الله - جل وعلا - ألا تبقى بضعة من المصطفى عليه الصلاة والسلام في عصمة كافر، فقد أخرج الله ابنتيه رقية وأم كلثوم من عصمة ابني أبي لهب، وكتب الله لرقية أن تتزوج بعد مفارقة ابن أبي لهب لها برجل كريم تستحي منه الملائكة، فكان نعم الزوج لها، ونعمت الزوجة له، هاجرا معاً إلى أرض الحبشة، ليحصلا على مكان يعبدان الله تعالى فيه ليأمنا من اعتداء أهل الكفر والإشراك بالله، ورغبة صادقة منهما في حصول ثواب الهجرة الذي لا يعدله شيء، وكانت لها رضي الله عنها منزلة عظيمة عند النبي ﷺ يدل عليها إذنه عليه الصلاة والسلام لعثمان في أن يتأخر عن غزوة بدر، التي هي أول معركة عظمى يخوضها جيش الإيمان مع جيش الكفر والشرك الذي جاء من مكة، وأمره أن يتأخر لتمريضها رضي الله عنها، وضرب له بسهمه في الغنيمة، وأجره عند الله تعالى يوم القيامة كمن حضر الغزوة، كل ذلك تعظيم لشأن رقية رضي الله عنها وأرضاها ولما لها من المكانة العالية عنده ﷺ.

* * * * *

أم كلثوم رضي الله عنها

هي البضعة النبوية الثالثة أم كلثوم بنت سيد ولد آدم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، أمها خديجة بنت خويلد كان عتيبة بن أبي لهب، قد تزوج بأم كلثوم قبل البعثة، فلم يدخل عليها حتى بعث النبي ﷺ، فأمره أبوه بفراقها لما أنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١] قال له أبوه أبو لهب: رأسي من رأسك حرام، إن لم تطلق ابنته ففارقها، ولم يكن دخل بها فلم تزل بمكة مع أبيها عليه الصلاة والسلام، وأسلمت حين أسلمت أمها وبايعت رسول الله ﷺ مع أخواتها حين بايعه النساء، وهاجرت إلى المدينة فلم تزل بها، ولما توفيت أختها رقية زوجها النبي ﷺ على عثمان بن عفان وذلك في شهر ربيع الأول سنة ثلاث من الهجرة، وأدخلت عليه في هذه السنة في جمادى الآخرة، فلم تزل عنده إلى أن ماتت ولم تلد له شيئاً[١].

وقد وردت لها مناقب دلت على أنها ذات منزلة ومقام رفيع رضي الله عنها وأرضاها وهي كما يلي:

١ - ما ذكره أبو عمر بن عبد البر حيث قال: وكان عثمان رضي الله عنه إذ توفيت رقية قد عرض عليه عمر بن الخطاب حفصة ابنته ليتزوجها، فسكت عثمان عنه لأنه قد كان سمع رسول الله ﷺ يذكرها، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: **«ألا أدل عثمان على من هو خير له منها وأدلها على من هو خير لها من عثمان؟»** فتزوج رسول الله ﷺ حفصة، وزوج عثمان أم كلثوم [٢].

روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: شهدنا بنتاً لرسول الله ﷺ قال: ورسول الله ﷺ جالس على القبر قال: فرأيت عينيه تدمعان قال: فقال: **«هل منكم رجل لم يقارف[٣] الليلة؟»** فقال أبو طلحة: أنا، قال: **«فانزل»** قال: فنزل في

---

(١) الطبقات لابن سعد ٣٧/٨ - ٣٩، الذرية الطاهرة للدولابي ص/٥٦، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٤٦٣/٤ - ٤٦٥، أسد الغابة ٣٨٤/٧، سير أعلام النبلاء ٢٥٢/٢ - ٢٥٣، البداية والنهاية ٣٤٦/٣ - ٣٤٧، مجمع الزوائد ٢١٦/٩ - ٢١٧، الإصابة ٤٦٦/٤.

(٢) الإستيعاب على حاشية الإصابة ٤٦٤/٤.

(٣) أي: لم يجامع أهله، "انظر النهاية في غريب الحديث والأثر" ٤٥/٤.

قبرها[١].

قال الحافظ: قوله شهدنا بنتاً للنبي ﷺ هي أم كلثوم زوج عثمان رواه الواقدي عن فليح بن سليمان بهذا الإسناد وأخرجه ابن سعد في الطبقات[٢] في ترجمة ابن كلثوم وكذا الدولابي في الذرية الطاهرة[٣]، وكذلك رواه الطبري والطحاوي من هذا الوجه، ورواه حماد ابن سلمة عن ثابت عن أنس، فسماها رقية، أخرجه البخاري في التاريخ الأوسط والحاكم في المستدرك[٤]. قال البخاري: ما أدري ما هذا، فإن رقية ماتت والنبي ﷺ ببدر ولم يشهدها قلت: وهم حماد في تسميتها فقط ويؤيد الأول ما رواه ابن سعد في ترجمة أم كلثوم[٥] من طريق عمرة بنت عبد الرحمن، قالت: نزل في حفرتها أبو طلحة[٦].

٣ - ما رواه ابن سعد في ترجمتها من أنها رضي الله عنها لما مات صلى على جنازتها النبي ﷺ فقد روى بإسناده إلى أسعد بن زرارة قال: صلى عليها رسول الله ﷺ وجلس على حفرتها، ونزل في حفرتها علي بن أبي طالب والفضل بن عباس وأسامة بن زيد[٧].

فهذا الحديث اشتمل على فضيلة ظاهرة لأم كلثوم بنت النبي ﷺ حيث كان عليه الصلاة والسلام إمام المصلين على جنازتها، وكفى بها منقبة وميزة شريفة لما في دعائه المبارك لها بالرحمة والمغفرة، ورفع درجتها في الجنة رضي الله عنها وأرضاها، وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة تسع للهجرة[٨].

* * * * *

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٥١/٣ والإمام أحمد في المسند ١٢٦/٣.
(٢) الطبقات الكبرى ٣٨/٨.
(٣) والذرية الطاهرة ص/٦٠.
(٤) المستدرك ٤٧/٤.
(٥) الطبقات لابن سعد ٣٨/٨.
(٦) فتح الباري ١٥٨/٣.
(٧) الطبقات لابن سعد ٣٩/٨ ٩.
(٨) انظر الطبقات ٣٨/٨، البداية والنهاية ٣٤٧/٣، الإصابة ٤٦٦/٤.

فاطمة رضي الله عنها

هي فاطمة بنت إمام المتقين رسول الله ﷺ، وأمها خديجة بنت خويلد كانت تكنى بأم أبيها[(١)]، وقد اختلف العلماء في بناته عليه الصلاة والسلام في أيتهن أصغر، قال أبو عمر ابن عبد البر: والذي تسكن إليه النفس على ما تواترت به الأخبار ترتيب بنات رسول الله ﷺ أن زينت الأولى، ثم الثانية رقية، ثم الثالثة، أم كلثوم ثم الرابعة فاطمة الزهراء[(٢)].

ولدت رضي الله عنها وقريش تبني الكعبة قبل البعثة سنة خمس وثلاثين من مولد النبي ﷺ [(٣)]، زوجها النبي ﷺ علي بن أبي طالب سنة اثنتين للهجرة بعد وقعة بدر، وولد له الحسن والحسين ومحسناً وأم كلثوم، وزينب، وقد تزوج الفاروق عمر رضي الله عنه بأم كلثوم بنت علي من فاطمة في أيام خلافته وأكرمها إكراماً زائداً، وأصدقها أربعين ألف درهم لأجل نسبها من رسول الله ﷺ فولدت له زيد بن عمر بن الخطاب[(٤)]، ومناقب فاطمة رضي الله عنها كثيرة شهيرة ومنها ما يلي:

١ - أن النبي ﷺ كان يحبها حباً شديداً ويسر لسرورها ويغضب لغضبها رضي الله عنها. فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى بريدة رضي الله عنه قال: كان أحب النساء إلى رسول الله ﷺ فاطمة ومن الرجال علي[(٥)].

٢ - روى أيضاً بإسناده إلى المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ : **«إنما فاطمة شجنة[(٦)] مني يبسطني ما يبسطها ويقبضني ما يقبضها»** [(٧)].

---

(١) انظر أسد الغابة ٥٢٠/٥، الإصابة ٣٦٥/٤.

(٢) الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٦٢/٤.

(٣) انظر الطبقات لابن سعد ٢٦/٨.

(٤) انظر ترجمة فاطمة رضي الله عنها في: " الطبقات لابن سعد ١٩/٨ - ٣٠، حلية الأولياء ٣٩/٢ - ٤٣، المستدرك ١٥١/٣ - ١٦١، الاستيعاب على حاشية الإصابة ٣٦٢/٤ - ٣٦٩، أسد الغابة ٥١٩/٥ - ٥٢٤، سير أعلام النبلاء ١١٨/٢ - ١٣٤، البداية والنهاية ٣٤٧/٥، مجمع الزوائد ٢٠١/٩ - ٢١٢، الإصابة ٣٦٥/٤ - ٣٦٨، فتح الباري ١٠٥/٣.

(٥) المستدرك ١٥٥/٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٦) شجنه: قال في النهاية ٤٤٧/٢، وأصل الشجنة بالكسر والضم: شعبة في غصن من غصون الشجرة" والمراد بها الرحم المشتبكة.

(٧) المستدرك ١٥٤/٣ وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وقد غضب لها عليه الصلاة والسلام لما هم علي رضي الله عنه بخطبة ابنة أبي جهل وأعلن غضبه ذلك من على المنبر.

٣ - روى الشيخان عن المسور بن مخرمة أنه سمع رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول: «**إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنته، فإنما ابنتي بضعة مني، يريبني ما رابها**[١] **ويؤذيني ما آذاها**» [٢].

٤ - وبلفظ آخر عند مسلم قال: إن عليَّ بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل على فاطمة فسمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس في ذلك على منبره هذا، وأنا يومئذ محتلم فقال: «**إن فاطمة مني، وإني أتخوف أن تفتن في دينها**» قال: ثم ذكر صهراً له من بني عبدي شمس، فأثنى عليه في مصاهرته إياه، فأحسن قال: «**حدثني فصدقني، ووعدني فأوفى لي، وإني لست أحرم حلالاً، ولا أحل حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله في مكانٍ واحدٍ أبداً**» [٣].

٥ - وروى الشيخان عن المسور بن مخرمة أن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبي ﷺ فقالت له: إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكحاً ابنة أبي جهل. قال المسور: فقام النبي ﷺ فسمعته حين تشهد ثم قال: «**أما بعد فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع، فحدثني فصدقني، وإن فاطمة بنت محمد مضغة** [٤] **مني، وإنما أكره أن يفتنوها، وإنها والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله عند رجل واحد أبداً**» قال: فترك علي الخطبة[٥].

٦ - روى البخاري بإسناده إلى المسور بن مخرمة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

---

(١) قال في النهاية في غريب الحديث ٢٨٧/٣: «**يريبني ما يريبها**» أي: يسوؤني ما يسوؤها ويزعجني ما يزعجها.

(٢) صحيح البخاري ٣١١٠، صحيح مسلم ٢٤٤٩.

(٣) صحيح مسلم ٢٤٤٩

(٤) المضغة: قطعة اللحم.

(٥) صحيح البخاري٥٢٣٠، صحيح مسلم ٢٤٤٩

قال: «**فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني**» [(١)].

٧ - روى أبو عيسى الترمذي بسنده إلى عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أن علياً ذكر بنت أبي جهل فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها**» [(٢)].

هذه الأحاديث كلها اشتملت على بيان فضل فاطمة رضي الله عنها، وبيان منزلتها من النبي ﷺ، ومكانتها عنده عليه الصلاة والسلام، كما دلت هذه الأحاديث على "تحريم إيذاء النبي ﷺ بكل حال، وعلى كل وجه، وإن تولد ذلك الإيذاء، مما كان أصله مباحاً، وهو حي وهذا بخلاف غيره، وقد أعلم عليه الصلاة والسلام بإباحة نكاح بنت أبي جهل لعلي بقوله ﷺ : «**لست أحرم حلالاً**» ولكن نهى عن الجمع بينهما لعلتين منصوصتين:

إحداهما: أن ذلك يؤدي إلى أذى فاطمة فيتأذى حينئذ النبي ﷺ، فيهلك من آذاه، فنهى عن ذلك لكمال شفقته على علي وعلى فاطمة.

والثانية: خوف الفتنة عليها بسبب الغيرة، وقيل: ليس المراد به النهي بل معناه أعلم من فضل أنهما لا تجتمعان، ويحتمل أن المراد تحريم جمعهما ويكون معنى لا أحرم حلالاً، أي: لا أقول شيئاً يخالف حكم الله، فإذا أحل شيئاً لم أحرمه، وإذا حرمه لم أحلله، ولم أسكت عن تحريمه، لأن سكوتي تحليل له، ويكون من جملة محرمات النكاح الجمع، بين بنت نبي الله وبنت عدو الله[(٣)]، وصهره الذي أثنى عليه من بني عبد شمس، هو أبو العاص ابن الربيع زوج زينب رضي الله عنها.

قال الحافظ: "قوله: "حدثني فصدقني" لعله كان شرط على نفسه ألا يتزوج على زينب، وكذلك علي، فإن لم يكن كذلك فهو محمول على أن علياً نسى ذلك الشرط، فلذلك أقدم على الخطبة، أو لم يقع عليه شرط إذ لم يصرح بالشرط، لكن كان ينبغي له أن يراعي هذا القدر، فلذلك وقعت المعاتبة، وكان النبي ﷺ قل أن يواجه أحداً بما يعاب به،

---

(١) صحيح البخاري ٥٢٣٠

(٢) سنن الترمذي ٣٨٦٩ثم قال: هذا حديث حسن صحيح". وصححه الألبانى.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٣/١٦ - ٤.

ولعله إنما جهر بمعاتبته عليا مبالغة في رضا فاطمة عليها السلام، وكانت هذه الواقعة بعد فتح مكة، ولم يكن حيئذ تأخر من بنات النبي ﷺ غيرها، وكانت أصيبت بعد أمها بأخواتها، فكان إدخال الغيرة عليها مما يزيد حزنها"[١].

٨ - روى الطبراني بإسناده عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي»** [٢].

ففي هذا الحديث منقبة ظاهرة لفاطمة رضي الله عنها وهي أن تزويجها من علي كان بإيحاء من الله جل وعلا.

٩ - وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى علي رضي الله عنه قال: أتانا رسول الله ﷺ فوضع رجله بيني وبين فاطمة رضي الله عنها فعلمنا ما نقول إذا أخذنا مضاجعنا فقال: **«يا فاطمة إذا كنتما بمنزلتكما فسبحا الله ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين»**. قال علي: والله ما تركتها بعد، فقال لـه رجل كان في نفسه عليه شيء: ولا ليلة صفين؟ قال علي: ولا ليلة صفين"[٣].

ففي هذا بيان فضيلة ظاهرة لفاطمة وزوجها علي رضي الله عنهما.

١٠ - روى الترمذي بإسناده إلى أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: **«حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون»** [٤].

وأيضاً ما رواه الحاكم بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: خط رسول الله ﷺ أربعة خطوط وقال: **«أتدرون ما هذا؟»** فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ : **«أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران»**، وأحسبه قال: **«وامرأة فرعون»** [٥].

١١ - وروى الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال وهو في

---

(١) فتح الباري ٨٦/٧.

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٤/٩ وقال عقبه: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٣) المستدرك ١٥١/٣ - ١٥٢ وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

(٤) سنن الترمذي ٣٨٧٨ثم قال: "هذا حديث صحيح" وأخرجه الحاكم في المستدرك ١٥٨/٣ وقال عقبه: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ، وصححه الألباني.

(٥) المستدرك ١٨٥/٣، ص/١٦٠ وصححه ووافقه الذهبي.

مرضه الذي توفي فيه يا فاطمة: **«أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء المؤمنين»** (١).

١٢ - وقال الإمام البخاري رحمه الله تعالى: "باب مناقب فاطمة رضي الله عنها" وقال النبي ﷺ : **«فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»** (٢).

١٣ - روى الحاكم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران»** (٣).

فهذه الأحاديث دلت على أن فاطمة رضي الله عنها ذات منزلة عظيمة وقدر رفيع في الدنيا والآخرة، حيث أخبر عليه الصلاة والسلام بأنها سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء المؤمنين، وسيد نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران.

٤ - روى الترمذي بإسناده إلى أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء، ثم قال: **«اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي** (٤) **أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً»** (٥).

وفي هذا منقبة ظاهرة لعلي وفاطمة والحسن والحسين حيث جللهم بكسائه ودعا الله أن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيراً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مبيناً معنى قوله ﷺ : **«اللهم هؤلاء أهل بيتي..»** إلخ الحديث: "ولما بين سبحانه أنه يريد أن يذهب الرجس عن أهل بيته وأعظمهم اختصاصاً به، وهم علي وفاطمة رضي الله عنهما، وسيدا شباب أهل الجنة جمع الله لهم بين أن قضى لهم بالتطهير وبين أن قضى لهم بكمال دعاء النبي ﷺ، فكان من ذلك ما دلنا على أن إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم نعمة من الله، ليسبغها عليهم ورحمة من الله، وفضل لم يبلغوهما بمجرد حولهم وقوتهم، إذ لو كان كذلك لاستغنوا

---

(١) المصدر السابق ١٥٦/٣ وقال: "هذا إسناد صحيح ولم يخرجاه هكذا ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح البخاري ٣٠١/٢.

(٣) المستدرك ١٥٤/٣ وقال عقبه: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) حامتي: قال في النهاية: "حامة الإنسان خاصته ومن يقرب منه وهو الحميم" ٤٤٦/١.

(٥) سنن الترمذي ٣٨٧١ وقال عقبه: "هذا حديث حسن صحيح وهو أحسن شيء روي في هذا الباب". وصححه الألباني.

بهما عن دعاء النبي ﷺ، كما يظن من يظن أنه قد استغنى في هدايته وطاعته عن إعانة الله تعالى لـه وهدايته إياه"[١].

وقد أخبر عليه الصلاة والسلام بأن فاطمة رضي الله عنها من فضليات النساء اللاتي بلغن الذروة في الفضل لتحقيقهن الإيمان الكامل وعملهن الأعمال الصالحة التي ترضي الله - جل وعلا - فكن من أهل الدرجات العلا.

١٥ - وقد روى الشيخان عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كن أزواج النبي ﷺ عنده لم يغادر منهن واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً فلما رآها رحب بها، فقال: **«مرحباً بابنتي»** ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارها فبكت بكاء شديداً، فلما رأى جزعها سارها الثانية، فضحكت فقلت لها: خصك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسرار، ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله ﷺ سألتها ما قال لك رسول الله ﷺ قالت: ما كنت أفشي على رسول الله ﷺ سره، قالت: فلما توفي رسول الله ﷺ قلت: عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما حدثتني، ما قال لك رسول الله ﷺ فقالت: أما الآن فنعم أما حين سارني في المرة الأولى، فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين، وإنه عارضه الآن مرتين: **«وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتق الله واصبري، فإنه نعم السلف أنا لك»** قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت فلما رأى جزعي، سارني الثانية فقال: **«يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة»** قالت فضحكت ضحكي الذي رأيت[٢].

هذا الحديث اشتمل على مناقب رفيعة لفاطمة رضي الله عنها، وهي مشابهتها في مشيها مشية أبيها عليه الصلاة والسلام وترحيبه بها، وإجلاسه لها عن يمينه أو عن شماله واختصاصها بالمسارة دون نسائه رضي الله عنهن، ولما رأى حزنها ظهر عليها بما أسره إليها ببشرها ببشارة بدلت حزنها فرحاً، وهي قوله لها: **«أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة»** فزال حزنها وفرحت بهذه المنزلة

---

(١) حقوق آل البيت ص/٢٧ - ٢٨.
(٢) صحيح البخاري ٣٦٢٥، صحيح مسلم ٢٤٥٠

العظيمة التي أكرمها الله بها من بين النساء.

قال النووي رحمه الله تعالى قولها: «**فأخبرني أني أول من يلحق به من أهله فضحكت**» هذه معجزة ظاهرة له ﷺ، بل معجزتان فأخبر ببقائها بعده، وبأنها أول أهله لحاقاً به ووقع كذلك، وضحكت سروراً بسرعة لحاقها، وفيه إيثارهم الآخرة وسرورهم بالانتقال إليها والخلاص من الدنيا"(١).

١٧ - روى الترمذي بإسناده إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً برسول الله في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها.. الحديث(٢).

فقد وصفتها بصفات حميدة كلها مناقب تزيد من قدرها ورفعة مكانتها، فقد بينت أنها تشبه النبي ﷺ هيئة وطريقة وحسن حال، وأشارت رضي الله عنها بالسمت إلى ما كان يظهر عليها من الخشوع والتواضع لله وبالهدى إلى ما كانت تتحلى به من السكينة والوقار، وإلى ما كانت تسلكه من المنهج المرضي والدال عليه إلى حسن خلقها ولطف حديثها رضي الله عنها(٣).

١٨ - روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبي ﷺ قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة منها إلا أن يكون الذي ولدها(٤).

وهذا الوصف منها أيضاً لسيدة نساء المؤمنين منقبة ظاهرة إذ من التزم الصدق قولاً وعملاً كان قائده إلى عمل البر، وإذا عمل البر كان قائده إلى طريق الجنة.

وكل ما تقدم ذكره من الأحاديث التي اشتملت على ذكر مناقب لفاطمة رضي الله

---

(١) شرح النووي ٥/١٦ - ٦.

(٢) سنن الترمذي ٣٨٧٢ثم قال: "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن عائشة. وصححه الألباني.

(٣) انظر تحفة الأحوذي ٣٧٣/١٠.

(٤) المستدرك ١٦٠/٣ - ١٦١ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

عنها كلها دلت على عظيم شأنها وجليل قدرها، كما دلت على بيان درجتها العالية التي اختصت بها دون سائر نساء العالمين، وهي أنها سيدة نساء المؤمنين في الدنيا والآخرة، وهي رضي الله عنها أفضل أخواتها على الإطلاق، ولا يعترض بقوله ﷺ في حق زينب رضي الله عنها: «**هي خير بناتي أصيبت**[١] **في**» فإن معنى هذه العبارة: أنها من أفضل بناتي، لأن الأخبار ثابتة صحيحة عن النبي ﷺ أن فاطمة رضي الله عنها سيدة نساء هذه الأمة وكذلك أخبر أنها سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران[٢] وقد تقدم.

قال العلامة ابن القيم: وكل أولاده توفي قبله إلا فاطمة فإنها تأخرت بعده بستة أشهر فرفع الله لها بصبرها، واحتسابها من الدرجات ما فضلت به على نساء العالمين، وفاطمة أفضل بناته على الإطلاق، وقيل إنها أفضل نساء العالمين[٣].

وقال الحافظ ابن حجر عند قوله ﷺ : «**فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني**». وفيه أنها أفضل بنات النبي ﷺ، وأما ما أخرجه الطحاوي وغيره من حديث عائشة في قصة مجيء زيد بن حارثة بزينب بنت رسول الله ﷺ من مكة، وفي آخره قال النبي ﷺ : «**هي أفضل بناتي أصيبت في**»، فقد أجاب عنه بعض الأئمة بتقدير ثبوته بأن ذلك كان متقدماً ثم وهب الله لفاطمة من الأحوال السنية والكمال ما لم يشاركها أحد من نساء هذه الأمة مطلقاً والله أعلم[٤].

ومما يرجح أفضليتها على أخواتها أنهن متن قبل النبي ﷺ فكن في صحيفته عليه الصلاة والسلام وأما فاطمة رضي الله عنه فقد توفي النبي ﷺ قبلها، فكان في صحيفتها رضي الله عنها، فكان مصابها فيه أعظم فصبرت واحتسبت رضي الله عنها، كما أوصاها بذلك النبي ﷺ فقد أخرج ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى بإسناده إلى فاطمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ يوماً وأنا عند عائشة فناجاني فبكيت، وفيه أنه قال لها: «**وإنه لم ترزأ**

(١) تقدم تخريجه في مناقب زينب رضي الله عنها.
(٢) انظر المستدرك ٤٤/٤.
(٣) زاد المعاد ١٠٤/١.
(٤) فتح الباري ١٠٥/٧ ـ ١٠٦.

امرأة من نساء العالمين بمثل ما رزئت، ولا تكوني دون امرأة صبراً» قالت: فبكيت، ثم قال: **«أنت سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم البتول»** فتوفي عامه ذلك[١].

وهي رضي الله عنها أول من توفي بعد النبي ﷺ من أهل بيته باتفاق أهل العلم حتى من أزواجه[٢] حيث لم تلبس بعده إلا ستة أشهر، كما في صحيح مسلم رحمه الله تعالى من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر[٣].

والذي أخلص إليه في هذا الفصل الذي اشتمل على فضل أهل بيت رسول الله ﷺ هو أن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يثبتون لهم كل ما صح في فضلهم عموماً وخصوصاً ويعتقدونه اعتقاداً جازماً، ولا يبخسونهم منه شيئاً، بل يرعون لهم حرمتهم وقرابتهم من رسول الله ﷺ، ويوالونهم ويحبونهم لإسلامهم وسبقهم وحسن بلائهم في نصرة دين الله - عز وجل.

وقد حرر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى معتقد الفرقة الناجية في آل بيت رسول الله ﷺ حيث قال في سياق عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة: ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ، حيث قال يوم غدير خم: **«أذكركم الله في أهل بيتي»**... ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة خصوصاً خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده، وأول من آمن به وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العالية، والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها التي قال فيها النبي ﷺ : **«فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»** [٤].

وقال الحافظ ابن كثير: "ولا ننكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وأهل بيته

---

(١) جامع البيان للطبري ٢٦٤/٣.

(٢) انظر فتح الباري ١٣٦/٨.

(٣) صحيح مسلم ٢٤٤٦

(٤) العقيدة الواسطية مع شرحها للشيخ محمد خليل هراس ص/١٤٦ - ١٤٨. والحديث تقدم تخريجه في "فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها".

وذريته رضي الله عنهم أجمعين"[١].

والذي نخلص في هذا الباب أن أهل السنة والجماعة يؤمنون إيماناً صادقاً بفضل صحابة رسول الله ﷺ، ويعتقدون أنهم خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين وأن الله - تعالى - اصطفاهم لنصرة خاتم أنبيائه، وشرح صدورهم، وحبب إليهم مؤازرته والقتال معه، فسبقوا الناس إلى الإيمان به وتحملوا العذاب في مكة، وصبروا عليه، ولما أمرهم الله بالهجرة تركوا الأهل والمال والعشيرة والبلد، وهاجروا حباً في الله - عز وجل - وفي رسول الله ﷺ وقاتلوا دونه، وبذلوا أنفسهم رخيصة في سبيله - عز وجل - حتى أظهر الله - تبارك وتعالى - دينه وصدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وأكرمهم الله - تعالى - فرضي عنهم وبشرهم بالجنة وبشرهم رسول الله ﷺ، فمن لم يتولهم فليس له حظ في الإيمان، ومن قال بكفرهم، فلا شك في كفره أبغض الله من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم.

* * * * *

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١٩٩/٦.

أسماء بنت أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ

تكنى أم عبد الله. وهي أكبر سناً من عائشة ببضع عشرة سنة.

أبوها صحابي، وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه، عبد الله بن أبي قحافة، وجدها صحابي، وهو أبو عتيق، وأخوها صحابي، وهو عبد الرحمن، وأختها صحابية وهي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وزوجها صحابي وهو الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ، وابنها صحابي وهو عبد الله بن الزبير رضى الله عنه.

نشأت في بيت وثيق الصلة برسول الله ﷺ، وهو بيت أبي بكر الصديق، وتربت على الإيمان والتضحية في سبيل الله مما ساهم في تكوين شخصيتها العظيمة. وقد اتصفت أسماء بالصبر وكثرة الصلاة في الليل والصيام، وقد تعرضت أسماء لما تعرض له بقية المسلمين من أذى واضطهاد المشركين، أسلمت أسماء بمكة في بداية الدعوة الإسلامية.

أسماء ذات النطاقين:

عن عروة ووهب بن كيسان قالا: كان أهلُ الشام يعيرون ابن الزبير يقولون: يا بن ذات النطاقين فقالت له أسماء: إنهم يُعَّيرونك بالنطاقين وهل تدري ما كان النطاقان إنما كان نطاقي شَقَقْتُهُ نصفين، فأوكيت قربة رسول الله ﷺ بأحَدِهِما وجهلتُ في سُفْرتِهِ آخر قال: فكان أهلُ الشام إذا عيرَّوه بالنطاقين يقول: إيهاً والإله تلك شكاة ظاهر عنك عارُها (١).

زواجها من الزبير:

تقول أسماء رضي الله عنها: تزوجني الزبير وما له في الأرض مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه، قالت: فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأسقيه الماء وأخرز غربه وأعجن ولم أكن أحسن الخبز، فكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكن نسوة صدق.

---

(١) رواه البخاري.

قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي وهي على ثلثي فرسخ. قال: فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه فدعا لي ثم قال: «إخ إخ». ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته.

قالت: وكان من أغير الناس، قالت: فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت فمضى فجئت الزبير، فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب معه فاستحييت وعرفت غيرتك، فقال الزبير رضي الله عنها: والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه قالت: حتى أرسل إلى أبو بكر بعد ذلك بخادمة فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقني [١].

عن أسماء رضي الله عنها قالت: صنعت سفرة النبي ﷺ في بيت أبي بكر حين أراد أن يهاجر إلى المدينة، قالت: فلم نجد لسفرته ولا لسقائه ما نربطهما به، فقلت لأبي بكر: والله ما أجد شيئاً أربطه به إلا نطاقي، قال: فشقيه باثنين فاربطي بواحد السقاء، وبالآخر السفرة. ففعلت فلذلك سميت ذات النطاقين [٢].

قال ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث: والنطاق بكسر النون ما تشد به المرأة وسطها ليرتفع به ثوبها من الأرض عند المهنة [٣].

عن أسماء بنت أبي بكر: خرجت حين هاجرت، حبلى بعبد الله بن الزبير، فقدمت قباء فنفست بعبد الله بقباء، ثم خرجت حين نفست إلى رسول الله ﷺ ليُحنكه، فأخذه رسول الله ﷺ منها، فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة، قال الراوي عنها: قالت عائشة، فمكثنا ساعة نلتمسها قبل أن نجدها، فمضغها، ثم بصقها في فيه، فإن أول شيء دخل في بطنه لريق رسول الله ﷺ ثم قالت أسماء: ثم مسحه وصلى عليه، أي ودعا له، وسماه عبد الله، ثم جاء وهو ابن سبع سنين أو ثمان ليبايع رسول الله ﷺ وأمره بذلك الزبير، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآه مقبلاً [٤].

---

(١) رواه البخاري برقم (٩/ ٢٨١، ٢٨٢)، ومسلم برقم (٢١٨٢).
(٢) رواه البخاري في كتاب "المناقب"، باب الهجرة برقم (١٩٤/٧).
(٣) فتح الباري.
(٤) رواه مسلم في كتاب "الأدب"، باب تحنيك المولود برقم (٢١٤٦).

عن أسماء رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: **«نعم صلي أمك»** (١).

قال ابن حجر عند شرح الحديث راغبة: والمعنى أنها قدمت طالبة في بر ابنتها لها، خائفة من ردها إياها خائبة؛ هكذا فسره الجمهور. فتح الباري.

وقال أيضاً: قال أبو موسى: ليس في شيء من الروايات ذكر إسلامها، وقولها راغبة ليست تريد في الإسلام، بل في الصلة، ولو كانت مسلمة لما احتاجت أسماء أن تستأذن في صلتها، إلا أن تكون أسلمت بعد ذلك. قلت: إن كانت عاشت إلى الفتح فالظاهر أنها أسلمت (٢).

عن أبي نوفل: رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة قال: فجعلت قريش تمر عليه، حتى مر عليه عبد الله بن عمر، فوقف عليه فقال: السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله إن كنت ما علمت صواماً قواما، وصولاً للرحم، أما والله لأمة أنت أشرها لأمة خير، ثم نفذ عبد الله بن عمر، فبلغ الحجاج موقف عبد الله وقوله، فأرسل إليه، فأنزل عن جذعه فألقي في قبور اليهود، ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبي بكر، فأبت أن تأتيه، فأعاد عليها الرسول لتأتيني أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونك، قال: فأبت، وقالت: والله لا آتيك حتى تبعث إلي من يسحبني بقروني. قال: فقال: أروني سبتي، فأخذ نعليه ثم انطلق يتوذف، حتى دخل عليها فقال: كيف رأيتني صنعت بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك، بلغني أنك تقول له: يا بن ذات النطاقين، أنا والله ذات النطاقين، أما أحدهما فكنت أرقع به طعام رسول الله ﷺ وطعام أبي بكر من الدواب، وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه، أما إن رسول الله ﷺ حدثنا: أن في ثقيف كذاباً ومبيراً، فأما الكذاب فرأيناه، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه. قال: فقام عنها ولم يراجعها

---

(١) رواه البخاري (٢٠١/٦) كتاب "الجزية"، (٣٤٧/١٠) في كتاب "الأدب" باب صلة المرأة أمها و(٥/ ١٧١) في كتاب "الهبة"، باب الهدية للمشركين، ومسلم في كتاب "الزكاة".

(٢) كتاب "الإصابة" (ص١٦٩) ترجمة رقم (٨٨٠) الجزء الثامن، المجلد الرابع.

.[1]

أبو خبيب: كنية عبد الله بن عمر، ولـه كنى أخرى.

ثم نفذ: أي انصرف.

يسحبك بقرونك: أي يجرك بضفائر شعرك.

سبتي: هي النعل التي لا شعر عليها.

يتوذف: يسرع.

إخالك: أظنك.

المبير: المهلك.

قال النووي: وفيه الثناء على الموتى بجميل صفاتهم المعروفة. وفيه منقبة لابن عمر لقوله بالحق في الملأ، وعدم اكتراثه بالحجاج؛ لأنه يعلم أنه يبلغه مقامه عليه، وقوله وثناؤه عليه، فلم يمنعه ذلك أن يقول الحق، يشهد لابن الزبير بما يعلمه فيه من الخير، وبطلان ما أشاع عنه الحجاج من قوله: إنه عدو الله، وظالم، ونحوه، فأراد ابن عمر براءة ابن الزبير من ذلك الذي نسبه إليه الحجاج، وأعلم الناس بمحاسنه، وأنه ضد ما قاله الحجاج. ومذهب أهل الحق. أن ابن الزبير كان مظلوماً، وأن الحجاج ورفقته كانوا خوارج عليه. واتفق العلماء على أن المراد بالكذاب هنا المختار بن أبي عبيد، وبالمبير الحجاج بن يوسف. والله أعلم[2].

وظلت أسماء راعية لأولادها مطيعة لزوجها بارة بأمها مع شركها، فعن ابن الزبير قال: نزلت هذه الآية في أسماء، وكانت أمها يقال لها: قتيلة، جاءتها بهدايا، فلم تقبلها، حتى سألت النبي ﷺ فنزلت: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة: ٨].

طلاقها: طلقها الزبير لاحقاً في المدينة، فعاشت مع ابنها عبد الله بن الزبير إلى أن قتله الحجاج.

---

(١) رواه مسلم في كتاب "فضائل الصحابة" باب ذكر كذا ثقيف ومبيرها.

(٢) شرح "النووي" على مسلم.

قال ابن الجوزي: وأما أسماء، فتزوجها الزبير، فولدت لـه عدة، ثم طلقها، فكانت مع ابنها عبد الله، إلى أن قتل، وعاشت مائة سنة [١].

عن أسماء رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: **«إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليَّ منكم، وسيؤخذ ناس من دوني، فأقول: يا رب مني ومن أمتي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك ؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم»** [٢].

وهي التي كنت تفتي في أدق المسائل الفقهية.

قال مسلم القري: دخلنا على أم ابن الزبير، فإذا امرأة ضخمة عمياء نسألها عن متعة الحج، فقالت: قد رخص رسول الله ﷺ فيها [٣].

وعن عكرمة قال: سئلت أسماء بنت أبي بكر هل كان أحد من السلف يغشي عليه من الخوف؟ قالت: لا ولكنهم كانوا يبكون. وكانت أسماء معبرة للرؤيا.

قال الواقدي: كان سعيد بن المسيب من أعبر الناس للرؤيا، أخذ ذلك عن أسماء بنت أبي بكر، وأخذت عن أبيها.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها قالت: سألت امرأة رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، أرأيت إحدانا إذا أصاب ثوبها الدم من الحيضة كيف تصنع؟ فقال رسول الله ﷺ : **«إذا أصاب ثوب إحداكن الدم من الحيضة، فلتقرصه، ثم لتنضحه بماء، ثم لتصلي فيه»**. رواه البخاري في كتاب "الحيض"، باب غسل دم الحيض.

قال ابن حجر: وفيه من الفوائد ما في الذي قبله، وجواز سؤال المرأة عما يستحيي من ذكره، والإفصاح بذكر ما يستقذر للضرورة، وأن دم الحيض كغيره من الدماء في وجوب غسله. وفيه استحباب فرك النجاسة اليابسة ليهون غسلها.

عن ابن جريج قال: حدثني عبد الله مولى أسماء، عن أسماء: أنها نزلت ليلة جمع عند المزدلفة، فقامت تصلي، فصلت ساعة، ثم قالت: يا بني، هل غاب القمر؟ قلت: لا.

---

(١) كتاب "صفة الصفوة" برقم (١/٢٣٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب "الرقاق"، باب في الحوض برقم (١١/ ٤١٥) وفي الفتن.

(٣) رواه أحمد في "مسنده" برقم (٣٤٨/٦) وقال محقق السير (٢٨٩/٢): إسناده صحيح، رواه مسلم في كتاب "الحج"، باب متعة الحج.

فصلت ساعة ثم قالت: يا بني، هل غاب القمر؟ قلت: نعم: فارتحلوا، فارتحلنا، ومضينا حتى رمت الجمرة، ثم رجعت فصلت الصبح في منزلها، فقلت لها: يا هنتاه، ما أرانا إلا قد غلسنا. قالت: يا بني، إن رسول الله ﷺ أذن للظعن [١].

يا هنتاه: يا هذه.

غلسنا: جئنا في الغلس.

الظعن: النساء.

وعن أسماء رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: مالي مالٌ إلاَّ ما أدخل عليَّ الزُبير؟. قال: **«تصدقي ولا تُوعي فيُوعى عليكِ»** [٢].

قال النووي - رحمه الله -: معناه الحث على النفقة في الطاعة، والنهي عن الإمساك والبخل.

وعرفت أسماء رضي الله عنها بالجود والبذل والإنفاق على الفقراء والمساكين، وكان لها في ذلك منهج خاص.

قال الواقدي كان سعيد بن المسيب من أعبر الناس للرؤيا أخذ ذلك عن أسماء بنت أبي بكر وأخذت عن أبيها [٣].

قال ابن كثير: بلغت من العمر مائة سنة، ولم يسقط لها سن، ولم ينكر لها عقل رحمها الله [٤].

جوع أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما:

أخرج الطبراني عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت كنت مرة في أرض أقطعها النبي ﷺ لأبى سلمة والزبير في أرض بني النضير فخرج الزبير مع رسول الله ﷺ ولنا جار من اليهود فذبح شاة فطبخت فوجدت ريحها،

---

(١) رواه البخاري في كتاب "الحج"، باب من قدم ضعفه أهله.

(٢) رواه البخاري برقم (١٤٣٣)، ومسلم (١٠٢٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/٢٩٣).

(٤) كتاب "البداية والنهاية" (٨/٣٤٦).

فدخلني ما لم يدخلني من شيء قط وأنا حامل بابنتي خديجة، فلم أصبر فانطلقت، فدخلت على امرأة اليهودي أقتبس منها نارا لعلها تطعمني وما بي من حاجة إلى النار، فلما شممت الريح ورأيته ازددت شرها، فأطفأته ثم جئت ثانيا، أقتبس ثم ثالثة، ثم قعدت أبكي وأدعو الله فجاء زوج اليهودية، فقال: أدخل عليكم أحد قالت العربية تقتبس نارا، قال: فلا آكل منها أبدا أو ترسلي إليها منها، فأرسل إلي بقدحة يعني غرفة، فلم يكن شيء في الأرض أعجب إلي من تلك الأكلة. كذا في الإصابة[١].

عُمرت أسماء رضي الله عنها زمناً طويلاً حتى بلغت مائة عام وزيادة، ولم يسقط لها سن، ولم ينكر لها عقل، وكف الله بصرها بعد ما بلغت من الكبر عتياً.

عن شعيب بن طلحة عن أبيه، قالت أسماء لابنها: يا بني عش كريما ومت كريما لا يأخذك القوم أسيرا [٢].

قال عروة: دخلت أنا وأخي قبل أن يقتل على أمنا بعشر ليال، وهي وجعة فقال عبد الله: كيف تجدينك؟ قالت: وجعة قال: إن في الموت لعافية، قالت لعلك تشتهي موتي فلا تفعل وضحكت، وقالت: والله ما أشتهي أن أموت حتى تأتي على أحد طرفيك، إما أن تقتل فأحتسبك، وإما أن تظفر فتقر عيني إياك أن تعرض على خطة، فلا توافق فتقبلها كراهية الموت، قال: وإنما عنى أخي أن يقتل فيحزنها ذلك، وكانت بنت مئة سنة [٣].

ولما قتل الحجاجُ ابن الزبير دخل على أسماء وقال لها: يا أمه، إن أمير المؤمنين وصاني بك فهل لك من حاجة؟ قالت: لست لك بأم، ولكني أم المصلوب على رأس الثنية وما لي من حاجة ولكن أحدثك سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يخرج في ثقيف كذاب ومبير**»، فأما الكذاب فقد رأيناه، تعني المختار، وأما المبير فأنت، فقال لها: مبير المنافقين.

وعن يحيى بن يعلى التيمي، عن أبيه قال: دخلت مكة بعد قتل ابن الزبير بثلاث

---

(١) سير الصحابة من كتاب حياة الصحابة (٣٩٨/١).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢٩٣/٢).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢٩٣/٢).

وهو مصلوب، فجاءت أمه عجوز طويلة عمياء، فقالت للحجاج: أما آن للراكب أن ينزل، فقال: المنافق، قالت: والله ما كان منافقا كان صواما قواما برا، قال: انصرفي يا عجوز فقد خرفت، قالت: لا والله ما خرفت منذ سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**في ثقيف كذاب ومبير**». الحديث [١].

وقيل لابن عمر: إن أسماء في ناحية المسجد، وذلك حين صلب ابن الزبير فمال إليها، فقال: إن هذه الجثث ليست بشيء وإنما الأرواح عند الله، فاتقي الله واصبري.

فقالت: وما يمنعني وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل.

وعن ابن أبي مليكة قال: دخلت على أسماء بعد ما أصيب ابن الزبير، فقالت: بلغني أن هذا صلب عبد الله، اللهم لا تمتني حتى أوتى به فأحنطه وأكفنه، فأتيت به بعد فجعلت تحنطه بيدها وتكفنه بعد ما ذهب بصرها. ومن وجه آخر عن ابن أبي مليكة وصلت عليه وما أتت عليها جمعة إلا ماتت.

عن الركين بن الربيع قال: دخلت على أسماء بنت أبي بكر، وقد كبرت وهي تصلي وامرأة تقول لها: قومي اقعدي افعلي من الكبر، قال ابن سعد: ماتت بعد ابنها بليال، وكان قتله لسبع عشرة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين [٢].

قوله: فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: أن أمي قدمت وهي راغبة في رواية حاتم، فقالت: يا رسول الله أن أمي قدمت علي وهي راغبة ولمسلم من طريق عبد الله بن إدريس عن هشام راغبة أو راهبة بالشك، وللطبراني من طريق عبد الله بن إدريس المذكور راغبة وراهبة وفي حديث عائشة ثم ابن حبان جاءتني راغبة وراهبة وهو يؤيد رواية الطبراني، والمعنى أنها قدمت طالبة في بر ابنتها لها خائفة من ردها إياها خائبة، هكذا فسره الجمهور ونقل المستغفري أن بعضهم أوله فقال: وهي راغبة في الإسلام، فذكرها لذلك في الصحابة، ورده أبو موسى بأنه لم يقع في شيء من الروايات ما يدل على إسلامها، وقولها:

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٢٩٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٢٩٥).

راغبة أي في شيء تأخذه، وهي على شركها، ولهذا استأذنت أسماء في أن تصلها، ولو كانت راغبة في الإسلام، لم تحتج إلى إذن، اهـ.

وقيل معناه راغبة عن ديني أو راغبة مني ومجاورتي والتودد إلي، لأنها ابتدأت أسماء بالهدية التي أحضرتها، ورغبت منها في المكافأة، ولو حمل قوله: راغبة أي في الإسلام لم يستلزم إسلامها، ووقع في رواية عيسى بن يونس، عن هشام، ثم أبي داود والإسماعيلي راغمة بالميم أي كارهة للإسلام، ولم تقدم مهاجرة، وقال ابن بطال: قيل: معناه هاربة من قومها: ورده بأنه لو كان كذلك لكان مراغمة، قال: وكان أبو عمرو بن العلاء، يفسر قوله: مراغما بالخروج عن العدو، على رغم كلاهما، فيحتمل أن يكون هذا كذلك، قال: وراغبة بالموحدة، أظهر في معنى الحديث، قوله: «**صلي أمك**» زاد في الأدب عقب حديثه عن الحميدي عن ابن عيينة قال ابن عيينة: فأنزل الله فيها:﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [الممتحنة: ٨] وكذا وقع في آخر حديث عبد الله بن الزبير، ولعل ابن عيينة تلقاه منه.

وروى ابن أبي حاتم عن السدي، أنها نزلت في ناس من المشركين، كانوا ألين شيء جانبا للمسلمين وأحسنه أخلاقا قلت: ولا منافاة بينهما، فإن السبب خاص، واللفظ عام: فيتناول كل من كان في معنى والدة أسماء، وقيل: نسخ ذلك آية الأمر بقتل المشركين، حيث وجدوا، والله أعلم، وقال الخطابي فيه أن الرحم الكافرة توصل من المال، ونحوه كما توصل المسلمة، ويستنبط منه وجوب نفقة الأب الكافر والأم الكافرة وإن كان الولد مسلما اهـ، وفيه موادعة أهل الحرب ومعاملتهم في زمن الهدنة والسفر في زيارة القريب، وتحري أسماء في أمر دينها، وكيف لا وهي بنت الصديق، وزوج الزبير رضي الله عنهم، روت عن النبي ﷺ، ومسندها ثمانية وخمسون حديثاً، اتفق لها البخاري ومسلم على ثلاثة عشر حديثاً، وانفرد البخاري بخمسة أحاديث، ومسلم بأربعة.

وروى عنها ابنها عبد الله بن الزبير، وابن عباس، وابنها عروة بن الزبير، وفاطمة

بنت المنذر بن الزبير وغيرهم [١].

وفاتها:

ماتت أسماء بعد مقتل ولدها عبد الله بأيام قلائل.

وكانت أسماء قد بلغت مائة سنة، لم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل، وهي التي كفنت ابنها، وصلت عليه بعد ما ذهب بصرها، وكان موتها بمكة [٢].

فرضي الله عنها، وعن ابنها، وأكرمهم الله في الجنة، اللهم وألحقنا بهم في جنات عدن مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. اللهم آمين.

* * * * *

(١) سير أعلام النبلاء (٢٩٦/٢)، تهذيب الكمال (١٢٣/٣٥).
(٢) الإصابة (١٤/٨)، حلية الأولياء (٦٨/٢)، أسد الغابة (٢١٠/٥)، تهذيب التهذيب (١٢٥/٣٥).

أسماء بنت عميس

هي: أسماء بنت عميس بن مَعَد بن تميم، بن الحارث، بن كعب، بن مالك، بن قحافة، الخثعمية، وتكنى لأم عبد الله، صحابية جليلة، لها مواقف مشرفة، وهي من السابقات للإسلام، ولها هجرتان.

هاجرت أسماء رضي الله عنها الهجرة الثانية إلى المدينة، وهذه من مناقبها، ومن مواقفها المشرفة رضي الله عنها (١).

أمها: هند وهي خولة بنت عوف بن زهير بن الحارث.

دخلت أسماء بنت عميس على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها.

فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس.

قال عمر: الحبشية هذه البحرية هذه، فقالت أسماء: نعم.

فقال عمر: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم، فغضبت، وقالت كلمة: كذبت يا عمر كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار أو في أرض البعداء البغضاء في الحبشة، وذلك في الله وفي رسوله، وايم الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا، حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ، ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله، ووالله لا أكذب ولا أزيغ، ولا أريد على ذلك، قال: فلما جاء النبي ﷺ، قالت: يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «**ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم هجرتان**».

قالت: فلقد رأيت أبا موسى يأتوني أرسالا يسألوني عن هذا الحديث ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله ﷺ، قال أبو بردة: فقالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني (٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٠٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٢٣٠)، ومسلم برقم (٢٥٠٣).

ونالت وسام الإيمان هي وأخواتها من رسول الله ﷺ.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«الأخواتُ مؤمنات ميمونةُ وأم الفضل وأسماء»** [١].

فهي من المهاجرات الأول، قيل: أسلمت قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر بها زوجها جعفر الطيار إلى الحبشة، فولدت له هناك عبد الله ومحمدا وعونا، فلما هاجرت معه إلى المدينة سنة سبع واستشهد يوم مؤتة، تزوج بها أبو بكر الصديق، فولدت له محمدا وقت الإحرام، فحجت حجة الوداع، ثم توفي الصديق فغسلته، وتزوج بها علي ابن أبي طالب[٢].

لما توجه جيش المسلمين إلى الشام لقتال الروم، كان جعفر بن أبي طالب من بين أمرائه الثلاثة، وهناك نال الشهادة في سبيل الله تعالى.

حزنت أسماء حزناً شديداً على وفاة زوجها جعفر بن أبي طالب ﷺ، وقالت يوم قتل جعفر: دخل عليَّ رسول الله ﷺ، فدعا بنيَّ جعفر، فرأيته شمَّهم، وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله أبلغك عن جعفر شيء؟ قال: **«نعم قتل اليوم»** فقمنا نبكي، ورجع فقال: **«اصنعوا لآل جعفر طعاماً فإنه قد جاء ما يشغلهم»** [٣].

صبرت أسماء واحتسبت زوجها عند الله تعالى، بل وتمنت أن تكون معه لتفوز بالشهادة خاصة بعد أن سمعت أحد رجال بني مرة بن عوف يقول - وكان في تلك الغزوة - والله لكأني أنظر إلى جعفر، حيت اقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها، ثم قاتل حتى قتل وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها ::: طيبةً وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها ::: كافرة بعيدة أنسابها

عليَّ إذ لاقيتها ضرابها

ثم أخذ اللواء بيمينه فقطعت، ثم أخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل

---

(١) حسن "صحيح الجامع" برقم (٢٧٦٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٢٨٣).
(٣) أخرجه الترمذي برقم (٩٩٨)، وابن ماجة برقم (١٦١٠).

رضى الله عنه [١].

عـن ابـن عبـاس رضـى الله عنهـا، عـن رسـول الله ﷺ أنـه قـال: **«دخلت الجنـة البارحـة، فنظـرت فيهـا، فـإذا جعفـر يطيـر مـع الملائكـة، وإذا حمـزة متكـئ علـى سرير»** [٢].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله: **«رأيت جعفر بن أبي طالب ملكا يطير في الجنة مع الملائكة»** [٣].

وبعـد مقتـل جعفـر تـزوج أسـماء أبـو بكـر الصـديق ﷺ، فولـدت لـه محمـداً وقـت الإحرام، فحجت حجة الوداع، ثم توفي الصديق رضى الله عنه فغسلته.

وبعد وفاة الصديق رضى الله عنه تزوجها علـي بن أبـي طالـب رضـى الله عنـه [٤]. فولدت لـه يحيى وعوناً.

عن الشـعبي قـال: تـزوج علـي أسـماء بنـت عمـيس فتفـاخر ابناهـا محمـد بـن جعفـر ومحمد بن أبي بكر.

فقال كل منهما: أنا أكرم منك، وأبي خير من أبيك.

فقال لها علي: اقضي بينهما.

فقالت: ما رأيت شابا خيرا من جعفر، ولا كهلا خيرا من أبي بكر.

فقال لها علي: فما أبقيت لنا [٥].

وفاتها رضي الله عنها:

لما بلغهـا قتـل ولـدها محمـد بـن أبـي بكـر رضـى الله عنهمـا بمصـر - وكـان أثـر هذا

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢٠/٤).

(٢) (صحيح) انظر حديث رقم: ٣٣٦٣ في صحيح الجامع.

(٣) (صحيح) انظر حديث رقم: ٣٤٦٥ في صحيح الجامع.

قال القاضي: لما بذل نفسه في سبيل الله وحارب أعداءه، حتى قطعت يداه ورجلاه أعطاه الله أجنحة روحانية يطير بها مع الملائكة، ولعله رآه في المنام أو في بعض مكاشفاته اهـ.

(٤) سير أعلام النبلاء (٢٨٣/٢).

(٥) الإصابة (٤٩٠/٧).

المصاب عليها عظيماً - قامت إلى مسجد بيتها وكظمت غيظها حتى شخب ثدياها دما [١].

وما كاد العام ينتهي حتى ثقلت وأحست بالوهن يسري في جسمها سريعاً، ثم فارقت الحياة.

قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: فإن وفاتها قبل سنة خمسين [٢].

رحمها الله تعالى ورضي عنها، وحشرنا وإياها مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. اللهم آمين.

* * * * *

(١) الإصابة (٧/٤٩٠).

(٢) تمام المنة (ص١٢١).

أسماء بنت السكت

أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع، بن امرئ القيس، بن عبد الأشهل، بن الحارث، الأنصارية، الأوسية الأشهلية. هي من المبايعات وهي ابنه عمة معاذ بن جبل.

كنيتها: أم عامر، وأم سلمة. محدثة فاضلة، ومجاهدة جليلة من ذوات العقل والدين والخطابة حتى لقبوها بخطيبة النساء.

أسماء خطيبة النساء:

روي عنها: أنها أتت النبي ﷺ، فقالت: إني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين، كلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي: إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم، وإن الرجال فضلوا بالجمعات، وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم، وربينا أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله، فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه، فقال: **«هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه»**، فقالوا: بلى والله يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ : **«انصرفي يا أسماء وأعلمي من ورائك من النساء أن حسن تبعل** [(١)] **إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال»**، فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشارا بما قال لها رسول الله ﷺ [(٢)].

قال ابن حجر في الفتح: كان يقال لأسماء بنت يزيد خطيبة النساء [(٣)].

هي واحدة من النسوة الطاهرات اللاتي ضربن أروع الأمثلة في الإيمان والعلم والصبر.

أسلمت في السابقات من الأنصار على يد مصعب بن عمير، وكانت أسماء

---

(١) أي حسن المصاحبة في الحياة الزوجية والمعاشرة.

(٢) الاستيعاب (١٧٨٧/٤) برقم (٣٢٣٣).

(٣) الإصابة (٢١/٨).

بنت يزيد من النساء اللاتي يسألن رسول الله ﷺ عن أمور دينهن - لتصل إلى طريق الصواب، وتسلك جانب الخير، ولذلك وصفت بأنها كانت من ذوات العقل والدين.

وهي بنت عمة معاذ بن جبل الصحابي الجليل ﷺ. ويلتقي نسبها بنسب سعد بن معاذ ﷺ في جدهما امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل.

وفدت على النبي ﷺ في السنة الأولى من الهجرة، وبايعته على الإسلام، وكان رسول الله ﷺ يبايع النساء بالآية الواردة في سورة الممتحنة وهي قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الممتحنة: ١٢].

ورأى النبي ﷺ في يد أسماء بنت يزيد سوارين كبيرين من ذهب، فقال لها النبي ﷺ : **«ألقي السوارين يا أسماء، أما تخافين أن يسورك الله بأساور من نار؟»**.

فما كان منها إلا أن سارعت وبدون تردد لتنفيذ أمر رسول الله ﷺ فنزعتهما وألقتهما أمامه.

روت أسماء بنت يزيد قالت: مرَّ بي النبي ﷺ وأنا في جوار أتراب لي، فسلَّم علينا وقال: **«إياكن وكفر المنعمين»**، تقول: وكنت من أجرئهن على مسألته، فقلتُ: يا رسول الله، وما كفران المنعمين؟

قال: **«لعل إحداكن تطول أيمتها بين أبويها، ثم يرزقها الله زوجاً، ويرزقها منه ولداً، فتغضب فتكفر فتقول: ما رأيت منك خيراً قط»** (١).

ولأسماء رضي الله عنها مكانة خاصة في نفس أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فهي التي زينتها يوم زفافها على رسول الله ﷺ وأدخلتها عليه، وأصبحت بعد ذلك تدعى أسماء عائشة أو أسماء مقينة عائشة (٢).

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، وأحمد في المسند (٦/٤٥٨).
(٢) أسد الغابة (٦/١٣).

أسماء المجاهدة:

ولم تتوقف أسماء عن الجهاد، فما إن أقبلت السنة الثالثة عشرة من الهجرة حتى خرجت إلى بلاد الشام، لتأخذ مكانها في جيش المسلمين في اليرموك، لتسقي العطشى وتضمد الجرحى، ولم يكن عملها مقتصراً على ذلك، بل انغمرت في الصفوف، وقتلت يومئذٍ تسعة من الروم بعمود فسطاطها، وعاشت بعد ذلك دهراً إلى أن توفيت في زمن يزيد ابن معاوية[١].

قال عبد بن حميد أم سلمة الأنصارية هي أسماء بنت يزيد بن الموطأ شهدت اليرموك، وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسطاطها - عمود خيمتها - ليلة عرسها وعاشت بعد ذلك دهرا [٢].

وقال الذهبي: أسماء بنت يزيد بن الموطأ بن رافع بن امرئ القيس الأشهلية الأنصارية خطيبة النساء انفرد لها البخاري بحديثين شهدت اليرموك، وقتلت يومئذ تسعة بعمود خبائها، تكنى أم سلمة، ويقال: أم عامر روى عنها مجاهد وغيره [٣].

وقصة قتل أسماء للروم، أخرجها الطبراني عن مهاجر، فقال: أن أسماء بنت يزيد بن السكن بنت عم معاذ بن جبل رضي الله عنهما قتلت يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود فسطاط [٤].

روى عنها: محمود بن محمد، وشهر بن حوشب، وإسحاق بن راشد وغيرهم [٥].

توفيت أسماء في السنة الثلاثين من الهجرة.

فرضى الله عنها ورحمها وأجزل لها المثوبة، ورزق الله المؤمنين الاقتداء بها وبأمثالها. آمين.

قال ابن حجر: عن أبي داود بسند حسن عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٩٧/٢).
(٢) الإصابة (٢٢/٨)، والبداية والنهاية (١١/٧ - ١٤) و (٣١٦/٨).
(٣) لسان الميزان (٥٢٣/٧) رقم (٥٨٧٩).
(٤) سير الصحابة من كتاب حياة الصحابة (٤٠١/١).
(٥) الاستيعاب (١٧٨٧/٤) برقم (٣٢٣٣).

يقـول: **«لا تقـتلن أولادكـن سـرا، فـإن الغيـل يـدرك الفـارس فيـدعثره عـن فرسـه»** روى عنهـا ابـن أخيهـا محمـود بـن عمـرو الأنصـاري ومهـاجر بـن أبـي مسـلم مولاهـا وشهر بن حوشب.

قال ابن مالك في الموطأ: هو أروى الناس عنها وبعض أحاديثها.

ثـم عنـد أحمـد وابـن سـعد أنهـا بايعـت النبـي ﷺ فـي نسـوة وفيـه: **«إني لا أصافح النساء»**، وقال الترمذي بعد أن أخرج من طريق يزيد بن عبد الله الشيباني: سمعت شهر بن حوشب يقول: حدثتنا أم سلمة الأنصارية قالت: قالت امرأة من النسوة تعني اللاتي بايعن النبي ﷺ: ما هذا العذر الذي لا ينبغي لنا أن نعصيك فيه؟ قال: **«لا»** [١].

* * * * *

---

(١) الإصابة (٤٩٨/٧) برقم (١٠٨١٠).

الخنساء

هي: تماضر بنت عمرو، بن الحارث، بن الشريد، بن ثعلبة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم السلمية.

قال ابن حجر: الشاعرة المشهورة وتماضر بمثناة فوقانية أوله وضاد معجمة.

وفي ذلك يقول دريد بن الصمة حين رآها تهنأ إبلا لها ثم تجردت واغتسلت فأعجبته، فخطبها فأبت، فقال فيها:

حيوا تماضر واربعوا صحبي ::: وقفوا فإن وقوفكم حسبي
ما إن رأيت ولا سمعت به ::: كاليوم طالي أينق جرب
متبذلا تبدو محاسنه ::: يضع الهناء مواضع النقب
أخناس قد هام الفؤاد بكم ::: واعتاده داء من الحب

فبلغتها خطبته، فقالت: لا أدع بني عمي الطوال مثل عوالي الرماح، وأتزوج شيخا، فلما بلغه ذلك قال من أبيات:

وقاك الله يا ابنة آل عمرو ::: من الفتيان أمثالي ونفسي
وقالت إنه شيخ كبير ::: وهل خبرتها أني ابن أمس
وقد علم المراضع في جمادي ::: إذا استعجلن عن حز بنهس

إلى أن قال:

وأني لا أبيت بغير نحر ::: وأبدأ بالأرامل حين أمسي
وأني لا يهر الكلب ضيفي ::: ولا جاري يبيت خبيث نفس

فأجابته بأبيات.

قال أبو عمر: قدمت على النبي ﷺ مع قومها من بني سليم، فأسلمت معهم، فذكروا أن رسول «الله ﷺ كان يستنشدها ويعجبه شعرها، وكانت تنشده وهو يقول: **"هيه يا خناس ويومئ بيده»**.

قالوا: وكانت الخنساء تقول في أول أمرها البيتين أو الثلاثة، حتى قتل أخوها شقيقها معاوية بن عمرو، وقتل أخوها لأبيها صخر، وكان أحبهما إليها، لأنه كان حليما جوادا محبوبا في العشيرة، كان غزا بني أسد فطعنه أبو ثور الأسدي طعنة مرض منها حولا، ثم مات فلما قتل أخواها أكثرت من الشعر،

فمن قولها في صخر:

أعينـــــي جـــــودا ولا تجمـــــدا ::: ألا تبكيـــــان لصـــــخر النـــــدى
ألا تبكيـــــان الجـــــريء الجميـــــل ::: ألا تبكيـــــان الفتـــــى الســـــيدا
طويـــــل النجـــــاد عظـــــيم الرمـــــاد ::: ســـــاد عشـــــيرته أمـــــردا

قال: وأجمع أهل العلم بالشعر أن لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها [١].

وفي معركة القادسية كانت الخنساء بنت عمرو السلمية ومعها بنوها أربعة رجال، فذكر موعظتها لهم وتحريضهم على القتال وعدم الفرار، وفيها: إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين وإنكم لبنو أب واحد وأم واحدة، ما هجنت آباءكم، ولا فضحت أخوالكم، فلما أصبحوا باشروا القتال واحدا بعد واحد حتى قتلوا، وكان منهم أنشد قبل أن يستشهد رجزا فأنشد الأول:

يـــا إخـــوتي إن العجـــوز الناصـــحه ::: قـــد نصـــحتنا إذ دعتنـــا البارحـــه
بمقالـــــة ذات بيـــــان واضـــــحه ::: وإنمـــــا تلقـــــون ثـــــم الصـــــائحه

من آل ساسان كلابا نابحه.

وأنشد الثاني:

إن العجـــــوز ذات حـــــزم وجلـــــد ::: قـــــد أمرتنـــــا بالســـــداد والرشـــــد
نصـــــيحة منهـــــا وبـــــرا بالولـــــد ::: فبـــاكروا الحـــرب حمـــاة فـــي العـــدد

وأنشد الثالث:

والله لا نعصـــــي العجـــــوز حرفـــــا ::: نصـــــحا وبـــــرا صـــــادقا ولطفـــــا
فبـــــادروا الحـــــرب الضـــــروس زحفـــــا ::: حتـــــى تلفـــــوا آل كســـــرى لفـــــا

وأنشد الرابع:

لســـــت لخنســـــاء ولا للأخـــــرم ::: ولا لعمـــــرو ذي الســـــناء الأقـــــدم
إن لـــم أرد فـــي الجـــيش جـــيش الأعجـــم ::: مـــاض علـــى الهـــول خضـــم حضـــرمي

ثم تقدم فقاتل حتى قتل.

---

(١) الإصابة (٧/٦١٣ - ٦١٦).

قـال: فبلغهـا الخبـر، فقالـت: الحمـد لله الـذي شـرفني بقـتلهم، وأرجـو مـن ربـي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

وكان عمر بن الخطاب يعطي الخنساء أرزاق أولادها الأربعة، لكل واحد مائتا درهم، حتى قبض [١].

وتوفيت الخنساء رضى الله عنها بالبادية في أول خلافة عثمان بن عفان ضى الله عنه سنة ٢٤هـ [٢].

* * * * *

---

(١) أسد الغابة (٢٦٨/٥)، الأعلام (٨٦/٢).

(٢) الإصابة (٧/ ٦١٦).

الربيع بنت معوّذ

هى الربيع بنت معوذ بن الحارث، بن رفاعة، بن الحارث، بن سواد، بن مالك، ابن غنم، بن مالك، الأنصارية النجارية، وأمها أم يزيد بنت قيس، بن زعواء، بن حرام، ابن جندب، بن عامر، بن غنم، بن عدي، بن النجار.

أبوها معوِّذ من كبار أهل بدر.

وزوجها هو الصحابي الجليل إياس بن بكير الليثي، وهو أحد كبار المهاجرين.

ولها رضي الله عنها مناقب جمة، منها زيارة رسول الله ﷺ لها في يوم عرسها.

قالت الربيع بنت معوذ رضي الله عنها: دخل علي النبي ﷺ في يوم عرسي، فقعد على موضع فراشي كمجلسك مني، وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر، حتى قالت جارية: وفينا نبي يعلم ما في غد.

فقال النبي ﷺ : **«لا تقولي هكذا، وقولي ما كنت تقولين»** [1].

إنكار النبي ﷺ لهذه الجارية لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، وليس لأحد من المخلوقين يعلم الغيب، قال الله تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧].

ولها رضي الله عنها مواقف شجاعة تدل على اعتصامها بحبل الله تعالى وحبها للإسلام وأهله، ولا تخاف في الله لومة لائم، ولا تخشى أي أحد يخالف شرع الله تعالى.

عن الربيع قالت: أخذت طيبا من أسماء بنت مخربة أم أبي جهل، فقالت: اكتبي لي عليك، فقلت: نعم أكتب على ربيع بنت معوذ، فقالت: حلقى وإنك لابنة قاتل سيده، قلت: بل ابنة قاتل عبده، قالت: والله لا أبيعك شيئا أبدا.

والربيع هي والدة محمد بن إياس بن البكير [2].

وكان عدد من الصحابة والتابعين يأتونها فيسألونها، عما تعرفه من أحكام، ومن مرويات.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح برقم (٣٧٧٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٩٩/٣).

عن الربيع بنت معوذ قالت: أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: من أصبح مفطرا فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائما فليصم.

قالت: فكنا نصومه بعد ونصوم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العِهْن - الصوف - فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار[١].

إكرامه عليه السلام للربيع بنت معوذ ولأم سنبلة:

وأخرج الطبراني عن الربيع بنت معوذ بن عفراء رضي الله عنهما قالت: بعثني معوذ بن عفراء، بصاع من رطب، عليه أجر من قثاء زغب إلى رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ يحب القثاء، وكانت حلية قد قدمت من البحرين فملأ يده منها، فأعطانيها، وفي رواية: فأعطاني ملء كفي حلياً أو ذهباً، ورواه أحمد بنحوه وزاد، فقال: تحلي بهذا.

قال الهيثمي: وإسنادهما حسن، وأخرجه الترمذي عن الربيع مختصراً، وأخرج الطبراني في الأوسط عن أم سنبلة رضي الله عنها أنها أتت النبي ﷺ بهدية، فأبى أزواجه أن يقبلنها، فقلن: إنا لن نأخذ، فأمرهن النبي ﷺ فأخذنها، ثم أقطعها وادياً، فاشتراه عبد الله ابن جحش من حسن بن علي رضي الله عنهم، قال الهيثمي: وفيه عمرو بن قيظي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

توفيت رضي الله عنها في أيام معاوية رضى الله عنها سنة ٤٥ هـ.

* * * * *

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٩٦٠)، ومسلم برقم (٧٩٩/٢).

أم الدحداح الأنصارية

هي واحدة من نساء الصحابة اللاتي كان لهن دور جليل في تاريخ الإسلام، وهي واحدة ممن آثرن نعيم الآخرة المقيم على متاع الدنيا الزائل.

أسلمت أم الدحداح حين قدم مصعب بن عمير المدينة سفيراً لرسول الله ﷺ ليدعو أهلها إلى الإسلام، حيث كانت ممن ناله شرف الدخول في الإسلام، كما أسلمت أسرتها كلها، ومشوا في ركب الإيمان.

زوجها أبي الدحداح الصحابي الجليل واحد من فرسان الإسلام، وأحد التلامذة النجباء، وهو من الباذلين في سبيل الله نفوسهم وأرواحهم وأموالهم.

وقد كان لأبي الدحداح أرض وفيرة في مائها غنية في ثمرها، فلما نزل قوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا ﴾ [الحديد: ١١]. قال أبو الدحداح: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إن الله يستقرضنا وهو غني عن القرض؟ قال: **«نعم يريد أن يدخلكم الجنة به»**. قال: فإني إن أقرضت ربي قرضاً، يضمن لي به، ولصبيتي الدحادحة معي في الجنة؟ فقال ﷺ: **«نعم»** قال: فناولني يدك. فناوله رسول الله ﷺ يده فقال: إن لي حديقتين: إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما قد جعلتهما قرضاً لله تعالى.

فقال رسول الله ﷺ : **«اجعل إحداهما لله، والأخرى دعها معيشة لعيالك»**.

قال: فأشهدك يا رسول الله أني جعلت خيرها لله تعالى، وهو حائط فيه ستمائة نخلة.

قال: **«إذاً يجزيك الله به الجنة»**.

فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح، وهي مع صبيانها في الحديقة تدور تحت النخل، فأنشأ يقول:

هداك الله سبل الرشاد ::: إلى سبيل الخير والسداد
بيني من الحائط بالواد ::: فقد مضى قرضاً إلى التناد
أقرضته الله على اعتمادي ::: بالطوع لا منٍّ ولا ارتداد
إلا رجاء الضعف في المعاد ::: فارتحلي بالنفس والأولاد
البر لا شك فخير زاد ::: قدمه المرء إلى المعاد

قالت أم الدحداح رضي الله عنها: ربح بيعك! بارك الله لك فيما اشتريت، ثم أجابته أم الدحداح وأنشأت تقول:

بشـــرك الله بخيـــر وفـــرح ::: مثلـــك أدى مـــا لديـــه ونصـــح
قـــد متـــع الله عيـــالي ومـــنح ::: بـــالعجوة الســـوداء والزهـــو الـــبلح
والعبـــد يســـعى ولـــه مـــا قـــد كـــدح ::: طـــول الليـــالي وعليـــه مـــا اجتـــرح

ثم أقبلت أم الدحداح رضي الله عنها على صبيانها تخرج ما في أفواههم، وتنقص ما في أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر.

فقال رسول الله ﷺ: **«كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح»** (١).

وفي غزوة أحد صاح أبو الدحداح: يا معشر الأنصار، إليَّ، أنا ثابت بن الدحداحة، قاتلوا عن دينكم فإن الله مظهركم وناصركم، فنهض إليه نفر من الأنصار، فجعل يحمل بمن معه من المسلمين، وقد وقفت لـه كتيبة خشناء، فيها رؤساؤهم، خالد بن الوليد، وعمرو ابن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب فجعلوا يناوشونهم، وحمل خالد ابن الوليد بالرمح، فأنفذه فوقع ميتاً ﷺ، واستشهد أبو الدحداح فعلمت بذلك أم الدحداح، فاسترجعت، وصبرت، واحتسبته عند الله تعالى، الذي لا يضيع أجر منْ أحسن عملاً.

* * * * *

---

(١) ذكره ابن حجر في " الإصابة " (٥٩/٤) وآخر الحديث في صحيح الجامع الصغير برقم (٤٤٥٠).

أم المنذر بنت قيس رضي الله عنها

هى سلمى بنت قيس بن عمرو بن عبيد (أم المنذر) إحدى خالات النبي ﷺ.

وهي أخت سُليط بن قيس، شهد بدراً والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو أحد أبطال معركة الجسر الشهيرة مع أبي عبيدة حيث قُتل يوم الجسر سنة أربع عشرة من الهجرة، ولم يكن له عقب [١].

وهي من النساء اللائي بايعن رسول الله ﷺ، وكان لهذه البيعة قصة ترويها بنفسها فتقول: جئت رسول الله ﷺ فبايعته في نسوة من الأنصار، فلما شرط علينا ألاَّ نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف قال: **«ولا تغششن أزواجكن»** قالت: فبايعناه ثم انصرفنا، فقلت لامرأة منهن: ارجعي فسلي رسول الله ﷺ ما غش أزواجنا؟ قالت: فسألته، فقال: **«تأخذ ماله فتحابي به»** [٢].

وهذه الصحابية الجليلة كانت تحظى بنفحات خاصة من النبي ﷺ فقد كان يخصها بالزيارة، ويأكل عندها، ويشير إلى طعامها أنه ذو بركة، وذو نفع، وعنها قالت: دخل رسول الله ﷺ ومعه علي ناقه، ولنا دواليد معلقة، فقام رسول الله ﷺ يأكل منها، وقام علي ليأكل، فطفق رسول الله ﷺ يقول لعلي: **«مَهْ إنك ناقه»** حتى كفَّ علي. قالت: وصنعت شعيراً وسلقاً، فجئت به فقال رسول الله ﷺ: **«يا علي أصب من هذا فهو أنفع لك»** [٣].

ومن مآثر أم المنذر رضي الله عنها أنها أعلنت بيعتها للمرة الثانية مع الرسول ﷺ ولذلك سميت مبايعة البيعتين وكانت هذه البيعة تحت الشجرة في بيعة الرضوان في السنة السادسة من الهجرة، حينما احتجز المشركون بمكة عثمان رضى الله عنه، ودعا رسول الله ﷺ إلى البيعة التي أمر الله تعالى بها، وسارعت أم المنذر في ثلة من الصحابيات يبايعن على الموت، ونالت بذلك بشارة النبي ﷺ بالجنة عندما قال: **«لا يدخل النار أحد**

---

(١) الطبقات الكبرى (٥١٢/٣).
(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٨٠/٦ و٤٢٣).
(٣) رواه أبو داود، والترمذي كلاهما في الطب، وأحمد في مسنده (٣٦٤/٦)، وابن ماجة(٣٤٤٢)

٤٠١

ممن بايع تحت الشجرة» [١].

* * * * *

---

(١) رواه البخاري في فضائل الصحابة.

أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها

هي أم حرام بنت ملحان، بن خالد، بن زيد، بن حرام، بن جندب، بن عامر، بن غنم، بن عدي، بن النجار، الأنصارية النجارية المدنية.

إنها شهيدة البحر، أخت أم سليم، وهي خالة أنس بن مالك ﷺ، وأخت الشهيدين حرام وسليم ابني ملحان بن خالد، شهد بدراً وأحداً، وقتلا شهيدين يوم بئر معونة.

وحرام هو القائل عندما طعن من خلفه برمح: فزت ورب الكعبة.

وأخوها عمرو بن ملحان، وهو الذي حمل كتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل، زعيم بني عامر، فلما أتاه الكتاب لم ينظر فيه حتى عدى على حرام فقتله.

زوجها هو عبادة بن الصامت ﷺ، وهو واحد ممن شهدوا العقبة مع السبعين من الأنصار، وأحد النقباء الاثني عشر، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان عقبياً بدرياً أنصارياً.

أسلمت وبايعت النبي ﷺ وهاجرت، وروت عن رسول الله ﷺ.

كان رسول الله ﷺ يزورها ويكرمها.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يدخل على أمَّ حرام بنت ملحان فتُطعمه [(١)].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: اتفق العلماء على أنها كانت محرما له ﷺ، واختلفوا في كيفية ذلك.

فقال ابن عبد البر وغيره: كانت إحدى خالاته من الرضاعة، وقال آخرون: بل كانت خالة لأبيه [(٢)].

وكانت أمُّ حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته وجعلت تَفْلي رأسه فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يُضحك قالت: فقلت: وما يُضحكك يا رسول الله؟ قال: «**ناس من أمتي عُرضوا عليَّ غُزاة في سبيل الله يركبون ثَبَجَ هذا البحر**

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/٥٧).

ملوكاً على السرة أو مثل الملوك على السرة».

قالت: فقلتُ: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله ﷺ ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «**ناس من أمتي عُرِضوا عليَّ في سبيل الله**» كما قال في الأول، قالت: فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «**أنت من الأولين**»، قاله أنس بن مالك رضى الله عنه:

فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت، فلما جاز البحر، ركبت دابة فصرعتها فقتلتها، وكانت تلك الغزوة غزوة قبرص، فدفنت فيها، وكان أمير الجيش معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان رضي الله عنهم جميعاً [١].

وكان ذلك في سنة سبع وعشرين [٢].

عن هشام بن الغاز قال: قبر أم حرام بنت ملحان بقبرص، وهم يقولون: هذا قبر المرأة الصالحة [٣].

* * * * *

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٨٧٨)، ومسلم برقم (١٩١٢).
(٢) الإصابة (٢٢٣/٨).
(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٣٠/٢٥).

أم سليم الغميصاء، أو الرميصاء، بنت ملحان رضي الله عنها

أم أنس بن مالك رضى الله عنهما، خادم رسول الله ﷺ.

أخوها: حرام قتل شهيداً يوم بئر معونة.

وأختها: أم حرام بنت ملحان الشهيدة في قبرص.

وهي خالة النبي ﷺ، وأول امرأة في العالم مهرها الإسلام، وهي امرأة من نساء الجنة، رزقت بعشرة أطفال يحفظون القرآن.

ولما آمنت رضي الله عنها ودخلت في الإسلام جاء زوجها أبو أنس، وكان غائباً، وعندما علم بإسلامها غضب غضباً شديداً، وقال لها: أصبوت؟ قالت: ما صبوت ولكني آمنت [١].

وكانت رضي الله عنها تلقى ابنها أنساً فتقول: قل: لا إله إلا الله، قل: أشهد أن محمداً رسول الله، ففعل، فيقول لها أبوه: لا تفسدي عليَّ ابني، فتقول: إني لا أفسده!

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«أريتُ الجنَّةَ فرأيتُ امرأةَ أبي طلحة»** [٢].

عن أنس ﷺ قال خَطَبَ أبو طلحة أمَّ سُليم فقالت: والله ما مِثْلُكَ يا أبا طلحة يُرد ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مُسلمة ولا يحل لي أن أتزوجك فإن تُسلم فذاك مهري، وما أسألك غيره، فأسْلم فكان ذلك مهرها.

قال ثابت الراوي عن أنس: فما سمعتُ بامرأةٍ قطْ كانت أكرمَ مَهراً من أمِّ سُليم، الإسلام فدخل بها فولدت لـه. رواه النسائي.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان ابن لأبي طلحة يشتكي فَخَرَجَ أبو طلحة فَقُبِضَ الصبيُّ فلما رَجَعَ أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت: أمُّ سُليم هو أسْكن ما كان فقربت إليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها فلما فَرَغَ قالت: وارِ الصبَّي، فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: **«أعرستم الليلة؟»** قال:

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٣٠٥).
(٢) رواه مسلم.

نعم. قال: «**اللهم بارك لهما في ليلتهما**»، فولدت غُلاماً قال لي أبو طلحة احفظه حتى تأتي به النبي ﷺ، فأتى به النبي ﷺ وأرسلتْ معه بتمراتٍ، فأخذهُ النبي ﷺ فقال: «**أمَعَهُ شيء ؟**» قالوا: نعم تمرات فأخذها النبيُّ ﷺ فمضغها، ثم أخذ من فيه، فجعلها في فيِّ الصبي، وحنَّكه به وسماه عبد الله [(١)].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**دخلت الجنة فسمعت خشفة، فقلت: من هذه؟**» قالوا: هذه الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك [(٢)].

الخشفة: ما يسمع من حس وقع القدم.

وكان رسول الله ﷺ: يعظمها ويقدرها وكان يكثر من زيارتها، ويأكل عندها، ويقيل في بيتها.

عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يزور أم سليم فتتحفه بالشيء تصنعه له، قال: أنس: وأخ لي أصغر مني يكنى أبا عمير، فزارنا النبي ﷺ ذات يوم، فقال: «**يا أم سليم، ما شأني أرى أبا عمير ابنك خائر النفس**». فقالت: يا نبي الله؛ ماتت صعوة له كان يلعب بها، قال: فجعل النبي ﷺ يمسح رأسه، ويقول: «**يا أبا عمير، ما فعل النغير؟**».

قالت أم سليم رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يجيء يقيل عندي على نطع وكان معراقاً.

قالت: فجاء ذات يوم، فجعلت أسلت العرق، فأجعله في قارورة لي، فاستيقظ النبي ﷺ، فقال: «**ما تجعلين يا أم سليم؟**» فقالت: باقي عرقك أريد أن أدوق به طيبي.

نطع: فراش من جلد وشعر.

معراقاً: أي كثير العرق.

أدوق: أخلط.

ولقد كان النبي ﷺ يجل أم سليم ويحترمها، ويزورها، فعن أنس رضى الله عنه أن

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٤٥٦).

النبي ﷺ دخل على أم سليم فأتته بسمن وتمر، فقال: **«إني صائم»** ثم قام، فصلى ودعا لأم سليم ولأهل بيتها، فقالت: إنَّ لي خويصة قال: **«ما هي؟»** قالت: خادمك أنس، فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لي به، وبعثت معي بمكتل من رطب إلى رسول الله ﷺ [١].

خويصة: تصغير خاصة.

وعن أنس ﷺ قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدخل بيتاً غير بيت أم سليم. فقيل له. فقال: **«إني أرحمها، قُتل أخوها معي»** [٢].

قال الإمام الذهبي رحمه الله: أخوها هو حرام بن ملحان الشهيد الذي قال يوم بئر معونة: فزت وربِّ الكعبة، لما طعن من ورائه، فطلعت الحربة من صدره رضى الله عنه[٣].

عن أنس رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم رضي الله عنها ونسوة معها من الأنصار يسقين الماء ويداوين الجرحى [٤].

وفي غزوة حنين خرجت أم سليم تبتغي أجر الجهاد مع رسول الله ﷺ وكان معها خنجر قد حزمته على وسطها، وهي يومئذٍ حامل بعبد الله بن أبي طلحة، فقال أبو طلحة: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر! فقالت: يا رسول الله، إن دنا مني مشرك بقرت بطنه.

فجعل رسول الله ﷺ يضحك.

قالت: يا رسول الله اقتُل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك، فقال رسول الله ﷺ: **«يا أُم سليم! إن الله قد كفى وأحسن»** [٥].

من بعدنا: أي من سوانا.

---

(١) رواه البخاري برقم (١٩٨٢).
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) سير أعلام النبلاء (٣٠٧/٢).
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه مسلم برقم (١٨٠٩).

الطلقاء: هم الذين أسلموا من أهل مكة يوم الفتح سمُّوا بذلك؛ لأن النبي ﷺ منَّ عليهم وأطلقهم، وكان في إسلامهم ضعفٌ، فاعتقدت أم سليم أنهم منافقون وأنهم استحقوا القتل بانهزامهم وغيره.

وقولها: "انهزموا بك": الباء في (بك) هنا يعني (عن)؛ أي: انهزموا عنك، على حدَّ قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] أي: عنه.

وربما تكون للسببية، أي: انهزموا بسببك لنفاقهم، انتهى؛ قاله النووي رحمه الله [(١)].

٥١٥٣- حدثنا مطر بن الفضل حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا عبد الله بن عون عن أنس بن سيرين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ثم كان ابن لأبي طلحة يشتكي فخرج أبو طلحة فقبض الصبي فلما رجع أبو طلحة قال ما فعل ابني قالت أم سليم: هو أسكن ما كان فقربت إليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها فلما فرغ قالت وارو الصبي فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: **«أعرستم الليلة»** قال: نعم قال: **«اللهم بارك لهما»** فولدت غلاما قال لي أبو طلحة: احفظه حتى تأتي به النبي ﷺ فأتى به النبي ﷺ وأرسلت معه بتمرات فأخذه النبي ﷺ فقال: **«أمعه شيء»** قالوا: نعم تمرات فأخذها النبي ﷺ فمضغها ثم أخذ من فيه فجعلها في في الصبي وحنكه به وسماه عبد الله حدثنا محمد بن المثنى حدثنا ابن أبي عدي عن ابن عون عن محمد عن أنس وساق الحديث باب إماطة الأذى عن الصبي في العقيقة (٥١٥٤) حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد عن سلمان بن عامر قال مع الغلام عقيقة وقال حجاج: حدثنا حماد أخبرنا أيوب وقتادة وهشام وحبيب عن ابن سيرين عن سلمان عن النبي ﷺ واحد عن عاصم وهشام عن حفصة بنت سيرين عن الرباب عن سلمان بن عامر الضبي عن النبي ﷺ ورواه يزيد بن إبراهيم عن بن سيرين عن سلمان قوله وقال أصبغ: أخبرني ابن وهب عن جرير بن حازم عن أيوب السختياني عن محمد بن سيرين حدثنا سلمان بن عامر الضبي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ثم مع الغلام عقيقة فأهريقوا**

---

(١) صحيح البخاري ج: ٥ ص: ٢٠٨٢، في شرح مسلم (١٢/ ١٨٩).

عنه دما وأميطوا عنه الأذى» [١].

باب استحباب تحنيك المولود ثم ولادته وحمله إلى صالح يحنكه وجواز تسميته يوم ولادته واستحباب التسمية بعبد الله وإبراهيم وسائر أسماء الأنبياء عليهم السلام.

٢١٤٤- حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال ثم ذهبت بعبد الله بن أبي طلحة الأنصاري إلى رسول الله ﷺ حين ولد ورسول الله ﷺ في عباءة يهنأ بعيرا له فقال: **«هل معك تمر»** فقلت: نعم فناولته تمرات فألقاهن في فيه فلاكهن ثم فغرا فاه الصبي فمجه في فيه، فجعل الصبي يتلمظه فقال رسول الله ﷺ : **«حب الأنصار التمر»** وسماه عبد الله.

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا بن عون عن ابن سيرين عن أنس بن مالك قال ثم كان ابن لأبي طلحة يشتكي فخرج أبو طلحة فقبض الصبي فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني ؟ قالت أم سليم: هو أسكن مما كان فقربت إليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها فلما فرغ قالت واروا الصبي فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: **«أعرستم الليلة»** قال: نعم قال: **«اللهم بارك لهما»** فولدت غلاما فقال لي أبو طلحة احمله حتى تأتي به النبي ﷺ فأتى به النبي ﷺ وبعثت معه بتمرات فأخذه النبي ﷺ فقال: **«أمعه شيء؟»** قالوا نعم تمرات فأخذها النبي ﷺ فمضغها ثم أخذها من فيه فجعلها في في الصبي ثم حنكه وسماه عبد الله[٢].

قوله ذهبت بعبد الله بن أبى طلحة حين ولد ورسول الله ﷺ فى عباءة يهنأ بعيرا له فقال: **«هل معك تمر»** فقلت: نعم فناولته تمرات فألقاهن فى فيه فلاكهن ثم فغر فا الصبى فمجه فيه فجعل الصبى يتلمظه قال رسول الله ﷺ حب الأنصار التمر وسماه عبدالله أما العباءة فمعروفة وهى ممدودة يقال فيها عباية بالياء وجمع العباءة العباء وأما قوله يهنأ فبهمزة آخره أى يطلبه بالقطران وهو الهناء بكسر الهاء والمد يقال هنأت البعير أهنأه ومعنى لاكهن أى مضغهن قال أهل اللغة اللوك مختص بمضغ الشىء الصلب وفغرفاه بفتح الفاء والغين المعجمة أى فتحه ومجه فيه: أى طرحه فيه ويتلمظ: أى يحرك

---

(١) صحيح مسلم ج: ٣ ص: ١٦٨٩.

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ج: ١٤ ص: ١٢٤.

لسانه ليتتبع مافى فيه من آثار التمر والتلمظ واللمظ فعل ذلك باللسان يقصد به فاعله تنقية الفم من بقايا الطعام وكذلك ما على الشفتين وأكثر ما يفعل ذلك فى شىء يستطيبه ويقال تلمظ يتلمظ تلمظلة ولمظ يلمظ بضم الميم لمظا باسكانها ويقال لذلك الشىء الباقى فى الفم لماظة بضم اللام وقوله ﷺ حب الأنصار التمر روى بضم الحاء وكسرها فالكسر بمعنى المحبوب كالذبح بمعنى المدبوح وعلى هذا فالباء مرفوعة أي محبوب الأنصار التمر وأما من ضم الحاء فهو مصدر وفي الباء على هذا وجهان النصب وهو الأشهر والرفع فمن نصب فتقديره انظروا حب الأنصار التمر فينصب التمر أيضا ومن رفع قال هو مبتدأ حذف خبره أى حب الأنصار التمر لازم أو هكذا أو عادة من صغرهم والله أعلم.

وفى هذا الحديث فوائد:

منها: تحنيك المولود بعد ولادته وهو سنة بالإجماع كما سبق.

ومنها: أن يحنكه صالح من رجل أو امرأة.

ومنها: التبرك بآثار الصالحين وريقهم وكل شىء منهم.

ومنها: كون التحنيك بتمر وهو مستحب، ولو حنك بغيره حصل التحنيك، ولكن التمر أفضل.

ومنها: جواز لبس العباءة.

ومنها: التواضع وتعاطى الكبير أشغاله، وأنه لاينقص ذلك مروءته.

ومنها: استحباب التسمية بعبد الله.

ومنها: استحباب تفويض تسميته إلى صالح فيختار له أعطى يرتضيه.

ومنها: جواز تسميته يوم ولادته والله أعلم.

قوله فى الرواية الثانية: أن الصبى لما مات، فجاء أبوه أبو طلحة سأل أم سليم، وهى أم الصبى ما فعل الصبى؟ قالت: هو أسكن مما كان، فقربت إليه العشاء، فتعشى ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: واروا الصبى، أى ادفنوه، فقد مات، وفى هذا الحديث

مناقب لأم سليم رضى الله عنها من عظيم صبرها، وحسن رضاها، بقضاء الله تعالى، وجزالة عقلها فى إخفائها موته على أبيه فى أول الليل ليبيت مستريحا بلا حزن، ثم عشته، وتعشت، ثم تصنعت لــه وعرضت لــه بإصابته، فأصابها، وفيه استعمال المعاريض، ثم الحاجة، لقولها هو أسكن مما كان، فإنه كلام صحيح مع أن المفهوم منه أنه قدهان مرضه، وسهل، وهو فى الحياة، وشرط المعاريض المباحة ألايضيع بها حق أحد، والله أعلم.

قولــه ﷺ : «**أعرستم الليلة**» هو باسكان العين، وهو كناية عن الجماع، قال الأصمعى والجمهور يقال: أعرس الرجل إذا دخل بامرأته قالوا: ولا يقال فيه عرس بالتشديد، وأراد هنا الوطء، وسماه أعراسا؛ لأنه فى معناه فى المقصود قال صاحب التحرير: روى أيضا أعرستم بفتح العين وتشديد الراء، قال: وهى لغة، يقال: عرس بمعنى أعرس، قال: لكن قال أهل اللغة: أعرس أفصح من عرس فى هذا، وهذا السؤال للتعجب من صنيعها وصبرها وسرورا بحسن رضاها بقضاء الله تعالى، ثم دعا ﷺ لهما بالبركة فى ليلتهما، فاستجاب الله(١).

وفي قصة أم سليم هذه من الفوائد:

جواز الأخذ بالشدة وترك الرخصة مع القدرة عليها والتسلية عن المصائب، وتزين المرأة لزوجها، وتعرضها لطلب الجماع منه، واجتهادها في عمل مصالحه، ومشروعية المعاريض الموهمة، إذا دعت الضرورة إليه وشرط جوازها ألا تبطل حقا لمسلم، وكان الحامل لأم سليم على ذلك المبالغة في الصبر، والتسليم لأمر الله تعالى ورجاء إخلافه عليها ما فات منها، إذ لو أعلمت أبا طلحة بالأمر في أول الحال تنكد عليه وقته، ولم تبلغ الغرض الذي أرادته، فلما علم الله صدق نيتها، بلغها مناها، وأصلح لها ذريتها وفيه إجابة دعوة النبي ﷺ، وأن من ترك شيئا عوضه الله خيرا منه، وبيان حال أم سليم من التجلد وجودة الرأي وقوة العزم.

روت عن النبي ﷺ أربعة عشر حديثاً واتفق لها الشيخان على حديث واحد، وانفرد البخاري بحديث ومسلم بحديثين.

---

(١) فتح الباري ج: ٣ ص: ١٧١.

بشارتها بالجنة:

وعن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: **«أريت الجنة فرأيت امرأة أبي طلحة ثم سمعت خشخشة أمامي فإذا بلال»** (١).

عن أنس عن النبي ﷺ قال: **«دخلت الجنة، فسمعت خشفة، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذه الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك»** (٢).

توفيت نحو سنة ٣٠ هـ، كما ذكر الزركلي (٣).

رحم الله أم سليم ورضي عنها، وأكرم مثواها في جنات الخلد وزوجها وأولادها.

وجزاها عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ورزق المسلمين الاقتداء بها وبأمثالها، والسير على منوالها. آمين.

* * * * *

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٧٩)، ومسلم برقم (٢٤٥٧).
(٢) رواه مسلم برقم (٢٤٥٦).
(٣) الأعلم (٣٣/٣).

أم عطية الأنصارية رضي الله عنها

أم عطية الأنصارية واحدة من فاضلات نساء الصحابة، وواحدة ممن أثرين تاريخ النساء بأعمال طيبة في الجهاد والفقه ورواية الحديث.

اسمها هي: نسيبة بنت الحارث الأنصارية من كبار نساء الصحابة، أسلمت مع السابقات من نساء الأنصار، وفي ساحات الوغى وتحت ظلال السيوف كانت، رضي الله عنها، تسير في ركب الجيش الغازي، وتروي ظمأ المجاهدين، وتأسو جراحهم، وترقأ دمهم، وتعد طعامهم.

عن أم عطية رضي الله عنها قالت: غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى [١].

وفي غزوة خيبر كانت أم عطية رضي الله عنها من بين عشرين امرأة خرجن مع رسول الله ﷺ يبتغين أجر الجهاد [٢].

عن أم عطية رضي الله عنها قالت: لما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ قال: **«اغسلنها وتراً، ثلاثاً، أو خمساً، واجعلن في الآخرة كافوراً أو شيئاً من كافور، فإذا غسلتنَّها فأعلمنني»**[٣].

وقد كانت أم عطية رضي الله عنها فقيهة حافظة، لها أربعون حديثاً، منها في الصحيحين ستة.

وقد أخرج أحاديثها أصحاب السنن الأربع، وروى عنها أنس بن مالك رضى الله عنه من الصحابة، وروى عنها من التابعين محمد بن سيرين، وأخته حفصة بنت سيرين، وأم شراحبيل، وعلي بن الأقمر، وعبد الملك بن عمير، وإسماعيل بن عبد الرحمن [٤].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) الطبقات الكبرى (٤٥٦/٨).
(٣) رواه البخاري برقم (١٦٧) و (١٢٥٥)، ومسلم برقم (٩٣٩).
(٤) سير أعلام النبلاء (٣١٨/٢).

وهي القائلة: نهينا عن اتباع الجنازة، ولم يعزم علينا [(١)].

عن أم عطية رضي الله عنها قالت: أخذ علينا النبي ﷺ عند البيعة ألا ننوح، فما وفت منَّا امرأة إلا خمس نسوة: أم سليم، وأم العلاء، وابنة أبي سبرة امرأة معاذ وامرأتين، أو ابنة أبي سبرة وامرأة معاذ وامرأة أخرى [(٢)].

قال ابن حجر: النسوة الخمس هن: أم سليم، وأم العلاء، وأم كلثوم، وأم عمرو، وهند - إن كانت الرواية محفوظة - وإلا فيختلج في خاطري أن الخامسة هي أم عطية راوية الحديث.

وفي الحديث: فضيلة ظاهرة للنسوة المذكورات.

قال عياض: معنى الحديث: لم يف ممن بايع النبي ﷺ مع أم عطية في الوقت الذي بايعت فيه النسوة إلا المذكورات، لا أنه لم يترك النياحة غير خمسة. اهـ [(٣)].

وقال ابن حجر: النياحة حرام مطلقاً وهو مذهب العلماء كافة [(٤)].

توفيت رضي الله عنها في البصرة، بعد انتقالها لها في آخر عمرها، واستفاد الناس من علمها وفقهها، فكان جماعة من الصحابة والتابعين يأخذون عنها غسل الميت، وعاشت إلى حدود السبعين.

* * * * *

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢٧٨)، ومسلم برقم (٩٣٨).
(٢) أخرجه البخاري برقم (١٣٠٦).
(٣) فتح الباري (١٧٧/٣).
(٤) فتح الباري (٥٠٧/٨).

أم هانئ رضي الله عنها

هي: فاختة بنت أبي طالب، بن عبد المطلب بن هاشم، سيدة هاشمية فاضلة، ابنة عم النبي ﷺ، تكنى بـ (أم هانئ).

قيل: اسمها: فاختة، وقيل: فاطمة، وقيل: هند والأول أشهر [(١)].

أبوها: هو أبو طالب بن عبد المطلب.

وأمها: هي فاطمة بنت أسد.

زوجها: هو هبيرة بن عمرو المخزومي القرشي، وكان واحداً من أشراف بني المرموقين، وأنجبت له أربعة بنين، هم: عمرو، وجعدة، وهانئ، يوسف.

أسلمت رضي الله عنها يوم فتح مكة العظيم، وفر زوجها بشركه بعد إسلامها إلى اليمن، فأقام في نجران شريداً طريداً، بلا زوج ولا ولد.

وكان شاعراً، وقد علَّق على إسلام زوجته أم هانئ بقوله:

وعاذلةٍ هبت بليل تلومني ::: وتعذلني بالليل ضل ضلالها
وتزعم أني إن أطعت عشيرتي ::: سأردى وهل يرديني إلا زوالها

وظل هبيرة مقيماً في نجران على كفره حتى أدركه الموت.

رسول الله ﷺ يخطب أم هانئ:

كانت أم هانئ ترعى أولادها وتحافظ عليهم، حيث أن رسول الله ﷺ خطبها، فقالت له: يا رسول الله، إني امرأة ذات صبيان، وإني أخاف أن يؤذوك، فترك رسول الله ﷺ ذلك الموضوع، وصرف النظر عنه.

عن أبي هريرة ﷺ قال: خطب النبيُّ ﷺ أمَّ هانئ بنت أبي طالب، فقالت: يا رسول الله إني قد كبرتُ ولي عيال، فقال رسول الله ﷺ : **«خيرُ نساء ركبن الإبل، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يد»** [(٢)].

قوله: **«أحناه على ولد في صغره»** هو رأفتها على ولدها وشفقتها عليه في تربيته

---

(١) الإصابة (٤٨٥/٨).
(٢) رواه مسلم برقم (٢٥٢٧).

وتركها الزواج بعد موت أبيه.

والحانية: هي التي تقيم على ولدها ولا تتزوج، فإن تزوجت فليست بحانية [(١)].

وقولـه: «**وأرعاه على زوج في ذات يد**» معناه: أحوطهن وأحفظهن لماله وحسن التدبير فيه والأمانة عليه [(٢)].

قال الآبي: يحتمل والله أعلم أن خطبته كانت تطييباً لنفسها وإلا فكانت من الكبر بحيث لا يرغب فيها، ولا يبعد أنها فهمت ذلك لم ترد خطبته ﷺ [(٣)].

النبي ﷺ يزور أم هانئ:

كان النبي ﷺ يزور أم هانئ في بيتها ويقيل عندها، ويقبل مشورتها، ولا يخالف رأيها.

تقول أم هانئ رضي الله عنها: ذهبت إلى رسول الله ﷺ يوم الفتح، فوجدته يغتسل وفاطمة تستره بثوب، فسلمت، فقال: «**من هذه؟**» قلت: أنا أم هانئ، فقال: «**مرحباً بأم هانئ**»، فلما فرغ من غسله قام، فصلى ثمان ركعات ملتحفاً في ثوب واحد، فقلت: يا رسول الله، زعم إن أمي تعني علياً أنه قاتل رجلاً قد أجرته، فلان ابن هبيرة، فقال النبي ﷺ : «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**»، وذلك ضحى.

وفي يوم الفتح العظيم - فتح مكة - دخل رسول الله ﷺ بيت أم هانئ وسألها: «**هل عندكم طعام نأكله**».

فقالت: ما عندي يا رسول الله إلا شيءٌ من خَلٍّ، فقال لها النبي ﷺ : «**قربيه، فما أفقر بيت من أدم فيه خل**» [(٤)].

وفي رواية: «**ما أقفر من أدم بيت فيه خل**» [(٥)].

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للآبي (٢٥٢/٨، ٤٥٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه الترمذي عن أم هانئ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٤٣٨٧).

(٥) عن أم هانئ عن عائشة. حسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٥٥٤٤). قال ابن الأثير: أي ما خلا من الإدام ولا عدم أهله الأدم والخل من الأدم العامة المنافع وهو كثير المنافع ديناً ودنيا، فإنه بارد يقمع

بكت أم هانئ أخاها الحبيب علي بن أبي طالب رضى الله عنه، بعد أن قتله المجرم الحاقد عبد الرحمن بن ملجم حين غدر به وضربه بسيفه.

أم هانئ وذكرها لله تعالى:

قالت أم هانئ رضي الله عنها: مرّ بي النبي ﷺ ذات يوم فقلت: يا رسول الله! إني قد كبرت وضعفت، فمرني بعمل أعمله وأنا جالسة، قال: **«سبحي الله مائة تسبيحة، فإنها تعدل لك مائة رقبة تعتقيها من ولد إسماعيل، واحمدي الله مائة تحميدة، تعدل لك مائة فرس مسرجة ملجمة تحملين عليها في سبيل الله، وكبِّري الله مائة تكبيرة، فإنها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة، وهلِّلي الله مائة تهليلة»** (١).

وفاتها:

وحزنت أم هانئ على أخيها أشد الحزن، وتراكمت عليها الأحزان، ولم تستطع مقاومتها، ففاضت روحها إلى بارئها رحمها الله ورضي عنها.

قال الذهبي: عاشت أم هانئ إلى بعد سنة خمسين، وتأخر موتها إلى بعد الخمسين (٢).

وقال الترمذي وغيره: عاشت بعد علي بن أبي طالب رضى الله عنه (٣).

فرضي الله عنها وأرضاها، وجعل مثواها الفردوس الأعلى.

* * * * *

حرارة الشهوة ويطفئها.

(١) رواه أحمد برقم (٢٦٧٩٠)، وابن ماجة برقم (٣٨١٠)، السلسلة الصحيحة برقم (١٣١٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣١٣/٢)، وتاريخ الإسلام (٣٤٦/٤).

(٣) الإصابة (٤٨٦/٨).

أميمة بنت صبيح بن الحارث

أميمة بنت صبيح بن الحارث بن شابي بن أبي صعب بن هنيَّة بن سعد بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس.

أم سيد الحفاظ الصحابي الجليل أبى هريرة الدوسي اليماني رضى الله عنه.

توفي والده وهو صغير وعاش يتيماً في كنف أمه أميمة والتي تعرف بأم أبي هريرة.

قدم أبو هريرة رضى الله عنه على النبي ﷺ مسلماً في المحرم من سنة سبع للهجرة، ورفضت أمه أن تسلم، وظلت على شركها، وكان يدعوها إلى الإسلام، فتأبى أن تسلم لله ولرسوله، حتى جاء يوماً إلى رسول الله ﷺ يشتكي حال أمه، وما هي عليه من الشرك، وطمعاً بدعوة رسول الله ﷺ لها، فأسلمت وقرت عينا أبي هريرة بإسلام أمه.

قال أبو هريرة: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام، فتأبى علي فدعوتها اليوم، فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم اهد أم أبي هريرة»**، فخرجت مستبشرا بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته، وأنا أبكي من الفرح، قال قلت: يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه، وقال خيرا، قال قلت: يا رسول الله ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا، قال فقال رسول الله ﷺ : **«اللهم حبب عبيدك هذا – يعني أبا هريرة وأمه – إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين»**، فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني [(١)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٤٩١)، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه.

وعندها رضي الله عنها من الكرم والجود ما يجعلها مثالاً يحتذى به.

عن حميد بن مالك بن خثيم، أنه قال: كنت جالسا مع أبى هريرة بأرضه بالعقيق، فأتاه قوم من أهل المدينة على دواب فنزلوا، قال حميد: فقال أبو هريرة: اذهب إلى أمي وقل لها: إن ابنك يقرئك السلام ويقول: أطعمينا شيئا، قال: فوضعت ثلاثة أقراص من شعير، وشيئا من زيت وملح في صحفة، فوضعتها على رأسي، فحملتها إليهم، فلما وضعته بين أيديهم كبر أبو هريرة، وقال: الحمد لله الذي أشبعنا من الخبز بعد أن لم يكن طعامنا إلا الأسودان التمر والماء، فلم يصب القوم من الطعام شيئا، فلما انصرفوا، قال: يا ابن أخي أحسن إلى غنمك وامسح الرغام عنها، وأطب مراحها، وصل في ناحيتها، فإنها من دواب الجنة، والذي نفسي بيده ليوشك أن يأتى على الناس زمان تكون الثلة من الغنم أحب إلى صاحبها من دار مروان [(١)].

وفاتها:

لم نعلم سنة وفاتها غير أنها قبل ابنها، ومعلوم أن أبا هريرة مات سنة (٥٩)هـ.

فرضي الله عنها وأرضاها، ورضي عن ابنها، وجعل جنة الفردوس مأواهما.

* * * * *

فائدة: بنص هذا الحديث أن الذي يحب أبا هريرة هو من المؤمنين، والذي لا يحبه ليس من المؤمنين، فالشيعة الرافضة لا يحبون أبا هريرة بل ويشتمونه، ويطعنون فيه فهم ليسوا من المؤمنين.

(١) الأدب المفرد برقم (٥٧٢).

حبيبة بنت خارجة بن زيد الخزرجية

أبوها: هو خارجة بن زيد بن أبي زهير الأنصاري الخزرجي، استشهد في معركة أحد.

أمها: هزيلة بنت عتبة بن عمرو بن خديج.

إسلامها: أسلمت حبيبة وبايعت الرسول ﷺ.

زواجها: تزوجها أبو بكر الصديق في المدينة بعد الهجرة. وبعد وفاة أبي بكر تزوجها خبيب بن أساف بن عتبة بن عمرو.

قال ابن الجوزي: وكان أبو بكر لما هاجر إلى المدينة نزل على خارجة فتزوج ابنته [(١)].

عن جابر بن عبد الله قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر، فدخل، ثم أقبل عمر، فاستأذن، فأذن لـه، فوجد النبي ﷺ جالساً حولـه نساؤه واجماً ساكتاً، قال: فقال: لأقولن شيئاً أضحك النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة، فقمت إليها فوجأت عنقها، فضحك رسول الله ﷺ وقال: **«هن حولي كما ترى، يسألنني النفقة»** [(٢)].

عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح، قال إسماعيل: يعني العالية [(٣)].

قال ابن حجر في شرح الحديث: مسكنه بالسنح: وتقدم ضبطه في الجنائز، وأنه مسكن زوجة أبي بكر الصديق.

فتح الباري.

---

(١) كتاب "صفة الصفوة" (ص ٢٣٨/١).

(٢) رواه مسلم في كتاب "الطلاق"، باب أن تخيير امرأته لا يكون.

(٣) رواه البخاري في كتاب "فضائل الصحابة"، باب قول النبي: **«لو كنت متخذاً خليلاً»**.

وقال أيضاً: بالسنح... وضبطه أبو عبيد البكري بضمها وقال: إنه منازل بني الحارث من الخزرج بالعوالي، وبينه وبين المسجد النبوي ميل [١].

* * * * *

(١) فتح الباري، كتاب "فضائل الصحابة"، باب قول النبي: **«لو كنت متخذاً خليلاً»**.

خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها

هي خولة بنت ثعلبة بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف.

وهي من الفصحاء والبلغاء.

زوجها أوس بن الصامت بن قيس؛ أخو عبادة بن الصامت رضي الله عنهما، أنجبت منه الربيع.

وهي التي جاءت إلى رسول الله ﷺ تشتكي زوجها وتجادله فيه، بعد أن قال لها زوجها أوس بن الصامت عندما غضب منها: أنت علي كظهر أمي، ثم عاد لها مرة أخرى يراودها عن نفسها فأبت، وقالت: كلا والذي نفس خولة بيده، لا تخلص إلي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه.

فجلست بين يدي رسول الله ﷺ فذكرت له ما لقيت من زوجها، وهي بذلك تريد أن تستفتيه وتجادله في الأمر، ورسول الله ﷺ يقول: «**ما أمرنا في أمرك بشيء، ما أعلمك قد حرمت عليه**»، وهي لشدة إيمانها تعيد الكلام على رسول الله ﷺ وتبين له ما قد يصيبها وابنها إذا افترقت عن زوجها، وفي كل مرة يقول لها رسول الله ﷺ : «**ما أعلمك قد حرمت عليه**».

ثم رفعت يديها إلى السماء وقالت: اللهم إني أشكو إليك ما نزل بي.

وما كادت أن تفرغ من دعائها حتى نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ وتغشاه الوحي، ثم سري عنه، فقال رسول الله ﷺ : «**يا خولة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآناً ثم قرأ عليها**: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجادلة: ١]».

قالت عائشة رضي الله عنها: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمعُ كلام خولة بنت ثَعلبة، ويخفى على بعضُهُ، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله أكَلَ شبابي ونـثرتُ له بطني، حتى إذا كَبُرتْ سني، وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك فما برحت حتى نزل جبريلُ بهؤلاء الآيات: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١] [(١)].

---

(١) قصة المجادلة أخرجها الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد (٦/١٦٨) باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤].

درة بنت عم النبي ﷺ ورضي الله عنها

الصحابية الهاشمية درَّة بنت أبي لهب، وأمها أم جميل بنت حرب بن أمية اللذان بشرهما القرآن الكريم بالنار.

كان إسلامها وفرارها من أبيها وأمها إلى الله ورسوله مثاراً للإعجاب والعجب، كانا أبواها يتعاونان على إلحاق الضرر برسول الله ﷺ، وإيذائه بكل وسيلة، فأبو لهب يمشي وراء النبي ﷺ ويحذر الناس منه، وعندما يسمع الناس كلامه يقولون إذا كان هذا رأي عمه فيه، فما يضرنا أن نجافيه، ويتأذى رسول الله ﷺ لذلك، ويزداد هماً وغماً.

وأما أمها أم جميل - حمالة الحطب - وهي امرأة أبي لهب، فكلها مُلئت شراً وحقداً على رسول الله ﷺ حتى كان من كرهها له أن تضع الحسك والشوك في طريقه ﷺ، ناسية أن الله هو كافيه وناصره، وهو قادر على أن يمنع الأذى عنه.

وكان عتيبة - وهو أخوها - يحاول أذية رسول الله ﷺ بكل الوسائل، بعد أن طلق أم كلثوم، حيث ذهب إلى رسول الله ﷺ وسطا عليه وشق قميصه أمام الملأ من قريش، وأبو طالب حاضر، فقال النبي ﷺ: «**اللهم سلط عليه كلباً من كلابك**». فوجم لها، وقال: ما كان أغناك يا بن أخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة إلى أبيه، فأخبره، وحزنت درة لما صنع عتيبة أخوها برسول الله ﷺ، وأيقنت أنه لن يفلت من العقاب. ولم يلبث أبو لهب أن خرجوا إلى الشام، فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من الدير، فقال لهم: إن هذه أرض مسبعة، فقال أبو لهب لأصحابه: أغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة، فإني أخاف على ابني من دعوة محمد، فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم، وأحدقوا بعتبة، فجاء الأسد يتشمَّمُ وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله. نعم، وثب عليه فإذا هو فوقه فمزقه، وقد كان أبوه ندبه وبكى، وقال: ما قال محمد شيئا قط إلا كان [1].

---

(١) ذكره ابن حجر في الفتح (٣٩/٤)، والقرطبي في تفسيره (٨٢/١٧) و (٢١٨/١٩)، وذكره أبو نعيم في دلائل النبوة، الحديث (١٦٣).

وعنـــدما نزلـــت ســـورة المســـد: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾ [المسد: ١ - ٥].

جن جنون أبي لهب وامرأته أم جميل، فقالت لزوجها: إذاً ابن أخيك شاعر وقد هجاني، وأنا أيضاً شاعرة وسأهجوه.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما، قالت: لما نزلت سورة تبت يدا أبي لهب أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر، وهي تقول:

مذمماً عصينا وأمره أبينا

ودينه قلينا

قلينا: أي أبغضنا.

والنبي ﷺ قاعد في المسجد ومعه أبو بكر رضي الله عنه فلما رآها أبو بكر، قال: يا رسول الله لقد أقبلت وأنا أخاف أن تراك، قال رسول الله ﷺ: **«إنها لن تراني»**، وفي رواية: قال: **«لا ما زال ملك بيني وبينها يسترني حتى ذهبت»**- وقرأ قرآنا فاعتصم به، كما قال وقرأ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝٤٥﴾ [الإسراء: ٤٥] فوقفت على أبي بكر رضي الله عنه ولم تر رسول الله ﷺ، فقالت: يا أبا بكر أخبرت أن صاحبك هجاني، فقال: لا ورب هذا البيت ما هجاك، قال: فولت وهي تقول: قد علمت قريش أني ابنة سيدها [(١)].

ومع كل ذلك تحدت درة رضي الله عنها أسرتها وبيئتها من أجل الإسلام، وأعلنت كلمة التوحيد، وأسلمت وحسن إسلامها وكانت من المهاجرات إلى المدينة.

وبعد أن دخلت درة رضي الله عنها رحاب الإسلام تقدم لخطبتها الصحابي الجليل دحية الكلبي وتم الزواج الميمون.

وكانت درة قد تزوجت في الجاهلية من الحارث بن نوفل بن عبد المطلب وقد أنجت

---

(١) تفسير القرطبي (٢٦٩/١٠).

لـه عقبة والوليد وأبا مسلم، وقتل عنها الحارث مشركاً في يوم بدر، هذا اليوم الذي نصر الله فيه الإسلام وأذل فيه الكفر.

أبدلها الله تعالى بالصحابي الجليل دحية، وهو من أجمل الناس طلعة، وكان جبريل عليه السلام يأتي بصورته، فأي شرف أصابت درة بعد أن أسلمت.

وقويت علاقتها بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها، وأخذت تكثر الدخول عليها لتأخذ منها العلم والفقه في دينها.

توفيت رضي الله عنها في سنة عشرين للهجرة في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

* * * * *

سمية بنت خُبّاط

وقيل: ضباط، وهي أم عمار بن ياسر، من كبار الصحابيات، وهي أول امرأة أظهرت إسلامها، وكانت سابعة سبعة في الإسلام.

زوجها: هو ياسر بن عامر الذي قدم مكة هو وأخوه الحارث ومالك من اليمن، يطلبون أخاً لهم، فرجع أخواه، وأقام ياسر، وحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكانت سمية أمة لأبي حذيفة، وزوجها ياسر بن عامر، فولدت له عماراً، فأعتقه أبو حذيفة ثم مات أبو حذيفة، فلما جاء الله بالإسلام أسلم عمار وأبواه وأخوه عبد الله، وتزوج بسمية بعد ياسر الأزرق الرومي غلام الحارث بن كلدة الثقفي، وله صحبة، وهو والد سلمة بن الأزرق [1].

ابنها عمار صحابي جليل، وهو أول من بنى مسجدا يصلى فيه.

قال عنه رسول الله ﷺ : **«ابن سمية ما عرض عليه أمران قط إلا اختار الأرشد منهما»**[2].

قال المناوي في فيض القدير: في الحديث منقبة عظيمة لعمار بن ياسر الصحابي الجليل رضي الله عنه، و أنه موفق لاختيار الأرشد من الأمور.

قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء:

هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس الإمام الكبير أبو اليقظان العنسي المكي مولى بني مخزوم أحد السابقين الأولين والأعيان البدريين وأمه هي سمية مولاة بني مخزوم من كبار الصحابيات أيضا.

وروى عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال: رأيت عمارا يوم صفين شيخا آدم طوالا وإن الحربة في يده لترعد، فقال:

والذي نفسي بيده لقد قاتلت بها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات، وهذه الرابعة، ولو قاتلونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر، لعرفت أننا على الحق وأنهم على الباطل.

---

(١) الطبقات الكبرى (٢٤٦/٣).

(٢) أخرجه أحمد والحاكم عن ابن مسعود، صحيح الجامع حديث رقم (٤٨).

وعن عمر بن الحكم قال: كان عمار يعذب حتى لا يدري ما يقول وكذا صهيب، وفيهم نزلت: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ﴾ [النحل: ٤١].

عن الحسن بن صالح عن أبي ربيعة عن الحسن عن أنس مرفوعا قال: **«ثلاثة تشتاق إليهم الجنة علي وسلمان وعمار»** [(١)].

أبو إسحاق عن هانئ بن هانئ عن علي قال:

استأذن عمار على النبي ﷺ، فقال: من هذا؟ قال عمار قال: **«مرحبا بالطيب المطيب»**[(٢)].

وعن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو مرفوعا: **«قاتل عمار وسالبه في النار»**.

قال ابن أبي خالد عن قيس أو غيره قال عمار: "ادفنوني في ثيابي فإني رجل مخاصم ".

وعن عاصم بن ضمرة: أن عليا رضى الله عنه صلى على عمار ﷺ ولم يغسله.

قال أبو عاصم: عاش عمار ثلاثا وتسعين سنة، وكان لا يركب على سرج، ويركب راحلته يحيى بن سعيد عن عمه قال:

" لما كان اليوم الذي أصيب فيه عمار إذا رجل قد برز بين الصفين جسيم على فرس جسيم ضخم على ضخم، ينادي يا عباد الله بصوت موجع، روحوا إلى الجنة ثلاث مرار، الجنة تحت ظلال الأسل، فثار الناس فإذا هو عمار فلم يلبث أن قتل ".

عن أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ : **«بؤسا لك يا بن سمية، تقتلك الفئة الباغية»**[(٣)].

سمية بنت خُبّاط أول شهيدة في الإسلام:

---

(١) صحيح الجامع.

(٢) صحيح الجامع.

(٣) أخرجه مسلم.

مع كبر سنها وضعفها، كانت ممن يعذب في الله عز وجل أشد العذاب، ويؤذي في الله جل ثناؤه، أشد الإيذاء، فما ضعفت وما وهنت وما استكانت، وكانت من الصابرات، أجبروها على الكفر فأبت، وأجبروها على سب الرسول ﷺ فرفضت، فساموها أشد العذاب، وهي العجوز الكبيرة الضعيفة فما صدها هذا عن دين الله.

وكان رسول الله ﷺ مر بعمار وأمه وأبيه وهم يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة، فقال: **«صبراً آل ياسر موعدكم الجنة»** [١].

قال ابن حجر: أخرج ابن سعد بسندٍ صحيح، عن مجاهد، قال: أول شهيدة في الإسلام: سمية والدة عمار بن ياسر، وكانت عجوزاً كبيرة ضعيفة. اهـ[٢].

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: سمية بنت خباط رضي الله عنها مولاة أبي حذيفة بن المغيرة، وهي أم عمار بن ياسر، أسلمت بمكة قديما، وكانت ممن يعذب في الله عز وجل لترجع عن دينها فلم تفعل، فمر بها يوما أبو جهل فطعنها في قبلها، فماتت، وكانت عجوزا كبيرة، فهي أول شهيدة في الإسلام رحمها الله [٣].

ولا جرم أن صبرها وبذلها نفسها ومالها وولدها وزوجها لله تعالى يستوجب أن يقال: إنها من أهل الجنة، وقد كان دخولها الجنة على يد إمام الكفر أبي جهل، حيث طعنها في قبلها بحربة بيده فقتلها، فوصلت إلى الجنة. وكان ذلك في السنة السابعة قبل الهجرة.

* * * * *

---

(١) رواه الحاكم برقم (٣/ ٣٣٨)، وصححه، ووافقه الذهبي.
(٢) "الإصابة" (٧/٧١٣).
(٣) صفة الصفوة (٢/٥٩).

كبشة بنت رافع بن عبيد

كبشة بنت رافع بن عبيد بن الأبجر - وهو خدرة - بن عوف بن الخزرج الأنصارية الخدرية.

أمها: أم الربيع بنت مالك بن عامر بن فهيرة بن بياضة.

كانت من المسلمات الأوائل منذ دخول الإسلام في المدينة.

هي أم الصحابي الجليل البطل سعد بن معاذ رضى الله عنه، الذي اهتز عرش الرحمن لموته.

ابنها الذي حكم بحكم الله من فوق سبع سموات.

زوجها معاذ بن النعمان من بني عبد الأشهل، وقد ولدت لـه سعداً وعَمراً وإياساً وأوساً وعقربَ وأم حزام.

كانت أم سعد رضي الله عنها من السابقات في الخير، حيث كانت أول من بايع النبي ﷺ مع أم عامر بنت يزيد بن السكن، وحواء بنت يزيد بن السكن [1].

لها مواقف تدل على إيمانها وجهادها وصبرها، فقد خرجت في غزوة أحد مع من خرجن من النساء تطمئن على سلامة رسول الله ﷺ، وقد وصلها خبر استشهاد ولدها عمرو بن معاذ رضى الله عنه، ومع هذا فقد كانت تريد الاطمئنان على سلامة رسول الله ﷺ.

وعندما وصلت أرض المعركة وعلمت بسلامة رسول الله ﷺ حمدت الله تعالى واعتبرت مصيبتها هينة.

وكان ابنها عمرو بن معاذ رضى الله عنه يقاتل في المعركة، حتى لقيه ضرار بن الخطاب فقتله، وكان يومئذٍ ما يزال على شركه.

ومن مواقفها الإيمانية رضي الله عنها التي تدل على صبرها وجهادها وشجاعتها أيضاً.

---

(١) الطبقات الكبرى (١٢/٨).

حين كانت مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في غزوة الخندق في حصن بني حارثة، وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه حين خرجوا إلى الخندق قد رفعوا الذراري والنساء في الحصون مخافة العدو عليهم.

قالت عائشة رضي الله عنها: كنت في حصن بني حارثة وأم سعد بن معاذ معي، فمر سعد بن معاذ، وهو يقول:

لبث قليلاً يلحق الهيجا حَمَل ::: ما أحسن الموت إذا حان الأجل

فقالت له أمه رضي الله عنها: الحق يا بني فقد تأخرت، فقلت: يا أم سعد لوددت أن درع سعد أسبغ مما هي، قال: فأصابه السهم حيث خافت عليه.

وقال الذي رماه: خذها وأنا ابن العرقة، فقال: عرق الله وجهك في النار.

وابن العرقة، اسمه حبان بن عبد مناف من بني عامر بن لؤي.

والعرقة، أمه، وقيل إن الذي أصاب سعد أبو أمامة الجشمي (١).

انظر كم هي شجاعتها رضي الله عنها وأرضاها وأكرمها وفي جنات الخلد مثواها.

يا حبذا لو تسلك نساؤنا وبناتنا طريق هؤلاء الصحابيات الجليلات، وأن يقتدين بهن.

* * * * *

---

(١) الإصابة (٣/ ٨٥).

نسيبة بنت كعب الأنصارية رضي الله عنها

أول مقاتلة في الإسلام ورافقت النبي ﷺ في الجنة.

زوجها زيد بن عاصم بن كعب، والد حبيب الذي قتله مسيلمة الكذاب، وتزوجت بعد زيد بن عاصم غزية بن عمرو بن عطية، بن خناس المازني، وهو ممن شهد العقبة وأحدا.

أولادها من غزية بن عمرو: تميم وخولة [١].

شهدت ليلة العقبة، وشهدت أحداً، والحديبية، ويوم حنين، ويوم اليمامة، وجاهدت وقطعت يدها في الجهاد.

جرحت أم عمارة بأحدٍ اثني عشر جرحاً.

وجرحت يوم اليمامة أحد عشر جرحاً سوى قطع يدها.

وأخوها عبد الله بن كعب المازني من البدريين.

وأخوها عبد الرحمن من البكائين.

عن عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه عن أمه قال: شهدت أحداً مع رسول الله ﷺ، فلما تفرق الناس عنه دنوت أنا وأمي ندب عنه، فقال: «**ابن أم عمارة ؟**» قلت: نعم قال: «**ارم**»، فرميت بين يديه رجلاً من المشركين بحجر، وهو على فرس، فأصبت عين الفرس، فاضطرب الفرس حتى وقع هو وصاحبه، وجعلت أعلوه بالحجارة حتى نضدت عليه منها وقراً، والنبي ﷺ ينظر ويبتسم، ونظر جرح أمي على عاتقها.

فقال: «**أمك أمك، اعصب جرحها: بارك الله عليكم من أهل بيت، مقام أمك خير من مقام فلان، وفلان، رحمكم الله أهل البيت، ومقام ربيبك خير من مقام فلان وفلان، رحمكم الله أهل البيت**».

قالت: ادع الله أن نرافقك في الجنة فقال: «**اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة**».

فقالت: ما أبالي ما أصابني من الدنيا [١].

---

(١) الطبقات الكبرى (٣٠٣/٨)، والإصابة (٤٤١/٨).

ربيبك: زوج أمك.

روت عن النبي ﷺ عدة أحاديث.

روى عنها: الحارث بن عبد الله بن كعب، وابن ابنها عباد بن تميم، وكريب مولى ابن عباس.

روى لها الأربعة [٢].

وفاتها:

قال الزركلي: كانت وفاتها نحو سنة ثلاث عشرة من الهجرة [٣].

* * * * *

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/٤١٤، ٤١٥).

(٢) تهذيب الكمال (٣٥/٣٧٢).

(٣) الأعلام (٨/١٩).

الفهرس

المقدمة ٣
الفصل الأول: الثناء في القرآن والسنة على الصحابة ٦
المبحث الأول: الثناء عليهم في القرآن ٧
المبحث الثاني: الثناء عليهم في السنة ٢٩
المبحث الثالث: الثناء عليهم في أقوال السلف ٤٢
الفصل الثانى: وجوب محبتهم والدعاء والاستغفار لهم بالشهادة عن رسول الله ﷺ بالجنة منهم٥٦
المبحث الأول: وجوب محبة أصحاب رسول الله ﷺ ٥٧
المبحث الثاني: الدعاء والاستغفار لهم ٦٤
الفصل الثالث: إثبات عدالتهم رضى الله عنهم ٨٥
المبحث الأول: معنى العدالة في اللغة والاصطلاح ٨٦
المبحث الثاني: تعديل الله ورسوله للصحابة ٩١
المبحث الثالث: الإجماع على عدالتهم رضي الله عنهم ١٠٠
الفصل الرابع: تحريم سبهم بنص الكتاب العزيز والسنة وأقوال السلف وحكم من يسبهم ١١٢
المبحث الأول: تحريم سبهم بنص الكتاب العزيز ١١٣
المبحث الثاني: دلالة السنة على تحريم سب الصحابة ١١٨
المبحث الثالث: من كلام السلف في تحريم سب الصحابة ١٢٥
المبحث الرابع: حكم ساب الصحابة وعقوبته ١٣٤
الفصل الخامس: فضل العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم رضوان الله عليهم ١٥٤
فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ١٥٥
فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ١٧٦
فضل ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه ١٨٩
فضل أبي السبطين علي رضي الله عنه ٢٠٣
فضل طلحة بن عبيد الله ٢١٤
الزبير بن العوام ٢١٩
عبد الرحمن بن عوف ٢٢٥
أبو عبيدة بن الجراح ٢٣٤
سعيد بن زيد ٢٤٨
الحسن بن علي رضي الله عنه ٢٥١
الحسين بن علي رضي الله عنه ٢٥٦
حمزة بن عبد المطلب ٢٦٤
العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ٢٦٨
عبد الله بن عباس رضي الله عنه ٢٧٣
الفضل بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ٢٨٠
جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ٢٨٢

عبد الله بن جعفر رضي الله عنه ٢٨٩
أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ٢٩١
عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ٢٩٤
الفصل السادس ٢٩٦
فضل الصاحبيات رضوان الله عليهن ٢٩٦
أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ٢٩٧
سودة بنت زمعة رضى الله عنها ٣١٠
عائشة رضي الله عنها ٣١٣
حفصة رضي الله عنها ٣٢٥
زينب بنت خزيمة رضي الله عنها ٣٢٨
أم سلمة رضي الله عنها ٣٣٠
زينب بنت جحش رضي الله عنها ٣٣٣
جويرية بنت الحارث رضى الله عنها ٣٣٨
أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها ٣٤١
صفية بنت حيي رضي الله عنها ٣٤٥
ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها ٣٥٠
زينب رضي الله عنها ٣٥٥
رقية رضي الله عنها ٣٥٩
أم كلثوم رضي الله عنها ٣٦٣
فاطمة رضي الله عنها ٣٦٥
أسماء بنت أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ ٣٧٥
أسماء بنت عميس ٣٨٥
أسماء بنت السكت ٣٨٩
الخنساء ٣٩٣
الربيع بنت معوّذ ٣٩٦
أم الدحداح الأنصارية ٣٩٨
أم المنذر بنت قيس رضي الله عنها ٤٠٠
أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها ٤٠٢
أم سليم الغميصاء، أو الرميصاء، بنت ملحان رضي الله عنها ٤٠٤
أم عطية الأنصارية رضي الله عنها ٤١٢
أم هانئ رضي الله عنها ٤١٤
أميمة بنت صبيح بن الحارث ٤١٧
حبيبة بنت خارجة بن زيد الخزرجية ٤١٩
خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها ٤٢١
درة بنت عم النبي ﷺ ورضي الله عنها ٤٢٢
سمية بنت خُبّاط ٤٢٥
كبشة بنت رافع بن عبيد ٤٢٨

نسيبة بنت كعب الأنصارية رضي الله عنها ٤٣٠
الفهرس ٤٣٢

* * * * *